سلسلة استعادة
رسالة الإنجيل

قوة الإنجيل ورسالته

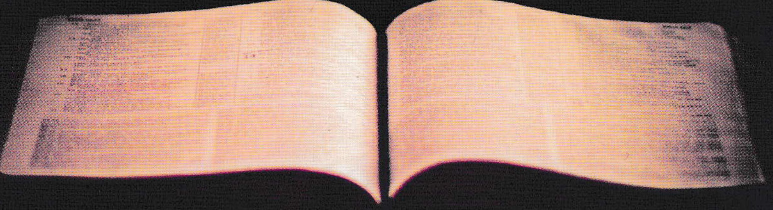

www.christianlib.com

بول واشر

قوة الإنجيل
و
رسالته

تأليف

پـول واشـر

Originaly published in English under the title
The Gospel's Power & Message
by *Reformation Heritage Books*
ISBN 978-1-60178-195-6
Copyright© 2012 by Paul Washer
All rights reserved

اســـــم الكتـــــاب: **قوة الإنجيل ورسالته**

المـؤلـــــــــف : پول واشـر

ترجمـــة ونشـــر: خدمة الحـق يحرركـم

المطبعـــــــــــة : سان مارك - ت: ٢٣٣٧٤١٢٨

رقـــــم الإيـــداع: **٢٠١٦/٢٥٤٠٢**

الترقيـــــم الدولـــي: **978-977-90-4472-9**

فريق الترجمة والتحرير: اليزابيث فايز - شيري عوض - سامح عزمي
يوسف شكري - مينا نبيل

للتواصل وطلب المزيد من الكتب يمكنك مراسلتنا على:

TSF.Ministry@gmail.com

جميع حقوق الطبع في النسخة العربية محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

«وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ» (يوحنا ٨: ٣٢).

خدمة **الحق يحرركم** هي خدمة غير ربحية، تهدف لتدعيم المؤمنين كأفراد
والكنيسة كجماعة بمحتوى روحي وتعليمي كتابي
من أجل مجد الله وامتداد ملكوته.
نصلي أن تكون خدمتنا سبب بركة لك عزيزنا القارئ في مسيرة إيمانك.
يمكنك متابعتنا على Facebook: خدمة الحق يحرركم
https://www.facebook.com/TSFministry2016/

للتواصل وطلب المزيد من الكتب يمكنك مراسلتنا على:

TSF.Ministry@gmail.com

المحتويات

صفحة

مقدمة السلسلة:	إِستعادة رسالة الإنجيل	٩
الجزء الأول:	**مقدمة رسولية**	١٧
الفصل الأول:	إنجيل لنَعرفه ونجعله معروفاً	١٩
الفصل الثاني:	إنجيل لنَقبله	٢٧
الفصل الثالث:	إنجيل نَخلُصُ به	٣٧
الفصل الرابع:	إنجيل ذو أهمية قصوى	٤٥
الفصل الخامس:	إنجيل وُرِّث وسلُمٌ	٥١
الجزء الثاني:	**قوة الله للخلاص**	٦١
الفصل السادس:	الإنجيل	٦٣
الفصل السابع:	إنجيل مُخزٍ	٧١
الفصل الثامن:	إنجيل قوي	٧٩
الفصل التاسع:	إنجيل لكل مَن يؤمن	٨٩
الجزء الثالث:	**حِصن الإيمان المسيحي**	٩٧
الفصل العاشر:	تعظيم قدر الخطية	٩٩
الفصل الحادي عشر:	تعظيم قدر الله	١٠٧
الفصل الثاني عشر:	الجميع خطاة	١٢٣

الفصل الثالث عشر: الخطاة عاجزون ١٣٥
الفصل الرابع عشر: خطاة بالكامل ١٤٣
الفصل الخامس عشر: الغضبُ البار ١٥٩
الفصل السادس عشر: الحرب المقدسة ١٦٩
الفصل السابع عشر: العطية الأكثر كُلفة ١٧٧
الفصل الثامن عشر: المُعضِلة الإلهية ١٩١
الفصل التاسع عشر: فادٍ مؤهلّ ١٩٩
الفصل العشرون: صليب يسوع المسيح ٢١١
الفصل الواحد والعشرون: تبرير الله ٢٣١
الفصل الثاني والعشرون: قيامة يسوع المسيح ٢٤١
الفصل الثالث والعشرون: أساس الإيمان في القيامة ٢٥١
الفصل الرابع والعشرون: صعود المسيح بصفته رئيس كهنة لشعبه ٢٧١
الفصل الخامس والعشرون: صعود المسيح ربًّا على الكل ٢٨٩
الفصل السادس والعشرون: صعود المسيح ديَّانا للكل ٣٠٧

مقدمة

منذ عدة عقود حدث تصادم بين قطارين، وألقي القبض على كل من عامل المزلقان وسائق القطار للتحقيق في أي منهما المتسبب في هذا التصادم. وكان عامل المزلقان يؤكد أنه نفذ التعليمات ورفع الراية الحمراء ليُحَذِّر السائق، في حين كان السائق يُؤكِّد أن العامل رفع له الراية البيضاء، من ثم فقد واصل المسير بالقطار.

وأخيرًا تم اكتشاف سبب الكارثة، فالراية الحمراء التي رفعها عامل المزلقان، من كثرة تعرضها للشمس والعوامل الجوية، تحولت إلى راية صفراء باهتة، يمكن أن تُرى من بعُد أنها راية بيضاء!

إذًا، كان عدم وضوح الراية الحمراء سبب مقتل عدد كبير من الركاب. واليوم فإن ما يفعله بعض المعلمين في المسيحية، يتسبب في هلاك أبدي لأضعاف هذا العدد. وحقًا إن كان العداء الصريح للإنجيل ولرسالته قتل ألوفه، فإن الرخاوة والميوعة في إعلان الإنجيل الصريح بكل وضوح قتل ربواته.

لذلك كم سعدت عند قراءة هذا الكتاب القَيِّم، إذ وجدت أنه ما زال للرب – في القرن الحادي والعشرين – جنود أمناء يدافعون بكل شجاعة عن حق الإنجيل، الذي طُمست معالمه وبهت لونه في الأونة الأخيرة، على أيدي التحرريين، وناشري الإنجيل المستحدث. وسعدت بالأكثر لأن كتابًا كهذا تمت ترجمته إلى العربية، فالحاجة ماسة في جيلنا لتقديم الإنجيل النقي والبسيط والواضح.

قال الرسول بولس: «سيكون وقت لا يحتملون فيه التعليم الصحيح، بل حسب شهواتهم الخاصة يجمعون لهم معلمين مستحكة مسامعهم، فيصرفون مسامعهم عن الحق، وينحرفون إلى الخرافات» (٢تي٤: ٣، ٤). وعلى العكس من هذا الفريق قال الرسول: «لأني لست أستحي بإنجيل المسيح» (رو١: ١٦)؛ وقال أيضًا لتلميذه تيموثاوس: «فلا تخجل بشهادة ربنا» (٢تي١: ٨).

قد يخجل العالم أو من لهم فكر العالم من هذا الإنجيل، حيث إنه «ليس بحسب إنسان» (غل١: ١١). فإنجيل المسيح لا يرضي الذوق البشري، ولا يتوافق مع الفكر الإنساني. لكن الأخ الفاضل "بول واشر"، أثبت أنه يرفض المبادئ المختلطة، والمساومة على الحق، والالتقاء في منتصف الطرق. وهو لا يُعوِّل مطلقًا على المنطق البشري، ولا المجهود الإنساني. إنه ينادي بالإنجيل الذي نادى به الرسل والمبشرون الأوائل، ويكرر في إصرار ما سبق وأعلنه الرسول بولس: «الكل من الله» (٢كو٥: ١٨). وإذا كان الله «استحسن .. أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة» (١كو١: ٢١)، فبالطبع لا يوجد في الكون أفضل مما يراه الله، وما استحسنه، أعني أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة.

صلواتي أن يكون هذا الكتاب صرخة في البرية، أو صرخة في نصف الليل، وأن كثيرين ممن يقرأونه يسيروا مجددًا في الطريق الصالح، ليجدوا راحة لنفوسهم.

خادم الرب المهندس يوسف رياض

مقدمة السلسلة: استعادة رسالة الإنجيل

يتميز إنجيل يسوع المسيح بأنه أعظم الكنوز المُعطاة للكنيسة، وللمؤمنين كأفراد؛ والإنجيل ليس مجردَ رسالةٍ من بين رسائل كثيرة، بل هو **الرسالة** التي تعلو فوق جميع الرسائل؛ كما أنه قوة الله للخلاص، وأعظم إعلان عن حكمته المتنوعة تجاه البشر والملائكة.[1] ولهذا السبب أعطى الرسول بولس للإنجيل المكانة الأولى في عظاته، وسعى بكل قوته أن يُعلن رسالة الإنجيل بوضوح، حتى إنه أدان كلَّ مَن يحاول تحريف الحق الموجود في الإنجيل.[2]

يتحمل كلُّ جيل من المؤمنين مسؤولية أن يكون وكيلاً على رسالة الإنجيل. ويدعونا الله بقوة الروح القدس أن نحرس هذا الكنز الذي استأمننا عليه.[3] وإن كنا نسعى لنكون وكلاءَ أمناء، علينا أن ننهمك في دراسة الإنجيل، ونبذل قصارى جهدنا لفهم حقائقه، ونتعهد بحراسة محتواه.[4] وبذلك، سنتأكد من خلاص أنفسنا، وخلاص الذين يسمعوننا على حدٍّ سواء.[5]

تدفعني هذه الوكالة إلى كتابة مثل هذه الكتب. ورغم أنني لا أمتلك الرغبة الشديدة في القيام بعمل الكتابة الشاق، كما أن المكتبات بكل تأكيد لا تُعاني من ندرة الكتب المسيحية، فإنني كتبتُ المجموعة التالية من العظات، وجَمَّعتُها في كتابٍ؛ للسبب نفسه الذي جعلني أقدِّمها في عظات: لكي أزيح عن كاهلي عبئَها. مثلي في ذلك مثل إرميا، إن لم أجاهر بهذه الرسالة «فَكَانَ فِي قَلْبِي كَنَارٍ مُحْرِقَةٍ

١- رومية ١:١٦؛ أفسس ٣:١٠

٢- كورنثوس الأولى ١٥:٣؛ كولوسي ٤:٤؛ غلاطية ١:٨، ٩

٣- تيموثاوس الثانية ١:١٤

٤- تيموثاوس الأولى ٤:١٥

٥- تيموثاوس الأولى ٤:١٦

مَحْصُورَةٍ فِي عِظَامِي، فَمَلَلْتُ مِنَ الإِمْسَاكِ وَلَمْ أَسْتَطِعْ.»[٦] كما أعلن الرسول بولس بقوة: «فَوَيْلٌ لِي إِنْ كُنْتُ لاَ أُبَشِّرُ»[٧]

كما هو معروف، تأتي كلمة **إنجيل** من الكلمة اليونانية (euangelion)، التي تعني "الخبر السار". فمن ناحيةٍ، تحتوي كل صفحة في الكتاب المقدس على الإنجيل (الخبر السار)، لكن من ناحيةٍ أخرى، يُشير الإنجيل إلى رسالة محددة جداً، تتمثل في الخلاص الذي تحقق للساقطين من خلال حياة يسوع المسيح، اِبن الله، وموته، وقيامته، وصعوده.

وفقًا لمسرة الآب الصالحة، ترك الابنُ الأزليُ، الذي هو مساوٍ للآب ورسمُ جوهره، أي التعبير الصادق عن طبيعته، مجدَ السماء طواعيةً، وحُبِلَ به من الروح القدس فى رَحِمِ عذراء، ووُلِدَ الإلهُ الإنسانُ يسوع الناصري.[٨] وكإنسانٍ سارَ على هذه الأرض في طاعة كاملة لناموس الله،[٩] وفي ملء الزمان رفضه البشر وصلبوه. وعلى الصليب حمل خطايا البشر، واحتمل غضب الله، ومات بدلًا عن الإنسان.[١٠] وفي اليوم الثالث أقامه الله من بين الأموات. وهذه القيامة هي الإعلان الإلهي بأن الآب قَبِلَ موتَ ابنه ذبيحةَ خطية. حيث دفع يسوعُ عقابَ عصيان الإنسان، وأوفى مطالب العدالة الإلهية، ورفع غضب الله عَنَّا.[١١] وبعد القيامة بأربعين يومًا، صعد ابنُ الله إلى السماوات، وجلس عن يمين الآب، وأُعطي مجدًا وكرامةً وسيادةً فوق الكل.[١٢] وصار يُمثِّل شعبَه هناك، في محضر الله، ويُقدِّم عنه طلبات أمام الله.[١٣] وكل مَن يعترف بخطيته وعجزه، ويُلقي بنفسه على المسيح، سيعفو الله عنه تمامًا، ويُبرِّره، ويُصالحه لنفسه.[١٤] وهذا هو إنجيل الله ويسوع المسيح، ابنه.

٦- إرميا ٩:٢٠
٧- كورنثوس الأولى ١٦:٩
٨- أعمال ٢٣:٢؛ عبرانيين ٣:١؛ فيلبي ٦:٢، ٧؛ لوقا ٣٥:١
٩- عبرانيين ١٥:٤
١٠- بطرس الأولى ٢٣:٢، ١٨:٣؛ إشعياء ١٠:٥٣
١١- لوقا ٦:٢٤ ، رومية ٤:١، رومية ٢٥:٤
١٢- عبرانيين ٣:١، متى ١٨:٢٨، دانيال ١٣:٧، ١٤
١٣- لوقا ٥١:٢٤ ، فيلبي ٩:٢-١١، عبرانيين ٣:١، عبرانيين ٢٥:٧
١٤- مرقس ١٥:١ ، رومية ٩:١٠ ، فيلبي ٣:٣

يرتكب هذا الجيل من المؤمنين واحدةً من أبشع الجرائم، التي تتمثل في تجاهلهم للإنجيل، ونتيجة لهذا التجاهل؛ تظهر كلُّ العِلل الأخرى. لم يتقسَ هذا العالمُ التائه من ناحية الإنجيل بقدر ما هو جاهل بالإنجيل؛ لأن عديدين من أولئك الذين ينادون بالإنجيل يجهلون أهم حقائقه الأساسية. كما تغيَّبت عن الكثير من المنابر الموضوعات الأساسية التي تشكل جوهر الإنجيل، مثل: عدل الله، والفساد الكُلِّي للإنسان، وكفارة الدم، وطبيعة الإيمان الحقيقي، والأساس الكتابي ليقين الخلاص. حيث تختزل الكنائسُ رسالة الإنجيل في بضع عبارات عقائدية، وتُقدِّم تعاليم بأن الإيمان ليس سوى قرار بشري، وتُؤكِّد على يقين الخلاص لأي شخص يُصلِّي صلاة التوبة عن الخطية.

صار لاختزال الإنجيل بهذه الطريقة تأثيرٌ بعيد المدى. أولاً، زاد من قساوة قلوب غير المؤمنين. كما لم ينجح سوى القليل من "المؤمنين" المعاصرين في الوصول إلى شركة الكنيسة، وكثيرًا ما يسقط أولئك، أو تنصرف حياتُهم إلى الشهوات المعتادة. ويسير ملايين لا حصرَ لهم في شوارِعنا، ويجلسون في مقاعد كنائسنا، دون أن يُغيرِّهم حق إنجيل يسوع المسيح. ومع ذلك، فهم مقتنعون بخلاصهم؛ لأنهم رفعوا ذاتَ مرةٍ أيديهم أثناء خدمة كرازية، أو ردَّدوا صلاةً مُعينة وراء الخادم. ويخلق هذا الإحساس الزائف بالأمان حاجزًا عظيماً، كثيراً ما يعزل هؤلاء الأفراد تماماً عن سماع الإنجيل الحقيقي.

ثانيًا، يُشوِّه هذا الإنجيلُ الكنيسة، ويُحوِّلها من جسد روحي يتكون من المؤمنين المولودين ثانية إلى تجمُّع من الجسديين الذين يَدَّعون أنهم يعرفون الله، لكن بأعمالهم يُنكرونه.[١٥] يأتي البشر إلى الكنيسة عن طريق الكرازة بالإنجيل الحقيقي، بدون ترفيه الإنجيل، أو أنشطة خاصة، أو وعود بمكاسبَ أبعد من تلك التي يُقدِّمها الإنجيل. ويفعل أولئك الذين يأتون إلى الكنيسة ذلك بسبب اِشتياقهم للمسيح، وجوعهم للحق الكتابي، وللعبادة من القلب، ولفرص الخدمة. وحين تُعلن الكنيسة إنجيلًا أقلَّ من هذا، فإنها تمتلئ بأناسٍ جسديين، غير عابئين بأمور الله، وتكون

١٥- تيطس ١:١٦

رعاية مثل هؤلاء حِملًا ثقيلًا على الكنيسة.[١٦] وتُخفف الكنيسة في هذه الحالة من مطالب الإنجيل الجذرية؛ فتُحوِّلها إلى مجرد أخلاقيات مُلائِمة، وبالتالي يُستبدل التعبُّدُ الحقيقي للمسيح بالأنشطة المصمَّمَة لتناسب اِحتياجات أعضائها. وهكذا تُصبح الكنيسة مدفوعة بالأنشطة، بدلًا من أن يكون المسيحُ مركزَها، وهكذا تُصفِّي بعناية، أو تُعيد تقديم الحق بطريقة لا تُغضب الأغلبية الجسدية. وتُنحي الكنيسة جانبًا حقائق الكتاب المقدس، والمسيحية القويمة، وتصبح بذلك البراجماتية[١٧] (أي كل ما يُبقي الكنيسة عاملة ونامية) هي القانون الشائع الذي تعمل بموجبه.

ثالثا، يختزل مثل هذا الإنجيلُ الكرازةَ والإرساليات إلى مجرد مساعٍ بشرية تدفعها اِستراتيجيات تسويق بارعة، مبنية على دراسة دقيقة لأحدث تياراتٍ الثقافة. وبعد سنوات من مشاهدة ضعف الإنجيل غير الكتابي، يقتنع العديد من الإنجيليين بأن الإنجيل لن ينجح، وأن الإنسان قد أصبح بطريقةٍ ما كائنًا يَصعب قبولُه للخلاص والتغيير بمثل هذه الرسالة البسيطة والمُخزية. نعطي حاليًا مزيدًا من العناية لأهمية فهم ثقافتنا الساقطة، ونزواتها العابرة، أكثر من فهم وإعلان الرسالة الوحيدة التي لديها قوة لخلاص هذه الثقافة. ونتيجةً لذلك؛ يُعاد تقديم الإنجيل باِستمرار؛ حتى يُلائم ما تعتبره الثقافة المعاصرة أكثر صلة بها. ونسينا أن الإنجيل الحقيقي دائمًا ذو صلة بكل الثقافات؛ لأنه كلمة الله الأزلية لكل إنسان.

رابعًا، يجلب إنجيلٌ مثل هذا لومًا وتوبيخًا على اِسم الله. من خلال المناداة بإنجيل أقل من هذا، يدخل الجسديون وغير المؤمنين في شركة الكنيسة، ومن خلال ما يكاد يكون تجاهلًا تامًّا لنظام الكنيسة الكتابي، يُسمح لهم بالبقاء دون تقويم أو توبيخ. وينال ذلك من نقاء الكنيسة وسمعتها، ويُجدِّف على اِسم الله وسط غير المؤمنين.[١٨] وتكون النتيجة في النهاية أن الله لا يأخذ المجد، والكنيسة لا تُبنى، ولا يخلص أعضاؤها غيرُ المؤمنين، ولا يكون للكنيسة إلَّا قليلٌ من الشهود أمام العالم غير المؤمن، أو لا يكون لها شهودٌ بالمَرَّة.

١٦- كورنثوس الأولى ٢:١٤

١٧- البراجماتية: هي مذهب فلسفي يقيّم النظريات والمنظومات الإيمانية بحسب نجاحها العملي ويعتبر أن النجاح العملي هو المعيار الوحيد للحقيقة. المترجم

١٨- رومية ٢:٢٤

لا يليق بنا نحن الخدام، من القساوسة أو من العامة، أن نشاهد ما يحدث، ولا نفعل شيئًا، لا سيما حين نرى "إنجيل مجد الله المبارك" يحل محله إنجيلٌ أقل مجدًا.[١٩] علينا كوكلاء على هذه الأمانة استعادة الإنجيل الحقيقي الوحيد، وإعلانه بجرأة ووضوح للكل. وسنُحسن صُنعًا إن التفتنا لكلمات تشارلز هادون سبرجن (Haddon Spurgeon):

"أشعر في هذه الأيام بأنني ملزم بمراجعة حقائق الإنجيل الأولية مِراراً وتكراراً. قد نشعر في أوقات السلام بِحُرِّية لعمل رحلات إلى مناطق الحق المثيرة، التي تقع على مسافة بعيدة؛ لكن علينا الآن البقاءُ في المنزل، وحراسة مراكز الكنيسة ومنازلها، بالدفاع عن مبادئ الإيمان الأساسية الأولى. وفي هذا العصر، ظهر في الكنيسة نفسها أناسٌ يتكلمون بأمور منحرفة. ويُزعجنا الكثيرون من خلال فلسفاتهم وتفسيراتهم المستحدثة، حيث يُنكرون العقائد التي يزعمون أنهم يُعلمونها، ويُقللون من قدر الإيمان الذي تعهدوا أن يحفظوه. ومن الجيد أن الذين يعرفون ما نؤمن به، وليس لديهم معانٍ خفية لكلماتنا، يُثبّتون أرجلهم راسخين، ويُحافظون على موقفنا، مجاهرين بكلمة الحياة، ومعلنين بوضوح الحقائق الأساسية لإنجيل يسوع المسيح».[٢٠]

على رُغم أن سلسلة استعادة رسالة الإنجيل لا تمثل عرضًا نظاميًا كاملًا للإنجيل، فإنها تتناول معظم العناصر الجوهرية، خاصة تلك المهملة بالأكثر في المسيحية المعاصرة. أتمنى أن تكون هذه الكلمات مرشدًا يساعدك أن تكتشف من جديد الإنجيلَ بكل جماله، وخِزيه، وقوته المخلِّصة. وصلاتي أن يعمل اكتشاف مثل هذه الحقائق من جديد على تغيير حياتك، وتقوية شهادتك، فيجلب المجدَ الأعظم لله.

أخوكم،

پول ديفيد واشر

١٩- تيموثاوس الأولى ١:١١

20. Charles H. Spurgeon, *The Metropolitan Tabernacle Pulpit* (repr., Pasadena, Tex.: Pilgrim Publications), 32:385

إشادة بكتاب قوة الإنجيل ورسالته

واحدةٌ من أكبر الجرائم التي يرتكبها هذا الجيل من المؤمنين هي تجاهُل الإنجيل. ومِن هذا التجاهُل، تنبُع بقية أمراضِنا وأسقامِنا؛ حيث تَغيب عن الكثير من المنابر تلك الموضوعات الأساسية، التي تُشكِّل جوهر الإنجيل؛ مثل عدل الله، وفساد الإنسان الجَذري، والكفارة عن طريق سفك الدم. ويُعالج بول واشر في كتاب "قوة الإنجيل ورسالته" تلك العناصر الأساسية في الخبر السار الذي يُقدِّمه المسيح، كما يُقدِّم لنا دليلًا؛ ليُساعدنا على اكتشاف الإنجيل من جديد، بكامل جماله وخزيه وقوته المُخلِّصة. أصلِّي أن يُغيِّر هذا الاكتشافُ حياتك، ويُقوِّي إعلانك، ويأتي بعظيم المجد لله.

"نحتاج في هذه الأيام التي يُقدَّم فيها الوعظُ المُبْتَذَل، والمتمحور حول الإنسان، والذي يستحك الآذان، لأبناء الرعد الذين يخافون الله، ويعظون بكلمته بأمانة، دون الخوف من العواقب. وأرى أن صديقي بول واشر واحدٌ منهم. أصلِّي أن يستخدم الله هذا الكتاب ليصل للضالين، ويُمجِّد اسمه".

راي كومفورت (Ray Comfort)

مؤلف كتابي "Hell's Best Kept Secret" و
"the Way of the Master"

"حاول الإنجيليون المهتمون بالأسلوب، عملَ الكثير من التصليحات عديمة الفائدة في العقود الأخيرة؛ ساعين أن يجعلوا الإنجيل أكثر جاذبيةً أو قبولًا. فاعتنوا بصنفرة كل الحواف الحادة وتنعيمها، وتصغير الرسالة على قدر الإمكان، ثم تغليفها بطبقاتٍ سميكة من الإسفنج، حتى لا يَجرح أو يُضايق أحدًا.

يكشف بول واشر في كتاب "قوة الإنجيل ورسالته" الستارَ عن الإنجيل، ويُظهِر جوانبَه المتعددة بكل مجدها الساطع. ويُعد هذا الكتاب وسيلة تذكير قوية ومؤثرة

وعميقة، تُؤكد أن الرسالة التي كلَّفنا المسيحُ أن نُعلنها ليست هشة، ولا تافهة، ولا يُمكن تحسينُها من خلال التنقيح البشري. فقد يكون الإنجيل حجر عثرة للبعض، وقد يبدو جهالةً لبعضهم الآخر، لكنه قوة الله وحكمته لأولئك المدعوين."

فيل جونسون (Phil Johnson)،

المدير التنفيذي لخدمة "Grace to You"

"أشعر بالاِمتنان العميق لذلك الوضوح الجريء في كتاب بول واشر "قوة الإنجيل ورسالته". يبدو أن لدى المؤمنين اليومَ انطباعًا خاطِئًا بأنهم محور رسالة الإنجيل، الذي هو خُطةٌ رائعة لحياتنا، ووسيلة للتمتُّع بالسلام، والفرح، وتحقيق الذات، وطريق الوصول للسماء. وتُعد هذه البركات (وأخرى كثيرة) جوانبَ من حق الباكورية الذي يتمتع به كل مؤمن حقيقي بالإنجيل، لكنها ليست الهدف، أو الغرض الأساس من الرسالة. إن محور الإنجيل هو الله ومجدُه الأبدي، وهذا ما يبدأ وينتهي به الكتاب. عِند الوعظ بالإنجيل بحق، فإن الكتاب يُوبِّخ كلَّ قلب بشري، ويجعله يتضع. إذ يُبرِز مدى بشاعة خطيتنا، ويُوبِّخ حتى أكثر الأعمال الحسنة لبرِّنا. الإنجيل بسيط بما يكفي حتى يفهمه طفل، لكن حقائقه لا تنفد.

بِاختصار، الإنجيل هو أفضل خبر سار، وأهم رسالة مُعلنَة. ويضرب بول واشر في هذه الدراسة الكتابية القوية على جميع الأوتار الصحيحة."

جون ماك آرثر (John MacArthur)،

راعي وقس بكنيسة جريس كوميونيتي بصن فالي بكاليفورنيا،

ومؤلف كتاب "الإنجيل بحسب يسوع"

(According to Jesus The Gospel)

الجـزء الأول

مقدمة رسولية

«وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِالإنجيل الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ، وَقَبِلْتُمُوهُ، وَتَقُومُونَ فِيهِ، وَبِهِ أيضًا تَخْلُصُونَ، إِنْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَ أَيُّ كَلاَمٍ بَشَّرْتُكُمْ بِهِ. أَلَّا إِذَا كُنْتُمْ قَدْ آمَنْتُمْ عَبَثًا! فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أيضًا: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ.»

(كورنثوس الأولى ١٥: ١- ٤)

الفصل الأول

إنجيل لنعرفه ونجعله معروفًا

«وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِالإِنجيل الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ، وَقَبِلْتُمُوهُ، وَتَقُومُونَ فِيهِ.»

(كورنثوس الأولى ١٥: ١)

من الصعب أن يُقدِم أي كاتب أو واعظ على كتابة مقدمة لإنجيل يسوع المسيح أفضل من التي قدَّمها بولس الرسول لكنيسة كورنثوس.[١] في هذه السطور القليلة يُقدِّم بولس حقًّا كافيًا لنعيش به مدى الحياة، وليأتي بنا إلى المجد. ويستطيع الروح القدس وحده أن يُمكن إنسانًا من قول الكثير بوضوح شديد، وبكلمات قليلة جدًّا.

معرفة الإنجيل

في هذا الجزء الصغير من الكتاب المقدس، نجد حقيقة علينا جميعًا أن نُعيد اكتشافها. فالإنجيل ليس مجرد رسالة تمهيدية للمسيحية؛ لكنه **رسالة** المسيحية، ويُحسِنُ المؤمنُ عملًا إن أنفق حياته في السعي لمعرفة مجد الإنجيل والتعريف به. توجد أمور عديدة لتُعرَف في هذا العالم، وحقائق لا تُحصى لتُفحَص داخل نطاق المسيحية نفسِها؛ ومع ذلك، يسمو إنجيل مجد الله المبارك وابنه يسوع المسيح فوقها

١- كورنثوس الأولى ١٥:١- ٤

جميعًا.[٢] إنه رسالة خلاصنا، ووسيلة تقدُّمِنا نحو التقديس، والنبع البِكر الذى يخرج منه كلُّ دافع نقي ومستقيم للحياة المسيحية. إن المؤمن الذي فهم شيئًا من محتوى الإنجيل وشخصيته لن يفتقر أبدًا إلى الغيرة، ولن يكون هكذا فقيراً لدرجة أن يسعى ليستمد قوته من آبار متصدعة لا تحتفظ بالماء، محفورة بأيدي البشر.[٣]

تشرح رسالة كورنثوس الأولى ١٥: ١ أن الرسول بشَّر بالإنجيل للكنيسة في كورنثوس بالفعل. وفي الواقع، كان يُعتبر أبًا لهم في الإيمان.[٤] مع ذلك؛ فهو يرى أن أكبر اِحتياج هو الاِستمرار في تعليم الإنجيل لهم؛ لا لكي يُذكِّرهم بعناصره الأساسية فحسب، بل ليوسع معرفتهم به أيضًا. فقد بدأوا للتو عِند إيمانهم رحلة اِستكشاف تشمل حياتهم بالكامل، وتواصل السير إلى الدهور الأبدية، مكتشفين أمجاد الله المعلنة في إنجيل يسوع المسيح.

وبصفتنا وعَّاظا وأعضاء بالكنيسة، سيكون من الحكمة أن نرى الإنجيل برؤية جديدة من خلال عيني هذا الرسول الجليل، وأن نُقدِّره باِعتباره يستحق أن نُمَضِّي حياتنا بالكامل في دراسته وفحصه بعناية. على رُغم أننا قد نكون عشنا بالفعل سنين عديدة في الإيمان؛ وقد نملك فكر جوناثان إدواردز وبصيرة تشارلز سبرجن؛ وقد نكون حفظنا كل نص كتابي يخص الإنجيل؛ وقد نكون استوعبنا كل كتابات آباء الكنيسة الأولى، والمُصلحين، والبيوريتانيين «التطهريين» وصولًا إلى لاهوتيِّي العصر الحديث، فإننا متيقنون من عدم الوصول بعد إلى سفح هذا الجبل الشاهق الذي ندعوه الإنجيل. وسيظل الأمر نفسُه هكذا إلى أبد الآبدين!

إننا نعيش في عالم يكاد يُقدِّم لنا عددًا لا نهائي من الاِحتمالات، واِختيارات لا حصرَ لها، تتنافس للاِستحواذ على اِهتمامنا. ويُمكن قول الأمر نفسه عن المسيحية والمواضيع اللاهوتية واسعة النطاق التي قد يبحثها الطالب. ويُمكن للإنسان أن يقضي حياته كلها في دراسة عدد يكاد يكون لا نهائي من الحقائق الكتابية. ورغم

٢- تيموثاوس الأولى ١:١١
٣- إرميا ٢:١٣ ، ٣:١٤
٤- كورنثوس الأولى ٤:١٥

ذلك، يعلو موضوع واحد فوقهم جميعًا هو إنجيل يسوع المسيح الذي يُعد أساسيًّا لفهم كل الحقائق الكتابية الأخرى. ومن خلال هذه الرسالة الفريدة، تظهر قوة الله ذاتها في أبهى صُورَها في الكنيسة، وفي حياة المؤمن الفرد.

عندما ننظر لسجلات التاريخ المسيحي، نرى رجالًا ونساء كان لهم شغف استثنائي بالله وبملكوته. ونشتاق أن نكون مثلهم، ونتساءل «من أين لهم هذه النار المشتعلة دائمًا؟». وبعد دراسة متأنية لحياتهم، وعقيدتهم، وخدماتهم، نجد أنهم مختلفون في أمور عديدة، لكنهم يشتركون في صفة واحدة بينهم تتمثل في أنهم جميعًا قد رأوا لمحةً من مجد الإنجيل، وقد زاد جماله من شغفهم، ودفعهم إلى الأمام. تبرهن حياتهم والميراث الذي تركوه لنا على أن الشغف الحقيقي والدائم يأتي من فهم متزايد وأكثر عمقًا لما فعله الله مع شعبِه في شخص يسوع المسيح وعمله. ولا بديل لمثل هذه معرفة!

في الأيام الماضية، كثيرًا ما كان يُشار للإنجيل بكلمة إيفإنجيل (Evangel)، المقتبسة من الكلمة اللاتينية إيفانجيليوم (Evangelium)، التي تعني الإنجيل أو الخبر السار. ولهذا السبب؛ عادة ما يُشار إلى المؤمنين بالإنجيليين. ونحن مؤمنون؛ لأننا نجد هويتنا وحياتنا وهدفنا في المسيح. ونحن إنجيليون؛ لأننا نؤمن بالإنجيل، ونُقَدِّره، بصفته الحق العظيم المحوري لإعلان الله للبشر. فالإنجيل ليس مقدمة أو أقوالًا مأثورة أو فكرة لاحقة، كما أنه ليس مجرد فصل تمهيدي عن المسيحية؛ بل هو المقرر التعليمي بالكامل. إنه قصة حياتنا، والثروات التي لا يُمكن إدراكُها ونسعى لاستكشافها؛ إنه الرسالة التي نحيا لنعلنها. لهذا نكون مؤمنين وإنجيليين إلى أبعد حد حين يكون إنجيل يسوع المسيح هو رجاؤنا الوحيد، وفخرُنا الوحيد، والفكرة العظيمة الوحيدة المستحوذة علينا.

يقوم إنجيليو اليوم بإعداد الكثير من المؤتمرات، خاصة لشبابنا، بقصد إثارة شغف المؤمنين من خلال الشركة، والموسيقى، والمتكلمين اللبقين، والقصص المؤثرة، والمناشدات المثيرة للعواطف. ورغم ذلك، غالبًا ما تنتهي سريعًا أي حماسة

يُثيرونها. وفي النهاية، تلك الخبرات تُشعل نيرانًا ضئيلة بداخل قلوب صغيرة تنطفئ خلال أيام قليلة.

فقد نسينا أن الشغف الحقيقي والدائم يُولد من معرفة المَرء بالحق، وتحديدًا حق الإنجيل. وكلما عرفت الحق وفهمت جماله، أدركَتك قوتُه. وتكفي لمحةٌ واحدة من الإنجيل أن تحرك القلب المتجدد حقًّا حتى يتبع الله. وتُزيد كل لمحة من خطاها حتى تركض بتهور تجاه الجائزة.[٥] لا يُمكن لقلب المؤمن الحقيقي أن يقاوم مثل هذا الجمال. وهذا هو الاحتياج الأعظم ليومنا هذا؛ لأن هذا هو ما فقدناه، وما يجب أن نستعيده؛ إنه الشغف لمعرفة الإنجيل، وشغف مساوٍ له لتعريف الناس به.

تعريف الناس بالإنجيل:

كان الرسول بولس أحد أعظم الأدوات البشرية لملكوت الله عبر تاريخ البشرية وقصة الفداء؛ حيث إنه المسؤول عن انتشار الإنجيل في كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية خلال فترة اضطهاد منقطعة النظير تقريبًا. كما أنه مثال استثنائي لما يَعنيه أن يكون المَرء مبشِّرا مسيحيًّا. ومع ذلك، فقد حقق كل هذا من خلال إعلانه البسيط لأكثر الرسائل المخزية التي سَمِعتها أذن بشر على الإطلاق. كان بولس رجلًا موهوبًا على نحو استثنائي، وخاصة فيما يتعلق بفكره وغيرته. لكن بولس نفسَه علَّمنا أن قوة خدمته لم تكن في موهبته؛ بل في المناداة بالإنجيل بأمانة. في رسالته الأولى لأهل كورنثوس، يُنكر بولس إنكاراً عظيمًا أن يكون له فضل في هذا: "لأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يُرْسِلْنِي لأُعَمِّدَ بَلْ لأُبَشِّرَ، لاَ بِحِكْمَةِ كَلاَمٍ لِئَلاَّ يَتَعَطَّلَ صَلِيبُ الْمَسِيحِ... لأَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً، وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً، وَلكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً! وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ.»[٦]

٥- فيلبي ٣: ١٣، ١٤

٦- كورنثوس الأولى ١:١٧، ٢٢-٢٤

كان الرسول بولس مبشِّرا قبل أي شيء آخر. ومثّله في ذلك مثل إرميا قبلِه، كان محصوراً (مدفوعًا) ليُبشِّر. كان الإنجيل كنار مشتعلة في عظامه لم يستطع أن يُبقيها في داخله.[٧] فأعلن للكورنثيين: «آمَنْتُ لِذلِكَ تَكَلَّمْتُ»[٨] وقال أيضًا: "وَيْلٌ لِي إِنْ كُنْتُ لاَ أُبَشِّرُ".[٩] لا يُمكن تزييف مثل هذا التقدير الفائق للإنجيل وللتبشير به حين لا يكون موجودًا في قلب المبشِّر، ولا يُمكن إخفاؤه حين يكون موجودًا.

يدعو الله مختلف أنواع البشر ليحملوا واجب رسالة الإنجيل. قد يكون البعض منهم وقوراً وجادًّا، في حين قد يكون البعض الآخر مرحًا وخفيفَ الظل. لكن، حين يتحول الحوار إلى الإنجيل يطرأ تغيير على ملامح المبشِّر، ويبدون كما لو أن شخصًا مختلفًا تمامًا هو الواقف أمامنا؛ حيث ترتسم الأبدية على ملامح وجهه، ويشع مجد الإنجيل على وجهه بشغف حقيقي. ومثل هذا الشخص ليس لديه وقتٌ للقصص الطريفة، أو النوادر الأخلاقية، أو مشاركة أفكار من قلبه. فقد أتى ليُبشِّر، ويجب عليه أن يُبشِّر. لا يستطيع أن يستريح حتى يسمع الناسُ من الله. إن كان خادم إبراهيم لم يستطع أن يأكل حتى قام بتوصيل رسالة سيده إبراهيم،[١٠] فكم بالأحرى يُمكن للكارز بالإنجيل أن يستريح قبل أن يوصِّل كنز الإنجيل المؤتمَن عليه![١١]

على رُغم أن قليلين قد يُعارضون ما ذكرناه حتى الآن، يبدو في الأغلب أن البشارة أو الكرازة بالإنجيل بشغف قد أصبحت طرازاً عتيقًا عفَا عليه الزمن. وقد يقول الكثيرون إن الكرازة تفتقد إلى التحسين والتطوير الضروريين لتكون فعَّالة في عصرنا الحديث. فقد أصبح إنسان ما بعد الحداثة الذي يفضِّل الاتِضاع أمام

٧- إرميا ٢٠:٩
٨- كورنثوس الثانية ٤:١٣
٩- كورنثوس الأولى ٩:١٦
١٠- تكوين ٢٤:٣٣
١١- غلاطية ٢:٧؛ تسالونيكي الأولى ٢:٤؛ تيموثاوس ١:١١؛ ٦:٢٠؛ تيموثاوس الثانية ١:١٤؛ تيطس ١:٣

وجهات نظر أخرى، والانفتاح أكثر عليها، يرى في المبشِّر الشغوف الذي يُعلن الحق بجسارة، عقبة. وتستند حُجة الأغلبية على أننا ببساطة يجب أن نُغيِّر طريقة كرازتنا؛ لأنها تبدو سخيفة في نظر العالم.

يُبرهن مثل هذا الموقف تجاه الكرازة على أننا قد ضللنا السبيل في المجتمع الإنجيلي. عيَّن الله «جهالة الكرازة» لتكون الوسيلة التي تُوصِّل رسالة الإنجيل المخلِّصة للعالم.[١٢] وهذا لا يَعني أن الكرازة يجب أن تكون سخيفة أو غير منطقية أو غير مألوفة. لكن الكتاب المقدس هو المقياس لكل وعظ وتبشير، وليس الآراء المعاصرة للثقافة الساقطة والفاسدة، التي تُعد حكيمةً في عين نفسِها، والتي تُفضِّل سماع ما يدغدغ أذنيها، وما يُرفِّه عن قلبها، عِوضًا عن سماع كلمة الرب.[١٣]

كرز بولس بالإنجيل في كل مكان سافر إليه، وسنفعل حسنًا إن تبعنا مثاله. على الرغم من إمكانية مشاركة الإنجيل بالعديد من الوسائل، فإنه لا توجد وسيلة عيَّنها الله تضاهي وسيلة الكرازة. لذلك، فأولئك الذين يبحثون باِستمرار عن وسائل مبتكرة لتوصيل الإنجيل لجيل جديد من الباحثين عن الحق، سيصنعون حسنًا إن بدأوا بحثهم وأنهوه في الكتاب المقدس. لا بد أن يُدرك أولئك الذين يُرسلون مئات الاِستبيانات ليسألوا غير المؤمنين عَمَّا يرغبونه في وقت العبادة أن عشرة آلاف رأي من بشر جسديين مجهولين لن يكون لها سلطان حرف واحد أو نقطة واحدة من كلمة الله.[١٤] يجب أن نفهم أنه توجد فجوة عظيمة من الاِختلافات المتنافرة بين ما أمر الله به في الكتاب المقدس وما تُريده ثقافة رغباتنا الجسدية الحالية.

يجب ألَّا نندهش من أن البشر الجسديين داخل الكنيسة وخارجها يُريدون العروض المسرحية، والموسيقية، ووسائل الإعلام لتحل محل الوعظ بالإنجيل والشرح والتفسير الكتابي. وحتى يجدد الله قلب الإنسان، سيظل هذا الإنسان يتعامل مع الإنجيل بالطريقة نفسِها التي تعاملت بها الأرواح الشريرة في كورة الجرجسيين

١٢- كورنثوس ١:٢١
١٣- رومية ١:٢٢؛ تيموثاوس الثانية ٤:٣
١٤- متى ٥:١٨

مع الرب يسوع المسيح: «ما لنا ولك؟»[١٥] لا يُمكن أن يكون للإنسان الجسدي اهتمامٌ حقيقي أو تقدير للإنجيل بعيدًا عن عمل التجديد الذي يقوم به الروح القدس؛ ولكن تحدث هذه المعجزة في قلب الإنسان من خلال الكرازة بالإنجيل التي ازدراها في البداية. لذلك، يجب أن نعظ الجسديين بالرسالة نفسِها التي لا يُريدون سماعها، وعلى الروح القدس أن يعمل! وبعيدًا عن ذلك، لن يستطيع الخطاة أن يروا جمالًا في الإنجيل أكثر مما يراه الخنزير في اللآلئ الثمينة، أو أكثر مما يُظهره كلبٌ من مهابة تجاه المقدسات، أو تقديراً يزيد عن تقدير إنسانٍ كفيف لأعمال الرسام رامبرانت (Rembrandt).[١٦] لا يخدم الوعَّاظ أولئك الجسديين بإعطائهم الأشياء التي ترغب فيها قلوبهم الساقطة، بل يخدمون البشر عندما يضعون الطعام الحقيقي أمامهم؛ حتى يُدركوا بعمل الروح القدس المعجزي ذلك الطعام لذاته، فيذوقوا وينظروا أن الرب صالح.[١٧]

قبل أن نختم هذا النقاش الوجيز عن الكرازة بالإنجيل، علينا تناول مسألة أخيرة. وضع البعضُ نظريةً بأن ثقافتنا الحاضرة لا تستطيع تحمُّل نوع الكرازة الذي كان فعَّالًا جدًّا أثناء الانتعاشات والنهضات الكبرى في الماضي. سيكون وعْظ جوناثان إدواردز (Jonathan Edwards)، وجورج وايتفيلد (George Whitefiel)، وتشارلز سبرجن (Charles Spurgeon)، ووعَّاظ آخرين مِمَن لهم الفكر نفسُه محل سخرية الإنسان المعاصر، وهجومه والاستهزاء به. ومع ذلك، تفشل هذه النظرية في الأخذ بعين الاعتبار أن الناس في القديم قد سخروا من هؤلاء الوعَّاظ! ستظل الكرازة الحقيقية بالإنجيل دومًا جهالة لكل الثقافات. وتحط أية محاولة لإزالة الاستياء وجعل الوعظ "ملائمًا" من قدر الإنجيل. كما أن ذلك يُفشل الهدف الذي من أجله اختار الله الكرازة لتكون وسيلة الخلاص للبشر، لكي لا يستقر رجاء البشر على التحسين، أو البلاغة، أو الحكمة العالمية، بل على قوة الله.[١٨]

١٥- متى ٨:٢٩
١٦- متى ٧:٦
١٧- إشعياء ٥٥:١، ٢ ؛ مزمور ٣٤:٨
١٨- كورنثوس الأولى ١: ٢٧ - ٣٠

نحن نعيش في ثقافة تُقيِّدها الخطية بسلاسل من حديد. ولا تتمتع القصص الأخلاقية، والنوادر الطريفة، ودروس الحياة التي تصدر من قلب رجل مِنبر محبوب، أو من يُدرِّب المؤمنين على الحياة الروحية، بقوة حقيقية في مواجهة مثل هذه الظلمة. نحتاج إلى وعَّاظ يعظون بإنجيل يسوع المسيح، ويعرفون الكتاب المقدس، ويواجهون بنعمة الله أية ثقافة بصرخة: «هكذا يقول الرب».

الفصل الثاني

إنجيل لنقبله

«وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِالإِنْجِيلِ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ، وَقَبِلْتُمُوهُ، وَتَقُومُونَ فِيهِ.»

(كورنثوس الأولى ١٥: ١)

بما أن الإنجيل هو **رسالة** الله للإنسان، نفترض أنه يتطلب شكلًا ما من التفاعل، ويحتاج لنوع ما من التجاوب. نتعلم من النص الكتابي أعلاه أن الكنيسة في كورنثوس قبِلت الإنجيل عِند سماعه بطريقة مناسبة لقيمته العظيمة، كما جعلته الأساس الذي استندوا عليه أمام الله. إن أردنا أن نتبرر أمام الله، علينا أن نحذو حذوهم.

قبول الإنجيل

لكي يخلص البشر عليهم أن يقبلوا الإنجيل بنعمة الله. لكن ماذا يَعني هذا الأمر؟ لا يوجد شيء غير عادي في كلمة "قَبِلَ" في اللغة الإنجليزية أو في لغة الإنجيل اليونانية، لكن في سياق الإنجيل تُصبح كلمة استثنائية، بل هي إحدى الكلمات الجوهرية في الكتاب المقدس.

أولًا، حين يتعارض أمران أو يكونان على النقيض، فإن قبول أحدهم يَعني رفض الآخر. وبما أنه لا يوجد تقارب أو صداقة بين الإنجيل والعالم، فقبول الإنجيل

يَعني رفض العالم. وهذا يُظهر كم يُمكن أن يكون قبول الإنجيل فِعلًا جذريًّا. يَعني قبول دعوة الإنجيل واِتباعها رفض كل ما يُمكن رؤيته بالعين، وإمساكه باليد في مقابل الأمور التي لا تُرى.[١] وهذا يَعني رفض الاستقلال الشخصي والحق في الحكم الذاتي من أجل استعباد النفس للمسيح الذي مات منذ ألفي عام كعدو للدولة ومُجدِّف. وهذا يَعني أيضًا رفض الأغلبية وآرائها مقابل الانضمام لأقلية تتعرض للتوبيخ بشدة، وتبدو عديمة الأهمية، تُدعى الكنيسة. مما يَعني المجازفة بكل شيء في هذه الحياة الوحيدة؛ إيمانًا بأن هذا النبي صاحب اليدين المثقوبتين هو ابن الله ومخلص العالم. لا يَعني قبول الإنجيل أن يُصلّي المَرء طالبًا دخول يسوع إلى قلبه، بل أن يُنحّي العالم جانبًا، ويعتنق ملء ما يملكه المسيح.

ثانيًا، الإنسان الذي يقبل الإنجيل يثق حصريًّا في شخص يسوع المسيح وعمله بصفته الطريق الوحيد ليتبرر أمام الله. ومن الشائع قول إن الثقة الحصرية في أي شيء أمر خطير أو على أحسن تقدير عمل غير حكيم. ويرى مجتمعُنا أي شخص على أنه مُهمِل أو طائش إن لم يملك خُطة احتياطية، أو طريقًا بديلًا للهروب، أو إن لم ينوِّع استثماراته، أو إن وضع البيضَ كله في سلة واحدة، أو إن أحرق الجسور خلفه. ولكن الإنسان الذي يقبل يسوع المسيح يجب أن يفعل هذا عينَه. فالإيمان المسيحي حصري . ويَعني قبول المسيح بحق التخلُّص من كل رجاء آخر في أي شيء إلّا المسيح وحده. ولهذا السبب، أعلن الرسول بولس أن المؤمن هو أشقى جميع الناس لو كان المسيح خدعة.[٢] لو لم يكن المسيح هو المخلص، إذًا فالمسيحي ضائع، إذ ليست لديه خُطة أو متكلٌ آخر. لأنه قد أعلن بالإيمان: "ربي، أثق بك. إن كنتَ لا تقدر أو لا تريد أن تخلصني، فسيكون نصيبي في الجحيم ولن أعدَّ لنفسي ترتيبات أخرى."

لا يقتضي القبول الحقيقي للإنجيل اِزدراء الخطية والتحوُّل عنها فحسب، بل الازدراء والابتعاد عن أية ثقة أخرى غير الثقة بالمسيح أيضًا، خاصة الثقة بالنفس. ولهذا السبب فالمؤمن الحقيقي يكاد يصاب بالغثيان من مجرد التلميح بأن تبرُّرَه

١- عبرانيين ١١: ١، ٧، ٢٧؛ بطرس ١: ٨
٢- كورنثوس الأولى ١٥: ١٩

أمام الله قد يكون نتاج فضيلته أو اِستحقاقه الشخصي. وبرُغم أن حياته الجديدة في المسيح تُثمر أعمالًا صالحة، فقد تخلى عن كل أمل في الأعمال الصالحة كوسيلة للخلاص، ووضع ثقته حصريًا في شخص المسيح وعمله الكامل.

ثالثًا، يَعني قبول الإنجيل تقديم حياة الشخص لسيادة يسوع المسيح. وكثيراً ما تُعلِّم الكرازة في الوقت الحالي البشرَ أن عليهم أن يُملِّكوا يسوع "سيدًا" على حياتهم. ومن الأفضل إخبارهم بأن يسوع بالفعل سيد على حياتهم سواء سجدوا الآن له بمحبة أو كزوا بأسنانهم كراهيةً له. يُعلن الكتاب المقدس أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبناه ربًا ومسيحًا.[٣] وقد مسح مُلكه على جبله المقدس، واستهزئ بأولئك المتمردين عليه.[٤] الله لا يدعو البشر ليجعلوا يسوع ربًا (كما لو أنهم يملكون هذه القدرة)، بل ليعيشوا في خضوع تام **للرب يسوع** الذي جعله الله ربًا. لذلك يجب على الإنسان الذي يُريد أن يتمتع بفوائد الإنجيل وبركاته أن يُقرر أولًا إن كان مستعدًا أن يتخلى عن استقلاله الشخصي، وحُكمه الذاتي لرب الإنجيل.

بصفتنا مبشِّرين بالإنجيل، علينا أن نكون حريصين جدًا في شرح شروط هذه العملية بوضوح، ولا نُقلصها أو نتجنبها، حتى لا يُمكن تمييزُها تمامًا. يجب إدراك أننا لن نكون أمناء إلى أن نشرح للباحثين عن الله أن قبول المسيح هو أكثر قرار معقول، ولكنه أيضًا الشيء الخطير الذي يُمكن أن يفعلوه يومًا. ومع ذلك، يبدو الأمر مثل أسلان في رواية سي إس لويس (C. S. Lewis) "الأسد والساحرة وخزانة الملابس" (The Lion, the Witch, and the Wardrobe)، الذي لم يكن أسدًا مروَّضًا، وبالتأكيد ليس مأمونًا. فإن الله له الحق أن يطلب أي شيء من أولئك الذين يعترفون بسيادته وربوبيته. وقد يطلب يسوع نفسه الذي يدعو التعابى إليه كلَّ شيء منهم أيضًا، حتى إنه يُمكن أن يُرسلهم إلى هذا العالم المظلم والساقط فيفقدوا حياتهم من أجله.[٥] وأولئك الذين لا يفهمون خطورة دعوة الإنجيل ربما لم يسمعوا الرسالة إلّا ضعيفة وباهتة. ولكن أولئك الذين يسمعونها ويتجاوبون معها بالنعمة رغم الخطر،

٣- أعمال الرسل ٢:٣٦

٤- مزمور ٢:٤-٦

٥- متى ١١:٢٨؛ ١٠: ١٦، ٣٩

فإنهم فقد فعلوا أمرًا غاية في الحكمة. فما الذي يُمكن أن يكون أكثر معقوليةً من اتِّباع الخالق كلي القدرة وحافظ الكون الذي أحب شعبَه محبة أبدية، وفداهم بدمه، وأظهر التزامًا حازمًا لكل وعد قطعه معهم؟[٦] ولكن حتى إن لم يكن هكذا، ولم يكن فيه كل هذا الصلاح، سيظل قرار اتباعه هو الأكثر حكمة ومعقولية؛ لأنه مَن يَقدر أن يقاوم مشيئته؟[٧] ولهذه الأسباب، ولأسباب أخرى لا حصرَ لها، يحثنا الرسول: «**قَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِند اللهِ**،» ويدعوها عِبَادَتَنا الروحية أو الْعَقْلِيَّةَ.[٨]

رابعًا، يَعني قبول الإنجيل أن تقبل نظرة مختلفة تمامًا للواقع حيث المسيح هو مركز كل الأشياء. لهذا يُشير اللاهوتيون إلى أن الخلاص والحياة المسيحية يتميزان بمركزية المسيح؛ حيث يُصبح هو مركز الكون، والمصدر، والغاية، والهدف، والدافع لكل ما نحن عليه وما نفعله. وحين يَقْبَلُ إنسانٌ الإنجيل، تبدأ حياتُه بالكامل تُعاش في سياق مختلف، وهذا السياق هو المسيح. ومع أن العلامات الظاهرية في لحظة الايمان الحقيقي قد تكون غير مثيرة، فإن التأثيرات التدريجية تكون هائلة. مثله في ذلك مثل الحصاة الملقاة في منتصف بحيرة، سيصل تأثير الموجات الصغيرة للإنجيل في النهاية لكل محيط حياة المؤمن، ويلمس كل شواطئها. لا يقبل المؤمن الحقيقي الإنجيلَ باعتباره إضافةً لحياته السابقة، بل باعتباره بديلًا لها. وقبول إحدى الحياتين يَعني خَسارة الأخرى. ويعكس ذلك تعليم يسوع الواضح: «**فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا**.»[٩]

أخيرًا، يَعني قبول الإنجيل أن تقبل المسيح بصفته مصدر الحياة وقُوتها. لا يُمكن قبول المسيح باعتباره جزءًا من حياتنا، أو إضافة إلى كل الأشياء الجيدة الأخرى التى نمتلكها بالفعل قبل وجوده. فالمسيح ليس مجرد زينة ثانوية تُجَمِّل حياتنا وتجعلها أفضل؛ إذ يُصبح بقبول رسالة الإنجيل هو حياتنا.[١٠]

٦- كولوسي ١:١٥-١٧ :عبرانيين ٣:١ ؛ إرميا ٣١:٣؛ رؤيا ٥:٩؛ عبرانيين ١٣:٥؛ تيموثاوس الثانية ٢:١٣؛ كورنثوس الثانية ١:٢٠؛ متى ٢٨:٢٠
٧- رومية ٩:١٩؛ أخبار الأيام الثاني ٢٠:٦ ؛ أيوب ٩:١٢؛ دانيال ٤:٣٥
٨- رومية ٢١:١
٩- متى ١٦:٢٥
١٠- كولوسي ٣:٤

يَقل عدد الأشياء التي تعتبر أكثر تجديفًا أمام واعظ يجامل غير المؤمن على الحياة الرائعة التي صنعها لنفسه، ويمدح كل ما حققه، ثم يضيف أنه ينقصه أمر واحد: يحتاج إلى يسوع ليكتمل كل شيء. لم يكن هذا موقف الرسول بولس، الذي حسِب حتى أروع الأمور في حياته السابقة نفاية مقارنة بالمسيح.[١١] علينا ألَّا نُقدِّم المسيح لغير المؤمنين بصفته الكريز الذي يزين حياة رائعة بالفعل. يجب أن يرى غير المؤمن أنه بدون المسيح لا حياة، وأن جميع إنجازاته الشخصية هي مجرد أمثلة على غروره الشخصي، كما أنها مصنوعة من الرمل، وسرعان ما ستزول.

علَّم يسوع: «**الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ.**»[١٢] ويَعني هذا "الكلام الصعب" أن المسيح يجب أن يكون الغذاء الأساسي لحياتنا، وليس مجرد بهارات أو مُكمِّل غذائي.[١٣]

أمَّا بالنسبة للمؤمن، يسوع هو المَن النازل من السماء، والصخرة التي يتدفق منها ماءٌ حي وسط الصحراء، والكرمة التي يَثبت فيها، ويحصل منها على الحياة والإثمار.[١٤] ويتوقف المؤمن الذي صار شريكًا للمسيح بحق عن إنهاك نفسه فيما هو ليس بخبز، ولا يُمكن أن يُشبعه، ويستمر في طلب الخبز النازل من السماء، ليأكل منه ولا يموت.[١٥]

يجب ألَّا تكون صرخة المبشِّر بالإنجيل أن يتوب البشر فقط، بل أن يَقْبَلوا الإنجيل أيضًا. لا يجب على المبشِّر أن يكشف ويشجب "العَلَف" غير المُشبِع الذي يُقدِّمه هذا العصر فحسب، بل عليه أيضًا أن يُوجِّه البشر للمتجر الوحيد الذي به الغذاء الحقيقي. يجب أن ينضم لداود في نصيحته للبشر: «**ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب.**»[١٦] وفضلًا عن ذلك، عليه أن يُحذِّر البشر، ويوضح لهم أن الدليل

١١- فيلبي ٣:٧، ٨
١٢- يوحنا ٦:٥٣
١٣- يوحنا ٦:٦٠
١٤- يوحنا ٦:٣١-٣٥ ، ٤١، ٤٧-٥١، ٥٨ ؛ كورنثوس الأولى ١٠:٤؛ يوحنا ١:٥، ٦
١٥- إشعياء ٥٥:٢؛ يوحنا ٦:٥٠
١٦- مزمور ٣٤:٨

على أن الشخص قد ذاق بالفعل المسيح فنال الخلاص هو الاستمرار في التذوق، والاستمرار في إيجاد الشِّبع الحقيقي في المسيح، وعدم احتمال فكرة الانفصال عنه البتة.

الثبات في الإنجيل

نتعلم من النص الكتابي بأننا لا نقبل الإنجيل فحسب، بل نثبت فيها أيضًا! يكتب بولس: «**وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِالإِنْجِيلِ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ، وَقَبِلْتُمُوهُ، وَتَقُومُونَ فِيهِ.**» ويُوصِّل هذا الإعلانُ البسيط حقيقتين مختلفتين، ولكنهما مرتبطتان ببعضهما البعض. تتعلق الحقيقة الأولى بمقام المؤمن أمام الله بسبب الإنجيل، في حين تتعلق الثانية بيقين المؤمن أو قراره بخصوص الإنجيل. وتتميز هاتان الحقيقتان بأن لهما تأثيرات بعيدة المدى على حياة المؤمن. تُعد الحقيقة الأولى حجر أساس عظيم يجب أن يستند عليه إيمان المسيحي؛ فالمؤمن يُمكنه أن يقف أمام الله **في** المسيح والإنجيل. كما أن الحقيقة الثانية عامل قوى في تشكيل حياة المؤمن؛ الذي يستند على الإنجيل، ولن يتزحزح.

إحدى الحقائق الأساسية الأخرى في المسيحية الكتابية هي أن المؤمن يتبرر أمام الله في الإنجيل بالمسيح وحده. تضعنا مزامير داود في مواجهة مع معضلة الإنسان العظمى: «**مَنْ يَصْعَدُ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ؟ وَمَنْ يَقُومُ فِي مَوْضِعِ قُدْسِهِ؟ اَلطَّاهِرُ الْيَدَيْنِ، وَالنَّقِيُّ الْقَلْبِ، الَّذِي لَمْ يَحْمِلْ نَفْسَهُ إِلَى الْبَاطِلِ، وَلاَ حَلَفَ كَذِبًا.**»[١٧] يجب أن يرتعد من سؤال داود أي إنسان يفكر في أقصى احتمال بوجود إله شخصي وأخلاقي. ما لم يكن هذا الإنسان أبله أو بضمير متحجِّر متوقف عن العمل، فعليه أن يُدرك أنه لا يمتلك المؤهلات اللازمة ليحظى باستحسان قاضي الأرض كلها.[١٨] يُخبرنا الكتاب المقدس أن الإنسان إن نظر داخله سيجد أن قلبه أخدع من كل شيء

١٧- مزمور ٢٤: ٣، ٤
١٨- مزمور ١٤: ١؛ ٥٣: ١

وهو نجيس.[١٩] وإن عاد إلى نفسِه، سيجد أنه يأوي داخله أفكاراً شريرة.[٢٠] وإن أصغى باهتمام لحديثه، سيُدرك أنه مملوء مكراً ولعنة ومرارة.[٢١] وإن تفرس في يديه، سيرى أنها مُلطخة بآثار الشرور التي لا تُعد ولا تُحصى. وإن سعى في يأس ليغطي عاره، ويستر نفسَه بأكثر الأعمال براً، سيجد أنه ارتدى ثياب أبرص رثة ونجسة.[٢٢] ومع أنه يَغسل نفسَه بمحلول، ويستخدم الكثير من الصابون، لا تزال بُقع شرِّه باقية.[٢٣] وأينما ذهب أو التفت لن يجد نفسَه إلَّا متهمًّا، ومُدانًا، وبلا رجاء.

في هذه اللحظة من العجز المطلق والاستسلام النهائي، ينظر الخاطئ المتجدد والمستنير إلى المسيح فيجد رجاءه فيه. وبالتحوُّل عن البر الذاتي، يُؤمن الخاطئ ويتبرر بالنعمة وحدها من خلال الإيمان وحده.[٢٤] ومن تلك اللحظة فصاعدًا، يحمل العلامتين اللتين تميزان المؤمن؛ حيث يتمجد في المسيح يسوع، ولا يتكل على الجسد.[٢٥] وينضم إلى شركة القديسين العظيمة، الذين آمنوا بالله فحُسب لهم براً.[٢٦] وهكذا ألقى بنفسه على المسيح، وتعلق به بقوة ضاعفتها شدة الرعب مما كان سيحل عليه لو أنه تُرك وحده ليدافع عن نفسه. ويستند الخاطئ على المسيح وحده، ولا يُجازف بالبُعد عنه. فقد أصبح مقتنعًا أنه لن يستطيع أن يصعد إلى جبل الرب، ويقف في موضعه المقدس، سوى بفضل شخص المسيح واستحقاقه. وعلى حد تعبير كاتب الترنيمة القديمة: "أصبح رجاؤه مبنيًّا على لا شيء سوى دم المسيح وبره. ولا يجرؤ أن يثق بأبهى الصور البديعة، بل يستند كليًّا على اسم المسيح. بل يقف مستندًا على المسيح، الصخرة القوية، وتُصبح أي أرض أخرى رمالًا متحركة؛ نعم تُصبح أي أرض أخرى رمالًا متحركة."[٢٧]

١٩- إرميا ١٧:٩
٢٠- إرميا ٤:١٤
٢١- رومية ٣:١٣، ١٤
٢٢- إشعياء ٦٤:٦
٢٣- إرميا ٢:٢٢
٢٤- أفسس ٢:٨، ٩
٢٥- فيلبي ٣:٣
٢٦- تكوين ١٥:٦؛ غلاطية ٣:٦
٢٧- مقتبس بتصرُّف من "The Solid Rock" لإدوارد موت.

يَعد الإيمان المسيحي بالتبرير أمام الله من خلال المسيح وحده. وبناءً على هذا الحق، يجب أن نقرر التمسُّك بالإنجيل، والثبات فيه. والجدير بالملاحظة أن الفعل "يثبت" يأتي من الفعل اليوناني (histemi)، وهو مصطلح شائع يُستخدم للإشارة إلى فعل القيام أو الوقوف المادي. ومع ذلك، كثيراً ما يُشير المصطلح في العهد الجديد إلى الاقتناع، والتصميم، والصمود، والثبات، وعدم التأرجُح والرسوخ. وفي نقاشه حول الحرب الروحية، يَستخدم بولس المصطلح ثلاث مرات؛ ليحث المؤمنين على الثبات: "اثبتوا ضد مكايد إبليس."[٢٨] نفهم من فعل قريب منه أنه على المؤمنين أن «يثبتوا راسخين» في الرب، وفي الإيمان، وفي نعمة الله، وفي التعاليم الرسولية.[٢٩]

فوق كل شيء يجب أن يثبت المؤمن في الإنجيل ولا يحيد عنه. إذا أُزيل حجر الأساس هذا، فالبناء كله سيسقط معه. من أجل هذا وبَّخ الرسول بولس كنيسة غلاطية أشد توبيخ: «**إِنِّي أَتَعَجَّبُ أَنَّكُمْ تَنْتَقِلُونَ هكَذَا سَرِيعًا عَنِ الَّذِي دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ إِلَى إِنْجِيل آخَرَ! لَيْسَ هُوَ آخَرَ، غَيْرَ أَنَّهُ يُوجَدُ قَوْمٌ يُزْعِجُونَكُمْ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُحَوِّلُوا إِنْجِيلَ الْمَسِيحِ. وَلكِنْ إِنْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَاثِيمَا»! كَمَا سَبَقْنَا فَقُلْنَا أَقُولُ الآنَ أَيْضًا: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُبَشِّرُكُمْ بِغَيْرِ مَا قَبِلْتُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَاثِيمَا»!**»[٣٠]

تتمتع كل كلمة وعقيدة في الإنجيل بأهمية؛ غير أن بعض العقائد لها أهمية ووزن أكثر من غيرها. إن خلاصنا الأبدي لا يعتمد على بعض الفروق الدقيقة حول عِلم الكنيسة أو عقيدة الأخرويات، بل يعتمد بالكامل على الإنجيل.[٣١] قد يُغيِّر المؤمن الأكثر نضجًا وعمقًا فكريًّا طوال رحلة حياته على هذه الأرض رأيَه فيما

٢٨- أفسس ٦:١١، ١٣، ١٤

٢٩- الفعل المقارب هو ستيكو المضارع، المأخوذ من زمن المضارع التام إستيكا المشتق من هيستيمي. فيلبي ٤:١؛ تسالونيكي الأولى ٣:٨؛ كونثوس الأولى ١٦:١٣؛ بطرس الأولى ٥:١٢؛ تسالونيكي الثانية ٢:١٥

٣٠- غلاطية ١:٦-٩

٣١- عقيدة الكنيسة: تُشير إلى دراسة الكنيسة، بينما تُشير عقيدة الأخرويات إلى الدراسة المتعلقة ببلوغ الغاية أو الأمور الأخيرة.

يخص العديد من المعتقدات الإيمانية الثانوية؛ لكن عليه ألَّا يبتعد عن أساسيات الإنجيل.[٣٢] وعلى الرجل، والمرأة، والشاب، والطفل، الذين قبلوا الإنجيل حقًّا أن يَثبتوا فيه، وفي ثباتهم يبرهنون أنهم حقًّا قد قبلوه.

نحن نعيش في عالم عدائي تجاه إنجيل يسوع المسيح، ويَنظر له بازدراء. عَلاوةً على ذلك، يقع هذا العالم تحت سلطان الشرير، الذي يُقاوم الإنجيل أكثر من كل العقائد الأخرى، ويُريد أن يتخلص منه، ويُزيله من الكون لو كان باستطاعته.[٣٣] في الواقع، قد يضع إبليس كتابًا مقدسًا بيد كل إنسان بسرور، ويروّج لطاعة كل الوصايا لو أعطيناه الإنجيل في المقابل. غير أنه بدون الإنجيل سينهار نظام الإيمان المسيحي كله ويتلاشى.

بصفتنا مؤمنين، لا يجب أن نقبل الإنجيل فحسب، بل أن نَثْبُتَ فيه أيضًا. كما يجب ألَّا نجهل خدع إبليس؛ لئلا يباغتنا على حين غفلة.[٣٤] عندما يحاول مَن يدَّعون أنهم مُخلِّصون أن يسرقوا ثقتنا في المسيح، يجب أن لا نسمح لهم بإغوائنا! وعندما يحاول الناموسيون إضافة أمر لإيماننا بالمسيح، يجب ألَّا نستسلم لهم. وحين يسعى الذين نصَّبوا أنفسهم أنبياء إلى إعادة تقديم الإنجيل ليجعلوه أكثر صِلةً أو ملائمةً بالثقافة، علينا ألَّا نتبعهم. وعندما يُشير المُشتكي إلى خطايانا، ويسخر من رجائنا في المجد، علينا أن نُشير إلى الإنجيل، ونستند عليه. وحين تتحول شكايتُه إلى إطراء وتملق، ويُشير إلى تقوانا واستحقاقنا للمكافأة، يجب أن ننتهره بالتعهُّد الآتي: «**وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ.**»[٣٥]

٣٢- كولوسي ١:٢٢، ٢٣
٣٣- يوحنا الأولى ٥:١٩
٣٤- كورنثوس الثانية ٢:١١
٣٥- غلاطية ٦:١٤

الفصل الثالث

إنجيل نَخْلُصُ به

«وَبِهِ أَيْضًا تَخْلُصُونَ، إِنْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَ أَيُّ كَلاَمٍ بَشَّرْتُكُمْ بِهِ. إِلَّا إِذَا كُنْتُمْ قَدْ آمَنْتُمْ عَبَثًا!»

(كورنثوس الأولى ١٥: ٢)

يجب تناول كل عقيدة في الإيمان المسيحي باتزان. إذ نواجه خطراً شديدًا بارتكاب الخطأ عندما نبالغ في التأكيد على أهمية حقيقة معينة، لدرجة زوال أو إهمال الحقائق الأخرى. مع ذلك، من المستحيل أن نُبالغ أو نُغالي كفاية في التأكيد على رِفعة شأن الإنجيل وأهميته. لا يُمكن أن يُزيد تطرفنا فيما يخص الإنجيل. وتُرى هذه الحقيقة في ضوء واقع أن الإنجيل هو أعظم إعلان من الله للإنسان، والرسالة الوحيدة التي يُمكن للبشر أن يخلصوا من خلالها. وبناءً على ذلك، فهو الرسالة الوحيدة التي علينا التمسك بها باِستمرار وبإصرار. ومع أن أصغر اِنحراف عن الحق الكتابي يُعد أمراً خطيراً، فقد نخطئ في فهم أشياء كثيرة دون تعريض مصائرنا الأبدية للخطر. ومع ذلك يَعني الخطأ فيما يخص الإنجيل الخطأ في كل شيء! كما أن عدم رِفعة شأن الإنجيل تَعني إساءة فهمه تمامًا!

إنجيلٌ يُخلِّص

تُترجم كلمة **تخلُصُون** في النص السابق في زمن المضارع الذي يصف "عملية تحدث في الحاضر والواقع المستقبلي."[1] ويُمكن ترجمتُها "الذي به تخلصون". من المهم ألَّا ننسى أن الكتاب المقدس يصف الخلاص بثلاثة أزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل. وستنتُج عن تجاهُل أيِّ زمن من أزمنة أو جوانب الخلاص نظرةٌ غير دقيقة أو غيرُ صحيحةٍ عن الخلاص ككل. في الماضي: خلَّص الله المؤمنَ من دينونة الخطية، وقد حدث ذلك في لحظة الإيمان عندما آمن ذلك المؤمن بشهادة الله عن الإنجيل وحُسِب له برًا.[٢] ويُشير الكتاب المقدس عمومًا إلى ذلك بمصطلح التبرير.[٣]

في الحاضر: يَخْلُصُ المؤمن من سلطان الخطية. وتُعرف هذه العملية التدريجية في كل العهد الجديد بالتقديس المستمر. فالمؤمن صنعة الله الذي يعمل فيه، حتى يرغب ويعمل وفقًا لمسرة الله الصالحة.[٤] ويُغيِّر اللهُ المؤمنَ بالكلمة والروح، والتجارب والضيقات، والبركة والتأديب، ويأتي بحياته بالكامل لتطابق صورة يسوع المسيح.[٥]

في المستقبل، سيَخلُصُ المؤمنُ تمامًا وأبديًّا من سلطان الخطية ووجودها. تُعرف تلك المرحلة الأخيرة عمومًا بالتمجيد، وهي مؤكَّدة تمامًا مثلها في ذلك مثل المراحل الأخرى؛ لأن الذي ابتدأ عملًا صالحًا يُكمِّل؛[٦] إذ يُعلن الرسول بولس ما عُرِفَ لاحقًا بسلسلة الخلاص الذهبية: «**وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحبونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ. لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ**

1. David E. Garland, *1 Corinthians* ,Baker Exegetical Commentary on the New Testament (Grand Rapids: Baker Academic, 2003), 682.

٢- رومية ٤:٢٠-٢٢
٣- رومية ٥:١
٤- أفسس ٢:١٠؛ فيلبي ٢:١٣
٥- رومية ٨:٢٩
٦- فيلبي ١:٦

فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ. وَالَّذِينَ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ، فَهؤُلاَءِ دَعَاهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ دَعَاهُمْ، فَهؤُلاَءِ بَرَّرَهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ، فَهؤُلاَءِ مَجَّدَهُمْ أَيْضًا.»[٧]

نعيش في أيام تُعطى فيها الأمورُ الزائلة والتافهة أهميةً وجَبَ ألَّا تكون لها بين شعب الله. ونشتهي تلك الملذَّات الوقتية كما لو كانت تستحق تعلُّقنا. لكن علينا التمسُّك بحقيقة واحدة أن أعظم وعود الإنجيل هي الخلاص. فكل الوعود والفوائد الأخرى تغدو باهتة عِند مقارنتها بهذا الأمر الفريد، أن الإنجيل هو قوة الله للخلاص، وكلُّ مَن يدعو باسم الرب يَخلص.[٨]

يُعد الخلاص نتيجة أو غاية إيمان المؤمن وفقًا لبطرس الرسول.[٩] كما أنه الهدف من كل ما قد صنعه المسيح لشعبه، ويجب أن يكون أعظم شوق لدى المؤمن، والهدف الذي يُجاهد من أجله. إن الخلاص هو أعظم عطية يُقدِّمها الله؛ ولا يُمكن أن يكون للمؤمن رجاءٌ أو دافع أعظم من ذلك الخلاص النهائي، إلا من خلال إنجيل يسوع المسيح.

عندما نُدرك حالتنا قبل المسيح، وما كُنَّا نستحقه لمَّا كُنَّا في تلك الحالة، يعكس ذلك ضخامة الإنجيل وعظمته. فقد كنا بالطبيعة وبالعمل خطاة، وكُنَّا فاسدين لدرجة الشر؛ كما كُنَّا منتهكين للقانون، ومجرمين بلا عذر أو حُجة أمام محكمة العدالة الإلهية.[١٠] وكذلك كُنَّا نستحق ما لا يقل عن الموت والدينونة الأبدية، لكن الآن صار دمُ ابن الله الوحيد يُخلِّصُنا. وحين كنا خطاةً بائسين وأعداءً لله، مات المسيح من أجل الفُجَّار.[١١] ونحن الذين كنا بعيدين صرنا الآن قريبين.[١٢] وصار

٧- رومية ٨:٢٨-٣٠
٨- رومية ١:١٦ ؛ ١٠:١٣
٩- ١بطرس ١:٩
١٠- أفسس ٢:١-٣ ؛ رومية ٣:١٠-١٩
١١- رومية ٥:٦-١٠
١٢- أفسس ٢:١٣

لنا فيه فداء بدمه، وغفران لآثامنا بحسب غِنى نعمته.[١٣] فقد خلَّصنا من آثامنا، وصالحنا مع الله، وأدخلنا في شركةٍ معه كأبناء! ما الذي يُمكن أن نشتهيه أو نحتاجه أكثر من ذلك؟ أليست عطية الخلاص بدم ابن الله الوحيد كافية لتغمر قلوبنا، فتفيض إلى أبد الآبدين؟! أليست كافية لتُحفِّزنا كي نعيش لأجل الذي مات لأجلنا؟! ما حاجتُنا لوعودٍ أخرى؟! هل نعيش له بغيرة كبيرة لأنه لم يَعِدْنَا بالخلاص فقط، بل بالشفاء، ورفاهية العيش، والثروة، والكرامة أيضًا؟! ما قيمة أيٍّ من تلك الأشياء مقارنةً ببهبة الخلاص ومعرفة الله؟! سُحْقًا لأولئك الذين يُحاولون إقناعنا بالتكريس، ويَعِدوننا بأشياءَ غير يسوع المسيح. لو أُخذ منك كلُّ مَن أحببتَهم يومًا، وطُرِحَ جسدُكَ ليتعفن في كومة روث، وشَهَّرَ بك الصديقُ والعدو على حدٍّ سواء، يجب أن تتمتع بكل الإخلاص الذي تحتاجه لتُحِبَّ يسوع وتُسَبِّحَه وتخدمه، لأجل ذلك الشيء الوحيد الذي فعله لأجلك عندما سفك دمَه لإنقاذك. ويُشعل ذلك الشغف المقدس وحدَه العبادة النقية غير المُدَنَّسة.

لماذا لم يَعُد للوعد بالخلاص الأبدي وحده تلك القوة لجذب البشر للمسيح؟ لماذا يهتم الإنسان المعاصر أكثر بكيف يُمكن للإنجيل أن يساعده في هذه الحياة الحاضرة؟ أولًا؛ لأن الوعَّاظ لم يعودوا يعظون عن يقين الدينونة وأهوال الجحيم. فحين يُعلِّم الوعَّاظ عن تلك الأمور تعليمًا كتابيًّا واضحًا، يبدأ البشر في إدراك حاجتهم العُظمى إلى الخلاص مِن الدينونة الأبدية، وتُصبح تلك الاحتياجات «العملية» لهذا العصر الحاضر تافهة بالمقارنة به. ثانيًا، علينا أن نفهم أن الغالبية العُظمى من البشر في الشوارع، وفي الكنيسة، جسديون، ويعتز أصحاب الذهن الجسدي بأمور هذا الدهر أكثر من الدهر الآتي. حيث يقل اهتمامُهم بأمور الله والأبدية.[١٤] كما يُفَضِّلُ معظمهم حضور مؤتمر عن الاِعتزاز بالنفس وتحقيق الذات أكثر من الاِستماع لعظة واحدة عن القداسة التي بدونها لن يرى أحدٌ الرب.[١٥] لا

١٣- أفسس ١:٧
١٤- رومية ٨:٥
١٥- عبرانيين ١٢:١٤

يمانع الكثيرون من عبور البلدان والبحار؛ كي يجدوا أفضل حياة لهم الآن، لكنهم يأبون عبور الشارع لحضور سلسلة اجتماعات عن قيمة المسيح غير المحدودة، أو آلام الجلجثة!

على رُغم أن الإنجيل يُمكنه تحسين وضع الإنسان وحالته في الحياة، علينا كخدام الإنجيل تجنُّب إغراء المستمعين والمُصلِّين وجذبهم بأي وعد أو مقتَرَح سوى يسوع المسيح والحياة الأبدية. ورغم أن ذلك سيكون جذريًّا في هذا العصر الحديث للكرازة، فإننا سنفعل خيراً بأن نصرخ للجموع: «يسوع المسيح يَعِدُكُم بأَمْرَيْن: خلاص أبدي ترجونه، وصليب تموتون عليه.[١٦] الروح والعروس يقولان تعال.»[١٧]

التمسُّك بالإنجيل

تُمثل عقيدة مثابرة القديسين واحدةً مِن أغلى الحقائق بالنسبة للمؤمن الذي يفهمها.[١٨] إنها أعظم تعزية وتشجيع أن تعرف أن مَن بدأ عملًا صالحًا فينا سيكمله.[١٩] ومع ذلك، تعرَّضت تلك العقيدة إلى التحريف بشدة، وأصبحت الأداة الرئيسة لتأكيد مزيف على خلاص عدد لا نهائي من الأشخاص الذين لم يؤمنوا بعد، ولا يزالون في خطاياهم. وعلى الرغم من "صعوبة هذا القول"، فإنه حقيقي.

يكتب الرسول بولس في النص الذي في بداية الفصل: «وَبِهِ أَيْضًا تَخْلُصُونَ، **إِنْ** كُنْتُمْ تَذْكُرُونَ أَيَّ كَلاَمٍ بَشَّرْتُكُمْ بِهِ.» تُقدِّمُ كلمة **إن** جملة شرطية يجب عدم تجاهلها، كما لا يُمكن حذفها. فالمنطق هنا واضح: يخلص الشخص **إن** تمسك

١٦– هذه الدعوة لم يُطلقها الكاتب، لكنه سمع تلك الكلمات منذ عدة سنوات أثناء حضوره لسلسلة اجتماعات عقدها ليونارد رافينهيل Leonard Ravenhill.

١٧– رؤيا يوحنا ٢٢:١٧

١٨– ملخص المبادئ The Abstract of Principles، أول اعتراف رسمي للمعمدانيين، يصف عقيدة مثابرة القديسين (أي: الضمان الأبدي للمؤمنين): «أولئك الذين قبلَهُم الله في المحبوب، وقدَّسَهُم برُوحِهِ لن يَرتَدوا أبدًا بالكامل أو بشكل نهائي عن حالة النعمة، لكن سيُثابرون مؤكدًا إلى المنتهى.»

١٩– فيلبي ١:٦

بالإنجيل، لكن إن لم يتمسك به، لن يخلص. ولا يُعد ذلك إنكاراً لعقيدة المثابرة (أي: عقيدة الضمان الأبدي للمؤمن) بل شرحٌ لها. لن يضيع أحد من أولئك الذين آمنوا حقًّا ونالوا الخلاص ويهلك هلاكًا أبديًّا. بل ستحفظهم نعمة الله وقوته التي خلَّصتهم أيضًا حتى اليوم الأخير. ومع ذلك، فالدليل على إيمانهم الحقيقي هو اِستمرارهم في أمور الله وعدم البُعد عنه. ومع أنهم سيظلون يصارعون ضد الجسد، وسيكونون مُعَرَّضين لحالات ضعف عديدة، سيكشف مسار حياتهم بالكامل عن تقدُّم مؤكَّد وملحوظ في الإيمان والتقوى. إن مثابرتهم لن تُخَلِّصهم أو تجعلهم موضوع النعمة، لكنها ستكشف عن أنهم موضوع النعمة، وأنهم خلصوا بالإيمان حقًّا. وببساطة، يُعد برهان أو إثبات الإيمان الحقيقي هو أن الشخص الذي يعترف بالإيمان بالمسيح يثابر في ذلك الإيمان، وينمو في القداسة خلال مسار حياته بالكامل. وإن آمن شخص بالمسيح ومع ذلك سقط، أو لم ينمُ في التقوى، فهذا لا يَعني أنه فَقَدَ خلاصَه، بل يكشف أنه لم يُؤمن إيمانًا حقيقيًّا من الأساس.

تظهر هذه الحقيقة من خلال مسار التعليم الكتابي الكامل عن الخلاص. كان يسوع يعلم الجموع بأن الذي يصبر في إيمانه إلى المنتهى فهذا يخلص.[٢٠] وشرح يسوع في مثل الزارع أن كثيرين سيبدو أنهم قبلوا إنجيل الملكوت، لكن رغم ذلك؛ فإن الغالبية سترتد بسبب الضيق، والاِضطهاد، وهموم العالم، وغرور الغِنى.[٢١] كتب الرسول يوحنا في إشارة إلى أولئك الذين تركوا الكنيسة في أفسس: «**مِنَّا خَرَجُوا، لكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَّا، لأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مِنَّا لَبَقُوا مَعَنَا. لكِنْ لِيُظْهَرُوا أَنَّهُمْ لَيْسُوا جَمِيعُهُمْ مِنَّا.**»[٢٢]

من المهم أن نلاحظ مرةً أخرى أن هذه النصوص الكتابية ليست إنكاراً لضمان المؤمن في المسيح. سيستمر الاِبن المُجدَّد حقًّا في الإيمان حتى المنتهى بسبب

٢٠- متى ٢٤:١٣
٢١- متى ١٣:٢١، ٢٢
٢٢- ١يوحنا ٢:١٩

أمانة وقدرة ذاك الذي بدأ عملًا صالحًا فيه.[٢٣] ومع ذلك، تتمتع تلك التحذيرات بدور مهم في الإيمان المسيحي، ولا يجب تجاهلها؛ إذ تساعدنا كي نميز الفرق بين الإيمان الحقيقي والمزيف، كما تعمل كتحذير للمؤمن؛ ليبذُل كلَّ اِجتهاد حتى يجعل دعوته واختياره ثابتَيْن.[٢٤]

تُعد هذه التحذيرات ذات صلة خاصة في ضوء حالة الحركة الإنجيلية الحالية في الغرب، كما أن لها تداعيات وآثار هائلة وبعيدة المدى على العديد مِمَن يُعلنون إيمانهم بالمسيح. ويظن الكثيرون أنهم قد نالوا الخلاص، وصاروا مؤمنين تمامًا؛ لأنهم صَلُّوا ذات مرة صلاة طالبين مِن يسوع دخول قلوبهم. ومع ذلك لم يستمروا في الإيمان. ولم يخرجوا من العالم قط، وإن فعلوا ذلك، سرعان ما يعودون إليه. كما أنهم لا يمتلكون واقعًا عمليًا بمخافة الرب. ولا يوجد في حياتهم عطرُ النعمةِ الإلهيةِ. ولا يُظهرون أيَّ برهان خارجي على التغيير الداخلي. ولا تظهر أية إشارة بالانضباط الإلهي الذي يمد الرب به كلَّ أبنائه.[٢٥] ومع ذلك يقفون واثقين من خلاصهم بسبب قرار واحد في الماضي، وإيمانهم بأن صلاتهم كانت صادقة حقًا. وبغض النظر عن شيوع مثل هذا الاِعتقاد، فإنه بلا أساس كتابي.

صحيح أن الإيمان يحدث في لحظة محددة من الزمن، حين يَعْبُرُ البشر من الموت للحياة مِن خلال الإيمان بيسوع المسيح.[٢٦] لكن اليقين الكتابي أن الشخص قد عَبَرَ من الموت إلى الحياة ليس أساسُه مجردَ امتحان لحظة الإيمان فحسب، بل أيضًا امتحان حياته من تلك اللحظة فصاعدًا. وفي وسط الأمور الجسدية الكثيرة، لم يطلب الرسول بولس من أهل كورنثوس أن يُعيدوا تقييم اِختبار إيمانهم في الماضي، لكنه حثَّهم على اِمتحان حياتهم في الحاضر.[٢٧]

٢٣- فيلبي ١:٦
٢٤- ٢بطرس ١:٥-١٠
٢٥- عبرانيين ١٢:٨
٢٦- يوحنا ٥:٢٤
٢٧- ٢ كورنثوس ١٣:٥

سنفعل حسنًا إن تبعنا خُطوات بولس في مشورته للمؤمنين المزعومين. يجب أن يَعْلَموا، كما يجب علينا أن نُعَلِّمَهم أن البرهان على عمل الله وخلاصهم الحقيقي في الماضي هو اِستمرار ذلك العمل في الحاضر، وحتى ذلك اليوم الأخير. سوف ننال الخلاص إن تمسكنا بالكلمة التي بُشِّرنا بها. وإذا لم يحدث ذلك سنتمتع بالقليل من اليقين، وربما ينعدم تمامًا. وستهدم هذه الحقيقة الكتابية البسيطة، إن وعظنا بها كما ينبغي بإقناع، كلَّ يقين زائف لدى الجماهير المهولة من الجالسين على المقاعد في الكنائس؛ ما يُثمر عن خلاص الكثيرين.

نصلي أن يُقيم الله أناسًا فاهمين ومدركين أن يقين الخلاص الزائف أحد أخطر أمراض العصر، والآفة التي تدمر شهادة الكنيسة. متى سنُدرك أن واحدةً من أعظم حقول الإرساليات هي تلك الموجَّهة للجالسين على مقاعد كنائسنا في صباح كل يوم أحد؟ ومتى سنعترف بأن معالجتنا السطحية للإنجيل، وجهلنا بطبيعة الإيمان الحقيقي، ورفضنا لممارسة التأديب الكنسي بوداعة، قد قادنا إلى هذه الخدعة الكبرى والمميتة؟

الفصل الرابع

إنجيل ذو أهمية قصوى

«فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا.»

(١كورنثوس ١٥: ٣)

لا تتمتع كلمة أو حقيقة بأهمية أكبر من إنجيل يسوع المسيح. يمتلئ الكتاب المقدس بالعديد من الرسائل؛ وتتميز أقل رسالة بينها بقيمة أعظم من ثروات العالم مجتمعة، وأهمية أكثر من أعظم الأفكار التي تشكلت يومًا في الذهن البشري. إن كان غبار الكتاب المقدس نفسُه أثمن من الذهب، فكيف يُمكننا أن نحسب قيمة الإنجيل أو أهميته؟[1] حتى إن داخل الكتاب المقدس نفسِه رسالة لا يضاهيها شيء. وتنحني قصة الخليقة رغم أنها سُطِرت ببهاء أمام رسالة الصليب. كما يُشير ناموس موسى وكلمات الأنبياء إلى ما هو أبعد من شخصهم، إلى رسالة الفداء المتفردة. وحتى المجيء الثاني، رغم أنه مليء بالعجائب، فإنه يقف في ظلال الإنجيل. لا نبالغ بالقول إن إنجيل يسوع المسيح هو الرسالة العُظمى والجوهرية، وحِصن الإيمان المسيحي، وأساس رجاء المؤمن.[2]

لا شيءَ أكثر أهمية وفائدة وضرورة من الإنجيل لتعزيز مجد ملكوت الله! دعونا نقتبس من لغة سفر الأمثال هذه الكلمات عن الإنجيل: «**لأَنَّ تِجَارَتَهَا خَيْرٌ**

١- أيوب ٢٨:٦

٢- الإنجيل هو أسمى نقطة في الإيمان المسيحي، وهو حِصن الإيمان المسيحي.

مِنْ تِجَارَةِ الْفِضَّةِ، وَرِبْحَهَا خَيْرٌ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ. هِيَ أَثْمَنُ مِنَ اللَّآلِئِ، وَكُلُّ جَوَاهِرِكَ لاَ تُسَاوِيهَا.»[٣]

بما أن هذا حق فيجب أن يكون فهم الإنجيل وإدراكه هو خلجة قلوبنا. إنها مهمة مستحيلة لكنها تستحق كلَّ ذرة جهد نبذله؛ لأننا فيه نجد كلَّ غِنى الله، وكلَّ فرح حقيقي للمؤمن. إنه يستحق أن نعزل أنفسَنا عن كل مسعى ومتعة أدنى؛ حتى نسبر أغوار نعمة الله المعلنة في هذه الرسالة المتفردة. يحتوي أيوب ٢٨: ١- ٩ على تشبيهٍ جميل لمثل هذا الشغف:

> **لأَنَّهُ يُوجَدُ لِلْفِضَّةِ مَعْدَنٌ، وَمَوْضِعٌ لِلذَّهَبِ حَيْثُ يُمَحِّصُونَهُ. الْحَدِيدُ يُسْتَخْرَجُ مِنَ التُّرَابِ، وَالْحَجَرُ يَسْكُبُ نُحَاسًا. قَدْ جَعَلَ لِلظُّلْمَةِ نِهَايَةً، وَإِلَى كُلِّ طَرَفٍ هُوَ يَفْحَصُ. حَجَرَ الظُّلْمَةِ وَظِلَّ الْمَوْتِ. حَفَرَ مَنْجَمًا بَعِيدًا عَنِ السُّكَّانِ. بِلاَ مَوْطِئٍ لِلْقَدَمِ، مُتَدَلِّينَ بَعِيدِينَ مِنَ النَّاسِ يَتَدَلْدَلُونَ. أَرْضٌ يَخْرُجُ مِنْهَا الْخُبْزُ، أَسْفَلُهَا يَنْقَلِبُ كَمَا بِالنَّارِ. حِجَارَتُهَا هِيَ مَوْضِعُ الْيَاقُوتِ الأَزْرَقِ، وَفِيهَا تُرَابُ الذَّهَبِ. سَبِيلٌ لَمْ يَعْرِفْهُ كَاسِرٌ، وَلَمْ تُبْصِرْهُ عَيْنُ بَاشِق، وَلَمْ تَدُسْهُ أَجْرَاءُ السَّبْعِ، وَلَمْ يَعْدُهُ الزَّائِرُ. إِلَى الصَّوَّانِ يَمُدُّ يَدَهُ. يَقْلِبُ الْجِبَالَ مِنْ أُصُولِهَا.**

حتى في عالم أيوب القديم، كان البشر مستعدين أن يدفعوا أنفسَهم لأقصى حد، ويحرموا أنفسَهم مِن الحياة السطحية، ويَنقبوا الصخور الصلبة في الظلام العميق، ويجازفوا بتعريض حياتهم للخطر، ولم يتركوا بابًا دون أن يطرقون في بحثهم عن كنوز هذا العالم. فكم بالحري علينا نحن الذين استنرنا بالروح القدس، وتذوقنا حلاوة كلمة الله الصالحة، وقوات الدهر الآتي، أن نكون مستعدين للتخلي عن الأمور الأقل مجدًا؛ لنسعى وراء أمجاد الله في إنجيل يسوع المسيح؟[٤] فلماذا يندر جدًّا الشغف الحقيقي بالإنجيل بين شعب الله؟

٣- أمثال ٣:١٤-١٥
٤- عبرانيين ٦:٤، ٥

إنجيل مُخفَفْ

أولًا، علينا أن نفهم أن الإنجيل "الذي سُلِّم مرة للقديسين" قد مرَّ بالعديد من التنقيحات وعمليات الاختزال في الأجيال الأخيرة.[٥] عندما ندرس الكتاب المقدس، سريعًا ما نلاحظ اختلافًا كبيراً في المحتوى والنوعية بين الإنجيل المُسَلَّم من الرُسُل ونسختنا المعاصرة. وحتى حين نقرأ الكرازة بالإنجيل التي قدَّمها الإصلاحيون، والتطهريون، وإدواردز، ووايتفيلد، وسبرجن، وحتى الأكثر حداثة مثل مارتن لويد جونز، سريعًا ما نُدرك أننا اليوم بالكاد نملك أساسيات إعلان الإنجيل الجميل الذي فسَّروه وخفَّفوه إلى بضعة قوانين روحية وآيات معينة تتعلق بالخلاص من رسالة رومية.[٦] وقد جعلنا الإنجيل عبارة عن مجموعة من العبارات العقائدية البسيطة وسهلة الفهم، حتى بُتِر الكثير من جماله الأصلي، وتُرِك القليل من المجد ليثير الإعجاب، أو لمزيد من البحث والفحص.

صحيح أن لله خُطة، وأننا خطاة، وأن المسيح مات وقام حتى نخلص بالإيمان، لكن حِفْظ تلك العبارات لا يَعني أننا نعرف الإنجيل أو نفهمه. يجب ألَّا نترك تلك الأحجارَ الثمينة دونَ بحث! إذ يُمكن للحيوانات التي أقل من الإنسان أن تتعلم التقليد والتكرار، أمَّا نحن فعلينا أن نفتش الكتاب المقدس، ونكتشف معنى تلك الأشياء. ومثل عاملي المناجم علينا أن نكون مستعدين لأن ندفع بأنفسِنا لأقصى حد، ونحرم أنفسَنا من المتع الوقتية، ونُنقِّب لساعات لا حصرَ لها من الدراسة والصلاة، حتى نربح جائزة معرفة الإنجيل. وإلاّ سنكون دائمًا فاترين، وغليظي القلب بسبب جهلنا.[٧] يجب أن نحوِّل أعيننا إلى الصخر الذي مِنه قُطِعنا.[٨] كما يجب أن نسعى لإعادة اكتشاف إنجيل القدماء حتى يأسرنا ثانيةً، ونعظ به بشغف كأناس يعرفون إلههم، ويفهمون ما فعله من أجلهم![٩]

٥- يهوذا: عدد ٣
٦- ١تيموثاوس ١:١١
٧- أفسس ٤:١٨
٨- إشعياء ٥١:١
٩- دانيال ١١:٣٢

نظرة متدنية للإنجيل

يُعَد أحد الأسباب الأخرى لافتقاد شعب الله للشغف بالإنجيل اليوم، أن كثيرين يرون أنه لا يزيد عن كونه دليلاً للمبتدئين في المسيحية، أو الخُطوات الأولى التي يخطوها الطفل في الإيمان، ثم سريعًا ما يُتقنها، ويتركها من أجل أمور أعمق. وهذا بعيدٌ كلَّ البُعد عن الحقيقة. فالإنجيل هو "**الشيء العميق**" في المسيحية! ستتضح الأخرويات وسفر رؤيا يوحنا اللاهوتي في المجيء الثاني، ولكننا لن نُتقن تمامًا أو نفهم بالكامل مجد الله في إنجيل يسوع المسيح. وأي شخص يعتقد أنه يعرف الإنجيل جيدًا لدرجة أن يتركه وراءه لينطلق إلى أمور أعظم، الأفضل له أن يتبع تحذير الرسول بولس: «**فَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ يَعْرِفُ شَيْئًا، فَإِنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ شَيْئًا بَعْدُ كَمَا يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ!**».[١٠] لو كانت لدينا القدرة على نقل إحساس أعظم اللاهوتيين والوعَّاظ، سنجدهم يشهدون جميعًا أنهم كانوا أطفالاً في الإنجيل خلال أيام غربتهم وحياتهم على الأرض. وسينضمون إلى الرجل الحكيم في سفر الأمثال الذي صرخ: «**إِنِّي أَبْلَدُ مِن كُلِّ إِنْسَانٍ، وَلَيْسَ لِي فَهْمُ إِنْسَانٍ، وَلَمْ أَتَعَلَّمِ الْحِكْمَةَ، وَلَمْ أَعْرِفْ مَعْرِفَةَ الْقُدُّوسِ.**»[١١]

علينا أن نُدرك أن رحلتنا إلى داخل الإنجيل ستمتد طول حياتنا وإلى أبعد من ذلك، حتى الأبدية. وسيأسرنا مجد الإنجيل أكثر فأكثر مع كل حقيقة تُكتَشَف، حتى يستحوذ على أفكارنا، ويحكم إرادتنا. قد تتساءل: "إن كان أي شيء يستحق السعي وراءه، فأيُّ شيء كبير بما يكفي حتى يسترعي انتباهك؟". تشجَّع! الإنجيل أكثر بكثير مما قد يكون قيل لك، إذ يحوي مجدًا لا نهاية له. في الواقع سنقضي الأبدية محاولين أن نتوصل إلى كل المجد التي تحتوى عليه تلك الرسالة الفريدة من نوعها، وبعد أبد الآبدين سيظل هناك مجد غير محدود لم يُرَ بعد. سيظل الإنجيل دومًا هو الشيء الذي يشتاق الملائكة والمفديون أن يَطَّلعوا عليه![١٢] تذكَّرْ هذا: يجب أن تنمو دائمًا في الإنجيل وفي معرفتك به. إنه ليس دليلًا للمبتدئين في المسيحية، لكنه كتاب شامل عن المسيحية من الألف إلى الياء. لم تُتقن الإنجيل بعد، ولن تتقنه، لكنه سيحتويك!

١٠- اكورنثوس ٨:٢

١١- أمثال ٣٠:٢، ٣

١٢- ابطرس ١:١٢

قِلة التعليم من الإنجيل

يرجع السبب الثالث لقلة الشغف بالإنجيل وسط شعب الله إلى افتراض خاطئ ومميت: إذ نفترض أن شعب الله وخدامه، يفهمون الإنجيل؛ لذلك نهمل أن نعلِّمَهُم الإنجيل، ناهيك عن أن نجعل هذا التعليم أولوية. وعندما يتقدم مؤمن جديد ليعترف جَهراً بإيمانه، فكم من الوقت قد قضى في التعلُّم من الإنجيل؟ غالبًا ما أرشده شخص لدقائق معدودة مستخدمًا "نُبذة" عن الإنجيل تشرحه الخطوة تلو الأخرى، ثم يدخل في مجموعة تلمذة ليتعلم إرشادات المبتدئين في الحياة المسيحية. لكن ما مقدار التعليم الذي يسمعه مِن المِنبر عن الإنجيل؟ مِن الممكن أن يجلس عمره كله في مقاعد الكنيسة دون أن يسمع وعظات مخصصة لشرح ملائم ومحدد لما تحقق من خلال الجلجثة والقبر الفارغ. وإن شعر بالدعوة للخدمة، ما عدد الفصول التي سيحضرها في كلية اللاهوت المخصصة لمحتوى الإنجيل وتطبيقه؟ على المَرء أن يعمل مَسحًا لمناهج العديد من الهيئات الدينية، حتى يجد فصلًا واحدًا مخصصًا تحديدًا لهذا الهدف. قبل حُكم الملك التقي يوشيا، كان ناموس الله مُهمَلًا في الهيكل لسنوات عديدة.[١٣] هل حدث الأمرُ نفسُه وسطنا؟ هل ضاع الإنجيل بين الإنجيليين؟

إهمال الإنجيل في الوعظ

يتمثل السبب الرابع والأخير لقِلة الشغف بالإنجيل عِند المستمعين في الكنيسة في نقص الشغف للأمر ذاته على المِنبر. إن خادم المسيح هو خادم إنجيل المسيح قبل كل شيء. فالإنجيل هو وكالتنا، وامتيازنا، ورسالتنا العظيمة.[١٤] وبرُغم أننا أوانٍ خزفية هشة ومكسورة، نحمل في داخلنا أثمن كنز عرفته يومًا السماء والأرض.[١٥] فقد قدَّسنا الله كي نسكن في محضره. ويدعونا أن نقضي الجزء الأكبر من أيامنا في البحث عن أسراره، وإعلانها للآخرين من خلال الكلمة التي نعظ بها. لكن يحيد العديد من الوعَّاظ اليوم بعيدًا عن دعوتهم الأساسية بأن يعرفوا الله ويجعلوه معروفًا

١٣- ٢أخبار الأيام ٣٤:١٤-٢١

١٤- ١كورنثوس ٤:١؛ ١تيموثاوس١:١٢؛ ١بطرس ١:١٢؛ ١كورنثوس ٩:١٦

١٥- ٢كورنثوس ٤:٧

للآخرين. فصارت الدراسة عقيمة، وعُلية الصلاة مغلقة. لم يَعد الخادم رجل الله بل رجل الناس. ولم تُعد رسالة الواعظ "هكذا يقول الرب" بل أصبح يأتي برسالة وليدة استطلاعات رأي ومعرفة مزعومة باحتياجات مستمعيه. لا يُمكنه أن يقول مع النبي إيليا: «**حَيٌّ هُوَ رَبُّ الْجُنُودِ الَّذِي أَنَا وَاقِفٌ أَمَامَهُ**»، ولم يُعد يقف قدام الناس كرجل مرسل من الله.[١٦]

نحن الذين نخدم بِاسم المسيح لسنا مدعويين لنكون مدربين أو مُيَسِّرِينَ للحياة الروحية، أو متكلمين تحفيزيين، إننا وعَّاظ! إن مجرد استهزاء العالم بهذا اللقب، ووجود مشعوذين لا حصرَ لهم أعطوا العالم سببًا وجيهًا للاستهزاء لا يَعني أن علينا احتقار عباءة المسؤولية التي وضعها المسيح علينا. إننا وعَّاظ، وقبل كل شيء نحن نعظ بالإنجيل. ويجب ألَّا يغرينا هدف أدنى من ذلك لمجرد أن العالم يوافق عليه. يجب ألَّا نُغرَى بالابتعاد عن غرف دراستنا وصلاتنا، بل علينا أن نضبط أنفسَنا من أجل غاية التقوى.[١٧] علينا أن نجتهد أن نُقيم أنفسَنا لله مُزكِّين، عاملين لا نُخزَى، مفصِّلين كلمة الحق بدقة.[١٨] علينا أن نحتمل المشقات في إنجاز تلك الأمور؛ ويجب أن نكون منهمكين فيها، لكي يكون تقدُّمُنا ظاهراً في كل شيء.[١٩] وعلينا ألَّا نُهمِل الموهبة الروحية التي فينا، بل نكرِّس أنفسَنا لقراءة الكتاب المقدس في العلن والوعظ والتعليم.[٢٠]

دعونا نكون مثل الرسل في القديم الذين أعلنوا في وجه احتياجات أخرى مشروعة «**لاَ يُرْضِي أَنْ نَتْرُكَ نَحْنُ كَلِمَةَ اللهِ وَنَخْدِمَ مَوَائِدَ .. وَأَمَّا نَحْنُ فَنُوَاظِبُ عَلَى الصَّلاَةِ وَخِدْمَةِ الْكَلِمَةِ.**[٢١]» ومثل عُمّال المناجم القدماء في أيام أيوب، علينا أن ندفع بأنفسِنا إلى أقصى حد، ونحرمها من الحياة السطحية، كما يجب أن نحفر في الصخور الصلبة في الظلام العميق؛ حتى نكتشف كنوز إنجيل يسوع المسيح غير المحدودة، ونُقدِّمها لشعب الله. تُعد هذه هي الوسيلة العُظمى والوحيدة كي يشتعل المِنبر ومقاعد الكنيسة ناراً على حدٍّ سواء.

١٦- ١ملوك ١٨:١٥؛ يوحنا ١:٦
١٧- ١تيموثاوس ٤:٧-٨
١٨- ٢تيموثاوس ٢:١٥
١٩- ١تيموثاوس ٤:١٥
٢٠- ١تيموثاوس ٤:١٣، ١٤
٢١- أعمال ٦: ٢، ٤

الفصـــل الخـــامس

إنجيل وُرِّث وسُلِّم

«فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا:
أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ،
وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ».

(كورنثوس الأولى ١٥: ٣، ٤)

في النص السابق، نتعلم حقيقتين مهمَّتَيْن عن الإنجيل. أولًا، أنه لم يكن نتيجة لاختراع بشري، بل كُتِب بواسطة أناس مسوقين من الروح القدس.[١] لذا فهو يحمل السلطان الكامل للكتاب المقدس، بوصفه رسالةً الله الموحَى بها، أي تنفسها الله وتكلم بها.[٢] ثانيًا، إنه رسالة سُلِّمت للقديسين مرةً وإلى الأبد، وكل جيل من المؤمنين مسؤول عن تسليمها دون تغيير للجيل الذي يليه.[٣]

١- ٢بطرس ١: ٢١
٢- ٢تيموثاوس ٣: ١٦
٣- يهوذا عدد ٣

إنجيل وُرِّث

عندما يكتب بولس الرسول «قَبِلْتُ»، أي: تَسَلَّمْتُ الإنجيل فهو يدَّعي إعلانًا خاصًا. لم يختلق هذه الرسالة، كما لم يستعِرها من آخرين. بل جاءت إليه بإعلان يسوع المسيح الفائق للطبيعة. يصف بولس في غلاطية ١: ١١ ، ١٢ تلك الخبرة بتفصيل أكبر: «**وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ، أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ. لأَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ وَلاَ عُلِّمْتُهُ. بَلْ بِإِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.**»

يهدف بولس من سرد هذه الخبرة الفريدة إلى إثبات أن إنجيله له أصل إلهي؛ لم يكن يكتب ليرفع من شأنه، أو ليقول إن إنجيله مختلفٌ عن ذاك الذي أُعطِيَ للرسل الآخرين أو للكنيسة ككل. في الواقع يسرد لاحقًا في الرسالة نفسها أنه عَرَضَ إنجيلَه على المُعتَبَرين في كنيسة أورشليم، ولم يُصححوا شيئًا منه، ولا أضافوا أيَّ شيء لفهم بولس له.[٤] يهدف بولس من كل هذا إثبات أنه لا يوجد سوى إنجيل واحد حقيقي قد وُلِد في قلب الله، وسُلِّم للكنيسة من خلال الرسل. إنه كلمة أبدية وثابتة تسمو فوق الزمن والثقافة. ولا يجب تعديله أو تكَييفه ليُرضي أذواق ثقافات أو عصور متغيرة، بل يجب التمسُّك به، وتقديم الاِحترام والتقدير الأسمى له؛ بوصفه الحق الثابت والمطلق.

لهذا السبب، علينا أن نتعلم نحن الذين قَبِلْنَا الإنجيل، وأصبحنا وكلاء على خدمته، التعامُل معه بحذر شديد، وخوف. حثَّنا يهوذا، أخ غير شقيق للرب، أن نُجاهد بجدٍّ من أجل **الإيمان** الذي سُلِّمَ مَرَّةً وإلى الأبد للقديسين، وحثنا الرسول بولس أن نحفظه بصفته كنزاً اؤتُمنَّا عليه.[٥] حتى إنه لعن أيَّ إنسان أو ملاك يُبدِّل محتواه لأي سبب: «**وَلكِنْ إِنْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَاثِيمَا»! كَمَا سَبَقْنَا فَقُلْنَا أَقُولُ الآنَ أَيْضًا: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُبَشِّرُكُمْ بِغَيْرِ مَا قَبِلْتُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَاثِيمَا»!**»[٦]

٤- غلاطية ٢:١-١٠
٥- يهوذا عدد ٣؛ ٢تيموثاوس ١:١٤
٦- غلاطية ١:٨، ٩

يجب على كل المؤمنين إدراك أن البشارة الأبدية قد سُلِّمَت إليهم.[٧] وبصفتنا وكلاء، مسؤوليتنا هي حفظ هذه البشارة بلا إضافات، أو حذف، أو تعديل. يَعني تغيير الإنجيل بأي شكل من الأشكال أننا نأتي باللعنة على أنفسِنا، ونُسلِّم إنجيلًا فاسدًا للأجيال القادمة. لذلك أوصى الرسول بولس تيموثاوس الشاب أن يجتهد في الحق الذي اؤتمِن عليه، ووعده بأنه عندما يفعل ذلك سوف يُتمِّم خلاصه وخلاص الذين يسمعونه.[٨]

علينا نحن الذين قَبِلْنا الإنجيل اِلتزام مهيب بتسليم الإنجيل بكامل مِلئه ونقاوته الرسولية. وهذا الاِلتزام ليس تجاه الله فقط، بل تجاه جيلنا والأجيال القادمة أيضًا. أعلن الرسول بولس لكنيسة رومية أنه: «**مَدْيُونٌ لِلْيُونَانِيِّينَ وَالْبَرَابِرَةِ، لِلْحُكَمَاءِ وَالْجُهَلاَءِ.**»[٩] وبالمبدأ نفسه نحن أيضًا مدينون لكل البشر الأحياء الآن، ولأجيال قادمة لا حصرَ لها، وبدرجة أمانتنا تجاه الإنجيل سنكون نوراً مضيئًا في الظلام، ومصدر بركة للأجيال القادمة. وبدرجة عدم أمانتنا سنكون أعداء لصليب المسيح، وأحجار عثرة في الملكوت، ومذنبين بكسر سفينة إيمان الكثيرين.[١٠] وبصفتنا خدام الإنجيل، فالوديعة التي اؤتُمِنَّا عليها مخيفة بقدر ما هي رائعة. ومَن تراه أهلًا لمثل هذه الأمور؟ مَن مؤهل لمهمة كهذه؟[١١]

بعد معرفة جدية مسؤوليتنا وخطورتها، دعونا نجتهد أن نُقيم أنفسنا مُزَكِّين من الله، عاملين لا نخزى مُفَصِّلين كلمة الحق بالاِستقامة.[١٢] دعونا نقتدي بعزرا الكاتب الذي «**هَيَّأَ قَلْبَهُ لِطَلَبِ شَرِيعَةِ الرَّبِّ وَالْعَمَلِ بِهَا، وَلِيُعَلِّمَ إِسْرَائِيلَ فَرِيضَةً وَقَضَاءً.**»[١٣] ونتبع خُطوات الكاهن التقي الذي كرَّمَه الله من خلال النبي ملاخي:

٧- رؤيا يوحنا اللاهوتي ١٤:٦
٨- ١تيموثاوس ٤:١٥، ١٦
٩- رومية ١:١٤
١٠- فيلبي ٣:١٨؛ متى ١٣:٤١؛ ١تيموثاوس ١:١٩
١١- ٢كورنثوس ٢:١٦
١٢- ٢تيموثاوس ٢:١٥
١٣- عزرا ٧:١٠

«فَاتَّقَانِي، وَمِنِ اسْمِي ارْتَاعَ هُوَ. شَرِيعَةُ الْحَقِّ كَانَتْ فِي فِيهِ، وَإِثْمٌ لَمْ يُوجَدْ فِي شَفَتَيْهِ. سَلَكَ مَعِي فِي السَّلاَمِ وَالاستقامة، وَأَرْجَعَ كَثِيرِينَ عَنِ الإِثْمِ. لأَنَّ شَفَتَيِ الْكَاهِنِ تَحْفَظَانِ مَعْرِفَةً، وَمِنْ فَمِهِ يَطْلُبُونَ الشَّرِيعَةَ؛ لأنه رَسُولُ رَبِّ الْجُنُودِ.» [١٤]

تُعد الكرازة بإنجيل مختلف عن الذي سُلِّم للقديسين جريمة أسوأ من بقائنا صامتين، بينما يركض الضالون في هذا العالم بتهورٍ إلى الجحيم. ولهذا السبب علينا أن نهرب من إنجيل الحركة الإنجيلية المعاصرة المُخفَّف الذي شُكِّلَ حسب الثقافة، كما أنه إنجيلٌ منقوصٌ يسمح للبشر بالتمسُّك بشكل التقوى، بينما هم في الواقع يُنكرون قوتها، وكذلك يسمح للبشر أن يُعلنوا معرفتهم بالله بينما يُنكرونه بأعمالهم، ويدعون يسوع قائلين: "يا رب يا رب" بينما لا يفعلون مشيئة الآب.[١٥] ويلٌ لنا إن لم نُبشِّر بالإنجيل، بل وويل أعظم إن بشَّرنا به على نحوٍ غير صحيح![١٦]

إنجيل سُلِّم على نحو صحيح

يحوي ناموس العهد القديم الكثير من المحظورات فيما يخصُّ الاختلاطَ من أي نوع.[١٧] حين يختلط نوعان من أيِّ شيء معًا تبهُت مميزاتُهما ويُفقَد كلاهما. ويُمكن أن يُقال الأمر نفسُه عن الإنجيل الذي يُعد هو كل شيء في المسيحية وفي الكتاب المقدس، ولكن ليس كل ما في المسيحية أو الكتاب المقدس هو الإنجيل.[١٨] فالشفاء الجسدي، والزواج السليم، والعناية الإلهية، على الرغم من أنها أشياء قائمة على الإنجيل ومستمَدَّة منه، فإنها ليست هي الإنجيل.

من الخطر للغاية أن يظن الخادم أن كل ما يعظ به هو إنجيل يسوع المسيح، أو أن كل شيء في خدمته يُمكن دعوته خدمة الإنجيل الذي يُعد رسالة محددة جدًّا

١٤- ملاخي ٢:٥-٧
١٥- ٢تيموثاوس ٣:٥ ؛ تيطس ١:١٦ ؛ متى ٧:٢١
١٦- ١كورنثوس ٩:١٦
١٧- لاويين ١٩:١٩
١٨- إن الإنجيل هو الحق الجوهري والعظيم في المسيحية والكتاب المقدس.

في الكتاب المقدس، ويُعَرِّف النص التالي بوضوح وإيجاز رسالة الإنجيل: «**فَإِنَّنِي سَلَّمْتُ إِلَيْكُمْ فِي الأَوَّلِ مَا قَبِلْتُهُ أَنَا أَيْضًا: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ.**»[١٩]

نتعلم من كلمات بولس أن إنجيل يسوع المسيح يستند على عمودين كبيرين هما موته وقيامته. وتُعد الإشارة إلى دفنه أمراً مهمًّا لسببين. أولًا؛ لأن الكتاب المقدس تنبأ بموته، وكان يجب أن تتحقق النبوة،[٢٠] والثاني أنه يُثْبِتُ موته، ويضع أساسًا لقيامته وصعوده. فقد دُفِن لأنه مات حقًّا، وبما أن موتَه كان حقيقيًّا، فكذلك كانت قيامتُه.

بينما نتقدم في هذا الكتاب، سنتأمل أكثر في تلك الحقائق العظيمة الخاصة بالإنجيل، لكن هدفنا الوحيد الآن هو توضيح أن ما هو مطلوب مِنَّا ليس مجرد إعلان تلك الحقائق فقط، بل شرحها وتفسيرها أيضًا. عندما نعظ أو نُوصل الإنجيل بأي شكل من الأشكال، يُفضَّل أن نسأل أنفسَنا ما مقدار ما نُوصله حقًّا من محتواه الجوهري. يُمكن أن يستشهد الكثيرون من الذاكرة بثلاث حقائق من الإنجيل مذكورة في النص السابق تتمثل في أن يسوع مات ودُفِن وقام ثانيةً. ومع ذلك، كم منهم يفهم معنى هذه الأشياء؟ ولماذا يَندُر شرحُها من على المِنبر؟ ألعل لدينا نظرة دونية للإنجيل لدرجة أننا نعتقد أنه لا يستحق الشرح المفصَّل؟ أم لدينا نظرة سطحية للإنجيل لدرجة أننا نؤمن أنه لا يحتاج للتفسير؟ ربما نفترض ببساطة أن الجميع يفهمون الإنجيل ولا حاجة للشرح.

مكونات الإنجيل- الوعظ المحوري

تكمن قوة الكلمات في معناها. ليس من الكافي الاستشهاد حرفيًّا بمسائل معيَّنة من الإنجيل، بل علينا أن نجتهد لتفسيرها. لهذا السبب، على المبشِّر أن يكون كاتبًا

١٩- ١كورنثوس ١٥:٣، ٤
٢٠- إشعياء ٥٣:٩ ؛ متى ٢٧:٥٧-٦٠

أيضًا، وعلى الواعظ أن يكون معلمًا أيضًا. كما يجب أن يتضمن إعلاننا الجريء عن موت المسيح وقيامته شرحًا كتابيًّا مدروسًا وواضحًا لما تعنيه تلك الأمور بدقة! ستقدم التطبيقات الأربعة التالية برهانًا على هذا الاحتياج.

أولًا، تتطلب الكرازة بالإنجيل أن نُعلن بجسارة للبشر أن "المسيح مات من أجل خطاياهم". ومع أن الروح القدس بلا شك يستطيع أن يستخدم تلك الكلمات الخمس ليُخَلِّص أردأ الناس، لا أساس في الكتاب المقدس يجعلنا نفترض أن علينا ترك تلك الحقائق المهمة بلا تفسير.[٢١] لا يستطيع البشر أن يفهموا أهمية موت المسيح فَهمًا كافيًا إن لم يُدركوا خطيتهم. لذلك علينا أن نحاول أن نُعرِّفهم لا بطبيعة الخطية وطبيعتهم الآثمة فحسْب، بل أن نسعى جاهدين أيضًا لنُعلِّمهم طبيعة الله البارة، وردَّ فعلِه تجاه الخطية باختلاف أنواعها، وتباين فداحتها. يجب أن نفعل ذلك بتوازن بين الصراحة والعطف، بالطريقة نفسِها التي يسعى بها الطبيب الخبير أن يشرح للمريض طبيعة مرضه الخَطِرة؛ ليحثه على طلب علاج بلا تأجيل.[٢٢] ويُعَد هذا العمل التحضيري، أو "حِراثة القلب البشري" هو ضرورة مطلقة في الكرازة الحقيقية بالإنجيل. ينبغي تذكُّر أن موسى بعد إعلان الرب المهيب عن صفاته، «**أَسْرَعَ وَخَرَّ إِلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ**».[٢٣] كما أن بولس كُشِفَت خطيته، وهُدِم بِرُّه الذاتي، وقَبِل الإيمان بعد إعلان الله عن متطلبات الناموس البارة له.[٢٤]

ثانيًا، تتطلب الكرازة بالإنجيل أن نُخبر البشر بأن المسيح مات بحسب الكتب. وبرُغم أن هذا واحدٌ من أقوى الإعلانات في الكتاب المقدس، فتأثيره على القلب البشري يزداد أضعافًا؛ حيث تكشف الكرازة بالإنجيل، بدقة، عن حقائقه، وتجعل دلالاته معروفة. وهكذا علينا أن نُجاهد في الكتاب المقدس لنشرح للبشر طبيعة

٢١- رومية ١:١٦؛ ١كورنثوس ٢:٢؛ ٢تيموثاوس ١٥:٢

٢٢- ٢ تيموثاوس ٢٥:٢: «مُؤَدِّبًا بِالْوَدَاعَةِ الْمُقَاوِمِينَ، عَسَى أَنْ يُعْطِيَهُمُ اللهُ تَوْبَةً لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ»

٢٣- خروج ٨:٣٤

٢٤- رومية ٧:٩-١١

موت المسيح ودلالاته. لم يَمُت المسيح بسبب خطيتنا فحسب، بل بسبب طبيعة الله أيضًا؛ فالله عادل، ولا يُمكن أن يُبرِّر أو يعفو عن الشرير دون أن يُرضي أولًا متطلبات عدله. [٢٥] لم يَمُت المسيح فقط، بل أخذ أيضًا مكان شعبه، وحمل ذنبهم، وتحمَّل غضب الله، وسفك دَمَه.[٢٦] وقد تحققت العدالة الإلهية من خلال آلامه التي أرضت أيضًا غضب الله؛ حتى يكون الله بارًا ومبرِّرًا للذين يُؤمنون به.[٢٧]

يُعرِّف تقريبًا كلُّ عمل من أعمال اللاهوت الكلاسيكي عن صليب المسيح، تلك الحقائق ويُفسِّرها، من خلال عقائد مثل المصالحة، أو البديل العقابي، أو حَمْل الخطية، أو الكفارة، أو التكفير عن الذنب. ولا تُعد هذه العقائد مبالغًا فيها، أو غير ضرورية، أو يتعذر بلوغها، بل هى حقائق الإنجيل الجوهرية. ويجب الكرازة بها لكل البشر، المؤمنين وغير المؤمنين على حدٍّ سواء. ويستعير أولئك الذين يجادلون بأن تلك العقائد أعمق من أن يفهمها شخص عادي، لغة الباباوات القدامى الذين حرقوا الكتب المقدسة؛ لأنهم أعلنوا أن شعب الله كان جاهلًا جدًّا عن أن يقرأها!

ثالثًا، تتطلب الكرازة بالإنجيل أن نُخبر البشر أن يسوع قام من بين الأموات في اليوم الثالث. ومع ذلك، حتى يؤثر هذا الإعلان في إنسان القرن الحادي والعشرين، يجب أن نشرح أيضًا مغزى القيامة ودلالاتها. كما يجب إعلان أن القيامة إثبات علني من الله على بنوية يسوع الإلهية، وعلامة على أنه قَبِلَ عمل المسيح الفدائي نيابةً عن شعبه![٢٨] كما علينا شرح كيف أن القيامة تمثِّل أساسًا لصعود المسيح، ودليلًا على أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبناه نحن ربًّا ومسيحًا.[٢٩] ويجب المناداة بأن الله قد رفَّع يسوع جدًّا، وأعطاه اِسمًا فوق كل اِسم، لكي تجثو باِسم يسوع كل

٢٥- أمثال ١٧:١٥؛ خروج ٣٤:٦، ٧ ؛ رومية ٣:٢٣-٢٦
٢٦- عبرانيين ٩:٢٢
٢٧- إشعياء ٥٣:٤-٦,١٠
٢٨- رومية ١:٤؛ ٤:٢٥
٢٩- أعمال الرسل ٢:٣٦

ركبة، ويعترف كلُّ لسانٍ أنه رب.[٣٠] وعلينا أن نُنَبِّه البشر إلى أن قيامة المسيح لا تُثْبِت فقط أن العالم له مخلِّص، بل إن الكون له ملك سيحكم إلى أن يُجمع شعبُه، ويُوضَع أعداؤه موطِئًا لقدميه.[٣١] وسيأتي ثانيةً، وسيدين العالم بالعدل.[٣٢] لذلك، يجب أن يُميِّز كل البشر بغض النظر عن مكانتهم، بدايةً من الفقير المُعدَّم والملك على حدٍّ سواء، الابنَ، ويُكرِمونه؛ لئلا يغضب ويبيدهم في الطريق؛ لأن غضبه قد يتقد قريبًا، ومع ذلك طوبى لجميع المحتميين فيه![٣٣]

أخيراً، تتطلب الكرازة بالإنجيل أن نناشد البشر أن يأتوا للمسيح. ومع ذلك، فمناشدتُنا يجب أن تكون كتابية تمامًا كرسالتنا. علينا ألَّا نخفِّف من وصايا التوبة والإيمان العظيمة، ولا نُحَوِّلها -إلى ما لا يزيد عن تكرار لصلاة الخاطئ. يجب أن يفهم المستمعون أن التوبة هي تغيير الذهن الذي يشمل لا الفكر فقط، بل الإرادة والعاطفة أيضًا. يجب أن يفهموا أن طبيعة الإيمان المخلص هي «**الثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى وَالإِيقَانُ بِأُمُورٍ لاَ تُرَى**»، ويتيقنوا تمامًا أن ما وعد الله به في المسيح يسوع قادرٌ أن يفعله.[٣٤] علاوةً على ذلك، علينا أن نُرشد السامعين إلى البرهان على الإيمان. ويجب أن نُنبِّههم إلى أن التوبة الصادقة تُنتج ثمار التوبة، وأن الإيمان دون أعمال ميت.[٣٥] كما علينا أن نحثهم على أن يمتحنوا أنفسَهم ويفحصوها؛ ليعرفوا إن كانوا في الإيمان، وعليهم أن يجتهدوا ليجعلوا دعوتهم واختيارهم ثابتَيْن.[٣٦] علينا ألَّا نعظ البشر بإنجيل كتابي فحسب؛ بل نَلي ذلك بدعوة كتابية وتعليم سليم. كما يجب ألَّا نلقيهم إلى الأبدية وهم متعلقون فقط بصلاة الخاطئ، وكلمات التأكيد الواهية التي ترن في آذانهم!

٣٠- فيلبي ٢:٦-٩
٣١- لوقا ٢٠:٤١-٤٤؛ أعمال الرسل ٢:٣٤، ٣٥ ؛ عبرانيين ١٠:١٢، ١٣
٣٢- أعمال الرسل ١٧:٣١
٣٣- مزمور ٢:١٠-١٢
٣٤- عبرانيين ١١:١ ؛ رومية ٤:٢١
٣٥- متى ٣:٨؛ يعقوب ٢:١٤-٢٦
٣٦- ٢كورنثوس ١٣:٥ ؛ ٢بطرس ١:١٠

تُعد التفسيرات الموجزة المذكورة أعلاه مجرد نقطة في بحر إنجيل يسوع المسيح الذي لا يُسبر غوره بالكامل؛ إنه الإنجيل الذي نحن مسؤولون عن إعلانه للأمم. يجب أن نُخبر كل مخلوق بما فَعله المسيح، لكن علينا أيضًا أن نشرح معنى ذلك، وما عليهم فِعله استجابةً له. إن الإعلانات والكلمات التي تُكوِّنها مهمة، لكن فقط بحسب درجة تعريفها وتطبيقها بصورة سليمة. وهكذا هو الحال مع الإنجيل.

إنها المهمة العُظمى للمبشِّر المسيحي، أن يُعلن كمُنْذِر، ويُفسِّر ككاتب.[٣٧] والكتاب المقدس حافلٌ بأمثلةٍ كهذه. وجَّه فيلبسُ الخِصيَ الحبشي إلى المسيح من خلال تفسيره لنبوات إشعياء.[٣٨] وانفرد بريسكلا وأكيلا بأبلوس، وشرحا له طريق الرب بأكثر تدقيق.[٣٩] كما تقابل الرسول بولس مع اليهود في تسالونيكي على مدار ثلاثة سبوت متتالية، وجادَلهم من الكتب، «**مُوَضِّحًا وَمُبَيِّنًا أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ**».[٤٠] وأخيراً نرى المفسِّر الأعظم بينهم جميعًا، ربنا يسوع المسيح، الذي أظهر الله للإنسان في تجسُّده، وشرح الإنجيلَ لتلاميذه الحائرين على طريق عمواس: «**ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ**.»[٤١]

٣٧- في هذا النقاش "المبشِّر المسيحي" يُشير عمومًا لأي مسيحي يُبشِّر أو يُنادي بالإنجيل.
٣٨- أعمال الرسل ٨:٢٦-٣٥
٣٩- أعمال الرسل ١٨:٢٦
٤٠- أعمال الرسل ١٧:٣
٤١- يوحنا ١:١٨ كلمة «خبَّر» أصلها اليوناني exegéomai، الذي يَعني يَستخرج أو يَكشف تعليمًا أو حقًّا ما. لوقا ٢٤:٢٧ هنا كلمة «يُفسِّر» أصلها اليوناني diermeneúo، الذي يَعني كشف معنى شيء ما، وتفسيره، وشرحه.

الجــزء الثــاني

قوة الله للخلاص

«لأَنِّي لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ؛ لأنه قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ: لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ.»

(رومية ١: ١٦)

الفصل السادس

الإنجيل

«لأَنِّي لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ»

(رومية ١: ١٦)

قبل التأمُّل في جَرأة بولس في الكرازة بالإنجيل، علينا فهمُ شيءٍ عن الإنجيل الذي بشَّر به؛ لأن أحد المبادئ السليمة للتواصل هي تعريف المصطلحات قبل أية مناظرة أو مناقشة فِعلية. وذلك يُمهِّد الساحة، ويسمح لأولئك المشاركين، بمعرفة موقف الآخرين، أو ماذا يقصدون حين يتكلمون بعباراتٍ معينة. يُعرِّف الإنجيليون اليوم المصطلحات اللاهوتية عمومًا، بحيث لا نستطيع بعد ذلك الافتراض بأننا جميعنا نتحدث عن الأمر نفسِه، مع أننا نستخدم الكلمات ذاتها؛ وهذا حقيقي خاصة فيما يتعلق بالإنجيل.

الأمرُ الأول الذي يستحق وضعه في الاعتبار في النصِّ الكتابي السابق هو التعريف بالإضافة في عبارة "إنجيل **المسيح**". فلم يكن لبولس **إنجيلٌ** خاص به، إذ لم يكن إنجيلُه إنجيلًا بولسيًّا خلافًا لإنجيل بطرسي أو يوحناوي.[1] ومع أن شيئًا من شخصيات أولئك الرُسُل يَظهر جليًّا من خلال طريقة عرضهم، لكن الإنجيل الذي

١- الكلمتان **بطرسي** و**يوحناوي** تُشيران إلى الإنجيل الذي بشَّر به بطرس ويوحنا.

نادوا به كان واحدًا. لم يعرفوا شيئًا عن الكلمات المألوفة في عصرنا، التي تُشير إلى أشكال ونسخ ونكهات مختلفة للإنجيل، كما لو أنه يوجد أكثر من واحد.[٢]

ثانيًا، لم يُقدِّم بولس إنجيلًا خاصًّا لثقافة معينة. ولم يُبشِّر بإنجيل معين لليهود وبآخر للأمم. ورغم درايته بالفوارق الثقافية، واستخدامه للمداخل الفريدة الموجودة في كل ثقافة، لم يحدث تكييف لإنجيله حتى يلائم الثقافة، أو ليكون أقل عدوانية لها. في الواقع كانت عدوانية الإنجيل لكلٍّ من اليهود والأمم هي الشيء نفسُه الذي عَرَّض حياته للخطر الدائم. أشك أن الرسول بولس سيفهم الانشغال الشديد للإنجيلية المعاصرة بفهم دقيق لثقافة معينة، وتكييف رسالتها ومنهجياتها حتى تناسبها. كان بولس يفهم أن البشر من كل ثقافة يعانون في نهاية المطاف من المرض ذاته، وأنه لا توجد سوى رسالة واحدة قادرة أن تُخلِّصهم.

أخيراً، لم يكن لبولس إنجيل خاص بحقبة معينة في تاريخ العالم. حدثت بلا شك تغيُّرات هامة في الإمبراطورية الرومانية مع مرور كل عقد في حياة بولس، ومع ذلك، عِند مماته، بَشَّر بالإنجيل نفسه الذي بَشَّر به في بداية خدمته الرسولية قبل ذلك بعدة عقود. سنتفاجأ بلا شك من قناعة المسيحية المعاصرة بأن كل عقد يمر يجلب جيلًا جديدًا من البشر الذين يتطلبون عرضًا جديدًا أو مواءمة جديدة للإنجيل.

تشابهات بين تعاليم يسوع وبولس

يوضح الكتاب المقدس وجود تسلسل غير منقطع بين ما فعله يسوع ووصَّله لاتباعه، وما آمن به بولس وكرز به. وتصمد هذه الحقيقة أمام أدق فحص وتمحيص. في إنجيل يسوع، الله محبة. ويُشرق شمسه على الأشرار والصالحين

٢- الآراء المختلفة حول الإنجيل غالبًا ما تصنَّف على أنها أشكال مختلفة من الحق نفسه، أو أنها نظرة من زاوية مختلفة للحق نفسه، أو حتى التأكيد على جوانب مختلفة من الحق نفسه. وهذا لا يعترف بأن تلك الأشكال المختلفة هي في المجمل أناجيل مختلفة. فالإنجيل المُصلَح مختلف تمامًا عن إنجيل الروم الكاثوليك؛ إذ إن الإنجيل القائم على الإيمان في تناقض مباشر مع الإنجيل القائم على الأعمال؛ فالإنجيل الإنجيلي حقًا يقف متعارضًا مع الإنجيل المفرط في الكاريزماتية.

ويمطر على الأبرار والظالمين على حدٍّ سواء.[٣] وفي مِلء الزمان، قدَّم أعظم برهان على محبته بإرسال ابنه الحبيب؛ كي لا يهلك البشر، بل تكون لهم حياة أبدية به.[٤]

في إنجيل بولس، الله محبة. لم يترك نفسَه بلا شاهد لرحمته، لكنه يفعل خيراً لكل البشر، ويُعطيهم من السماء مطراً وأزمنة مثمرة، ويملأ قلوبهم طعامًا وسروراً.[٥] وفي مِلء الزمان، وصلت محبتُه لأوجِّها، حيث بذل ابنه ليموت عن عِرقنا الساقط، بينما كنا بعد خطاة عاجزين وأعداء لله.[٦]

في إنجيل يسوع، البشر أشرار ومستعبدون للخطية.[٧] وأشجار ردية تحمل أثماراً ردية.[٨] يكرهون نور إعلان الله، ولا يأتون إليه؛ لأنهم يخافون أن تُفضح أعمالُهم الشريرة.[٩] تمتلئ قلوبُهم بالأفكار الشريرة، والقتل، والزنى، والفسق، والسرقة، وشهادة الزور، والتجديف. وحتى أسمى الأخلاقيين بين البشر ليسوا سوى قبور مبيَّضة مليئة بعظام أموات.[١٠]

وَجَّه بولس التهم نفسَها إلى جنسنا الساقط: «**إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ.**»[١١] ليس بارٌّ، ليس ولا واحد. ليس مَن يفهم، ليس مَن يطلب الرب. الجميع زاغوا وفسدوا معا. ليس مَن يفعل الصلاح، ليس خوف الله أمام عيونهم.[١٢] ولذلك، لا يصلح الناموس سوى لإدانة البشر على خطيتهم، ويسحق رجاءهم في البر الذاتي، ويتركهم بلا عذر، ومعتمدين بالكامل على مراحم الرب.[١٣]

٣- متى ٥: ٤٥
٤- مرقس ١: ١٥؛ يوحنا ١٦:٣
٥- أعمال الرسل ١٧:١٤
٦- غلاطية ٤:٤؛ رومية ٦:٥-١٠
٧- متى ١١:٧؛ يوحنا ٣٤:٧
٨- متى ١٧:٧
٩- يوحنا ٢٠:٣
١٠- متى ٢٧:٢٣؛ ١٩:١٥
١١- رومية ٢٣:٣
١٢- رومية ١٠:٣-١٨
١٣- رومية ١٩:٣

في إنجيل يسوع، يقف كل البشر غير المؤمنين مدانين أمام الله، ويمكث غضبُه عليهم.[١٤] إن الجليليين الذين ماتوا على يد بيلاطس، والثماني عشر الذين سقط عليهم البرج في سلوام، لم يعانوا من تلك الأمور؛ لأنهم كانوا مذنبين أكثر من جميع الناس، بل بالأحرى يستحق جميع البشر المصير نفسَه، لكن الرحمة الإلهية وحدها هي التي تُنجِّيهم من هذا المصير. يستحق الجميع الموت تحت غضب الله، وسيموتون في حينه إن لم يتوبوا.[١٥] وفي إنجيل بولس، غضبُ الله مُعلَن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بإثمهم.[١٦] وأولئك المستمرون في قلبهم العنيد وغير التائب يذخرون لأنفسِهم غضبًا سيُستعلن في يوم الدينونة.[١٧]

في إنجيل يسوع، الصليب جوهر عمل الفداء وذروته. فقد كان من الضروري أن يتألم المسيح ويدخل إلى مجده.[١٨] ولذلك علَّم تلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم، ويتألم كثيراً ويُقتَل، وفي اليوم الثالث يقوم.[١٩] وقد أعلن في جثسيماني والجلجثة أن آلامه لن تقتصر على المعاملة السيئة التي تعرَّض لها من البشر أو الشياطين؛[٢٠] فعلى الصليب، شرب يسوع كأس غضب الله كاملةً، ومات إنسانًا متروكًا.[٢١]

في رسائل بولس، يظهر هذا الموضوع العظيم ذاته في كل صفحة. كرز بولس للناس بما استلمه، واعتبره ذا أهمية قصوى: أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دُفِنَ، وقام في اليوم الثالث حسب الكتب.[٢٢] وقد أثبت بولس بأدلة

١٤- يوحنا ٣:١٨, ٣٦
١٥- لوقا ١٣:١-٥
١٦- رومية ١:١٨
١٧- رومية ٢:٥
١٨- لوقا ٢٤:٢٦
١٩- متى ١٦:٢١
٢٠- جثسيماني هو البستان الذي صلَّى فيه يسوع، وقُبِض عليه ليلًا قبل صلبه، والجلجثة هي موقع الصليب وصلب المسيح.
٢١- لوقا ٢٢:٤٢ ؛ متى ٢٧:٤٦
٢٢- ١كورنثوس ١٥:٣-٤

عظيمة لا تُدحَض أن المسيح هو الذي حمل خطايا البشر، وصار لعنة، ومات تحت غضب الله كفارةً عن شعبه.[٢٣] وأعلن أن المسيح صُلِب مع أن هذا كان عثرة لليهود، وجهالة للأمم.[٢٤] لم يكن الصليب موضوعًا ثانويًا بالنسبة لبولس، بل كان كل شيء، إذ كان يأسره ويحصره باستمرار.[٢٥]

تدعو رسالة الإنجيل التي نادى بها يسوع للبشر إلى التوبة عن خطاياهم والإيمان.[٢٦] كما يَعد من يُلبُّون الدعوة بأن ينالوا حياةً أبدية.[٢٧] ويحذر الباقين من أنهم سيهلكون تحت غضب الله إن استمروا في حالة عدم التوبة وعدم الإيمان.[٢٨] وتقطع رسالة الإنجيل التي قدَّمها بولس الوعود، وتقدم التحذيرات نفسَها. وقد شهد الرسول بجدية لكلٍّ من اليهود واليونانيين عن الحاجة للتوبة إلى الله والإيمان بربنا يسوع المسيح. وأعلن أن الله أمَرَ كلَّ البشر في كل مكان أن يتوبوا، وحذَّرهم ألَّا ينخدعوا بكلام باطل؛ لأن غضب الله آتٍ على العصاة.[٢٩]

في إنجيل يسوع، دائمًا ما تصاحب التلمذة المخْلصة المكلِّفة الإيمانَ الحقيقي. كان يسوع كثيراً ما يغربل الجموع الغفيرة التي تبعته، ويطلب منهم مطالبَ جذرية: **«إنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا.»**[٣٠] حتى إنه حذَّر تلاميذه أنفسَهم: **«إنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنكر نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي، فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا.»**[٣١]

٢٣- ٢كورنثوس ٥:٢١؛ غلاطية ٣:١٠-١٣؛ رومية ٣:٢٣-٢٦
٢٤- ١كورنثوس ١:٢٣
٢٥- رومية ١:١؛ ٢كورنثوس ٥:١٤
٢٦- مرقس ١:١٥
٢٧- يوحنا ٥:٢٤
٢٨- لوقا ١٣:١-٥ ؛ يوحنا ٣:١٨-٣٦
٢٩- أعمال الرسل ٢٠:٢١؛ أفسس ٥:٦
٣٠- لوقا ١٤:٢٦
٣١- متى ١٦:٢٤-٢٥

تحوي رسالة الإنجيل التي نادى بها بولس مطالبَ التلمذة الجذرية ذاتها. وفيما يخص القداسة، حثَّ بولس المؤمنين أن يخرجوا من العالم ويعتزلوا.[٣٢] وفيما يخص البر، أوصى المؤمنين أن يعتبروا أنفسَهم أمواتًا عن الخطية، وأحياء لله كأدوات للبر.[٣٣] وفيما يخص الأمانة، شجَّعهم أن يتحملوا رغم الضيقات والاضطهادات الكثيرة التي ستأتي بالتأكيد على جميع الذين يُريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع.[٣٤]

يُعلِّم إنجيل يسوع البشرَ أن مجرد الإقرار بالإيمان، ليس دليلًا قاطعًا على الخلاص. وحذَّر يسوع أنه ليس كل من يقول "يا رب، يا رب" يدخل ملكوت السموات، بل مَن يفعل مشيئة أبيه الذي في السماء.[٣٥] وكان متشددًا في توضيح أن ثمر حياة الإنسان هي برهان الخلاص، وأن كل من لا يصنع ثمراً جيدًا سيُقطع ويُلقى في النار.[٣٦]

تحوي رسالة الإنجيل التي قدَّمها بولس التحذيرات الجَدية نفسِها. إذ يَنصح الذين أعلنوا الإيمان بالمسيح أن يفحصوا ويمتحنوا أنفسَهم؛ ليتأكدوا مما إذا كانوا حقًّا في الإيمان.[٣٧] وحذَّر البشرَ من أن تكون لهم صورة التقوى، ولكنهم منكرون قوتها، ويُعلنون أنهم يعرفون الله بينما يُنكرونه بأعمالهم.[٣٨]

أخيراً، يزخر إنجيل يسوع بالتحذيرات من الدينونة المستقبلية وأهوال الجحيم. وفي الواقع، تكلم يسوع عن هذا الموضوع المروِّع أكثر من كل الأنبياء والرسل مجتمعين. ووفقًا ليسوع، سيأتي يوم الدينونة العظيم حين يُفرزُ البشر خرافًا وجداء، وسيسمع جَمعٌ عظيم: «**اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ**

٣٢- ٢كورنثوس ٦:١٤-١٨
٣٣- رومية ٦:١١-١٤
٣٤- أعمال الرسل ١٤:٢٢؛ ٢تيموثاوس ٣:١٢
٣٥- متى ٧:٢١
٣٦- متى ٧:١٦, ١٩-٢٠
٣٧- ٢كورنثوس ٥: ١٧
٣٨- ٢تيموثاوس ٣:٥؛ تيطس ١:١٦

وَمَلاَئِكَتِه.»[٣٩] كان الأمرُ مصيريًّا جدًّا بالنسبة ليسوع، حتى إنه أطلق التحذيرات التالية لأولئك الذين اعتبرهم أصدقاءه: «**وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ يَا أَحِبَّائِي: لاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ، وَبَعْدَ ذلكَ لَيسَ لَهُمْ مَا يَفْعَلُونَ أَكْثَرَ. بَلْ أُرِيكُمْ مِمَّنْ تَخَافُونَ: خَافُوا مِنَ الَّذي بَعْدَمَا يَقْتُلُ، لَهُ سُلْطَانٌ أَنْ يُلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ. نَعَمْ، أَقُولُ لَكُمْ: مِنْ هذَا خَافُوا!**»[٤٠]

تتَّفِقُ رسالة إنجيل الرسول بولس مع المسيح في قضية الدينونة والجحيم. فقد كتب أن الأشرار يذخرون لأنفسِهم غضبًا سيُعلن في يوم دينونة الله وغضبه العادلَيْن.[٤١] كما يحذر المؤمنين وغير المؤمنين على حدٍّ سواء ألّا ينخدعوا بالكلام الباطل مِن الذين يُنكرون الواقع القادم، أي العقاب والغضب الإلهيَّيْن. فالله لا يُستَهْزأُ به. ما يزرعه العاصي سوف يحصده.[٤٢] كان بولسَ مثله في ذلك مثل المسيح– صريحًا ولا يلتمس العذر لأحد في تحذيراته: «**عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ الرَّبِّ يَسُوعَ مِنَ السَّمَاءِ مَعَ مَلاَئِكَةِ قُوَّتِه، فِي نَارِ لَهِيبٍ، مُعْطِيًا نَقْمَةً لِلَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ الله، وَالَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِينَ سَيُعَاقَبُونَ بِهَلاَكٍ أَبَدِيٍّ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ وَمِنْ مَجْدِ قُوَّتِهِ**».[٤٣]

يتضح جليًّا من النص الذي تأملنا فيه للتو عدم وجود تناقض بين إنجيل يسوع المسيح والإنجيل الذي بشَّرَ به بولس وعرَّفَه في رسائله. وعلى المنوال نفسه، اتفق تمامًا موسى والأنبياء وكُتَّابُ الأناجيل الأربعة والمشاركون الآخرون في العهد الجديد مع المسيح فيما يلي: «**الإِيمَانِ الْمُسَلَّمِ مَرَّةً لِلْقِدِّيسِينَ.**»[٤٤] لا يوجد سوى إنجيل واحد يعلو فوق المحرِّر والرقيب، ويجب عدم تغييره أو تكييفه أو إعادة تجميعه. وأيَّة محاولة لفعل هذا، بغض النظر عن السبب أو الدافع، ستُثمر عن

٣٩– متى ٢٥:٤١
٤٠– لوقا ١٢:٤–٥
٤١– رومية ٢:٥
٤٢– غلاطية ٦:٧ ؛ أفسس ٥:٦
٤٣– ٢تسالونيكي ١:٧–٩
٤٤– يهوذا ٣

إنجيل مختلف، ليس إنجيلًا على الإطلاق.[٤٥] علينا أن نطرح جانبًا كل فكرة حمقاء ومتهورة تقول إن بإمكاننا إجراء تعديلات على الإنجيل لمصلحة الإنجيل، وأن نقف مع سحابة الشهود العظيمة عبر كل تاريخ الكنيسة، الذين بشَّروا بالمسيح مصلوبًا وقائمًا من بين الأموات بحسب الكتب.

٤٥- غلاطية ١:٦-٧

الفصل السابع

إنجيلٌ مُخزٍ

«لأَنِّي لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ.»

(رومية ١: ١٦)

الآن بعد فَهمِنا لرسالة الإنجيل الذي بشَّر به الرسول بولس فَهمًا عامًا، يُمكننا البَدء في فهم شيء عن سبب وجود مثل هذا الازِدراء والعدائية بين أولئك الذين سمعوه. ومع أن الإنجيل هو قوة الله للخلاص لكل من يؤمن، فإنه رسالة مُخزية وغير قابلة للتصديق بالنسبة للعالم الساقط.

الإنجيل حصري وجَذري

كان لبولس، من ناحية الجسد، كل الأسباب التي تجعله يستحي من الإنجيل الذي بشَّر به؛ لأنه كان يُناقَض كلَّ ما هو حق ومقدَّس بحسب اِعتقاد معاصريه. وكان الإنجيل يمثل لليهود أسوأ أنواع التجديف؛ لأنه يدَّعى أن الناصري الذي مات ملعونًا في الجلجثة هو المسيا. كما كان لليونانيين أسوأ ضروب السخافة؛ لأنه ادّعى أن هذا المسيا اليهودي هو الله الظاهر في الجسد. ومِن ثمَّ كان بولس يعرف أنه كلما فتح فاه ليتكلم بالإنجيل، سيرفَضونه تمامًا، ويَسخَرون منه لدرجة الاِحتقار، ما لم يتدخل الروح القدس، ويتحرك في قلوب وأذهان سامعيه. وفي أيامنا الحالية،

لا يُواجه هذا الإنجيل الأول[١] اِزدراءً أو عدائيةً أقل؛ لأنه لا يزال يناقض كلَّ معتقد أو "مذهب" تابع للثقافة المعاصرة، مثل النسبية،[٢] والتعددية،[٣] ومذهب الإنسانية.[٤]

نعيش في عصر من النسبية، والذي يُعد نظامًا إيمانيًّا يستند على اليقين المطلق بأنه لا يوجد شيء مطلق. إننا برياء نُشيد بالبشر لسعيهم للحق، لكننا نطالب بالإعدام العلني لأي شخص معتدّ بنفسِه يُعلن أنه قد وجد الحق. فنحن نحيا في عصر مظلم فرضناه على أنفسِنا، والسبب واضح: أن الإنسان الطبيعي كائن ساقط، وفاسد أخلاقيًّا، ومصّمم على الاستقلالية (أي: الحكم الذاتي). ويكره الله؛ لأن الله بار، ويكره شرائعه؛ لأنها توبّخ شرَّه وتقيده. ويكره الحق؛ لأنه يفضح حقيقته، ويُكدِّر ما تبقى لديه من ضمير. لذلك يحاول الإنسان الساقط إبعاد الحقيقة عنه قدر الإمكان، وخاصة الحقيقية عن الله. ويتحرك إلى أقصى حد ليقمع الحق إلى درجة الادعاء بأنه غير موجود أصلًا، حتى إن كان موجودًا، فلا يُمكن أن يكون معروفًا، أو له أي تأثير على حياتنا. لم تكن القضية قط قضية إله مختبئ، بل قضية إنسان مختبئ. وليست المشكلة مشكلة الفكر بل الإرادة. فمثل النعامة التي تدفن رأسها في الرمل لتتجنب ثوراً ضخمًا مندفعًا تجاهها، يُنكر الإنسان المعاصر حقيقة وجود إله بار، والثوابت الأخلاقية؛ على أمل تسكين ضميره، وطرد الدينونة التي يعلم أنه لا مفرَ منها، من ذهنه. إن الإنجيل المسيحي هو فضيحة للإنسان ولثقافته؛ لأنه يَفعل الأمر الوحيد الذي يُريد الإنسان أن يتجنبه بشده، حيث يُوقظه من غفوته التي فرضها على نفسِه؛ حتى ينتبه إلى حقيقة حالته الساقطة والمتمردة، ويدعوه ليرفض الاستقلالية، وليخضع لله بالتوبة والإيمان بيسوع المسيح.

١- مصطلح الإنجيل الأول يُشير إلى إنجيل القرن الأول الذي بشَّر به يسوع والرسل.
٢- مذهب النسبية هو الاعتقاد بأن المعرفة والحق والأخلاق ليسوا مطلقين، بل يُوجدون ويَتغيرون في اِرتباط بالثقافة أوَ المجتمع أو السياق التاريخي. «المترجم»
٣- مذهبَ التَعددية هو الاعتقاد بوجود أكثر من حقيقة واحدة مطلقة. «المترجم»
٤- مذهب الإنسانية هو الاعتقاد بأن البشر يُمكنهم العيش بالاعتماد على ذكائهم ومنطقهم، عوضًا عن الاعتماد علَى إله أو دين، وهو أيضًا النظرة، أو النظام العقلاني الذي يُعطي للإنسان الأهميَة القصوى عِوضًا عن الإله أو القوى الفائقة الطبيعة. «المترجم»

إننا نعيش في عصر التعددية، الذي يُعد نظامًا إيمانيًا يضع نهاية للحق بإعلان أنَّ كل شيء حق، خاصةً فيما يتعلق بالدين. قد يكون صعبًا على المؤمنيين المعاصرين فهمُه، لكن تعرَّض المؤمنون الذين عاشوا في القرون الأولى من الإيمان إلى التشويه والاضطهَاد كملحدين. حيث كانت الثقافة المحيطة بهم منغمسة في الإيمان بوجود إله. كما كانت صور وتماثيل الآلهة في كل مكان، وكان الدين عملًا مزدهراً.[٥] لم يتسامح البشر مع آلهة الآخرين فحسب، بل تبادلوهم وتشاركوهم أيضًا. وكان العالم المتديِّن بأكمله متناغمًا، حتى ظهر المسيحيون وأعلنوا: «**إِنَّ الَّتِي تُصْنَعُ بِالأَيَادِي لَيْسَتْ آلِهَةً.**»[٦] فأنكروا على القياصرة الإجلال الذي طالبوا به، ورفضوا أن يحنوا ركبة لكل الآخرين المدعوين آلهة، واعترفوا بيسوع وحده ربًّا للكل.[٧] ونظر العالم بأسره لذلك على أنه غطرسة سافرة، وقرر أن يردَّ بشراسة على هذا النوع من عدم تسامح المسيحيين مع التسامح.

يتكرر السيناريو ذاته كثيراً في عالمنا اليوم. فنحن نسمع، ضد كل منطق، أن كل وجهات النظر فيما يخص الدين والأخلاق صحيحة مهما اختلفت وتناقضت جذريًا مع بعضها البعض. ويُعد أكثر الجوانب الساحقة في كل هذا أنه من خلال مجهودات الإعلام والعالم الأكاديمي التي لا تَكِل، أصبحت هذه وجهة نظر الغالبية. ومع ذلك، لا تعالج التعددية القضية ولا تشفي المرض، بل تخدِّر المريض فحسب، حتى لا يعود يشعر أو يفكر. ويرى البعض بأن الإنجيل فضيحة؛ لأنه يوقظ الإنسان من غفوته، ويرفض أن يَدعه يستند على أساس غير منطقي كهذا، إذ يجبره أن يصل لاستنتاج «**حَتَّى مَتَى تَعْرُجُونَ بَيْنَ الْفِرْقَتَيْنِ؟ إِنْ كَانَ الرَّبُّ هُوَ اللهَ فَاتَّبِعُوهُ، وَإِنْ كَانَ الْبَعْلُ فَاتَّبِعُوهُ.**»[٨]

٥- أعمال الرسل ١٩:٢٧
٦- أعمال الرسل ١٩:٢٦
٧- رومية ١٠:٩
٨- ١ملوك ١٨:٢١

إنَّ الإنجيلَ الحقيقي حصريٌّ جذريًّا، فيسوع ليس **طريقًا**، بل هو **الطريق**، وكل الطرق الأخرى ليست بطرق على الإطلاق. إن خَطَت المسيحية خُطوة واحدة صغيرة تجاه المزيد من التسامح العالمي، واستبدلت أداة التعريف "**ال**" بالتنكير، ستنتهي الفضيحة، وتُصبح المسيحية والعالم أصدقاء. غير أنه حين يحدث ذلك لن تكون المسيحية مسيحيةً، وسيُنكر المسيح، وسيكون العالم بلا مُخلِّص.

إننا نعيش في عصر الحركة الإنسانية. وعلى مر العقود العديدة الماضية حارب الإنسان؛ ليمحو الله من ضميره وثقافته. وقد هدم كلَّ مذبح مرئي للإله الواحد الحقيقي، وشيَّد نُصبًا تذكارية لنفسِه بغيرة شخص متعصب لدينه. ونجح في أن يجعل نفسَه المركز، والمعيار، والهدف لكل الأشياء. وصار يمجِّد قيمته المتأصِّلة، ويُطالب بالثناء على اِعتداده بذاته، وصار يعزِّز تحقيق ذاته؛ باِعتباره الخير الأعظم. ويُفسِّر ضميره المنزعج بأنه بقايا ديانة عتيقة من الشعور بالذنب، ويُبرِّر نفسَه من أية مسؤولية على الفوضى الأخلاقية المحيطة به، بإلقاء اللوم على المجتمع، أو على الأقل على ذلك القطاع من المجتمع الذي لم يبلغ استنارته بعد. وأي تلميح بأن ضميره قد يكون محقًّا في شهادته ضده، أو أنه قد يكون مسؤولًا عن مختلَف الأمراض غير المحدودة في العالم، هو أمر غير وارد في تفكيره. ولهذا السبب، الإنجيل هو فضيحة للإنسان الساقط؛ لأنه يفضح أوهامه عن نفسِه، ويُوَبِّخه على حالته الساقطة وذنبه. وهذا هو العمل الأساسي الأول للإنجيل، ولهذا السبب يبغض العالَمُ بشدة الكرازة الحقيقية بالإنجيل. وتُفسد هذه الكرازة اِحتفال الإنسان، وتُمطر على موكبه، وتفضح اِدعاءاتِهِ التي صنعها، وتكشف عن أن الإمبراطور لا يلبس شيئًا.[٩]

٩- يُحكى أن خيَّاطًا مخادعًا قال لإمبراطور إنه صنع له ثيابًا مسحورة لا يراها سوى الحكماء؛ ولأن الإمبراطور لم يَرِد أن يبدو غير حكيم ادَّعى أنه يرى الثياب وكذلك حاشيته ادَّعوا الأمر نفسَه، وكل البلدة، حتى وقف طفل وقال: "لكن الإمبراطور لا يرتدي ثيابًا." فانفتحت عيون الجميع واكتشفوا أنها خدعة. "المترجم"

يُقِّر الكتاب المقدس بأن إنجيل يسوع المسيح "حجر عثرة" و"جهالة" لكل البشر في كل عصر وثقافة.[١٠] ومع ذلك، فمحاولة محو الفضيحة من الرسالة يَعني إبطال صليب المسيح وقوته المخلِّصة.[١١] ويجب فهم أن الإنجيل ليس فاضحًا فقط، بل من المفروض أن يكون فاضحًا! اختار الله من خلال جهالة الإنجيل أن يُبيد حكمة الحكماء، ويُبطل ذكاء أعظم العقول، ويذل كبرياء كل البشر؛ حتى لا يفتخر أيُّ جسد في محضره.[١٢] كما هو مكتوب: «**مَنِ افْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ**».[١٣]

لم يناقض إنجيل بولس دين وفلسفة وثقافة عصره فقط، بل أعلن الحرب عليهم. ورفض عقد أي هدنة أو معاهدة مع العالم، ولم يقبل بشيء أقل من استسلام الثقافة المُطْلق لربوبية يسوع المسيح. وسنفعل حسنًا إن حذونا حذو بولس. يجب أن نكون حذرين، ونهرب من كل إغراء لتطويع إنجيلنا مع ميول هذا العصر ورغبات الجسديين. ليس لنا حق أن نخفف هجومه، أو نجعل مطالبه الجذرية أكثر ملاءمة للتمدُّن؛ كي نجعله أكثر جاذبية لعالم ساقط، أو لأعضاء كنيسة جسديين.

تملك كنائسنا العديد من الاِستراتيجيات لتكون مريحة وودودة تجاه جمهورها أو طالبيها، عن طريق تقديم الإنجيل في عبوة جديدة، وإزالة حجر العثرة، ونزع الطرف الحاد من النصل؛ حتى يكون مقبولًا أكثر من الجسديين! ينبغي أن نراعي الكياسة مع مرتادي الكنيسة، لكن ينبغي أيضًا أن نُدرك أن الله هو الوحيد الذي يسعى حقًا في هذه العلاقة. وإن كنا نسعى بشدة لتكون كنسيتُنا ورسالتُنا ملائمتين، فلنجعلهما ملائمتين لله. وإن كنا نسعى لبناء كنيسة أو خدمة فلنبنيهما بالشوق إلى تمجيد الله، وبالرغبة في عدم إهانة جلاله. لن نعبأ بما يظنه العالم بنا؛ فنحن لا نسعى لمظاهر الحفاوة الأرضية، بل نتوق للمجد السماوي.

١٠- اكورنثوس ١:٢٣
١١- اكورنثوس ١:١٧، ٢٣
١٢- اكورنثوس ١:١٩- ٢٠، ٢٩
١٣- اكورنثوس ١:٣١

إنجيل غير قابل للتصديق

كما حاولنا أن نبرهن سابقًا، كان لبولس، من حيث الجسد، كل الحق ليستحي بالإنجيل الذي بشَّر به؛ لأنه كان مناقضًا تمامًا لكل ما سلَّم المعاصرون بصحته، واعتبروه حقًّا ومقدسًا. ومع هذا، لا يزال يوجد سبب آخر للخزي الجسدي. يبدو الإنجيل، بلا ريب، رسالة غير قابلة للتصديق، وكلماته مثيرة للسخرية لحكماء هذا العالم.

نفشل أحيانًا كمؤمنين في إدراك كم هو أمرٌ مذهل تمامًا حين يُؤمن أيُّ شخص برسالتنا حقًا. بمعنى أن تصديق الإنجيل هو أمر بعيد الاحتمال وصعب، حتى إن انتشاره في أرجاء الإمبراطورية الرومانية هو دليل على طبيعته الخارقة. ما الذي يُمكن أن يجعل أميًّا جاهلًا تمامًا بأسفار العهد القديم، ومتأصِّلًا في الفلسفة اليونانية أو الخرافات الوثنية، يُؤمن برسالة كهذه عن إنسانٍ اِسمُه يسوع؟

- وُلِد يسوع في ظل ظروف تثير الشكوك، من عائلة فقيرة في إحدى أكثر المدن اِحتقاراً في الإمبراطورية الرومانية، **ومع ذلك** يَدَّعي الإنجيل أنه اِبن الله السرمدي، الذي حُبِل به بالروح القدس في رحِم عذراء يهودية.
- كانت مهنته النجارة، وكان معلمًا دينيًّا متجولًا دون تدريب رسمي، **ومع ذلك** يدَّعي الإنجيل أنه فاق حكمة كل الفلاسفة اليونانيين والحكماء الرومانيين في الماضي مجتمعين.
- كان فقيراً ولم يكن له مكانٌ ليسند رأسه، **ومع ذلك** يدَّعي الإنجيل أنه لثلاث سنوات أطعم الآلاف بكلمة، وشفى كل أنواع المرض بين البشر، حتى إنه أقام الموتى.
- صُلِب خارج أورشليم كمجدِّف وعدوٍ للدولة، **ومع ذلك** يدَّعي الإنجيل أن موتَه كان هو الحدث المحوري في تاريخ البشر كله، وأنه الوسيلة الوحيدة للخلاص من الخطية، والمصالحة مع الله.

- دُفن في قبر مقترَض، **ومع ذلك** يدَّعي الإنجيل أنه في اليوم الثالث قام من بين الأموات، وأظهر نفسَه للعديد من أتباعه. وبعد أربعين يومًا صعد إلى السماء، وجلس عن يمين الله.
- وبالتالي يدَّعي الإنجيل أن نجاراً يهوديًا فقيراً قد رفضَه شعبُه كمختل العقل ومُجدِّف وصلبته دولته، هو الآن مخلِّص العالم، وملك الملوك ورب الأرباب. ولاِسمه ستسجد كل ركبة بما في ذلك ركبتيّ قيصر.

كيف يُمكن لأحد على الإطلاق أن يصدق رسالة كهذه إلّا بقوة الله؟ لا تفسير آخر لذلك. لم يكن الإنجيل ليستطيع أن يخرج من أسوار أورشليم، ناهيك عن أن يخرج من الإمبراطورية الرومانية، وإلى كل أمم العالم، لولا أن الله اختار أن يعمل من خلاله. لو اعتمدت الرسالة على القدرات التنظيمية أو البلاغة أو القوة الدفاعية لوعَّاظها لماتت عِند ولادتها. إن كل الإستراتيجيات الكرازية والإرساليات في العالم، وكل خطط التسويق المستعارة من شوارع المال والبورصة لا يُمكنها البتة نشر رسالة حجر العثرة هذه.

تبعث هذه الحقيقة على التشجيع والتحذير على حدٍّ سواء، لمَن حاولوا مِنَّا نشر الإيمان الذي آمنا به. أولًا، إنها تشجيع لنا حتى نَعْلم أن الإعلان البسيط والأمين عن الإنجيل سيضمن انتشاره وتقدُّمَه المستمر في العالم. ثانيًا، إنها تحذير لنا حتى لا نستسلم لكذبة أنه يُمكننا نشر الإنجيل بذكائنا اللامع، أو بلاغتنا أو إستراتيجياتنا الماهرة. لا تمتلك مثل هذه الأشياء القدرة على تحقيق الإيمان "المستحيل" داخل البشر.[١٤] علينا أن نلقي بأنفسنا بإلحاح مغلَّف بالرجاء على الوسيلة الكتابية الوحيدة لتقديم الإنجيل وهي الإعلان الجريء والواضح للرسالة التي لا نستحي بها؛ لأنها «**قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ**».[١٥]

١٤- اكورنثوس ١:١٧-٢٥
١٥- رومية ١:١٦

نعيش في عصر غير مؤمن وشكَّاك. وتَسخر ثقافتُه من إيماننا كأنه أسطورة مستحيلة، ويروننا إمَّا متعصبين ضيقي الفكر، أو ضحايا ضعيفي العقل لخدعة دينية. وكثيراً ما يضعنا مثل هذا الهجوم في موقع الدفاع، فنحاول أن نرد الهجوم، ونُثْبِت موقفنا وقريننتا بالدفاعيات. ومع أن بعض أشكال هذا الفرع من المعرفة مفيدة جدًّا وضرورية، علينا إدراك أن القوة لا تزال تكمن في المجاهرة بالإنجيل. لا يُمكن إقناع إنسان بأن يُؤمن مثلما نعجز عن إقامة الموتي. فأمور كهذه هي عمل روح الله. ولا يأتي الناس للإيمان إلَّا بعمل الله الفائق للطبيعة، والله وعد بأن يعمل، لا من خلال الحكمة البشرية أو الخبرات الفكرية، بل من خلال الكرازة بالمسيح مصلوبًا ومُقامًا من بين الأموات![١٦]

علينا اِستيعاب حقيقة أن إنجيلنا هو رسالة غير قابلة للتصديق. ويجب ألَّا نتوقع أن يُصغي أحد إلينا، ناهيك عن أن يؤمن، بمعزل عن العمل الكريم والقوي الذي يعمله روح الله. كم أن كل كرازتنا ميئوسة بمعزل عن قوة الله! وكم هو عظيم اِعتماد الكارز على الله! فكل كرازتنا ليست سوى مهمة مستحيلة إلَّا إذا تحرك الله في قلوب البشر. ومع ذلك، وعد الله أن يفعل هذا بعينه إن كنا أمناء في الكرازة بتلك الرسالة الفريدة التي لها القوة للخلاص، وهي رسالة الإنجيل!

١٦- ١كورنثوس ١:٢٢-٢٤

الفصل الثامن

إنجيـــل قـــوي

«لأَنَّهُ قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ»

(رومية ١: ١٦)

يُعَد العجز المطلق للإنسان عن تخليص نفسه من خطيته ودينونتها موضوعًا ثابتًا في الكتاب المقدس. أعلن أيوب: «**وَلَوِ اغْتَسَلْتُ فِي الثَّلْجِ، وَنَظَّفْتُ يَدَيَّ بِالإِشْنَانِ، فَإِنَّكَ فِي النَّقْعِ تَغْمِسُنِي حَتَّى تَكْرَهَنِي ثِيَابِي.**»[1] كما ناح كاتب المزمور لأن خطيته أمامه دائمًا، وصرخ كذلك الرسول بولس في يأس: «**وَيْحِي أَنَا الإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هذَا الْمَوْتِ؟**»[2]

يُعتبر عجْز الإنسان، وعدم قدرته على تخليص نفسه، على الإطلاق، أحد أحلك الحقائق في الكتاب المقدس. ومع ذلك، تخدم هذه الحقيقة غرضًا أسمى للإنسان المتواضع، ولتعظيم قوة الإنجيل للخلاص. في رسالة الرسول بولس إلى أهل رومية، أعلن أن المسيح قد مات من أجل الفجّار بسبب ضعف الإنسان، وعجزه المطلق عن إنقاذ نفسه.[3] لو تُرِك الأمر للإنسان لن يَخلُص. لكن الله لم يترك الإنسان لنفسه، بل دبَّرَ له وسيلة خلاص بإنجيل ابنه! فغير المستطاع عند

١- أيوب ٩: ٣٠-٣١

٢- مزمور ٥١: ٣؛ رومية ٧: ٢٤

٣- رومية ٥: ٦. إن كلمة ضعفاء أو عاجزين مشتقة من الأصل اللاتيني asthenés، الذي يَعني واهن وضعيف وعاجز، وبلا قوة.

البشر مستطاع عِند الله.[٤] فالله هو القادر على الخلاص، ويُمكنه أن يخلص إلى المنتهى.[٥]

قوة الله في الإنجيل

يزخر الكتاب المقدس ببراهين على قدرة الله. فقد خلق الله العالم بكلمة.[٦] وهو الَّذِي يُخْرِجُ بِعَدَدٍ جُنْدَهَا، يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ؟ لِكَثْرَةِ الْقُوَّةِ وَكَوْنِهِ شَدِيدَ الْقُدْرَةِ لاَ يُفْقَدُ أَحَدٌ.[٧] وبريح أنفه يفصل البحر.[٨] الجبال ذابت تحته مثل الشمع أمام النار مثل الماء المنصب في منحدر.[٩] ويلعب مع حوت اللوياثان كما يلعب مع العصفور.[١٠] وَهُوَ يَفْعَلُ كَمَا يَشَاءُ فِي جُنْدِ السَّمَاءِ وَسُكَّانِ الأَرْضِ، ولاَ يُوجَدُ مَنْ يَمْنَعُ يَدَهُ أَوْ يَقُولُ لَهُ: مَاذَا تَفْعَلُ؟.[١١] هكذا هي قوة الله، ومع ذلك، لا شيءَ من تلك البراهين على القدرة الإلهية يُمكن أن يُقارَن بتلك القوة المعلنة في إنجيل يسوع المسيح.

يُشير بولس إلى الإنجيل بأنه قوة الله. وتُترجم هذه الكلمة من الكلمة اليونانية (dunamis). ومع أن الكلمة ذاتها ليست استثنائية، فإن معناها استثنائيٌّ في سياق الكتاب المقدس. هنا يستند بولس بلا شك إلى الإشارات التي لا حصرَ لها في العهد القديم لقوة الله التي تجلَّت في إنقاذ شعبه. حيث أخرج اللهُ إسرائيلَ من أرض مصرَ بقوة عظيمة وذراع قديرة.[١٢] وأقام فرعون ليُريه قوته، وليُخبِر باسمِهِ في كل

٤- مرقس ١٠:٢٤-٢٧

٥- إشعياء٦٣:١. «مَنْ ذَا الآتِي مِنْ أَدُومَ، بِثِيَابٍ حُمْرٍ مِنْ بُصْرَةَ؟ هذَا الْبَهِيُّ بِمَلاَبِسِهِ، الْمُتَعَظِّمُ بِكَثْرَةِ قُوَّتِهِ. «أَنَا الْمُتَكَلِّمُ بِالْبِرِّ، الْعَظِيمُ لِلْخَلاَصِ». عبرانيين ٧:٢٥ «فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضاً إِلَى التَّمَامِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ.»

٦- تكوين ١:٣؛ عبرانيين ١١:٣

٧- إشعياء ٤٠:٢٦

٨- خروج ١٥:٨

٩- ميخا ١:٤

١٠- أيوب ٤١:٥

١١- دانيال ٤:٣٥

١٢- خروج ٣٢:١١؛ تثنية ٩:٢٩؛ ٢ملوك ١٧:٣٦؛ نحميا ١:١٠؛ مزمور ٧٧:١٤-١٥

الأرض.[١٣] وأنقذ شعبَه من أجل اسمه ليُعَرِّف بجبروته.[١٤] وأخيراً ذَكَّر إسرائيلَ مرةً بعد مرة أن خلاصَهم لم تكن له أية عَلاقة بقوتهم، بل هو مرتبط بالكامل بقُوَّته.[١٥]

في الأصحاح الأول من رسالة رومية، ذُكِرت كلمة (dunamis) في موضعين بخلاف العدد ١٦. في بداية الأصحاح، حيث تُشير للقوة التي أقامت يسوع من بين الأموات، وأثبتت بنوته.[١٦] ثم نجدها تُشير لاحقًا إلى القوة؛ باعتبارها صفةً من صفات الله التي تجلَّت في خلق الكون والحفاظ عليه.[١٧] وكلاهما يُعد من أعظم البراهين على قدرة الله الكلية في الكتاب المقدس. ومع ذلك، يقف الإنجيل على قدَّم المساواة معهما؛ لأنه قوة الله لخلاص البشر، والخلاص الذي لا يتضمن إنقاذهم من دينونة الخطية فحسب، بل يشمل قيامتهم الروحية أيضًا كخليقة جديدة، والحفاظ المستمر عليهم أو تقديسهم.

من المفيد أن نطرح سؤالين على أنفسِنا فيما يتعلق بقوة الإنجيل. أولًا: "هل نُدرك القوة العظيمة المطلوبة لخلاص الخطاة؟" فالخلاص ليس عملًا سهلًا؛ إنه أمر مستحيل للجميع عدا الله.[١٨] وهذا يرجع لحالة البشر الساقطة والفساد الأخلاقي. يُعلِّمنا الكتاب المقدس أن صورة الله في الإنسان قد تشوَّهت تمامًا، وأن الفساد الأخلاقي قد لوَّث كيانه بالكامل.[١٩] لذلك أعلن الإنسان الحرب على الله، وفعل كل ما باستطاعته لمنع الحق الإلهي أو اعاقته.[٢٠] كما يُعلِّمُنا الكتاب المقدس أن الإنسان **لا يستطيع** أن يأتي إلى الله؛ لأنه **لا يُريد** أن يأتي إلى الله؛ لأن قلبَه شرير. علَّم يسوع هذه الحقيقة في يوحنا ٣: ١٩-٢٠ «**وهذه هِيَ الدَّيْنُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ**

١٣- خروج ١٦:٩
١٤- مزمور ٨:١٠٦
١٥- تثنية ١٦:٨-١٧
١٦- رومية ٤:١
١٧- رومية ٢٠:١
١٨- متى ٢٦:١٩
١٩- الفساد الأخلاقي يجتاح الجسد (رومية ٦:٦، ١٢؛ ٢٤:٧؛ ٨:١٠، ١٣) والفكر (رومية ٢١:١؛ ٢كورنثوس ١٤:٣-١٥؛ ٤:٤ ؛ أفسس ١٧:٤-١٩) والمشاعر (رومية ٢٦:١-٢٧؛ غلاطية ٢٤:٥؛ ٢تيموثاوس ٢:٣-٤) والإرادة (رومية ١٧:٦؛ ١٤:٧-١٥).
٢٠- رومية ١٨:١، ٣٠ ؛ ١٠:٥

جَاءَ إِلَى الْعَالَم، وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ؛ لأن أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شرِّيرَةً. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّآتِ يُبْغِضُ النُّورَ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى النُّورِ لِئَلاَّ تُوَبَّخَ أَعْمَالُهُ.»

إن أسوار الفساد المحيطة بقلب الإنسان أقوى وأكثر صلابةً من تلك التي كانت محيطة بأريحا. وإن لم يستطع البشر هدم أسوار تلك المدينة المحصَّنة بقوتهم، فلا يُمكنهم هزيمة فساد قلوبهم. يجب أن تهزمها قوة الله. لهذا السبب، غالبًا ما نسمع أن قوة الله الظاهرة في خلاص إنسان واحد تفوق جدًّا قوة الله المتجلية في عملية خلق الكون نفسِها. خلق الله الكون من العدم. ومع ذلك عندما يُخَلِّص اللهُ إنسانًا، يعمل عملًا أكثر صعوبة. إذ إنه من السهل خلق شيء حسن من لا شيء أكثر من إعادة خلق الحسن من بشرية ساقطة وفاسدة.

حتى لو اتُّهمنا بالتكرار الزائد عن الحاجة، يجب تأكيد أننا لن نستطيع تقدِّير قوة الإنجيل حقًّا في خلاص الإنسان، حتى نفهم شيئًا عن حالة الإنسان الساقطة وفساده الأخلاقي. كلما أدركنا عمق فساد الإنسان، تعمقنا أكثر في فهمنا وتقديرنا لقوة الإنجيل. وسنُصبح واعين حقًّا بأن منهجيات وإستراتيجيات التسويق والدعاية ووسائل جذب الأنظار وعناصر العرض المستخدمة في الكثير من الأوساط الإنجيلية المعاصرة، كلها باطلة ولا طائل منها. إذا نال البشرُ الخلاص، سيحدث ذلك بقوة الله الفائقة الطبيعة والمعلنة في الكرازة بالإنجيل!

السؤال الثاني الذي يجب طرحه على أنفسنا هو "هل نُدرك أن قوة الخلاص موجودة في الإنجيل وحده؟" فإنجيل يسوع المسيح **هو** قوة الله للخلاص. لا يمثل الإنجيل الجوهر فقط أو جزءًا من متطلبات الخلاص، بل هو الكل في الكل. ولكي يكون له تأثير كبير في الإنسان، لا يحتاج سوى أن نعلنه. لا يتطلب مراجعة ليُصبح مناسبًا، أو أقلمة ليُصبح مفهومًا، أو دفاعًا لإثبات صحته. إن وقفنا وناديْنا به، فسيُنجَز العمل بنفسِه. سيفيد مبشِّرا واحدًا العالم أكثر من كل خطط واضعي الاستراتيجيات والمبتكرين مجتمعين إن جرَّد نفسَه من كل أسلحته الجسدية، وصار يحارب فقط بالمناداة بالإنجيل، والعمل التشفُّعي، والمحبة المضحية.

برُغم أن الكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة يُوكِّدان تلك الحقيقة، تُظهر دراسة الإنجيلية المعاصرة أن المبشِّرين لم يعودوا يُؤمنون بتلك الفكرة الجريئة. إن وقعها جميلٌ في الترنيمات القديمة، لكن الإيمان بها وتُطبَيقها بالفعل، يبدو باختصار فكرة ساذجة. وهكذا، أصبحت العديد من "الكنائس النموذجية" اليوم أقرب إلى مدينة الملاهي منها إلى ترنيمة "سفينة صهيون"[٢١]. إنهم يقدمون ليس فقط إنجيلًا مُخفَّفًا أو مُعدَّلًا بل يُرَوِّجون أيضًا للعديد من المغريات، حتى أصبح يتعذَّر إن لم يكن يستحيل إيجادُ الإنجيلَ الكتابي. ولم تُعد القوة تكمن في رسالة بسيطة بل في القيادة الشجاعة، والاستراتيجيات العصرية، والحساسية الثقافية، والقدرة على تكييف الكنيسة بحسب ما يُمليه المجتمع أيًّا كان.

بينما يُصبح عالمنا لا ديني ومضادًا للمسيحية بتزايد، تَهيم المسيحية الإنجيلية بلا هدف، باحثة عن علاج. إننا ندرس بحرص البِدع، وآخر صيحات الموضة في ثقافتنا، ثم نُجري التغييرات اللازمة في الإنجيل؛ حتى نجعله ذا صلة. وعندما رأينا أن ثقافتنا لم تَعد ترغب فيما لدينا، صرنا نعطي الناسَ ما يُريدونه. وعندما يجتذب نموذج معين من الخدمة جموعًا من الجسديين، نكتب كتابًا يضع استراتيجية لتتبعها البقية. ومع ذلك، نفشل في جعل الإنجيل مناسبًا وذا صلة. إننا نُقَدِّم طعامًا لمجتمع فاجر؛ حتى نُبقيه داخل أسوارنا. وفي النهاية، اختفى الإنجيل، ولم يُعد الله مُكَرَّمًا، وذهب المجتمع إلى الجحيم.

تحتاج الكنيسة إلى أناس يقفون أمام الجموع المعارضة بلا شيء يساعدهم أو يدافع عنهم سوى الإنجيل و**الإله** الذي وعد أن يعمل من خلاله. كم كان دِرعُ شاول ثقيلًا على داود، وكم بَدا داود مضحكًا حين ارتداه؟ إن وزن الدِّرع الثقيل استنزف رشاقة داود وقوته، لكنه اتخذ القرار المصيري بأن يخلعه، ويواجه العملاق بلا شيء سوى اسم الرب. ومثلنا في ذلك مثله، علينا أن نرفض دِرع شاول وأسلحته، ونذهب للمعركة بلا شيء سوى حجارة الإنجيل المَلساء. علينا أن نتخذ قراراً

٢١- تحكي الترنيمة عن الكنيسة وتُشبهها بسفينة قديمة متألمة، هيكلها بالٍ، وقائدها يسوع يُبْحِرُ بها وسط أمواج الحياة العاتية نحو الأبدية. (المترجم)

مصيريًّا بالتخلُّص من الدعاية والاستراتيجيات وأساليب الكرازة الحديثة، حتى نواجه العملاقين التوأمين: **عدم الإيمان والشك** بكتاب مقدس مفتوح وواضح، وحتى لا نقبل تسوية لرسالة المسيح مصلوبًا ومقامًا من بين الأموات. وعندئذ سنرى قوة الله ظاهرة في إيمان حقيقي لأعتى الخطاة حتى. هل يستحيل على الرب شيء؟[٢٢]

الآن، وقد أدركنا فساد الإنسان واستحالة خلاصه بأية وسيلة مرتبطة بأي شكل بقوة الجسد، يُمكننا فهم ابتهاج بولس بقوة الإنجيل. ولهذا السبب تمكَّن من دخول أريوس باغوس ليُعلن أن يهوديًّا مصلوبًا هو إله الكون ومخلص العالم![٢٣] لم يكن بحاجة إلى حُجة مُقنِعة ولا خطابٍ بليغ. فقد كان يَعْلَم أن الناس سيؤمنون إن استمرَّ في الكرازة بهذه الرسالة الوحيدة بشجاعة ووضوح.[٢٤] وتلك هي الثقة نفسُها التي حفظت ويليام كاري (William Carey)، وعددًا لا يُحصَى من المبشِّرين خلال سنوات الجفاف الطويلة السابقة للحصاد. فالإنجيل هو قوة الله للخلاص. وسيؤمن البشر إن بشَّرنا به!

إنجيل يُخَلِّص

نقرأ في الكتاب المقدس أن الخلاص هو غاية الإيمان وهدفه.[٢٥] وينطبق الأمر نفسُه على الإنجيل. يرى بولس أن أعظم هدية يُعطيها الإنجيلُ لإنسانٍ هي خلاص نفسِه. فقد أرسل الله ابنه للعالم؛ حتى يخلص العالم من خلاله.[٢٦] وعلى مر العصور، كان الخلاص هو موضوع الكنيسة المجيد، ومحور أعظم ترنيماتها. وكان القديسون القدماء لا يرون الخلاص كأحد فوائد الإنجيل العديدة التي تُوضع في الاعتبار فحسب، بل الفائدة الواحدة العظيمة التي حين يحصل المؤمن عليها تستحوذ على حياته، حتى تجعله لا يُريد معها أيَّ شيء آخر. فقد كان الخلاص

٢٢- تكوين ١٨:١٤
٢٣- أعمال الرسل ١٧:٢٢
٢٤- أعمال الرسل ١٧:٣٤
٢٥- ١بطرس ١:٩
٢٦- يوحنا ٣:١٧

من الذات والخطية، والتحرُّر من الدينونة والغضب، والتصالح مع الله، ومعرفة المسيح، كافيًا!

للأسف يبدو أن الخلاص فقد شيئًا من قيمته في العقود الأخيرة. يرى الكثيرون أن وعد الخلاص لم يُعد حافزاً قويًا وكافيًا لدفع الخاطي نحو التوبة، أو القديس نحو التكريس الحقيقي؛ لذا علينا أن نضيف وعودًا أخرى كثيرة؛ لنجعل دعوة الإنجيل جذابة. وأصبحت الصحة والثروة، والهدف والنفوذ، والحصول على أقصى ما يُمكن من هذه الحياة الحاضرة، هي الكروت الرابحة التي تلعب بها المسيحية المعاصرة. وفي الواقع الأشياء التي يَعد بها المتحدثون من على المنابر، والتي هي أكثر ما يسعى إليه الجالسون في مقاعد الكنيسة حاليًا، هي غالبًا الأشياء نفسُها التي حَذَّرنا يسوع أننا يُمكن أن نخسرها في طريق التلمذة الحقيقية.[٢٧] وقد أوضح يسوع أن الإنسان قد يضطر لخَسارة العالم بكامله حتى يَخْلُص، وهذا في تقدير الله، صفقة بتكلفة ضئيلة للحصول على الخلاص.[٢٨]

في ضوء القيمة العظيمة التي يُعطيها الكتاب المقدس للخلاص، لماذا لم يَعد وعد الخلاص الفريد يثير نفوس المعاصرين؟ لماذا يجب أن يُضاف المزيد من الوعود الأرضية إلى الإنجيل؛ حتى يُصبح جذابًا للإنسان المعاصر؟ أولًا؛ لأن البشر لا يُدركون حالتهم البائسة. ومثلما لا يرى أحد الأغنياء سببًا للابتهاج بعطية الخبز الضئيلة، حتى يحدث تحوُّل في الأحداث يجعله فقيراً، هكذا لا يجد الخاطئ بهجةً في الخلاص، حتى تتكشف طبيعة خطيئته البغيضة، ويرى نفسَه شقيًا، وبائسًا، وفقيراً، وأعمى، وعُريانًا.[٢٩] ثانيًا؛ لأن البشر لا يفهمون الخطر العظيم المحيط بهم. سيُقَدِّر الإنسانُ الخلاصَ فقط بمقدار فهمه للأهوال التي خُلِّص منها. وسيُعطي الفهمُ الأوضح للجحيم ولغضب الله الإنسان تقديراً مناسبًا أكثر للخلاص المقدَّم من خلال الإنجيل. ثالثًا؛ لأن البشر لا يفهمون التكلفة غير المحدودة التي

٢٧- متى ١٦:٢٤-٢٦
٢٨- مرقس ٨:٣٦-٣٧
٢٩- رؤيا ٣:١٧

دُفِعَت لتأمين خلاصهم. إن فداء النفس مكلف، ويفوق أجور البشر.[٣٠] كان الله الوحيد الذي يمتلك الثمن، وقد سدَّدَه بالكامل بدم ابنه الغالي الوحيد.[٣١] ليس لدى الخطاة الذين يجهلون قيمة المسيح أملٌ في تقدير ما فَعله من أجلهم في الإنجيل. رابعًا؛ لأن غير المجدَّدين هم هكذا دائمًا. فالعميان لا يجدون جمالًا في غروب الشمس، والأصماء لا تؤثر فيهم حتى أجمل الألحان الموسيقية، والوحوش العجماء لا تُقدِّر الفن. وعلى المنوال ذاته، غير المجدَّدين، وغير المهتدين، والجسديين هم عميان روحيًّا، وأصمَّاء عن كلمة الله، ومستعبدون لقلب وحشي، يُفضِّل أن يُشْبِع شهوته الحيوانية عن تذوُّق ورؤية ما أطيب الرب.[٣٢] لهذا، يُعلن يسوع بقوة أنه إن لم يُولد الإنسانُ ثانيةً لا يُمكنه حتى أن "يرى" ملكوت السماء، فما بالُك بأن يُقدِّر قيمتها.[٣٣] لهذا السبب، يملأ أناس جسديون قوائم كنائسنا "أناس يأتون لشتى الأسباب إلَّا للمسيح والجوع للبر".[٣٤] وكلما زادت الوعود العملية العصرية التي أضيفت إلى الإنجيل حتى تجعله جذابًا لهم، قرروا البقاء في الكنيسة طالما استمروا في الحصول على ما يُريدون. وهذا يُغذي جسدهم دينيًّا، لكن تظل نفوسُهم مَيتةً عن الله، وعن الرجاء في خلاص حقيقي.

تعريف الخلاص

يكتب الرسول بولس أن الإنجيل هو قوة الله للخلاص. ويبدو الأمر بسيطًا بما يكفي، لكن مجددًا، نحتاج بشدة لتعريف مصطلحاتنا. ماذا يَعني بولس **بالخلاص؟** تتوفر الكثير من الأفكار المتضاربة فيما يخص هذه المسألة، ومن الخطأ الافتراض بأننا جميعًا لدينا الرأي نفسُه. فالخلاص القادر أن يُقدِّمه الإنجيل متعددُ الأوجه، لكننا سنركِّز على الموضوعات الثلاثة الرئيسة: الخلاص من دينونة الخطية، ومن سلطان الخطية، وفي النهاية من وجود الخطية. وهذه الموضوعات نفسُها يُمكن

٣٠- مزمور ٤٩:٨
٣١- ١بطرس ١:١٨-١٩
٣٢- مزمور ٣٤:٨
٣٣- يوحنا ٣:٣
٣٤- متى ٥:٦

ترتيبها زمنيًّا في الماضي، والحاضر، والمستقبل. حيث نال الشخصُ الذي يُؤمن بالإنجيل الخلاصَ من دينونة الخطية، كما أنه يُخلَّص في الوقت الحاضر من سلطان الخطية، وسيَخلُص في النهاية من وجود الخطية.

في الماضي، نال المؤمنُ الخلاصَ من دينونة الخطية. ويُعلِّم الكتاب المقدس أن كل البشر مدانون في آدم عن اِستحقاق؛ بسبب أعمالهم الآثمة.[٣٥] وتحدث هذه الدينونة في النهاية أمام عرش الله الديَّان، حيث سيُفضح الخاطئ، وتُوزن الأمور بدقة، ويُنفى إلى الجحيم.[٣٦] ومع ذلك، فالسيناريو مختلف للمؤمن. في اللحظة التي يتوب فيها المؤمن، ويُؤمن بالإنجيل، يتغير موقفه أمام الله تمامًا، وإلى الأبد.[٣٧] فقد تبرَّر بالإيمان، ونال سلامًا مع الله.[٣٨] حيث يُعلن الإنجيل: «**إِذًا لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ**».[٣٩]

في الحاضر، يَخْلُصُ المؤمن من سلطان الخطية. والله الذي بدأ عملًا صالحًا فيه وعد أن يُكَمِّل هذا العمل حتى ذلك اليوم الأخير، وأن يُطهِّره من كل قذارته وأوثانه.[٤٠] فالله في الكتاب المقدس هو الإله الذي لا يُبرِّر فحسب، بل يُقَدِّس أيضًا.[٤١] وكل مؤمن، بلا اِستثناء، هو عمل الله.[٤٢] يعمل الله بقوة وبطريقة مؤثِّرة في حياة كل المؤمنين الحقيقيين، موجِّهًا إرادتهم، ومقويًّا إياهم حتى يَعملوا وفقًا لِمَا يُرضيه.[٤٣] ويُعدُّ عاملُ التقديس عاملًا جوهريًّا في الخلاص، وكل مؤمن حقيقي قد دخل في هذه العملية الحتمية التي صَمَّمها الله ووجَّهها، ومكَّنها بقوته. إنها حقيقة كتابية قائمة منذ القِدم بأن أعظم برهان على تبريرنا هو أننا حاليًا نتقدَّس. لدينا

٣٥- رومية ٥:١٢-١٩ ؛ ٣:٢٣
٣٦- رؤيا ٢٠:١١-١٥
٣٧- مرقس ١:١٥
٣٨- رومية ٥:١. كلمة تَبَرَّر هي كلمة شرعية أو قانونية. أن يتبرَّر إنسان معناه أن يُعلن شرعيًّا أنه في موقف مستقيم، أي سليم مع الله، ليس بناءً على فضيلته واِستحقاقه، بل بفضيلة واِستحقاق يسوع المسيح، وموته في الجلجثة.
٣٩- رومية ٨:١
٤٠- فيلبي ١:٦ ؛ حزقيال ٣٦:٢٥
٤١- ١ تسالونيكي ٥:٢٣
٤٢- أفسس ٢:١٠
٤٣- فيلبي ٢:١٣

يقينٌ بأن الله خلَّصَنا من دينونة الخطية؛ لأنه يُخلِّصُنا حاليًا من سلطانها. وبسبب ضعفاتنا البشرية، تُعد هذه العملية صراعًا حقيقيًّا، وكثيراً ما يتَّصف تَقَدُّمنا في القداسة بثلاث خُطوات للأمام، وخُطوة للخلف. ومع ذلك، سيحدث تقدُّم ملحوظ عبر مسيرة حياة كل مؤمن. الإنجيل الضعيف والمحرَّف هو الوحيد الذي يطرح احتمالية الخلاص بدون تقديس. إذ يُعلن الكتاب المقدس: «**اتْبَعُوا .. الْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ**» و«**إِنْ كُنْتُمْ بِلاَ تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ، فَأَنْتُمْ نُغُولٌ لاَ بَنُونَ.**»[٤٤]

أمَّا في زمن المستقبل، سيَخلص المؤمن في يوم من الأيام من وجود الخطية وتأثيرها المُفسِد. وفي هذا العمل، مطلوبٌ أمران: أولًا، يجب أن يتغير المؤمن، فالجسد الفاسد يُطرح عنه، ويحدث فداء لجسده.[٤٥] وهذا سيحدث في طرفة عين، عند إطلاق صوت البوق، حين يُقام الجسد خالدًا، ويلبس المائت عدم الموت.[٤٦] ثانيًا، يجب أن تُعد أرضٌ جديدة وسماء جديدة، أي خليقة حرَّة خالية من اللعنة والفساد اللذَيْن ظلت تئن تحتهما إلى حرية مجد أولاد الله.[٤٧] ومع أن ذلك سيحدث في المستقبل؛ فإن هذه المرحلة الأخيرة مؤكدة تمامًا كالمرحلتين الأولتيْن. ويصفها الكتاب المقدس كالآتي: «**وَالَّذِينَ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ، فَهؤُلاَءِ دَعَاهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ دَعَاهُمْ، فَهؤُلاَءِ بَرَّرَهُمْ أَيْضًا. وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ، فَهؤُلاَءِ مَجَّدَهُمْ أَيْضًا.**»[٤٨]

تُظهر قوة الله غير المحدودة نفسَها في الإنجيل. ولا يُمكن لأي شيء أقل من الإنجيل أن يأتي بإنسان إلى التوبة والإيمان. ولا يُمكن لشيء أقل من الإنجيل أن يُحوِّل إنسانًا من خاطئ إلى قديس. كما لا يُمكن لأي شيء أقل من الإنجيل أن يأتي بأبناء كثيرين للمجد![٤٩]

٤٤- عبرانيين ١٢: ١٤، ٨. تُشير كلمة تأديب إلى تَدَخُّل الله في حياة المؤمنين ليُدرِّبهم في القداسة.
٤٥- ١كورنثوس ١٥: ٥٠؛ رومية ٨:٢٣
٤٦- ١كورنثوس ١٥: ٥٢-٥٣
٤٧- رؤيا ٢٢: ٣؛ رومية ٨: ٢١-٢٢
٤٨- رومية ٨: ٣٠
٤٩- عبرانيين ٢: ١٠

الفصل التاسع

إنجيل لكل من يُؤمن

«لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ: لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ»

(رومية ١: ١٦)

إن دعوة الإنجيل عالمية. لم يحدث عمل المسيح الفدائي في ركن بعيد من العالم، بل في مركز العالم الديني.[١] وانتشر خبر موته وقيامته سريعًا في جميع أركان العالم المعروفة.[٢] فضلًا عن ذلك، لم يأت المسيح ليخلِّص جماعة معينة من البشر فحسب، بل سفَكَ دمَه ليفدي أيضًا أناسًا من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة.[٣] وقد أعلنت نبوات العهد القديم أن المسيا سيَقبل الأممَ ميراثًا، والمأمورية العُظمى هي تحقيق ذلك الوعد.[٤] أوصى المسيح كنيستَه أن تذهب إلى العالم، وتكرز بالإنجيل لكل الخليقة. والذين يُؤمنون ويُظهرون إيمانهم باندماجهم رسميًا بالمسيح من خلال المعمودية، سيَخلصون، لكن أولئك الذين لا يُؤمنون سيُدانون.[٥]

١- أعمال الرسل ٢٦:٢٦
٢- كولوسي ١:٥-٦
٣- رؤيا ٥:٩
٤- مزمور ٢:٨
٥- مرقس ١٥:١٦؛ متى ١٨:٢٨-٢٠

خلاص لكل من يُؤمن

يشهد العهد القديم والجديد على حدٍّ سواء شهادة شاملة بأن البشر لا يُمكنهم التمتُّع بفوائد الإنجيل إلَّا بالإيمان. وتُعد عقيدة حبقوق الإيمانية هي أساس الدين الحقيقي: "البار بالإيمان يحيا."[٦] وتُعد هذه الكلمات مفتاح الخلاص، وشرارة كل نهضة دينية حقيقية. وبدون تلك الكلمات، يظل باب الخلاص مغلقًا بإحكام. كلمة السر الوحيدة للدخول إلى المجد هي "أنا أؤمنَ". يُريد بولس إقناع القارئ بتلك الحقيقة في نص يتميز بالتكرار: «**إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضًا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لاَ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ. لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لاَ يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا.**»[٧]

الخلاص ليس بالأعمال، وذلك لسببين أساسيين. أولًا، ليس للإنسان أعمال تستحق أن يتحدث عنها. فلا شيء في حياته يستحق الخلاص، بل كل شيء يستدعي دينونة الإله القدوس. يشهد الكتاب المقدس بأن الإنسان ليس بارًا، ليس ولا واحد. ليس مَن يعمل الصلاح.[٨] في الواقع، أفضل ما لدى الإنسان، وأعظم أعماله التي تعكس اِهتمامه بالغير، ليست سوى خِرقة قذرة أمام الله.[٩] تُدمِّر هذه الحقائق كبرياء الإنسان، لكن يجب أن تُقدَّم بإصرار إلى ضميره؛ حتى تقضي على أي أمل في تعظيم النفس أمام الله، وتسحق كل فكرة عن اِستحقاق الإنسان بقوته الشخصية لاِستحسان الله. يأتي الإنسان إلى الله بالإيمان وحده بعد أن يُدرك حالته المُعدِمة، ويصرخ مع كاتب الترنيمة القديمة: "آتٍ ولا شيءَ بيدي، إلَّا صليبُك الذي أتعلق به."[١٠]

٦- حبقوق ٢:٤؛ رومية ١٧:١
٧- غلاطية ١٦:٢
٨- رومية ٣:١٠-١٢
٩- إشعياء ٦:٦٤
١٠- Augustus M. Toplady, "Rock of Ages," 1775.

ثانيًا، الخلاص ليس بالأعمال؛ لأن ذلك لن يمجد الله؛ ويجعله مديونًا، وملزَمًا بمكافأة فضيلة المخلوق المزعومة. الخلاص بالأعمال ليس سوى فلسفة إنسانية متخفية في ثياب الدين. إنه ذلك الإنسان الخرافي الذي يُقيم نفسَه من التراب بقوة إرادته ليغلب كل الاحتمالات، ويفوز بالجائزة. من ناحيةٍ أخرى، الإيمان هو الدين الحقيقي. إنه الإنسان كما هو "تائه، ومُحطَّم مِن السقوط،" وبلا ثقة في ذاته، ولكنه واثق بوعود الإله المُخَلِّص الأمينة.[١١] في ملحمة دراما الخلاص بالإيمان، الله هو البطل، وله وحده وافرُ التسبيح. تمامًا كما هو مكتوب «**لَيْسَ لَنَا يَا رَبُّ لَيْسَ لَنَا، لَكِنْ لاسْمِكَ أَعْطِ مَجْدًا**» و«**مَنِ افْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ.**»[١٢]

بما أن الخلاص بالإيمان وحده، يجب أن نفهم شيئًا عَمَّا هو الإيمان. ففي النهاية الشياطين تؤمن، وحتى ترتجف، ويُظهرون تقوى أكثر مما يُظهره بعض البشر مِمَن يزعمون الإيمان المخلِّص.[١٣] وفقًا للكتاب المقدس، الإيمان هو اليقين التام بأن ما وعد الله به هو قادرٌ أن يفعله.[١٤] وفيما يخص الإنجيل، يَعني الإيمان أن الخاطئ التائب قد تخلَّى عن كل رجاء باطل في الجسد، وألقى بذاته على المسيح وحده. وبهذا يُصبح متيقنًا تمامًا من أن موت المسيح صنع كفارةً لخطيته، وصالحه مع الله. وهذا هو الإيمان. لكن كيف نعرف أن هذا هو الإيمان الذي لدينا؟ ما هي براهين الإيمان الحقيقي المُخَلِّص؟ وكيف تُثبَت صحتُه؟ لحُسن الحظ، لم يتركنا الكتابُ المقدس وحدنا في هذا الأمر. يجيب الرسول يعقوب عن أسئلتنا ببساطة ملحوظة: «**لَكِنْ يَقُولُ قَائِلٌ: «أَنْتَ لَكَ إِيمَانٌ، وَأَنَا لِي أَعْمَالٌ» أَرِنِي إِيمَانَكَ بِدُونِ أَعْمَالِكَ، وَأَنَا أُرِيكَ بِأَعْمَالِي إِيمَانِي.**»[١٥] إن افتراض أن يعقوب يروِّج لخلاص بالأعمال هو سوء تفسير فادح. ليست حُجته أن الأعمال تُثمر خلاصًا، بل أن كل خلاص حقيقي يُنتِج أعمالاً. وبكلماتٍ أخرى، تُبرهن الأعمال أو ثمار حياة الإنسان أنه خَلُص بالإيمان حقًا.

١١- Joseph Hart, "I Will Arise and Go to Jesus," 1759.

١٢- مزمور ١١٥: ١؛ ١كورنثوس ١: ٣١؛ رومية ٣: ٢٧

١٣- يعقوب ٢: ١٩

١٤- رومية ٤: ٢١

١٥- يعقوب ٢: ١٨

لم يكن هذا التعليم مقتصراً على يعقوب فقط، فيوحنا المعمدان حثَّ الناس قائلًا: «**فَاصْنَعُوا أَثْمَاراً تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ.**» كما حذَّر يسوعُ قائلًا: «**مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ... لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَارَبُّ، يَارَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ**».[١٦] وأوصى بولسُ الذين أعلنوا إيمانهم بالمسيح أن "يمتحنوا" و"يختبروا" حياتهم؛ ليجدوا برهانًا أو دليلًا على إيمانهم.[١٧] علاوةً على ذلك، حذَّر من الأشخاص الذين يدَّعون معرفتهم بالله، لكنهم يُنكرونه بأعمالهم.[١٨] وأخيراً حثَّ بطرسُ قُرَّاءَه أن يجاهدوا ليجعلوا "دعوتهم واختيارهم ثابتَيْن" عن طريق فحص حياتهم؛ لإيجاد دليل نموهم في الفضيلة المسيحية، أو تشبههم بالمسيح.[١٩] يُمكننا بحق من هذه النصوص وغيرها اِستنتاج أن الخلاص يحدث لكل مَن يؤمن. ومع ذلك، فحياة الإنسان تُثبِت صحة إقرار إيمانه.

قبل أن نترك وراءنا هذا النقاش المختصر بخصوص إنجيل المسيح، والخلاص بالإيمان وحده، علينا معالجة أمر غاية في الأهمية يتمثل في أن الكتاب المقدس لا يُعلِّم فقط بأن الإنجيل هو **لكل** من يؤمن، بل يحذِّر أيضًا أن الإنجيل هو **ضد** كل من لا يؤمن. يشرح الربُّ يسوع الأمر هكذا: «**اَلَّذِي يُؤمن بِهِ لاَ يُدَانُ، وَالَّذِي لاَ يُؤمن قَدْ دِينَ؛ لأنه لَمْ يُؤمن بِاسْمِ ابنِ اللهِ الْوَحِيدِ ... الَّذِي يُؤمن بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لاَ يُؤمن بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ.**»[٢٠] يا له من أمر في غاية الأهمية أن نرى الصورة الكاملة! الإنجيل عملة ذات وجهين، هما المغفرة والحياة من ناحية، والدينونة والموت من الناحية الأخرى. فالإنجيل ليس "خلاصًا للكل" بل هو خلاص "لكل من يؤمن" فحسب، ويمثل الإنجيل للبقية حكم بالموت، وتذكير دائم بأنهم مدانون أمام الله، وبأن غضب الله سيمكث عليهم. ولهذا السبب

١٦- متى ٣:٨؛ ٧:١٦، ٢١
١٧- ٢كورنثوس ١٣:٥
١٨- تيطس ١:١٦
١٩- ٢بطرس ١:٥-١٠
٢٠- يوحنا ٣:١٨، ٣٦

يكره العالَم غير المؤمن الإنجيلَ، ويفعل كل ما باستطاعته لقمع حقائقه ومنعها.[٢١] ولهذا السبب يكره غير المؤمن رُسل الإنجيل ويحاول إسكاتهم، إذ إن حاملي رسالة الإنجيل يبدون كشوكة في عينيه وجنبيه.[٢٢] إنهم "مكدِّرو إسرائيل" والذين "فتنوا المسكونة."[٢٣] ومع أنهم رائحة حياة للمؤمن، فإنهم رائحة موت للبقية.[٢٤]

إنجيل للجميع

على مر تاريخ العهد القديم، كان "سُكَّان" العالم يمثلهم جماعتان مختلفتان هما أبناء إبراهيم، وبقية البشر. وكانت الجماعة الأولى تمثل شعب إسرائيل الذي قَبِل التبنِّي كأبناء، والعهود، والناموس، والهيكل، والوعود.[٢٥] وكان بقيةُ البشر يتكونون من الأمم، الذين بَطلوا في ذهنهم، وهم مظلمو الفكر، وغليظو القلب، ومجتنبون عن حياة الله.[٢٦] وكانت الجماعتان على طرفيّ نقيض، لا تشتركان في أي شيء تقريبًا سوى في إنسانيتهما. ومع ذلك، في ظهيرة أحد أيام الجمعة الرهيبة، تغير كل شيء؛ حيث إن مخلص كلا الشعبين نَكَس رأسه وأسلم حياته. ومن خلاله، اتحد جمعٌ غفير من اليهود والأمم معًا كرجلٍ واحد، وتصالحوا مع الله.[٢٧] كما هو مكتوب: «**فَجَاءَ وَبَشَّرَكُمْ بِسَلاَمٍ، أَنْتُمُ الْبَعِيدِينَ (الأمم) وَالْقَرِيبِينَ (اليهود).**»[٢٨]

فتح موتُ المسيح بابَ الخلاص لكل الشعوب. وتُعظِّم حقيقة أن الله لم يكن ملزمًا أن يوفر خلاصًا لأي شخص، من برهان النعمة المذهل. ولو كان الله قد تخلى عن ورطة الإنسان، وترك كل ابن آدم يندفع بطيش نحو الجحيم، لكان هذا عادلًا، ولبقيت سمعتُه بلا شائبة. ولو أرسل مُخلِّصًا لإسرائيلَ فقط، وترك الأمم

٢١- رومية ١:١٨
٢٢- عدد ٣٣:٥٥
٢٣- ١ملوك ١٨:١٧ ؛ أعمال ١٧:٦
٢٤- ٢كورنثوس ٢:١٥-١٦
٢٥- رومية ٩:٤-٥
٢٦- أفسس ٤:١٧-١٩
٢٧- أفسس ٢:١٣-١٦
٢٨- أفسس ٢:١٧

ليستمروا في العيش في منفاهم الذي فرضوه على أنفسِهم، ما مِن اتهام كان يُمكن أن يوجَّه لعرشه. صُنعت الملائكة من مادة أعظم من البشر، لكن الله أهملهم وتركهم لهلاكهم.[٢٩] وكان بإمكانه أن يفعل الشيء نفسَه معنا! لم يكن مدينًا للعالم بمخلِّص!

قد يُشكِّك المَرء في الفائدة من مناقشة موضوع مظلم ومزعج كهذا. ومع ذلك لا نستطيع تقدير النعمة المقدَّمة لنا في الإنجيل إلَّا في ضوء مثل هذه الحقائق. كنا جنسًا ساقطًا وخاطئًا. فقد اتخذنا قرارنا، وأعلنا استقلالنا، ورسمنا طريقنا نحو الهلاك. لم تكن فينا فضيلة تجعله يبحث عَنَّا، ولم تكن فينا قيمة حتى يفدينا. لم يكن مجدُه سينقص، ولم تكن الخليقة لتعاني من الخَسارة لو تركنا ببساطة نسير مباشرةً نحو الجحيم دون أدنى تدخل. لكنه فتح باب الخلاص لكل قبيلة، ولسان، وشعب، وأمة من خلال الثمن الأكثر كُلفةً على الإطلاق، دم ابنه الوحيد الغالي![٣٠]

برُغم أن الإنجيل للكل، فالجدير بالملاحظة أنه لليهود أولًا ثم للأمم. ويُعد هذا واحدًا من العديد من براهين سيادة الله التي تسري على امتداد تاريخ الكتاب المقدس. إنه يُثبت أن الله يتعامل مع البشر بحسب صفاته، واختيارُه لا بحسب استحقاقهم.[٣١] اختار اللهُ شعبَ إسرائيل وجعلهم أولًا، فوق أمم الأرض كلها، ليس بسبب استحقاق فيهم، بل بحسب مسرته الصالحة ومحبته السيادية:

«إيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ.»[٣٢]

٢٩- عبرانيين ٢:٧
٣٠- رؤيا ٥:٩؛ ١بطرس ١:١٨-١٩
٣١- رومية ٩:١٥-١٦
٣٢- تثنية ٧:٦-٨

يكمن التفسير الوحيد لمحبة الله الخاصة لإسرائيل داخل الله ذاته: أحبهم لأنه أحبهم.[٣٣] لم يكن استحقاقهم دافعًا لمحبته. لم يجد في اليهود شيئًا لم يكن موجودًا في الأمم، فأحدهم لم يكن أفضل من الآخر. يثبت الرسول بولس هذا حين يسأل: **«فَمَاذَا إِذًا؟ أَنَحْنُ أَفْضَلُ؟ كَلاَ الْبَتَّةَ! لأَنَّنَا قَدْ شَكَوْنَا أَنَّ الْيَهُودَ وَالْيُونَانِيِّينَ أَجْمَعِينَ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ.»**[٣٤] اختار الله أن يُظهِر خلاصَه لإسرائيل للسبب ذاته الذي من أجله فتح الآن بابَ الخلاص للأمم؛ لأنه كان أمراً مَرْضيًّا في عينيه. أحبنا لأنه أحبنا، ليس بسبب استحقاق الإنسان وجدارته، بل بالرغم من افتقادنا لكلا الأمرين. كان بإمكانه تركنا لأنفسنا، كان بإمكانه أن يُسلمنا لشهوات قلوبنا، ولممارسة كل أشكال النجاسة.[٣٥] كان بإمكانه أن يُكرر تحريمه، **«إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا.»**[٣٦] ومع ذلك، وفقًا لمسرته الصالحة؛ ولإظهار رحمته العظيمة، تمتد دعوة الإنجيل إلى أقاصي الأرض. يُعطي الكتاب المقدس شهادات كثيرة لتلك الحقيقة العظيمة والمجيدة: **«الشَّعْبُ الْجَالِسُ فِي ظُلْمَةٍ أَبْصَرَ نُوراً عَظِيمًا، وَالْجَالِسُونَ فِي كُورَةِ الْمَوْتِ وَظِلاَلِهِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ.»**[٣٧] **«هُوَذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ،... أَضَعُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْبِرُ الأُمَمَ بِالْحَقِّ.... وَعَلَى اسْمِهِ يَكُونُ رَجَاءُ الأُمَمِ.»**[٣٨] **«قَدْ أَقَمْتُكَ نُوراً لِلأُمَمِ، لِتَكُونَ أَنْتَ خَلاَصًا إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ.»**[٣٩] ويقول مجددًا: **«تَهَلَّلُوا أَيُّهَا الأُمَمُ مَعَ شَعْبِهِ!»**[٤٠]

إن دعوة الإنجيل العالمية جزءٌ كبير من جَمالها. شَغَل الله نفسَه بأن يأخذ لنفسه شعبًا من بين اليهود والأمم، فاتحًا بابَ الإيمان واسعًا للجميع، يوناني أو يهودي،

٣٣- تثنية ٧:٨

٣٤- رومية ٣:٩

٣٥- أعمال الرسل ١٤:١٦؛ رومية ١:٢٤، ٢٦؛ أفسس ٤:١٧-١٩

٣٦- متى ١٠:٥

٣٧- متى ٤:١٦

٣٨- متى ١٢:١٨، ٢١

٣٩- أعمال الرسل ١٣:٤٧

٤٠- رومية ١٥:١٠

مختون أو غير مختون، بربري أو سكيثي، عبد أو حر.[٤١] وانتشر من خلال الإنجيل رجاءُ الأمم جدًّا، حتى فاق الأم الفينيقية السورية التي توسلت لأجل أن تُطعَم الفتات الذي يَسقط من مائدة إسرائيل.[٤٢] الآن يُمكن بالإيمان لأعتى الخطاة من الشعوب الأكثر رجعية وحقارة أن يجلس إلى كرسيه على مائدة الرب ويتعشى مع الابن.

يُقدِّم اللهُ بشارةَ الإنجيل مجانًا لليهود والأمم على حدٍّ سواء، ويُذكِّرنا ذلك بحقيقة أخرى يجب شرحها قبل ترك هذا الموضوع: الإنجيل الذي يُخلِّص اليهود هو ذاته الذي يُخلِّص الأمم. ورغم أنه علينا أن نُدرك الاختلافات في الثقافة، يجب ألَّا ندع الثقافة تُشكِّل إنجيلنا، أو تُمْلي علينا طريقة توصيله. ويجب أن يكون الإنجيل هو الأصل لدينا دائمًا. بحيث يُخبرنا الكتاب المقدس وحده بماهية الإنجيل، وكيفية تعليمه للبشر. وبناءً عليه، يجب أن يكون هو المُفسِّر واللاهوتي الموجود معنا الذي يُشكِّل رسالتنا، وليس الأنثروبولوجي، ولا عالِم الاجتماع، ولا عالِم الإرساليات، ولا خبير نمو الكنيسة.

أظهرت السنوات الأخيرة انشغالًا متزايدًا بالحساسية الثقافية، وبالحاجة إلى تكييف رسالة الإنجيل؛ لتُلائِم ظروفًا ثقافية خاصة. وتبدو الغالبية العُظمى من الإنجيليين مقتنعة بأن الإنجيل الخام أو القديم لن ينفع، وأن البشر أصبحوا أكثر تعقيدًا أو أكثر بساطة عن أن يَخلصوا ويتغيروا بمثل هذه الرسالة. ويوجد الآن تأكيد على تفهُّم المجتمع وخدمته أكثر من فَهم وإعلان الرسالة الوحيدة التي لها القدرة على تخليص ذلك المجتمع.

علينا استعادة ثباتنا في الكتاب المقدس؛ حتى تُولَد بداخلنا من جديد القناعة بأن الإنجيل وحده هو قوة الله للخلاص. وعلى رُغم أنها حقًّا رسالة مخزية ويصعب استيعابُها، فإنها أيضًا الرسالة الوحيدة التي وعد الله بأن يُخلِّص البشرَ الساقطين من خلالها. ويُعَد تنقيح الإنجيل، أو إعادة تقديمه على أمل إحداث تأثيرٍ أكبر على كل ثقافة بعينها، تحريفًا في حق الإنجيل، وتقويضًا لقوته، وترك العالم دون الرسالة الوحيدة التي لديها القوة لإنقاذه!

٤١- أعمال الرسل ١٤:١٥؛ ١٤:٢٧؛ كولوسي ٣:١١

٤٢- مرقس ٧:٢٨

الجزء الثالث

حِصن الإيمان المسيحي

إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ، مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ، لإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ. لإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، لِيَكُونَ بارًّا وَيُبرِّر مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ. فَأَيْنَ الافْتِخَارُ؟ قَدِ انْتَفَى. بِأَيِّ نَامُوسٍ؟ أَبِنَامُوسِ الأَعْمَالِ؟ كَلاَّ. بَلْ بِنَامُوسِ الإِيمَانِ.

(رومية ٣: ٢٣-٢٧)

الفصل العاشر

تعظيم قدر الخطية

«إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا»

(رومية ٣: ٢٣)

إن محور الإنجيل ومركزه هو موت المسيح، وقد مات المسيح من أجل الخطية. لذلك، لا يُمكن الكرازة بالإنجيل بمعزل عن معالجة كتابية للخطية. وهذا يتضمن شرح الطبيعة القبيحة للخطية، وكشف البشر بصفتهم خطاة. ومع أن الخطية أصبحت موضوعًا قديم الطراز إلى حدٍّ ما، حتى في بعض الدوائر الإنجيلية، فإن أية دراسة أمينة للكتاب المقدس تتعلق بالثقافة المعاصرة، ستُثبت أن الحاجة للتشديد على فداحة الخطية لا تزال قائمة.

بما أننا نعيش في جيل وُلِد في الخطية ونشأ بها؛ فالحاجة ماسة لشرح واضح للخطية.[١] فنحن نشرب الإثمَ كالماء، وتمييزنا لحالتنا الساقطة لا يختلف كثيراً عن السمكة التي تعرف أنها مبللة.[٢] ولهذا السبب يجب أن نسعى لإعادة اكتشاف النظرة الكتابية للخطية وإثم الإنسان. إن فهمنا لله والإنجيل يعتمد على هذا الأمر.

١- مزمور ٥١:٥؛ ٣:٥٨

٢- أيوب ١٦:١٥

بصفتنا وكلاء على إنجيل يسوع المسيح، فإننا لا نخدم البشر حين نخفِّف من فداحة الخطية، ونلتف حول المشكلة، أو نتجنبها بالكامل. لا يعاني البشر سوى من مشكلة واحدة تتمثل في أنهم تحت غضب الله بسبب خطيتهم.[٣] وإنكار هذا يَعني إنكار أكثر العقائد محورية في المسيحية. لا يَعني إخبار البشر بأنهم خطاة أننا لا نحبهم، بل **عدم** إخبارهم هو أفدح شكل من انعدام الأخلاق! في الواقع، يُعلن الله أن دمَهم سيكون علينا إن لم نحذرهم من خطيتهم، ومن الدينونة الآتية.[٤] تُشبه الكرازة بالإنجيل دون إظهار فداحة مشكلة الخطية محاولة شفاء سطحية لانكسار الناس بأن نقول لهم: "سلام، سلام" بينما ينعدم السلام.[٥]

تُعد رسالة رومية أقرب ما لدينا إلى اللاهوت النظامي في الكتاب المقدس. وفي تلك الرسالة، طرح الرسول بولس فكرَه اللاهوتي أمام الكنيسة في روما. وقد كان قصدُه أن يُجَهِّزَهم لزيارته القادمة؛ على أمل أن ينضموا إليه في مساعيه الكرازية في إسبانيا.[٦] من المهم ملاحظة أن الأصحاحات الثلاثة الأولى من هذه الرسالة، باستثناء المقدمة المختصرة، قد خُصِّصت لعقيدة الخطية (Harmartiology).[٧] وقد اجتهد الرسول بولس على مدار ثلاثة فصول بكل فكره، وبوحي من الروح القدس، أن يحقق هدفًا واحدًا عظيمًا يتمثل في إثبات إثم الإنسان، ودينونة العالم أجمع!

إنه أمرٌ شائع بين المؤمنيين أن يُصروا على أن الله لم يُعطِنا خدمة دينونة وموت، بل خدمة بر ومصالحة وحياة.[٨] وهذا صحيح جدًّا، ولكن هذا لا يَعني أن علينا ألَّا نتحدث كثيراً عن الخطية، أو ألَّا نستخدم الكتاب المقدس حتى نقود البشر

٣- يوحنا ٣:٣٦
٤- حزقيال ٣٣:٨
٥- إرميا ٦:١٤
٦- رومية ١٥:٢٣-٢٤
٧- هامرتيولوجي Hamartiology كلمة مركَّبة من اليونانية هامرتيا hamartía، ومعناها «خطية»، ولوجوس lógos ومعناها «كلمة» أو «حديث» . Hamartiology تعني حرفيًّا حديث عن الخطية.
٨- يستند هذا التصريح إلى ٢كورنثوس٣:٧-٩ و ٢كورنثوس ٥:١٧-١٨

إلى تبكيت الروح القدس لهم على خطيتهم. صحيح أنه لا توجد دينونة الآن "في المسيح يسوع"، لكن أيضًا لا يوجد سوى الدينونة بعيدًا عنه.[٩]

يُخبرنا الكتاب المقدس أن الناموس لم يُعطَ كوسيلة للخلاص، بل أداة لفضح وضاعة الخطية (أي: حتى يتَّضح من خلال الوصية أن الخطية خاطئة جدًّا) وإثم الإنسان (أي: حتى يتَّضح أن كل العالم مذنبٌ أمام الله).[١٠] ومع أنه من النادر استخدام الناموس لهذا الهدف اليوم، لا يوجد دليل في العهد الجديد على أن خدمة الناموس هذه يجب ألَّا تستمر في كونها جزءًا أساسيًّا من كرازتنا بالإنجيل. أطلق وعَّاظ الإنجيل القدامى على هذا الجزء حرث الأرض البور، وإزالة الصخور، وكشف الستار.[١١] ورأوا الحاجة لأن يقف البشر أمام مرآة ناموس الله؛ حتى يُمكنهم رؤية حالتهم البائسة، والصراخ طالبينَ الرحمة. وبالطبع لا يجب أن يُعمل هذا بروح كبرياء أو عجرفة، وعلينا ألَّا نتعامل مع الناس بخشونة. لم يَدْعُنا الله لنكون أشخاصًا عدوانيين أو مُهينين، برُغم أن الحقيقة التي نكرز بها بكل تواضع قد تكون إهانة عظيمة لكثيرين.

لم يكن هدف خدمة الرسول بولس هو الدينونة، لكنه جاهد جهادًا حقيقيًّا من أجل بشر مدانين على رجاء أن يُدركوا فسادهم الأخلاقي المطلق، ويعودوا للمسيح بتوبةٍ وإيمان. وفي رسالة رومية، انطلق بولس أولًا لإثبات الفساد الأخلاقي للعالم أجمع، وعداوته لله، ورفضه التام الخضوع للحق الذي يعرفه.[١٢] ثم وجَّه انتباهه لليهودي؛ ليُثبت أن برغم نواله بركةً خاصة بعطية الإعلان الخاص، فإنه مذنب أمام الله تمامًا مثل الأممي.[١٣] وأخيراً يختم حُجته بتقديم بعض أقوى الاتهامات

٩- رومية ٨:١ ؛ ١٨:٥
١٠- رومية ١٣:٧ ؛ ١٩:٣
١١- إرميا ٣:٤؛ هوشع ١٢:١٠
١٢- رومية ١٨:١-٣٢
١٣- رومية ١:٢-٢٩

المباشرة والمسيئة للإنسان في الكتاب المقدس.[١٤] ما هو هدفه؟ يُخبرنا في حُجته الختامية: «**لِكَيْ يَسْتَدَّ كُلُّ فَمٍ، وَيَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللهِ.**»[١٥]

مثله في ذلك مثل إرميا قبله، لم يكن بولس مدعوًّا "ليبني ويزرع" فقط، بل "ليقلع ويهدم، ليُهلِكَ وينقض."[١٦] فقد كان، بحسب كلماته: "هادم ظنون وكل علو يرتفع ضد معرفة الله."[١٧] جاهد بولس بقيادة الروح القدس، ومن خلال الكتاب المقدس؛ ليضع نهايةً لرجاء الأخلاقي الوثني، واليهود المتدينين، وغيرهم. فكتب وبشَّر؛ حتى يُغلق أفواه البشر؛ كي لا يفتخروا مجددًا ببرهم الذاتي، ولا يختلقوا أعذاراً للخطية. وهكذا جرَّدهم من كل رجاء آخر؛ حتى يلجأوا للمسيح.

هل كان الرسول بولس مجرد رجل غاضب مليء بالمرارة ممسكًا بمطرقة ليسحق الإنسانية؟ بالطبع لا! فقد أحبَّ البشرية لدرجة أنه سكب حياته قربانًا عن الأمم، حتى إنه تمنى لو كان هو نفسُه ملعونًا، ومنفصلًا عن المسيح من أجل أقاربه اليهود.[١٨] وَعَظَ بولس ضد الخطية للسبب ذاته الذي من أجله يعمل الطبيب لتشخيص داء المريض، ومستعد لإخباره حتى بأسوأ الأخبار. إنه جهاد المحبة لأجل خلاص السامع. وأيُّ رد فعل آخر من قِبَل الطبيب أو المبشِّر سيكون بلا محبة وغير أخلاقي.

قد يكون من الملائم أن نسأل أنفسَنا الآن إن كانت كرازتُنا بالإنجيل لها هذا الهدف نفسُه. هل نحب بما يكفي حتى نُعلِّم الحق، ونكشف الخطية، ونواجه سامعينا؟ هل نملك عطفًا كتابيًّا يُخبر البشر بالحق على رجاء أن تتكسر قلوبُهم تحت ثِقل خطيتهم؛ فينظروا للمسيح وحده؟ هل نحن مستعدون بالمجازفة بأن يُساء فهمنا، ويُفترى علينا لنُخْبِر بالحق حتى يخلص البشر؟ يبدو أن قناعة الإنجيليين تتزايد بأن الإنسان الغربي المعاصر يحمل بالفعل الكثير من الانكسارات النفسية،

١٤- رومية ٣:١-١٨
١٥- رومية ١٩:٣
١٦- إرميا ١٠:١
١٧- ٢ كورنثوس ٥:١٠
١٨- فيلبي ١٧:٢؛ رومية ٣:٩

والإحساس بالذنب، حتى إننا لا نجرؤ الضغط عليه أكثر؛ خشية أن نسحقه. تعجز هذه النظرة عن إدراك الاختلاف المهول بين الانكسار النفسي والتوبة الكتابية التي تقود للحياة. أصبح الإنسان المعاصر شخصية هشَّة؛ لأنه منغمس في ذاته، ويعيش في تمرُّد على الله. إنه مُثقَل بالشعور بالذنب؛ **لأنه** مذنب؛ لذا يحتاج لكلمة الله؛ حتى تفضح خطيته، وتجعله يتوب. وعندئذ سيحدث انكسار كتابي يقود للحياة.

تقدم لنا تعاملات الله مع أمة إسرائيل مثالًا رائعًا عن هذه الحقيقة. يصف الله حالة إسرائيل بإشعياء النبي: «**عَلَى مَ تُضْرَبُونَ بَعْدُ؟ تَزْدَادُونَ زَيَغَانًا! كُلُّ الرَّأْسِ مَرِيضٌ، وَكُلُّ الْقَلْبِ سَقِيمٌ. مِنْ أَسْفَلِ الْقَدَمِ إِلَى الرَّأْسِ لَيْسَ فِيهِ صِحَّةٌ، بَلْ جُرْحٌ وَأَحْبَاطٌ وَضَرْبَةٌ طَرِيَّةٌ لَمْ تُعْصَرْ وَلَمْ تُعْصَبْ وَلَمْ تُلَيَّنْ بِالزَّيْتِ.**»[١٩] كانت أمة إسرائيل مكسورة وهشَّة لأقصى درجة يُمكن تخيلها، ومع ذلك تعامل الله معهم من أجل خيرهم، عن طريق لفت الانتباه إلى تمردهم، ودعوتهم للتوبة. واستخدم الله العديد من الكلمات الصعبة ضدهم، لكن كل كلمة كانت ضرورية لكشف خطيتهم، وإبعادهم عنها. «**وَيْلٌ لِلأُمَّةِ الْخَاطِئَةِ، الشَّعْبِ الثَّقِيلِ الإِثْمِ، نَسْلِ فَاعِلِي الشَّرِّ، أَوْلاَدِ مُفْسِدِينَ! تَرَكُوا الرَّبَّ، اسْتَهَانُوا بِقُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ، ارْتَدُّوا إِلَى وَرَاءٍ.**»[٢٠] وأيضًا «**هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ، يَقُولُ الرَّبُّ. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلْجِ. إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ كَالدُّودِيِّ تَصِيرُ كَالصُّوفِ. إِنْ شِئْتُمْ وَسَمِعْتُمْ تَأْكُلُونَ خَيْرَ الأَرْضِ.**»[٢١]

تعريف الداء وشرح خطورته هما دائمًا الخطوتان الأولتان نحو العلاج. فالإنسان الذي لا يعلم بالسرطان الذي يعاني منه لن يطلب مساعدة الطب، ولن يهرب رجل من بيته المحترق إلَّا إذا عرف بوجود حريق. وعلى المنوال نفسه، لن يطلب الإنسان الخلاص حتى يعرف أنه ضال تمامًا، ولن يهرب إلى المسيح إلَّا عندما يعرف أن لا وسيلة أخرى للخلاص. يجب أن نكشف للبشر عن خطيتهم قبل أن يعترفوا بها؛ كما يجب أن يُعلَموا بخطورتها قبل أن يهربوا منها؛ وعليهم أن يقتنعوا

١٩- إشعياء ١:٥-٦

٢٠- إشعياء ١:٤

٢١- إشعياء ١:١٨-١٩

بأن الخلاص في المسيح وحده، قبل أن يتخلوا عن كل رجاء في برِّهم الذاتي، ويُسرعوا إلى المسيح.

في ضوء الحقائق السابقة، إنه أمرٌ يدعو إلى السخرية أن الكثيرين داخل المجتمع الإنجيلي لا يفكرون حتى في فداحة الخطية. ويبدو أن مجهودًا متعمدًا يُبذل لإحباط مثل هذه الكرازة بوصفها سلبية أو مدمرة، رغم أن هذا واحد من أعمال الروح القدس الأساسية: «**وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ: أَمَّا عَلَى خَطِيَّةٍ فَلأَنَّهُمْ لاَ يُؤمنون بِي. وَأَمَّا عَلَى بِرّ فَلأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلاَ تَرَوْنَنِي أَيْضًا. وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ.**»[٢٢]

قال الرب يسوع المسيح إن الله أرسل الروح القدس إلى العالم؛ حتى يبكت البشر على خطية وبر ودينونة. وبالتالي، تسليط الضوء على الخطية والإلحاح على الخاطئ حتى يتوب واحد من أعماله الأساسية. ألَّا ينبغي علينا نحن خدام الإنجيل أن يكون لنا الهدف نفسُه؟ ألَّا يجب أن يعكس وعظُنا العمل نفسَه؟ هل يُمكن أن نَكرز بقوة الروح القدس بينما نرفض أن نعمل مع الروح القدس في تلك الخدمة الجوهرية؟ ومع أن الروح القدس لا يعتمد على أدوات بشرية، فقد عيَّنه الله لكي يُبكِّت البشرَ على الخطية، ويأتوا للتوبة، وللإيمان المؤدِّي للخلاص من خلال الكرازة.[٢٣] ومع ذلك، هل يُمكن للروح أن يستخدم كرازتنا إن لم نكن مستعدين لفضح الخطية، ولا لدعوة البشر للتوبة؟ يُعلِّمنا الكتاب المقدس أن سيف الروح هو كلمة الله، لكن إن كان خدام الله لا يستخدمون السيف لتبكيت الناس على الخطية إلَّا على مضض، ألن يُطفئ هذا الخدمة وشخص الروح القدس أيضًا؟[٢٤] يجب ألَّا نخاف من اِتباع مثال الروح القدس في التعامُل مع الخطاة. إن اعتبَرَ الروح أن تبكيت البشر ضروري، يجب أن ننضم له في عمله. أمَّا أولئك المبشِّرين والكنائس،

٢٢- يوحنا ١٦:٨-١١
٢٣- ١كورنثوس ١:٢١
٢٤- أفسس ٦:١٧

الذين وجدوا طريقة "أفضل" ليس لديهم رجاء في عمل روح الله وسطهم ليأتي بالبشر للمسيح.

قبل أن نختم هذا الفصل، من المهم أن نُشير إلى ملاحظة أخيرة. إن أعظم سبب وراء التشديد على خطورة الخطية هو تُمجيد الإنجيل. لا يُمكنك رؤية جمال النجوم في ضوء النهار؛ لأن نور الشمس يَخفيها. ومع ذلك، بعد أن تَغرُب الشمس، وتظلم السماء، وتُصبح سوادًا حالكًا، يُمكنك رؤية النجوم في كامل رونقها. كذلك الأمر مع إنجيل يسوع المسيح. لا يُمكننا رؤية جماله الحقيقي سوى على خلفية خطيتنا. وكلما بدا الإنسان أكثر سوادًا، زاد نور الإنجيل أكثر.

يبدو أن البشر لن يلاحظوا جمال المسيح قط أو يقدروا قيمته إلَّا عندما يرون طبيعة خطيتهم القبيحة، ويرون أنفسَهم بائسين تمامًا، مفتقدين لأي اِستحقاق. توجد شهادات لا حصرَ لها على مر العصور لمؤمنين لم يُقدِّروا المسيح قط حتى جاء اليوم الذي بكَّتهم فيه الروح القدس على خطية وبر ودينونة. وبعد أن ابتلعهم ظلام خطيتهم الدامس، أشرق المسيح مثل نَجْمِ الصباح، وأدركوا قيمته النَّفيسة.[٢٥]

كم هو مدهش أنه حين يسمع المؤمنون الحقيقيون بيسوع المسيح عظةً عن فساد الإنسان، يخرجون من الكنيسة فائضين بالبهجة، وملآنين بغيرة جديدة لتبعية المسيح. ليس لأنهم يستخِفُّون بالخطية أو يجدون رضًا في حالتهم الخاطئة السابقة. بل لأن الحق يملؤهم بفرح لا يُنطق به؛ لأنهم في الظلمة الأعظم، رأوا المسيح أكثر لمعانًا! إننا نسلب البشر رؤيةً أفضل لله؛ لأننا نأبى أن نعطيهم رؤية أدنى لأنفسِهم.

٢٥- ٢بطرس ١:١٩؛ رؤيا ٢٢:١٦

الفصل الحادي عشر

تعظيم قدر الله[1]

«إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ»

(رومية ٣: ٢٣)

«إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ، وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ»

(مزمور ٥١: ٤)

لن يَعني الحكم الإلهي الذي فُرِضَ على الإنسان في النص أعلاه الكثير لثقافة تضحك للخطية، وتعتنقها كما لو كانت فضيلة. تدعو ثقافتُنا الشرَّ خيراً، والخيرَ شراً؛ ونستبدل النورَ بالظلام، والظلام بالنور![1] ولوقف هذا التيار، علينا أن نكرز بطريقة تُبرهن للبشر جسامة خطيتهم. ولا تتمثل أفضل طريقة لتحقيق ذلك في تعليم النظرة الكتابية للإنسان فحسب، بل في تعليم أيضًا النظرة الكتابية لله. ولكي يفهم البشر الطبيعة الشنيعة للخطية التي يرتكبونها، عليهم أن يفهموا نظرة الكتاب المقدس المهيبة **للشخص** الذي يُخطئون في حقه. لو فهِم غير المؤمن الأكثر جرأة وقساوة قدراً، ولو ضئيلًا، عَمَّن هو الله، لانْهار فوراً تحت ثقل خطيته.

١- إشعياء ٥:٢٠

إذا ذُكِرت الخطية على الإطلاق في سياقنا المعاصر، فإنها تُذكر كخطيةٍ ضد الإنسان أو ضد المجتمع أو حتى ضد الطبيعة، لكن نادراً ما تأخذ ثقافتُنا بعين الاعتبار الخطية ضد الله. وعلى النقيض، ينظر الكتاب المقدس لكل الخطايا باعتبارها في النهاية، وقبل كل شيء، موجَّهة ضد الله. خان الملك داوود ثقة شعبه، وزنى، وخطَّط حتى لقتل رجل بريء، ومع ذلك، حين دفعه توبيخ ناثان النبي للتوبة، صرخ في اعتراف لله: «**إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ، وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ**»[٢]

نتعلم من هذا النص حقيقتين في غاية الأهمية، أولًا، بالرغم من أننا قد نرتكب الخطية ضد بشر مثلنا بل ضد الخليقة نفسها، فإن كل خطية أولًا، وقبل كل شيء هي ضد الله. ثانيًا، الخطية شنيعة ليس بسبب الدمار الذي قد تجلبه على البشر الآخرين، أو على الخليقة ككل فحسب؛ بل لأنها في الأصل إهانة ارتُكِبت في حق إله مجيد غير محدود يستحق المحبة والتكريس والطاعة الكاملة من خليقته. لذلك، كلما فهم الإنسان شيئًا من مجد وسيادة الإله الذي أخطأ في حقه، زاد فَهمُه للطبيعة المروِّعة لخطيته. ستقود المعرفة الحقيقية لله البشرَ ليتعاملوا حتى مع أصغر تَعدٍّ على ناموس الله باعتبارة جريمة لا تُوصف، لكن الجهل بالله سيقودهم لمعاملة الخطية على أنها أمر بسيط ذي عواقبَ بسيطة.

من مبادئ الإيمان المسيحي الأساسية أن المعرفة الحقيقية بالله ضرورية حتى تكون للمرء نظرة صحيحة للواقع. ستقود نظرة المَرء الخاطئة لله في النهاية إلى نظرة خاطئة لكل شيء آخر. وينطبق هذا خصوصًا على الخطية. في المزمور الخمسين، يسخر الله من شعب إسرائيل؛ لأنهم نسوا أو رفضوا الحقائق الأكثر أهميةً في شخصه. كانوا قد بدأوا يعتقدون أنه مثلهم تمامًا، غير مبالٍ، وغير متأثر بالإثم.[٣] وقادتهم نظرتهم الخاطئة لله إلى نظرة خاطئة للخطية. وتخلصوا من كل قيد أخلاقي، وعوَّجوا طريقهم دون خوف أو خزي؛ فقادهم تمرُّدهم إلى الدمار. وهلكوا

٢- مزمور ٥١:٤

٣- مزمور ٥٠:٢١

لعدم المعرفة.[٤] ولهذا السبب أعلن إرميا النبي أن المعرفة الحقيقية بالله أثمن من كل استحقاق وفضيلة وبركة أخرى: «**هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: لاَ يَفْتَخِرَنَّ الْحَكِيمُ بِحِكْمَتِهِ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْجَبَّارُ بِجَبَرُوتِهِ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْغَنِيُّ بِغِنَاهُ. بَلْ بِهذَا لِيَفْتَخِرَنَّ الْمُفْتَخِرُ: بِأَنَّهُ يَفْهَمُ وَيَعْرِفُنِي أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الصَّانِعُ رَحْمَةً وَقَضَاءً وَعَدْلاً فِي الأَرْضِ، لأَنِّي بِهذِهِ أُسَرُّ، يَقُولُ الرَّبُّ.**»[٥]

لا نبالغ إن قولنا إن الجهل بصفات الله كبير في الشوارع، وعلى مقاعد الكنيسة. قد يكون للبشر بعض الآراء وثيقة الصلة بالكتاب المقدس عن الله في أمور معينة، لكن الأغلبية العُظمى قد خُدِعَت تمامًا في أمر الخطية وموقف الله منها. قد يقول البشر أموراً عظيمة عن محبة الله وعطفه ورحمته، لكنهم يصمتون صمتًا مريبًا فيما يتعلق بقداسته وبرِّه وسيادته. ولهذا السبب، أغلبهم متمسكون بنظرة دونية جدًّا لله، وهم عميان عن الطبيعة الحقيقية للخطية.

يجب أن نَفضح في الكرازة بالإنجيل إثم الخطية من خلال نشر معرفة الله الحقيقية. يجب أن نُعلن مشورة الكتاب المقدس الكاملة فيما يخص جميع صفاته، خاصة تلك الأقل شعبية وقَبولًا بين البشر الجسديين: رفعته وسُموه، وسيادته، وقداسته، وبره، ومحبته.

رِفعة الله وسُموه

يجب مواجهة حقيقة العصر المنحرف الذي نحيا فيه، الذي جعل فيه الإنسان نفسَه المقياس لكل الأشياء. ينظر الإنساني العِلماني المؤيد للحركة الإنسانية إلى الأسفل، ويرى أنه الأعلى على سلم التطور. وينظر فوقه ولا يجد أيَّ شيء. وهكذا نصَّب نفسَه ملكًا غيابيًّا، وصار المُقرِّر لمصيره، ومُشرِّع القوانين، والوكيل على الكوكب. وبما أنه ليس لديه مَن هو أعظم منه ليقارن نفسَه به، بات يعيش في وهم،

٤- هوشع ٤:٦
٥- إرميا ٩:٢٣-٢٤

غيرَ مدركٍ أنه في أفضل حالاته ليس سوى أنف فيها نسمة حياة وتفاخُر زائف، وحَفنة من العُشب يَنثره الريح، وبخار يظهر للحظة وسرعان ما يضمحل.[٦]

لا يُعد الإنسان المتدين أفضل كثيراً من نظيره العِلماني، رغم أنه يرتدي عَباءة الإنجيلية.[٧] كانت نتائج إحساسُه العالي بالاِعتداد بالنفس المقترن بتأثيرات علم النفس المعاصر عن تحقيق الذات، مدمِّرة. وما زاد الطين بِلة أن الوعَّاظ أنفسَهم المدعوين لفضح مثل تلك الأخطاء في الكنيسة صاروا يعملون الآن على الترويج لها. ومع أن الكثير من التعاليم عن الله صحيحة، فقد جعلوا مجدَه خاضعًا لِاحتياجات الإنسان، وبالتالي، بات الله الآن موجودًا من أجل الإنسان وليس العكس. وفضلًا عن ذلك، أصبحت مقاصد الله ومسرته الأبدية الصالحة تُرى الآن على أنها أمور معتمدة بالكامل، ومتشابكة مع صلاح الإنسان، حتى إن الله لا يُمكن إرضاؤه أو أن يصير كاملًا بدوننا. ومع أن تلك العبارات قد تبدو مبالغًا فيها، فإن الدراسة الأمينة لما يُوصِّله المجتمع الإنجيلي للعالم ستُثبِت أنها ليست بمبالغة.

أصبح للتيار الإنساني في المسيحية المعاصرة آثار مدمرة على الإنجيل الذي نكرز به للعالم. وقد سمحت نظرتُنا الدونية لله، التي تظهر بوضوح في وعظنا، للسامعين بأن يستمروا في نظرتهم المهرطِقة الكبيرة لأنفسِهم، والتي تعزلهم عن مخافة الرب، أو الرغبة في شخصه، أو إيجاد خيرهم المطلق وتحقيقه في إعلاء مجده. فقد ضللنا بعيدًا جدًّا في تفكيرنا وكرازتنا، حتى إن إجابة أول وأعظم سؤال في التعليم المسيحي القويم والمحترم صارت غير معروفة على الإطلاق للغالبية العُظمى من الإنجيليين: "ما هو الهدف الأساسي والأسمى للإنسان؟ إنه تمجيد الله والاِستمتاع التام به إلى الأبد؟"[٨]

٦- إشعياء ٢:٢٢؛ مزمور ١٠٣:١٥؛ يعقوب ٤:١٤

٧- **عباءة** تُشير إلى الملابس أو الثياب وتستخدم مجازيًّا لوصف المظهر الخارجي الذي يفضح الحقيقة الداخلية.

٨- Westminster Larger Catechism. Q. 1. الدليل الكبير لويستمنستر الذي يُقدِّم التعليم المسيحي في صورة سؤال وإجابة (السؤال الأول).

في ضوء كل هذه الضوضاء والتشويش، ما الذي يُمكن فعله؟ إن الطريق الذي يجب أن نسلكه بسيط بقدر ما هو صعب. يجب أن نُلزم أنفسَنا بالمجاهرة بصفات الله كما هي في الكتاب المقدس كمادة خام، دون اِختصار، أو تعديل، أو فلترة من قبل الفلسفات الإنسانية في عصرنا. لا يحتاج الله إلينا كي ندافع عنه. ولو جاهرنا به كما أعلن عن نفسه في الكتاب المقدس، سيُدافِع عن نفسه![9] يجب أن نقف وسط المغرورين، ونتحدى معتقداتهم، ونُوجِّه أعينهم للأعلى من خلال إعلان الحق. يجب أن نُخبرهم أن الرب هو الإله الوحيد، الأبدي، والخالد، وغير المنظور «**عَلِيٌّ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ.**»[10] يجب تحذيرهم بأن الأمم كنقطة من دلو أمامه، ويَحسبهم كغبار الميزان.[11] يجب أن نقودهم إلى اِستنتاج أن العظمة والقوة والمجد والبهاء، وكل شيء في السماوات من فوق وعلى الأرض من أسفل، مُلكٌ له.[12] لأن مِنه وبه وله كل الأشياء.[13] يجب أن نُعلن بأكثر وضوح ودقة أن هذا هو الإله الذي أخطأنا في حقه، ولأنه عظيم جدًّا فخطيتُنا شريرة جدًّا.

سيادة الله

بلا شك يرى الإنسانُ الجسديُّ سيادة الله باِعتبارها أقل صفة مستساغة له. وينطبق ذلك خصوصًا على الغرب المعاصر؛ حيث باتت الفردية والاِستقلالية والديمقراطية موضوعات مقدسة، وحقًا أصيلًا، وحقائقَ بديهية. ومع أنها موضوعات نبيلة يجب أن تُعرِّف وتضع حدودًا لحكم الإنسان للإنسان، يجب أن نحترس دائمًا من اِفتراض أن الله محدود جدًّا في ممارسة حكمه. يُعلن الكتاب المقدس بكل

٩- استعار الكاتب هذه الفكرة من سبرجن، الذي عرض حُجة مماثلة فيما يخص الكتاب المقدس: "الكتاب المقدس أشبه بأسد. من سَمِع من قبل بالدفاع عن أسد؟ فقط أطلِقه، وهو سيدافع عن نفسه."

١٠- مزمور ٩٧:٩؛ إشعياء٥٧:١٥؛ ١تيموثاوس١:١٧

١١- إشعياء ٤٠:١٥-١٨

١٢- ١كورنثوس ٢٩:١١

١٣- رومية ١١:٣٦

صراحة أن الرب ثبَّت عرشه في السماوات، ومُلكه يسود على الكل.[١٤] ولا حدود لحكمه، ولا يفوق حدود صولجانه أيَّ مخلوق أو نشاط. فكل كائن حي وكل شيء مخلوق وكل أحداث التاريخ هي ملكه. كما أنه يفعل كل ما يسره في كل مكان في خليقته.[١٥] ويفعل كل شيء حسب رأي مشيئته، وليس من يستطيع أن يرده.[١٦] إنه يُميت ويُحيي.[١٧] كما أنه يسبب السراء ويخلق الشر.[١٨] وليس من يستطيع أن يمنع يده أو يقول له: "ماذا تفعل؟"[١٩] أمَّا مؤامرة الرب فإلى الأبد تثبت، وأفكار قلبه إلى دو فدور.[٢٠] ليست حكمة ولا فطنة ولا مشورة يُمكنها أن تنتصر ضد الرب.[٢١] سلطانه سلطان أبدي وملكوته يثبت بلا نهاية.[٢٢] لن يحدث أبدًا تغييرٌ كبير، فمنصبُه لن يأخذه آخر أبدًا. وسيبقى دومًا هو الرب الذي علينا التعامُل معه.

يجب أن يفهم البشر أنهم حين يخطئون فإنهم لا يتمردون على إله صغير أو قائد لمنطقة صغيرة، بل على الملك العظيم فوق كل الآلهة، رب السماء والأرض، المبارك والمتسلط الوحيد، ملك الملوك ورب الأرباب![٢٣] ويجب أن يروا كل خطية كإعلان حرب على الله الذي خلق الكون بكلمة، ويحكمه بحرية وبلا جهد، ويأمر النجوم أن تصطف هناك ساهرة في سماء منتصف الليل، فتأخذ مكانها. ويُعطي كلمة للكواكب لتجد مداراتها، فتمتثل لأمره. ويأمر الأودية أن تنخفض والجبال أن ترتفع، فتُطيع في خوف. ورسَمَ خطًّا على الرمال، وأمر عُباب اليم ألَّا تتخطاه، فانحنت في خشوع. وبالرغم من ثبات طاعة القوى العُظمى في الخليقة، يستمر

١٤- مزمور ١٠٣: ١٩
١٥- مزمور ١١٥: ٣؛ ١٣٥: ٦
١٦- أفسس ١: ١١؛ أيوب ٢٣: ١٣
١٧- ١صموئيل ٢: ٦
١٨- إشعياء ٤٥: ٧
١٩- دانيال ٤: ٣٤-٣٥
٢٠- مزمور ٣٣: ١١
٢١- أمثال ٢١: ٣٠
٢٢- دانيال ٤: ٣٤-٣٥
٢٣- مزمور ٩٥: ٣؛ أعمال الرسل ١٧: ٢٤؛ ١تيموثاوس ٦: ١٥

الإنسان في رفع قبضته التافهة متحديًا الله. إنه مثير للشفقة تمامًا كحشرة تضرب برأسها جبلًا من الجرانيت، كما أنه يُدمِّر نفسَه مثله في ذلك مثل المريض المتصل بأجهزة التنفس، لكنه يحاول نزع سلك التيار من مصدر الكهرباء.

بصفتنا كارزين بالإنجيل، يجب أن نُعظِّم قدر سيادة الله؛ وبالتالي نُثبت للبشر أن خطيتهم جريمة فظيعة تكشف طبيعة القلب الساقط الأحمق والمدمِّرة للذات. ومع ذلك، إن رفضنا أن نُعلن مِلء الله، ونُجاهر بتلك الحقائق الصعبة لسامعينا، فإننا نظلمهم بشدة، ونحكم عليهم بحياة من الجهل وعبادة الأصنام. يُخبرنا الكتاب المقدس أن الله أعلن عن نفسِه لإسرائيل حتى يخافوه.[٢٤] وفي المقابل، يجب أن نكرز بمشورة إعلان الله التامة عن شخصه؛ حتى تخافه كل الأمم وتخلص. وبدرجة معرفتهم به، سيفهمون شيئًا عن الطبيعة الشنيعة لخطيتهم، لعلهم يبحثون عن علاج لها في إنجيل يسوع المسيح.

قداسة الله

يصف كلٌّ من عهدي الكتاب المقدس اللهَ بأنه قدوس، قدوس، قدوس.[٢٥] وتلك التركيبة الثلاثية غالبًا ما يُشار إليها بأنها (trisagion)، وهي أقوى صيغة من صيغ التفضيل في اللغة العِبرية.[٢٦] لا يُعظِّم كُتَّاب الكتاب المقدس صفة أخرى لله بهذا القدر، فقداستُه ليست مجرد صفة واحدة بين العديد من الصفات، بل هي السياق ذاته الذي يجب أن تُعرَّف وتُفهم من خلاله الصفات الإلهية الأخرى. لذلك، قبل كل شيء، على البشر أن يعرفوا أن الله قدوس! وما يفهمونه عن هذه الصفة

٢٤- خروج ٢٠:٢٠

٢٥- إشعياء ٦:٣؛ رؤيا ٤:٨

٢٦- من اليونانية tris: تعني ثلاثة؛ agion: تعني قدوس. جون ن. أوزوالت، سفر إشعياء الفصول ١-٣٩، التفسير العالمي الحديث للعهد القديم (جراند رابيدز: إيردمانز،١٩٨٦)، ١٨١.
(John N. Oswalt. The Book of Isaiah: Chapters 1–39. The New International Commentary of the Old Testament (Grand Rapids: Eerdmans, 1986), 181.

الفريدة سيُحدِّد ما يفهمونه عن الله، والذات، والخطية، والخلاص، وعن الواقع بالكامل. يُعلِمنا الحكيم في سفر الأمثال أن معرفة القدوس فَهم.[٢٧] وجهل الإنسان بتلك الصفة ذات الأهمية الفريدة يَعني جهله بالله؛ ما يُعرِّضه لفَهم خاطئ لباقي الصفات والأعمال الإلهية. ليس هذا فقط، بل إن انعدام معرفة القدوس ستقود البشر لنظرة معوجة أو مشوَّهة للنفس. وهكذا، إن كان للبشر أن يفهموا طبيعة خطيتهم البغيضة، فعليهم أولًا أن يفهموا شيئًا عن طبيعة الله القدوس!

تأتي كلمة **قدوس** من الكلمة العبرية "**قادوش**" التي تعني مفروزًا، أو مُعْلَمًا، أو منفصلًا، أو منعزلًا من الاستخدام الشائع. وفيما يخص الله، تُشير الكلمة لحقيقتين هامتين. تتمثل الحقيقة الأولى في أن قداسة الله تُشير إلى سموِّه.[٢٨] فالله، بصفته الخالق، يسمو فوق خليقته، ويتميز تمامًا عن كل ما قد خَلقه وحفظه. وهذا التميُّز أو الانفصال بين الله وكل شيء آخر ليس كَمِّيًّا فقط (أي إن الله أعظم)، بل نوعيًّا أيضًا (أي إن الله كائن مختلف تمامًا). وبغض النظر عن البهاء الشخصي، كل الكائنات الأخرى على الأرض، وفي السماء، هي مجرد مخلوقات. الله وحده هو **الإله**، المنفصل، والسامي، الذي لا يُدنى منه.[٢٩] إن أكثر الملائكة بهاءً التي تقف في محضر الله لا تشبه الله، بل مثلها في ذلك مثل أصغر دودة تزحف على الأرض. فليس قدوسٌ مثل الرب.[٣٠] وهو لا يُقارَن!

إن اختلاف الله هذا هو الذي يجعل البشر يقفون في مهابة ويخافونه. فأروع المخلوقات وأرهبها في السماء وعلى الأرض لا تزال مخلوقات مثلنا. برُغم أنهم يفوقوننا حجمًا وقوة، ويخزوننا بحكمتهم وجمالهم، لا يزالون مجرد مخلوقات، ولا يختلفون سوى اختلافٍ كمِّي. لكن الله قدوس، وفريد، ومستقل، ليس أعظم فحسب،

٢٧- أمثال ٩: ١٠

٢٨- كلمة سمو بالإنجليزية transcendence تأتي من الفعل اللاتيني transcendere، حيث trans تعني فوق، و scandere تعني يصعد، بمعنى يفوق أو يعلو فوق أو يتجاوز.

٢٩- تثنية ٤: ٣٥ ؛ ١تيموثاوس ٦: ١٦

٣٠- ١صموئيل ٢: ٢

بل مختلف تمامًا وبالكامل. ولهذا السبب رنَّم موسى وشعب إسرائيل: «**مَنْ مِثْلُكَ بَيْنَ الآلِهَةِ يَا رَبُّ؟ مَنْ مِثْلُكَ مُعْتَزًّا فِي الْقَدَاسَةِ.**»[٣١]

ثانيًا: تُشير قداسة الله إلى سموّه فوق فساد خليقته الأخلاقي. فالله منعزل عن كل ما هو دنس وآثم. كما أنه معصوم عن الخطأ وطاهر![٣٢] ونور، وليس فيه ظلمة البتة.[٣٣] وأبو الأنوار، الذي ليس عِنده تغيير ولا ظل دوران.[٣٤] كما أنه غير مُجَرَّب بالشرور ولا يُجرِّب أحدًا.[٣٥] وكذلك عيناه أطهر من أن توافقا على الشر، ولا يُمكنه أن ينظر له باِستحسان.[٣٦] وكل خطية هي "مكرهة" لديه، أي شيء مقيت يُثير الكراهية والاِشمئزاز. كل من يعمل ظلمًا هو رجس أمام عرشه، ووجهه ضد كل فاعلي الإثم.[٣٧] لهذا السبب فأكثر البشر تقوى وقداسة في الكتاب المقدس هم الذين اقتربوا لشخص الله، وسقطوا أمامه كالموتى صارخين: «**وَيْلٌ لِي! إِنِّي هَلَكْتُ، لأَنِّي إِنْسَانٌ نَجِسُ الشَّفَتَيْنِ، وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجِسِ الشَّفَتَيْنِ؛ لأن عَيْنَيَّ قَدْ رَأَتَا الْمَلِكَ رَبَّ الْجُنُودِ.**»[٣٨]

يحدث شيء من التقدُّم المنطقي في خلاص البشر؛ إذ يجب أن يعرفوا أنهم ضالون قبل أن ينالوا خلاصهم. ومع ذلك، يجب أن يعرفوا أنهم خطاة قبل أن يُدركوا أنهم ضالون حقًا. وأخيراً، يجب أن يُدركوا أن الله قدوس قبل أن يستوعبوا بالكامل الطبيعة المفجعة لخطيتهم! وفي ضوء تلك الحقائق، لا بد أن يكون واضحًا أننا لا ننفع البشر بشيء حين نُخفي عنهم حقيقة خطيتهم، ولا نُحسن إليهم حين

٣١- خروج ١٥:١١

٣٢- كلمة impeccable تأتي من الكلمة اللاتينية impeccabilis، حيث im بمعنى لا، وpeccare بمعنى يخطئ، وabilis بمعنى يستطيع. فيكون المعنى: لا يقدر أن يخطئ أو خالٍ من العيب واللوم.

٣٣- ١يوحنا ١:٥

٣٤- يعقوب ١:١٧

٣٥- يعقوب ١:١٣

٣٦- حبقوق ١:١٣

٣٧- تثنية ٢٥:١٦؛ مزمور ٥:٤

٣٨- إشعياء ٦:٥

نتهاون في إرشادهم إلى معرفة القدوس. كان الرب يسوع المسيح يُوكِّد أن الإنجيل والملكوت لن يتقدما سوى بتعلُّم البشر تقديس اسم الله، أو بتقديم الاحترام لقداسته.[٣٩] لذلك، فالكرازة بالإنجيل لا تحدث بأية درجة من الأمانة إلَّا إذا عظَّمنا قدر قداسة الله.

بـــر الله

تُترجم كلمة بار من الكلمة العبرية (tsaddik)، والمصطلح اليوناني المماثل (dikaios). ويُشير كلا المصطلحين إلى بر الله أو صدقه أو تميُّزه الأخلاقي. ووفقًا للكتاب المقدس، بر الله ليس مجرد شيء قرر الله أن يكونه أو يفعله، بل هو جوهري في طبيعته ذاتها. إنه إله **بار**؛ وبرُّه أبدي، وهو لا يتغير.[٤٠] إنه إله الأمانة الذي لن يُعوِّج الحق.[٤١] كما أنه يتصرف دائمًا بطريقة متسقة مع كينونته. وهكذا، كل أعماله كاملة وجميع سبله عدل.[٤٢]

تكشف تعاملات الله العادلة مع خليقته عن شخصه البار. وتُؤكِّد لنا كلمته أن البر والعدل هما أساس كرسيه، وهو يحكم على الكل بلا هوى أو تحيُّز أو ظلم.[٤٣] وكونه إلهًا بارًا، فهو يُحب البر بكل كيانه، ويُبغِض ما هو ليس برًا كراهيةً كاملة.[٤٤] وهكذا لا يُمكنه أن يكون محايدًا أخلاقيًا أو متعاطفًا تجاه صفات وأعمال البشر أو الملائكة، بل سيُدينهم بعدل ومساواة كاملَيْن دون خلط. كما يُعلن كاتب المزمور: **«أَمَّا الرَّبُّ فَإِلَى الدَّهْرِ يَجْلِسُ. ثَبَّتَ لِلْقَضَاءِ كُرْسِيَّهُ، وَهُوَ يَقْضِي لِلْمَسْكُونَةِ بِالْعَدْلِ. يَدِينُ الشُّعُوبَ بِالاسْتِقَامَةِ.»**[٤٥]

٣٩- متى ٦:٩
٤٠- مزمور ٧:٩؛ ١١٩:١٤٢
٤١- تثنية ٣٢:٤؛ أيوب ٨:٣
٤٢- تثنية ٣٢:٤
٤٣- مزمور ٨٩:١٤
٤٤- مزمور ١١:٧؛ ٥:٥
٤٥- مزمور ٩:٧-٨

اِستنادا على تلك الحقائق، لدينا الضمان بأن في ذلك اليوم، عندما يُدين الله أعمال البشر، حتى المدانون سيحنون رؤوسهم معلنين أنه مُحق! **وَيَتَعَالَى رَبُّ الْجُنُودِ بِالْعَدْلِ، وَيَتَقَدَّسُ الإِلهُ الْقُدُّوسُ بِالْبِرِّ.**[٤٦] لن يوجه له أبدًا اتهام بارتكاب شيء خطأ؛ لأنه إله بار، وأعماله وعهوده وأحكامه كاملة وبلا عيب.[٤٧]

تُعد هذه الأخبار الخاصة ببر الله أو عدله جيدة وسيئة في الوقت نفسه. إنها أخبار جيدة؛ لأننا نُريد إلهًا قويًا غير محدود وكليَّ السيادة وباراً وعادلًا. من الصعب تخيُّل أي شيء أكثر رعبًا من كائن كليِّ القدرة وشرير في الوقت ذاته. إن إلهًا لا أخلاقي ذا قوة مطلقة سيجعل مجرمي هذا العالم، أمثال هتلر، يبدون كأنهم مجرمين عديمي الأهمية، ومذنبين بمجرد جنحة تافهة. إذا كان هناك إله، نُريده أن يكون باراً!

من ناحية أخرى، يُقدِّم الإله البار العديد من المشكلات للإنسان. في الواقع، يُمكن أن نقول إن المشكلة الأعظم عِند الإنسان هي بر الله. يقود المنطق البسيط إلى هذا الاِستنتاج:

الفرضية الأولى: خالق الكون وصاحب السيادة عليه بار وصالح.

الفرضية الثانية: الإله البار والصالح يُقاوم ويُدين كل ما هو آثم وشرير.

الفرضية الثالثة: كل البشر أشرار ومذنبون بالإثم.

الاِستنتاج: لذلك، الله سيُقاوم كل البشر ويُدينهم.

إن بر الله هو خبر سار للمخلوقات البارة، لكنه خبر مفزع للآثمين. يُوكِّد كاتب سفر الأمثال هذه الحقيقة: «**إِجْرَاءُ الْحَقِّ فَرَحٌ لِلصِّدِّيقِ، وَالْهَلاَكُ لِفَاعِلِي الإِثْمِ.**»[٤٨]

٤٦- إشعياء ٥:١٦
٤٧- أيوب ٢٣:٣٦
٤٨- أمثال ١٥:٢١

لو كنا أبراراً مثل الله لأصبح نبأ الدينونة المحتمة سببًا للاحتفال. لكننا لسنا أبراراً، في الحقيقة ليس بارٌّ، ليس ولا واحد.[٤٩] لذلك، فتوقُّع دينونة الله البارة، يجب أن يولِّد رعبًا شديدًا في كل إنسان، ويدفعه إلى طلب محام. لا يُمكن أن يقودنا الواقع بأن أغلب البشر غير متأثرين بخبر الدينونة القادمة إلّا لواحد من الاستنتاجات الآتية. أولًا، يكون ضميرهم موسومًا، ويعتقدون أن الأمر برُمته خرافة. ثانيًا، يعتقدون أنفسَهم أكثر براً مما هم عليه في الواقع. ثالثًا، يعتقدون أن الله أقل براً مما هو عليه في الحقيقة. رابعًا، يجهلون ببساطة تلك الموضوعات؛ لأن المِنبر الإنجيلي نادراً ما يُعلنها بوضوح. عادةً ما تصور العديد من الثقافات في أرجاء العالم العدالة بامرأةٍ تحمل بيدها ميزانًا ووشاحًا يُغطي عينيها. وتهدف الصورة لإظهار أن العدالة عمياء عن الانحياز والرشوة، ولكنها تمثِّل للبشر الساقطين شيئًا أقلَ نبلًا بكثير. نحن عِميان عن العدالة، والبر، والإنصاف. إننا موازينُ غشٍّ ومكاييل غير وافية.[٥٠] ونُشير إلى القذى التي في عين قريبنا، ولكن يبدو أننا غير مدركين للخشبة التي في أعيننا.[٥١] ونُندِّد بالطغاة السياسيين الفاسدين، الذين يسلبون شعوبهم، ونحتج على طمع الشركات العملاقة التي لا رقابة عليها لكننا نفشل في رؤية التشابهات اللافتة للنظر بيننا وبينهم. حيث لا يوجد فرق سوى في الدرجات. حيث نأكل خبزاً مسروقًا، ونمسح أفواهنا ونقول إننا لم نخطئ. لا نفهم إننا حين ننادي بدينونة إلهية على كبار الخطاة في هذا العالم، نجلب دينونة على رؤوسنا. ونبدو غافلين عن الاتهام العام الموجود في الكتاب المقدس لنا جميعًا. ليس بارٌّ ليس ولا واحد[٥٢]. بصفتنا كارزين بالإنجيل، يجب أن نُعلن بر الله، ونكشف إثم البشر. يجب أن نُظهر صرامة بر الله، ونثْبت أن أقل انحراف عن مقاييسه الكاملة يُجرِّدنا من الأهلية ويُدِيننا. يجب أن يعرف البشر أن الأمر اقتضى فعلَ إثمٍ واحد من آبائنا الأولين

٤٩- رومية ٣:١٠
٥٠- أمثال ١١:١
٥١- متى ٧:٣-٤
٥٢- رومية ٣:١٠

ليأتي بالدينونة على كل البشر، ويُلقي بالعالم في فوضى يتعذّر إصلاحُها.[٥٣] وعندئذ سيُدركون أن أعمال إثمهم التي لا تُحصى تُجرِّدهم من أهليتهم لأية عَلاقة اِستحسان مع الله بناء على فضيلتهم واِستحقاقهم. وعندما يسألنا العالَمُ غيرُ المؤمن عَمَّا يجب على البشر فعله ليسْكنوا في محضر الله، ينبغي أن تكون إجابتُنا واضحة ومباشرة. فالله يُطالب الإنسان الذي يسعى لعَلاقة مع الله بشيء واحد فقط: أن يعيش حياة كمال أخلاقي مُطلق بلا عيب أو سقوط في كل لحظة من لحظات حياته.[٥٤] عندما يعترف سامعونا باِستحالة أمر كهذا، حينئذ نوجِّههم نحن إلى المسيح.

محبة الله

لا شيءَ يكشف فساد الإنسان وخطيته أكثر من الوعظ الواضح والمتسق عن محبة الله. عندما يُقارِن الواعظ هذه الصفة السامية التي يتصف بها العلِي مع عدم اِكتراث وعدائية مخلوقاته تجاهه، فإنه يكشف وضاعة الإنسان، ويُظهر الخطية أنها خاطئة جدًا.[٥٥]

يجب على الكارز بالإنجيل أن يغمر البشر بمحبة الله. وعلى البشر أن يعرفوا أن ذلك ليس اِستحقاقًا منهم ولا فضيلة لهم، بل هي محبة الله، التي تُحركه ليُقدِّم نفسَه مجانًا وبلا أنانية للآخرين لمنفعتهم أو صالحهم.[٥٦] يجب أن يعرفوا أن حبَّه أكثر بكثير من مجرد موقف، أو عاطفة، أو عمل. إنه **صفة**، وجزء من كينونته أو طبيعته. الله لا يُحب فقط بل هو المحبة.[٥٧] إنه إله المحبة،[٥٨] وجوهر ماهية الحب الحقيقي، وكل محبة حقيقية تتدفق منه بصفته مصدرها المطلق. يجب أن

٥٣- رومية ٥:١٢-١٩
٥٤- أنا مدين بهذه الفكرة للقس مايكل دورهام بكنيسة أوك جروف المعمدانية في بادوكا، كنتاكي.
٥٥- رومية ١٣:٧
٥٦- تثنية ٧:٧-٨
٥٧- ١يوحنا ٨:٤؛١٦
٥٨- ٢كورنثوس ١١:١٣

يُدرك البشر أنه من الأسهل أن يُحصوا كل نجوم السماء، أو كل حبات الرمل على الأرض عن أن يَقيسوا أو حتى يسعوا لوصف محبة الله، فارتفاعُها، وعمقُها، واتساعُها، يفوق فهم أكثر المخلوقات إدراكًا.

يجب على واعظ الإنجيل أن يُظهر محبة الله تجاه الخطاة بإظهار إحسان الله، أي نزعته إلى عمل الخير للآخرين: ويُباركهم، ويسعى لخيرهم. ويشهد الكتاب المقدس أن الله خالق محب يسعى لبركة وخير الملائكة والبشر والبهائم.[٥٩] إن الله على النقيض تمامًا مع أيِّ رأي قد يُصوِّره كإله نزوات، ومتقلب، وانتقامي، يُريد سقوط خليقته وتعاستها. إنه صالح للكل، ومراحمه على كل أعماله.[٦٠] ويجعل شمسه تُشرق على الأشرار والأخيار، ويُرسل مطراً على البار والأثيم على حدٍّ سواء.[٦١] كما أنه عطوف على البشر الجاحدين والأشرار.[٦٢] وكل عطية صالحة وموهبة كاملة هي مِنه.[٦٣]

يجب أن يُظهِر خادم الإنجيل محبة الله للخطاة بتعريف وتوضيح رحمة الله ونعمته. ويجب أن يَعرف البشر رحمة الله كإشارة إلى لُطفه المُحب، وقلبه الحنون، وعطفه تجاه أكثر مخلوقاته بؤسًا وحقارةً. فالكتاب المقدس يدعوه رب الرحمة، ويصفُه بأنه "مليء" بالرحمة، و"غنيٌّ" في الرحمة.[٦٤] يجب أن يعرف البشر نعمة الله باِعتبارها إشارة لاِستعداده أن يُعامل خليقته ليس بحسب اِستحقاقهم، بل بحسب لطفه وكرمه. إنه إله كل نعمة،[٦٥] ويشتاق لأن يكون رؤوفًا تجاه البشر، ويتأنى من عُلاه ليتراءف عليهم.[٦٦] الله يُخلِّص البشر بالنعمة حين يكونون عاجزين عن

٥٩- يونان ٤: ١١؛ أمثال١٢: ١٠
٦٠- مزمور١٤٥: ٩
٦١- متى ٥: ٤٥
٦٢- لوقا ٦: ٣٥
٦٣- يعقوب ١: ١٧
٦٤- مزمور١٤٥: ٨؛ ٢كورنثوس ١: ٣؛ أفسس ٢: ٤
٦٥- ١بطرس ٥: ١٠
٦٦- إشعياء ٣٠: ١٨

تخليص أنفسِهم، ليُظهر في الدهور الآتية غِنى نعمته الفائق في اللطف تجاه غير المستحقين.[٦٧]

يجب أن يُظهر خادم الإنجيل السِّمات الفائقة لمحبة الله بتسليط الضوء على صبره، أو طول أناته. ويجب أن يعرف البشر أن الله دائمًا ما يُظهر اِستعدادًا "ليُطيل آناته" و"يحتمل" ضعفات خليقته وآثامهم. فالله يكبح غضبه ولا يُهيِّج سخطه؛ لأنه يذكر أن البشر ريحٌ تذهب ولا تعود.[٦٨] إنه بطيء الغضب، لا يُريد لأحدٍ أن يهلك بل للكل أن يأتي للتوبة.[٦٩] يُريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحقّ يقبلونُ.[٧٠] كما أنه لا يُسر بموت الشرير، بل بأن يرجع عن طرقه ويحيا.[٧١]

أخيراً، والأكثر أهمية، يجب أن يُجاهد خادم الإنجيل باِستمرار ليُعلي محبة الله من خلال إعلان بذل الآب اِبنه بكرم منقطع النظير. إن محبة الله تفوق الفهم، ومعلنة لكل خلائقه بعدد لا نهائي تقريبًا من الطرق. ومع ذلك، يُعلِّمنا الكتاب المقدس أنه يوجد برهان واحد لمحبة الله يسمو فوق جميعها، وهو التضحية باِبنه الوحيد لخلاص شعبه. إذ يشهد الكتاب المقدس أن الله محبة، وأنه أظهر محبته لنا بأن أرسل اِبنه الوحيد ليموت؛ حتى يحيا البشر من خلاله. ولذلك، ميولنا وأعمالنا لا تحدد المحبة ولا تقيسها؛ فالمحبة الحقيقية هي محبة الله التي بيَّنَها لنا بإرسال اِبنه؛ ليكون كفارة لخطايانا.[٧٢] من المعروف أنه بالجهد يموت أحد من أجل بار، ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضًا أن يموت. ولكن الله بيَّن محبته لنا؛ لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجل البشر الأثمة والبائسين تمامًا.[٧٣] أثبت دفع هذا الثمن الباهظ للفداء أن محبة الله هي الأكثر جمالًا، وأن خطية الإنسان هي الأبشع على الإطلاق.

٦٧- أفسس ٢:٧-٨
٦٨- مزمور ٧٨:٣٨-٣٩
٦٩- خروج ٣٤:٦ ؛ ٢بطرس ٣:٩
٧٠- ١تيموثاوس ٢:٤
٧١- حزقيال ١٨:٢٣؛٣٢
٧٢- ١يوحنا ٤:٧-١٠
٧٣- رومية ٥:٦-٨

كانت تلك النقاط بضع حقائق يجب وضعها أمام البشر إن كانوا يُريدون أن تكون نظرتُهم كتابية لله، وأن يفهموا الطبيعة الحقيقية للخطية التي ارتكبوها في حقه. إن كل خطية هي شريرة أولًا وأخيراً؛ لأنها تُرتَكَب في حق إله صالح بغير حدود، يستحق كل حب، وإخلاص، وطاعة. وكلما عظَّمنا قَدْر هذا الإله في عظاتنا، انفتحت أعينُ البشر أكثر على فداحة خطيتهم، ومدى اِحتياجهم الشديد للخلاص.

الفصل الثاني عشر

الجميع خطاة

«إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ»

(رومية ٣: ٢٣)

بعيدًا عن النظرة الكتابية لله، يكمن الاحتياج الأكبر لدى الإنسان في نظرة كتابية للذات. وهنا نكتشف تناقضًا كبيراً بين الفكر العِلماني والحق الكتابي. ترى النظرة المعاصرة أن الإنسان في الأساس صالح، وأكبر مشكلاته تنبع من تأثيرات خارجية غير صحية من عوامل اِجتماعية، وسياسية، واِقتصادية، وتربوية، إلخ. وعلى النقيض، يُعلِّم الكتاب المقدس، أن الإنسان مخلوق ساقط، وأن فساد قلبه الأخلاقي هو مصدر كل العِلل التي يُعاني منها.

عندما نعظ بإنجيل يسوع المسيح ونكرز به، يجب أن نُجاهد لنوصِّل لسامعينا نظرة كتابية للخطية والخاطئ. إن تفسير الكتاب المقدس بقوة الروح القدس هو الطريق الوحيد لتحقيق ذلك. إن العمل صعب وكثيراً ما يُساء فهمه، لكنه ضروري تمامًا كحراثة الأرض قبل غرس البذار. إنها مهمتنا أن نتحدث عن الموضوع الوحيد الذي يُفضِّل غالبية البشر أن ينسوه. إن عملنا عملٌ غير اعتيادي؛ لأن درجة الإيمان، والاِنكسار، والتوبة الناتجة في قلب سامعينا هي مقياسُنا للنجاح. إنه طريق وَعِر؛ لكنه الطريق الوحيد للخلاص.

في رومية ٣: ٢٣، تُترجم كلمة **أخطأوا** من الكلمة اليونانية الأكثر شيوعًا للخطية وهي (hamartano)، وتَعني أن يُخطئ المَرء في إصابة الهدف، أو يُذنب، أو يَحيد عن الطريق. في حين تُعد الكلمة العبرية الأكثر شيوعًا للخطية هي (chata)، وتدل على المعنى نفسه. يُوصِّل كاتب سفر القضاة الفكرة المتضمنة في كلتا الكلمتين عندما يُخبرنا أن رجال بنيامين «**يَرْمُونَ الْحَجَرَ بِالْمِقْلاَعِ عَلَى الشَّعْرَةِ وَلاَ يُخْطِئُونَ.**»[١] ويُحذِّر الحكيم في سفر الأمثال من أنه «**يُخْطِئُ** (أو يَحيد عن الطريق) **الْمُسْتَعْجِلُ بِرِجْلَيْهِ.**»[٢] ومن وجهة النظر الكتابية، يجب أن يُركز الإنسان هدفه للوصول إلى إرادة الله، كما أنها الطريق الذي عليه أن يسير فيه. وأية فكرة، أو كلمة، أو فعل لا يُطابِق هذا المعيار تمامًا هو خطية. وحتى أقل اِنحراف يأتي بالمعصية. ولهذا السبب يُعرِّف الدليل الكبير لويستمنستر الذي يُقدِّم التعليم المسيحي في صورة سؤال وإجابة الخطية بإنها "أيُّ تقصير في الامتثال لأيِّ قانون إلهي" (السؤال ٢٤). من المهم ملاحظة أن الكتاب المقدس لا يرى أن "**عدم إصابة الهدف**" **خطأ** بريئًا، أو ارتُكب بنية سليمة، بل يعتبره دائمًا فعلَ تمردٍ بكامل الإرادة، يَنتُج من فساد الإنسان الأخلاقي وعداوته لله.

يوجِّه النص المذكور أعلاه الاِتهام بالخطية لكل إنسان بلا اِستثناء، «**فَالْجَمِيعُ أَخْطَأُوا**». وتتردد أصداء هذا الفكر ذاته في طيات كل الكتاب المقدس، حيث نقرأ في العهد القديم «**لَيْسَ إِنْسَانٌ لاَ يُخْطِئُ**» وأيضًا «**لَنْ يَتَبَرَّرَ قُدَّامَكَ حَيٌّ.**»[٣] أعلن الملكُ الحكيم والحزين سليمان من خلال مظهر الأخلاق الخارجي والرقيق للإنسان أنه «**لاَ إِنْسَانٌ صِدِّيقٌ فِي الأَرْضِ يَعْمَلُ صَلاَحًا وَلاَ يُخْطِئُ.**»[٤] وأخيراً فتَّش إشعياءُ النبيُّ في البشرية جمعاء وصرخ: «**كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ.**»[٥]

١- قضاة ٢٠:١٦
٢- أمثال ١٩:٢
٣- ١ملوك ٨:٤٦؛ مزمور ١٤٣:٢
٤- جامعة ٧:٢٠
٥- إشعياء ٥٣:٦

كان كُتَّاب العهد القديم صارمين في دينونتهم للإنسان، لكن لابد ألَّا نظن أن كُتَّاب العهد الجديد كانوا مختلفين في الرأي، أو أن توبيخهم كان أقل صراحة. في رومية ٣، حاك الرسول بولس مجموعة من الاقتباسات من العهد القديم معًا؛ ليُظهر شمولية الخطية وعالميتها، وعمق فساد الإنسان. إنه واحد من أطول التنديدات الموجهة للبشرية، وأكثرها صراحةً في الكتاب المقدس كله «**فَمَاذَا إِذًا؟ أَنَحْنُ أَفْضَلُ؟ كَلاَّ الْبَتَّةَ! لأَنَّنَا قَدْ شَكَوْنَا أَنَّ الْيَهُودَ وَالْيُونَانِيِّينَ أَجْمَعِينَ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلاَ وَاحِدٌ. لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ. لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ اللهَ. الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعًا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ.**»[٦]

نرى من الكتاب المقدس أن الخطية ليست ظاهرة نادرة أو غير اعتيادية مقصورة على أقلية ضئيلة من البشرية، لكنها عالمية من حيث نطاقها؛ فقد انضم كل عضو في الجنس البشري لآدم في العصيان الذي بدأه. وأولئك الذين قد يُنكرون مثل هذه الحقيقة، عليهم أن يُنكروا شهادة الكتاب المقدس وشهادة التاريخ البشري وشهادة أفكارهم وكلماتهم وأعمالهم الآثمة ذاتها. يتعمق الرسول يوحنا أكثر من ذلك، ويُخبرنا أن أولئك الذين يُنكرون واقع خطيتهم يجعلون الله كاذبًا، ويُثْبتون أنهم ليسوا في أية عَلاقة معه: «**إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا... إِنْ قُلْنَا: إِنَّنَا لَمْ نُخْطِئْ نَجْعَلْهُ كَاذِبًا، وَكَلِمَتُهُ لَيْسَتْ فِينَا.**»[٧]

تُظهر أقل لمحة في الكتاب المقدس أن الخطية أخطر عِلَّة تُصيب الإنسان، ولكن لا يُمكن بأي حال من الأحوال إنكار أن الخطية تُعامَل باعتبارها مسألة تافهة في ثقافتنا المعاصرة، وفيما يُسمَّى بالمسيحية التي أنتجتها. ولهذا السبب علينا جميعًا أن نكون أكثر حرصًا على اتباع مثال كُتَّاب الكتاب المقدس، الذين جاهدوا بكل قواهم؛ ليفضحوا الخطية، ويجعلوها خاطئة جدًّا. علينا ألَّا نتحدث عن الخطية في صورة تعميم غير مؤذٍ، يميل إلى ترك النفس غير منزعجة وغير مؤمنة، بل علينا أن نستخدم لغة محدَّدة تُعرِّف طبيعة الخطية الحقيقية، وتكشف كل مظاهرها.

٦- رومية ٣:٩-١٢

٧- ١يوحنا ١:٨؛١٠

ونسعى إلى رسم صورة مروِّعة جدًّا للخطية في قلوب وأذهان السامعين؛ حتى لا يُمكن إزالتها سوى بدم الحمل. ولتحقيق هذا الهدف، يجب أن نفحص بعضًا من صفات الخطية الأكثر شيوعًا وتكرارًا.

الخطية تعدٍّ ومعصية

«نَادِ بِصَوْتٍ عَالٍ. لاَ تُمْسِكْ. اِرْفَعْ صَوْتَكَ كَبُوق وَأَخْبِرْ شَعْبِي بِتعدِّيهِمْ.»[٨]

في هذا النص يأمر اللهُ إشعياء، الذي يتكلم بلسانه، أن يفضح بوضوح وحماس تعديات شعبه. ويُوجِّه اللهُ النبيَّ أن يصرخ رافعًا صوته كبوق ليُعلن، ويُذيع، ويشرح تفصيلًا الخطية التي ستتسبب قريبًا في هلاك إسرائيل. ويمزج اللهُ هذا الأمرَ بتحذير إلهي للنبي: لاَ تُمْسِكْ. عليه ألَّا يكبح نفسَه في وعظه ضد الخطية بسبب حِس مزيف من التعاطف، وعليه أن يضع جانبًا خوفه من أن يجرحهم. كان على إسرائيل أن يُجرَح بسيف الروح، وكان من المطلوب إجراء عملية جراحية عميقة ومؤلمة لخلاصهم. ويُعد هذا توبيخًا وتحريضًا للمبشِّرين المعاصرين، الذين كثيراً ما يُهملون هذا العنصر الضروري في الكرازة الحقيقية بالإنجيل.

في العهد القديم، تُترجم كلمة "تَعدٌّ" من الكلمة العبرية (abar) التي تعني تجاوزَ أو مرَّ بجانب. ويُتَرجَم المصطلح في العهد الجديد، من الكلمة اليونانية (parabaino) التي تعني يمر بجانب أو يتخطى. ويُقصد بالخطية أن تتخطى أو تلُفَّ حول شريعة الله بتجاهل تام لشخصه وسلطانه. كما تعني أيضًا أن نتخطى ما تسمح به وصاياه، ونتجاهل الحدود التي يفرضها علينا ناموسُه. وتَعني كذلك أن نتجاوز السياج، ونتعدَّى إلى أماكن لا ننتمي لها، مثل الخروف الذي ضلَّ وانحرف إلى طريقه.[٩] وعلى خلاف المحيطات العظيمة التي تطيع صوت الله، وتبقى داخل الحدود التي رسمها لها، يسعى البشر باِستمرار إلى تجاوز الحدود التي رسمها الله لهم، والتعدي عليها.

٨- إشعياء ٥٨:١
٩- إشعياء ٥٣:٦

يتميز الوعظ عن الخطية بوصفها تَعدٌّ بفوائدَ عديدة. أولًا، أنها تكشف الكبرياء الذي بداخل قلب الإنسان. فمَن هو هذا المخلوق التافه الذي يقدر أن يركض بوقاحة ليتجاوز الحدود التي وضعها الله؟ إنه خِزي وعار على باقي الخليقة! فالثور والحمار يتمتعان بفهم أكثر منه.[١٠] ثانيًا، أنها تفضح حماقتنا. فقد وُلِدنا البارحة، ويكاد القليل الذي نعرفه لا يكفي لمَلء غطاء زجاجة.[١١] ومع ذلك، نختار التمرُّد على مشورة الإله السرمدي الذي ليس لمعرفته حدود، ولا مثيل لحكمته. ثالثًا، أنها تُخبرنا بالسبب الحقيقي لكل أسقامنا؛ لأننا استهنا بالقدوس، وابتعدنا عَنه.[١٢] وبسبب تعدياتنا؛ باتت أذهانُنا مريضة، وقلوبُنا سقيمة. من أخمص قدمنا حتى أعلى هامتنا، لا شيءَ سليم فينا، تغطينا الكدمات، والقروح المفتوحة، التي جلبناها كلها على أنفسِنا.[١٣]

الخطية تمرُّد وعصيان

«**لأَنَّ التَّمَرُّدَ كَخَطِيَّةِ الْعِرَافَةِ، وَالْعِنَادُ كَالْوَثَنِ وَالتَّرَافِيمِ.**»[١٤] نعيش في ثقافة تُعيد تعريف الخطية، وتصنفها من جديد لتلائمها. ومع أن الأغلبية قد تعترف ببعض الانهيار الأخلاقي في حياتهم، فإنهم لا يعتبرون أنفسَهم أشراراً، ولا خطيتهم سيئة كخطايا الآخرين. تتمثل أكبر فائدة من الآية الواردة في صموئيل الأول ١٥: ٢٣ في توضيح أنه لا وجود لخطايا صغيرة. يرى الله أن أقل تمرُّد هو شرٌّ تام، كممارسة طقوس شيطانية، وحتى أية لمحة عصيان تساوي أكثر الشرور إثارةً للتقزز أو عبادة آلهة زائفة. ومع أن خطايا معيَّنة لها عواقب أكثر دماراً من أخرى، فإن جوهر كل خطية به التمرُّد والعصيان ذاته. ويتمرد كلٌّ من الطفل الذي يُتلف السجادة بإلقاء صحنه عليها عن عمد، والطفل الذي يرفض أن يجمع ألعابه المبعثرة على الأرض، التمرُّد ذاته ضد سلطان والديهم. وعلى رُغم أن نتيجة أفعالهم الخاطئة قد تختلف في الدرجة، إلّا أن التمرُّد الناتج واحد.

١٠- إشعياء ١:٣
١١- أيوب ٨:٩
١٢- إشعياء ١:٤
١٣- إشعياء ١:٥-٦
١٤- ١صموئيل ١٥:٢٣

يصف صموئيل الأول ١٥: ٢٣ الخطية بأنها تمرُّد وعصيان. وتُشير كلمة **تمرُّد** إلى ثورة، أو عصيان، أو جموح. وتُترجم كلمة عصيان من الكلمة العبرية (patsar)، التي تَعني حرفيًّا "الضغط أو الدفع." وتدل على شخص عنيد، ومتغطرس، ووقح، ومتجرئ، ومتكبر. تُساعدنا تلك التعريفات على رؤية طبيعة عصيان الإنسان المروعة. فالخاطئ خائن متمرد على الله، ويقف ضد ملكوت السماء، ويدعو لامتداد مملكته الخاصة. إذ يعمل عمل أبيه، إبليس، الذي يُريد أن يقتحم عرش الله ويقتله في هيكله.[١٥] إن الخاطئ وحْش عنيد وقح، لا يرفض مشيئة صانعه فقط، بل يسعى أيضًا لفرض مشيئته عليه.

في ضوء ما يعلمنا إياه الكتاب المقدس عن سمو الله وسيادته وقوته، يجب أن نرى خطايانا بوصفها أسوأ أشكال التكبر، وأعلى درجات الجنون. هل للبشر الذين هم مجرد بخار، بل وأقل من لا شيء، الحق في التمرد على الإله السرمدي؟[١٦] هل يحق لقطع الفخار المكسورة أن ترفض بعناد يدَ السيد؟ ومع ذلك يُنكر البشر سيادة الله، ويسعون لحكمهم الذاتي. إنهم لا يرفضون مشيئته فقط، بل يسعون إلى إخضاعه لمشيئتهم. ونادراً ما يرى الإنسان المعاصر ذاته في هذا النور، وقليلًا ما يُصنِّف خطيته على أنها عصيان وتمرُّد. لذلك لزم على خادم الإنجيل أن يساعده ليرى ما قد يصعب عليه قبوله، ومع ذلك ضروري لخلاصه.

الخطية تعدٍّ

«كُلُّ مَنْ يَفْعَلُ الْخَطِيَّةَ يَفْعَلُ التعدِّي أَيْضًا. وَالْخَطِيَّةُ هِيَ التعدِّي».[١٧]

بلا شك يُثْبت هذا النص فداحة كل شكل من أشكال الخطية. وكل عمل خاطئ، من الأكبر للأصغر، بحسب التقدير البشري، هو تعدٍّ، وممارسة أية خطية هي ممارسة التعدِّي. تُترجم كلمة **التعدِّي** هنا من الكلمة اليونانية (anomia) التي تعني حرفيًّا **لا قانون** أو **بدون قانون**. ويَعني فعل التعدِّي العيش وكأن الله محايد

١٥- يوحنا ٨:٤٤
١٦- يعقوب ٤:١٤
١٧- ١يوحنا ٣:٤

أخلاقيًا، أو لا مبالٍ، أي إنه لم يكشف مشيئته للبشرية قط. وكلتا الفكرتين تناقضان الكتاب المقدس مباشرة؛ إذ إنه وفقًا للكتاب المقدس، الله كائنٌ بار، وقد أعلن شريعته أو مشيئته لكل البشر من خلال عمل الناموس المكتوب في قلوبهم، ولبعض البشر من خلال إعلان الكتاب المقدس الأعظم.[١٨] وفي كلتا الحالتين، يشهد الكتاب المقدس أن كل البشر وصل إليهم نورٌ كافٍ فيما يتعلق بمشيئة الله؛ لذا سيكون الكل بلا عُذر في يوم الدينونة.[١٩] وما قاله النبي ميخا لليهود يُمكن قوله بدرجات مختلفة لكل إنسان: «**قَدْ أَخْبَرَكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا هُوَ صَالِحٌ، وَمَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ، أَلاَّ أَنْ تَصْنَعَ الْحَقَّ وَتُحِبَّ الرَّحْمَةَ، وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعًا مَعَ إِلهِكَ؟**»[٢٠]

من المهم فهم أن الإنسان قد يمارس التعدِّي في تحدٍّ مباشر لناموس الله، أو بعدم إبداء اهتمام به ببساطة، والجهل به عن عمد. وفي كلتا الحالتين يُظهِر الإنسان ازدراءً بالله وبسلطانه. ومن اللازم فهم أيضًا أن حِدَّة عصيان الشخص لا تعتمد على الادعاءات الخاصة بعِظم أو صِغر القانون الذي كُسِر، فكل خطية هي تعدٍّ، «**لأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِمًا فِي الْكُلِّ.**»[٢١] علاوةً على ذلك، تُظهر حقيقة الإشارة إلى ضد المسيح بأنه "اِبن الهلاك"، الطبيعة البغيضة للتعدِّي، ويسوع يأمر أولئك الذين يرتكبون التعدِّي بأن يبتعدوا عنه في يوم الدينونة.[٢٢] إن كل خطية هي تعدٍّ على القانون، تُولد في الجحيم، وتستحق كل دينونة.[٢٣]

بصفتنا مبشِّرين بالإنجيل، يدعونا الله أن نكشف كل تُعد، ونُوقِف تيار اِمتداده بين البشر. ولن يُمكننا تحقيق هذا إلَّا بإعلان مشورة الله الكاملة. ويُحذرنا كاتب

١٨- رومية ٢:١٤-١٦؛ ٢تيموثاوس ٣:١٥-١٧
١٩- رومية ١:٢٠
٢٠- ميخا ٦:٨
٢١- ايوحنا ٣:٤ ؛ يعقوب ٢:١٠
٢٢- ٢تسالونيكي ٢:٣؛ متى ٧:٢٣
٢٣- كل خطية هي من إبليس (يوحنا ٨:٤٤) اقرأ يعقوب ٣:٦ الذي يحوي جملًا مشابهة بخصوص اللسان: «يُضْرَمُ مِنْ جَهَنَّمَ».

سفر الأمثال قائلًا: «**بِلاَ رُؤْيَا يَجْمَحُ الشَّعْبُ، أَمَّا حَافِظُ الشَّرِيعَةِ فَطُوبَاهُ.**»[٢٤] عندما لا يتمتع البشر ومجتمعاتهم برؤية أو إعلان لمشيئة الله يركضون بطيشٍ نحو التعدي الجامح. ومع ذلك، يكبح الله التعدي حين يواجه البشر بناموسه، ويُوبخهم الروح القدس، ويأتي بهم لمعرفة يسوع المسيح المخلِّصة. إن الكرازة بالإنجيل ليست عملًا لطيفًا لأناسٍ قلوبُهم سقيمة. يدعونا الله للوقوف في وجه الأمواج، وضد التيار؛ لنكشف أن الخطية هي التعدِّي، وأن البشر يكسرون الناموس، ولنوجِّههم للمسيح، الوسيط الوحيد بين الله والناس.[٢٥]

الخطية عداوة

«**لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ ِللهِ، إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعًا لِنَامُوسِ اللهِ؛ لأَنه أَيْضًا لاَ يَسْتَطِيعُ**».[٢٦] واحدة من أكثر الحقائق إزعاجًا عن خطية الإنسان هي أنها تعبير أو إظهار لعدائيته وعداوته وحتى كرهه لله. وحتى نفهم هذه الحقيقة، علينا أولًا أن نكتشف السبب وراءها. لماذا يحتفظ الإنسان، بصفته مخلوقًا اعتماديًّا، بعداوة كهذه تجاه إله صالح بلا حدود؟ وفقًا للكتاب المقدس، يحدث ذلك لأن الإنسان الساقط هو كائن فاسد أخلاقيًّا، يُحب الإثم، ويُطالب بالاستقلالية (حالة من التحرُّر والحكم الذاتي) ليعمل ما يَحسُن في عينيه.[٢٧] وبالتالي، يكره أيضًا الله البار، ويكره ناموسه الذي يُعد تعبيراً عن ذلك البر.[٢٨] وهكذا، كما يُعلِّمنا النص، **لا يُمكن** للإنسان أن يُطيع أو يُخضع ذاته لقانون الله؛ لأنه **لا يُريد** أن يفعل ذلك؛ لأنه يكره الله. ولا تتمثل المشكلة فى الإرادة الحرة، بل في الإرادة المريضة، فالإنسان الساقط يكره الله بشدة، حتى إنه لا يخضع له وإن قاده ذلك إلى هلاك أبدي.

٢٤- أمثال ٢٩:١٨
٢٥- ١تيموثاوس ٢:٥
٢٦- رومية ٨:٧
٢٧- رومية ٣:١٢؛ إشعياء ٦٤:٦؛ أيوب ١٥:١٦؛ قضاة ١٧:٦؛ أمثال ١٤:١٢
٢٨- رومية ١:٣٠

علَّم الرب يسوع المسيح قائلاً: «**إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ**».[٢٩] وهذا برهان إضافي على وجود عَلاقة مباشرة بين ميلنا تجاه الله وعَلاقتنا بمشيئته. تكشف الطاعة الحقيقية لمشيئة الله عَن حب حقيقي تجاهه. في حين تُظهِر الخطية العكس تمامًا، أي إنها تُظهِر الكُرْه والعداوة. يُمثل موقفنا الخسيس، الذي لا يُغتفَر، تجاه الله جوهر كل خطية مُرتكبة. وهكذا، تُعد كل خطية، سواء كانت كبيرة أو صغيرة، في نظر المجتمع، شراً لا يُقاس؛ لأنها تنبع من قلب في حرب مع الإله الذي يستحق كل محبة، وامتنان، وعبادة.

يجب أن يُؤكِّد خادم الإنجيل على تلك الحقائق للبشر. لا تُعد الخطية سوى مجرد العَرَض لمرض داخلي أكثر سوادًا، وقلبٍ فاسد يُحب الشر، وقلب عدائي تجاه الوصايا السيادية لإله بار. إن كل القواعد والإصلاحات الدينية من كل المؤسسات الكنسية مجتمعة لا يُمكنها تغيير الإنسان داخليًا، أو إزالة العداوة من قلبه. إن حالة الإنسان ميؤوس منها بعيدًا عن العمل الحقيقي للإنجيل الذي يُكرز به بأمانة، ويُصاحبه بقوة تجديد الروح القدس.

الخطية غدر وخيانة

«**وَلكِنَّهُمْ كَآدَمَ تَعَدَّوُا الْعَهْدَ. هُنَاكَ غَدَرُوا بِي**»[٣٠] فكل أنواع الخطايا هي شكل من أشكال الغدر. وتُترجم كلمة **غدر** من مصطلحين عبريين (maal and bagad)، وكلاهما يَعني التصرُّف بغدر، أو خداع، أو خيانة. ويُعرِّف قاموس ويبستر هذا المصطلح على أنه انتهاك للولاء أو خيانة للثقة أو خيانة. ويصف هوشع ٦: ٧ الخطية الأولى لأبينا آدم بأنها غدر ضد الرب، ويُشكِّل الغدر في جميع أنحاء الكتاب المقدس عنصراً مشتركًا بين كل الخطايا.[٣١] فالخطية هي تمرُّد وتخلٍّ عن الإله الحقيقي من أجل أصنام، ونجدها أيضًا في كل أشكال الارتداد أو البُعد عن الله.[٣٢]

٢٩- يوحنا ١٤:١٥
٣٠- هوشع ٧:٦
٣١- حزقيال ٢٤:١٨
٣٢- إشعياء ٨:٤٨؛ ١أخبار الأيام ٢٥:٥؛ مزمور ٥٧:٧٨

عندما نتأمل طبيعة وأعمال الله الذي تَعرَّض لغدر البشر، نرى غدر الخطية بأكثر وضوح. فالله هو الإله الأمين، الذي تصل أمانتُه للسماوات، وتمتد لكل الأجيال.[٣٣] كما أنه يحقق كل خُططه وأعماله بأمانة كاملة.[٣٤] ويحفظ أمانته للأبد ولا يتغير.[٣٥] ويحفظ عهده ورأفته لألف جيل، ولا تسقط كلمة واحدة من كلماته، ولا وعد من وعوده قط.[٣٦] لذلك عندما يُخطيء الإنسان ضد الله، يخون الشخص المستحِق كل ولاء وإخلاص والِتزام واحِترام واجب. لهذا تُعتبر الخطية أسوأ أشكال الغدر، وأعظم صور الخيانة، وتستدعي عقوبة الموت.[٣٧] تُثْبت كل خطية يرتكبها الإنسان قرابته وأَخَويَّته ليهوذا الذي أرشد أولئك الذين قبضوا على يسوع.[٣٨] وبصفتنا خدام الإنجيل علينا إعلان تلك الكلمات الصعبة عن غدر الإنسان؛ لئلا نكون خائنين للإله الذي دعانا للخدمة، وللإنجيل الذي دُعينا لنبشِّر به، وللبشر المحتاجين بشدة لسماع الحق.

الخطية مكرهة

«هذه السِّتَّةُ يُبْغِضُهَا الرَّبُّ، وَسَبْعَةٌ هِيَ مَكْرُهَةُ نَفْسِه.»[٣٩] **«لأَنَّ كُلَّ مَنْ عَمِلَ ذلِكَ، كُلَّ مَنْ عَمِلَ غِشًّا، مَكْرُوهٌ لَدَى الرَّبِّ إِلهِكَ.»**[٤٠] من بين كل الكلمات التي استُخدِمَت لتصف الطبيعة البشعة للخطية، قد تكون كلمة **مكرهة** هي الأكثر ملاءمةً. وتأتي تلك الكلمة من الكلمة العبرية (towebah) والكلمة اليونانية (bdelugma). وفي كلتا اللغتين، هي واحدة من أقوى الكلمات المتاحة التي تدل على شيء كريه أو فاسد أو مثير للاشمئزاز. ويُعرِّف **قاموس ويبستر** كلمة مكرهة بأنها شيء يستحق التقزُّز أو الكره، أو شيء ممقوت، أو مقرف، أو يتسبب في اِشمئزاز شديد. وببساطة

٣٣- تثنية ٧:٩؛ مزمور ٥:٣٦؛ ٥:١٠٠
٣٤- مزمور ٤:٣٣؛ إشعياء ١:٢٥؛ ١تسالونيكي ٢٤:٥
٣٥- مزمور ٦:١٤٦؛ ملاخي ٦:٣
٣٦- تثنية ٩:٧؛ يشوع ١٤:٢٣ ؛ ١ملوك ٥٦:٨
٣٧- حزقيال ٢٤:١٨
٣٨- أعمال الرسل ١٦:١
٣٩- أمثال ١٦:٦
٤٠- تثنية ١٦:٢٥

أيُّ شكل من أشكال الخطية هو رجس، أي مكرهة أمام الرب تُثير اِشمئزازه وبُغضته وكراهيته. قد تكون تلك الكلمات قاسية، لكن علينا ألَّا نتوقع أي شيء أقل من ذلك من إله قدوس وبار، عيناه طاهرتان جدًّا عن أن توافق على الشر، ولا يُمكنه أن ينظر للشر باِستحسان.[٤١]

وفقًا للكتاب المقدس، كل من يفعل الإثم هو مكرهة للرب،[٤٢] كما أن الخطية هي فعل الرجس.[٤٣] في الواقع، يُثير الأشرار اِستياء الله جدًّا، حتى إن طقوسهم الدينية تصير مكرهة له.[٤٤] يُخبرنا كاتب سفر الأمثال أن الخطية ليست فقط مكرهة لله، بل هي موضع سخطه وبغضته البارِّيْن.[٤٥] ويُحذرنا أيضًا من أن أولئك الذين بعصيانهم جعلوا أنفسَهم مكرهة، لن يفلتوا دون عقاب بكل تأكيد.[٤٦] ويُختَم سفر الرؤيا بتحذير الدنسين والذين يصنعون رجسًا، بأنهم سوف يُقاسون عقابًا أبديًّا بحرمانهم من حضور الله المفضَّل.[٤٧]

كيف نقبل نحن الذين نَعْلم ونؤمن بتلك الأمور عن الخطية ألَّا نُعلِّمها للآخرين؟ هل يُمكننا أن نُخفي معلومات كهذه عن البشر باِسم الأدب والذوق؟ هل من الخطأ أن نستخدم الكلمات نفسَها التي استخدمها الله لكشف الخطية لإخواننا البشر المتراخين في جهلهم، الذين يموتون بدون المسيح؟ الخطية مكرهة وتؤدي لدمار حياة الكثيرين الذين لا حصر لهم. يجب بصفتنا خدام للإنجيل أن نطرح جانبًا حب البقاء والرغبة في الشعور بالتقدير من البشر. ويجب أن نوظِّف بجرأة ومحبة الكلمات القاسية التي تفضح فساد الخطية؛ حتى يبتعد الناس عنها بُعد السليم عن الأجرب، ويركضون نحو الخلاص في المسيح.

٤١- حبقوق ١٣:١
٤٢- تثنية ١٦:٢٥
٤٣- حزقيال ٥٢:١٦
٤٤- أمثال ٨:١٥
٤٥- أمثال ١٦:٦
٤٦- أمثال ٥:١٦
٤٧- رؤيا ٢٧:٢١

ختام وتحذير

بما أننا وصلنا لنهاية هذا الفصل، قد يظن القارئ «**إِنَّ هذَا الْكَلاَمَ صَعْبٌ! مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَسْمَعَهُ؟**»[٤٨] في الحقيقة، الخطية مزعجة واللغة قاسية. ومع ذلك، يجب فهم أن التعليم المباشر عن الخطية جزء جوهري من إنجيل يسوع المسيح. يجب أن يفهم الناس ماهيتهم وماهية ما فعلوه. وعلى رُغم أن حقيقة كهذه فاضحة ومؤلمة، فإنها كتابية وضرورية.

نادراً ما نستخدم كلمة خطية في ثقافتنا المعاصرة. ليس لأننا اِستبدلنا بها كلمة أكثر ملاءمةً؛ بل لأن الفكرة نفسَها فُقِدَت. إننا نحيا وسط بشرٍ إمَّا غير قادرين أو غير راغبين في ممارسة التمييز الأخلاقي أو إعلان إدانتهم لأي شيء. لم تَعُد الخطية خاطئة جدًّا، ولم يَعد البشر فاسدين تمامًا. إن مجرد اِقتراح أن شيئًا قد يكون خطأ، أصبح أمراً لا يحتمل، وإعلان أن شيئًا ما خطية أصبح مستحيلًا، وتعليم أن البشر خطاة أصبح عملًا إجراميًّا. لكن على مجتمعنا معرفة أن الإله القدوس والبار الذي لا يتغير سيُدينهم في يوم ما، وأن ما كان في البَدء خطية لا يزال اليوم خطية، وأن ما قاد إلى هلاك أبدي لجموع لا حصرَ لها سيستمر في اِبتلاع المزيد.

بصفتنا خدام الإنجيل، يجب أن نطبع تلك الحقائق في أذهان البشر، مع أنهم قد يَعتبرون أن لغتنا فاضحة، ويُشكِّكون في دوافعنا، يجب ألَّا نتراجع عن اِستخدام كلمات الله، وندعو الأشياء بأسمائها؛ حتى يراها البشرُ على حقيقتها.

٤٨- يوحنا ٦:٦٠

الفصل الثالث عشر

الخطاة عاجزون

«إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ»

(رومية ٣: ٢٣)

تأتي كلمة **أعوزهم** من الكلمة اليونانية (hustereo)، التي تعني الفشل في بلوغ هدف أو تحقيق غاية. ووفقًا للنص السابق، يُعد الهدف أو الغاية التي يفشل الإنسان في بلوغها هي مجد الله. وعبر تاريخ الكنيسة كله، تعددت الآراء فيما يخص المعنى الدقيق لهذه الكلمة؛ ومع ذلك، يُعد التفسير الذي اتُّفِق عليه، والأكثر شيوعًا هو أنها "تَعني فشل أو تقصير الإنسان في تحقيق مجد الله، أي إن الإنسان قد فشل في أن يُمجِّد الله كما ينبغي، وفقد امتيازه الفريد بأن يحمل أو يعكس مجد الله."

تمجيد الله

يُعلِّم الكتابُ المقدس أن الله خلق الإنسان لإكرامه، وتسبيحه، ومسرته الصالحة. ونحن لا نتنفس سوى لكي يعود هذا النَّفَس له بالتسبيح والعبادة. كما تنبض قلوبُنا بإيقاع من أجله؛ حتى يكون راضيًا تمامًا. وصُنِعت عقولنا بهذا التعقيد الشديد؛ حتى تفكر أفكاراً عظيمة عنه، وتقف أمامه في مهابة. وتُمكننا قوتنا الجسدية من خدمته

وتنفيذ مشيئته. باختصار، نحن منه، وبِهِ، ولَهُ.[١] ونجد خيرنا الأسمى في محبتنا له من كل قلبنا، ونفسنا، وفكرنا، وقوتنا، وبفعلنا لهذا كله فإننا نمجده.[٢]

لا بد للإنسان أن يكون ولهانًا بحب الله، ومفتونًا تمامًا به. ويُعد أيَّ شكل من أشكال الشِّبع الذي لا يكون الله هو مصدره، صنمًا؛ حتى أتفه المهام، مثل الأكل والشرب ينبغي أن تكون لمجده أو لا تحدث على الإطلاق.[٣] كان دليل ويستمينستر الأصغر للتعليم المسيحي في صورة سؤال وإجابة مُحقًّا عندما أعلن أن "الهدف الرئيس للإنسان هو تمجيد الله، والتمتُّع به إلى الأبد" (السؤال ١). إن امتياز الإنسان وواجبه أن يُجِلَّ الله فوق كل شيء، وأن يكون راضيًّا تمامًا فيه، وأن يعيش أمامه بخشوع، وامتنان، وطاعة، وعبادة. وكانت هذه هي حالة الإنسان الأصلية قبل السقوط، ولن يتعافى البتة حتى يعود إلى ما كان عليه، وإلى الهدف الذي خُلق لأجله.

يشهد الكتاب المقدس بوضوح أن الله قد خلق الإنسان لمجده، لكن الإنسان فشل بكامل إرادته في تحقيق هذا الهدف. وتُظهر رسالة بولس لكنيسة رومية هذا الواقع المرير بوضوح: «**لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلهٍ، بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ.. وَأَبْدَلُوا مَجْدَ اللهِ الَّذِي لاَ يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى، وَالطُّيُورِ، وَالدَّوَابِّ، وَالزَّحَّافَاتِ.**»[٤] وبحسب هذا النص، يعرف كل البشر ما يكفي عن الإله الواحد الحقيقي، حتى إنهم بلا عذر أمامه في الدينونة. ومع ذلك، يقمع الإنسان ما يَعلم أنه حق، ويتمرد على الهدف نفسه الذي خُلق من أجله، أي مجد الله وإكرامه. وببُعد الإنسان عن الحق، ابتلعته الظلمة والغرور. وبدلًا من التوبة، بات الإنسان يُحارب ضد ما يعرف أنه حق، واستمرَّ في انحداره إلى دوامة الظلمة الأخلاقية، والانهيار، والعبثية أكثر فأكثر.

١- رومية ١١:٣٦

٢- تعني عبارة الخير الأسمى أو الخير الأعظم: باللاتينية، summum bonum، أن الإنسان يجد خيره أو غايته الأسمى في الله. متى ٢٢:٣٧؛ كورنثوس الأولى ١٠:٣١.

٣- اكورنثوس ١٠:٣١

٤- رومية ١:٢١-٢٣

تتناقض الخطية التي توصم كل البشر مع تمجيد الله، وتُظهِر كيف صار الإنسان مُنفصلًا عن الله.[٥] وقد انتزع نفسَه من الغاية التي صنعه الله من أجلها، وعزل نفسَه عن الهدف الوحيد من وجوده، وطَرَح جانبًا مجد الإله العديم الفساد، وجعل نفسَه موضوع العبادة.[٦] ورَفَض مشيئة الله وأخضع نفسَه لنفسِه. هل من العجب أنه الآن يتلمس طريقه في الظلام بحثًا عن المعنى بلا طائل، وأن أكبر محاولاته لإيجاد معنى سخيفة تمامًا؟

من المهم ملاحظة أن فشل الإنسان في تمجيد الله لن يقود إلى وجود بلا معنى فحسب، بل إنه أصل كل الخطايا الأخرى. تُعد تلك القائمة الطويلة من الرذائل التي ذكرها بولس في خطابه الافتتاحي إلى أهل رومية مجرد نتيجة لخطية واحدة عظيمة تفوقهم جميعًا تتمثل في رفض الإنسان لمعرفة الله وإكرامه.[٧] إن هذا الفشل هو صندوق باندورا في الكتاب المقدس، الذي يملأ العالم كله بالفوضى والخراب.[٨]

يُصبح هذا النقاش المختصر عن مجد الله مهمًّا خصوصًا كلما تطرقنا لقضية الصلاح "الخرافي" للملحد. عادة ما يحاول الناس دحض الادعاءات المسيحية بالإشارة للملحد الذي لا يُؤمن بالله، ولا يُقدِّم له العبادة لكنه رجل أخلاقي يسعى لخير رفقائه البشر. ويدور الجدال حول أنه ليس عدلًا أن يتعرض رجل كهذا للدينونة، ويُحكم عليه؛ ببساطة لأنه لا يرى دليلًا كافيًا يدعم الإيمان بوجود الله.

بالرغم من شيوع هذا الجدال، فإنه لا يَثبُت أمام الكتاب المقدس. أولًا، يُبرهن الكتاب المقدس أنه لا وجود لملحدين حقيقيين، فكل البشر لديهم معرفة بالإله الواحد الحقيقي؛ لأن ما هو معروف عن الله جليٌّ في داخلهم؛ كما أن الله جعل معرفته ظاهرة لهم من خلال المصنوعات التي صَنعها؛ حتى يكونوا بلا عذر.[٩]

٥- الخطية هي العكس أو النقيض المباشر لتمجيد الله.
٦- رومية ١:٢٣
٧- رومية ١:٢١-٢٣
٨- في الأسطورة كان صندوق باندورا يحتوي على كل شرور وويلات البشرية. أعطاه زيوس لباندورا التي فتحته مخالفة لأوامره.
٩- رومية ١:١٩-٢٠

ثانيًا، يُبرهن الكتاب المقدس أن مشكلة الملحدين ليست فكرية بل أخلاقية. بحسب كاتب المزمور، كل مَن يقول في قلبه ليس إله هو جاهل، ولا يفعل هذا لأسباب فكرية؛ بل بسبب فساده، ورغبته في عمل الشر، وهو لا يُريد الله ولا أخلاقياته؛ لذلك يُنكرهما.[١٠] وما يمنع الملحد من الإيمان بالله ليس تمحيصه الفكري، بل فجوره وشره اللذان يدفعانه لقمع الحق.[١١]

ثالثًا، يُناقش الكتاب المقدس طرحًا ضد إمكانية وجود ملحد أخلاقي؛ لأنه بعيد عن نعمة الله، إذ يقول الكتاب: «**لَيْسَ بَارٌّ وَلاَ وَاحِدٌ**»[١٢] إن افتخار الإنسان بأخلاقياته لا يجعله أخلاقيًا. ليس سامعو أو أنصار الأخلاقيات هم الأبرار حقًا، بل أولئك الذين يعملون بما يدافعون عنه بالفعل.[١٣]

رابعًا، إن الجدل حول أنه من الظلم إدانة الملحد الأخلاقي يُقدِّم نظرة "إنسانية" للحقيقة محورها الإنسان. في العالم الذي محوره الإنسان، الإنسان مسؤول أمام الإنسان، لكن في العالم الذي محوره الله، الإنسان مسؤول أولًا أمام الله، ثم ثانيًا أمام الإنسان. وحتى لو كان افتخار الملحد ببره تجاه إخوانه البشر حقيقيًا، فقد فشل في علاقته الأساسية ومسؤوليته أمام الله الذي يعطيه الحياة والنَّفَس وكل الأشياء.[١٤] وهذه الخطية تجاه الله أعظم بما لا يُقاس من أي انحراف أخلاقي قد يرتكبه ضد أخيه الإنسان.

أخيرًا، يُذنب من يبدو أنه ملحد أخلاقي ليس فقط برفضه تمجيد الله، بل بسعيه إلى سلب المجد من الله. وُلِد كل البشر فاسدين أخلاقيًا ومنحرفين جذريًا. وتُعد نعمة الله المعروفة هي الشيء الوحيد الذي يكبح شر البشر، ويجعلهم يتمتعون

١٠- مزمور ١٤: ١-٣؛ ٥٣: ١-٣. تُترجم كلمة **جاهل** من الكلمة العبرية نابال nabal، التي تُشير إلى شخص أحمق أو فاقد للإدراك. يجب أن يُلاحَظ أن nabal هي لفظة أخلاقية، ولا تُشير لشخص يُريد الحكمة، ولكنه ضحية للجهل، بل لشخص يزدري بالحكمة وهو جاهل بكامل إرادته.

١١- رومية ١: ١٨

١٢- رومية ٣: ١٠-١٢

١٣- رومية ٢: ١٣؛ يعقوب ١: ٢٢

١٤- أعمال الرسل ١٧: ٢٥

بأيِّ مظهر من مظاهر الصلاح. ولو سحب اللهُ هذه النعمة، وترك فساد القلب يحكم البشر، لأَباد الجنسُ البشري نفسَه سريعًا؛ وتحولت الحياة حرفيًا إلى جحيم على الأرض، على الأقل خلال تلك الفترة الوجيزة التي سيستمر فيها الوجود. تحفظ النعمة الإلهية المجتمع مترابطًا؛ حتى يحقق الله عمل الفداء وسط فساد البشرية وعجزها. لذلك، ما يمنع الملحد من أن يكون سفاحًا، ويُمكنه من عمل مظاهر الخير التي يعملها، ليس إنسانيته، أو نوع من الأخلاقيات العالية المتطورة التي يتمتع بها، بل كرم عناية الله، الذي يعمل كل الأشياء حسب رأي مشيئته.[١٥] إذًا تكمن جريمة الملحد في أنه يُنكر بعناد الله الذي يقيِّد شره، ويمنحه مظاهر الخير بنعمته؛ ثم يدَّعي الملحد أنها أعماله، ويقبل المجد الذي كان يجب أن يُعطى لله. إنه من أسوأ أنواع اللصوص، ونصَّاب خسيس، ودينونته عادلة.[١٦]

حمْل مجد الله

خلق الله الإنسان ليحمل شيئًا من صورته المجيدة.[١٧] ونحن لا نفهم هذا المصطلح بالتفصيل، لكننا نعلم أنه بقرار إلهي، صنع الله الإنسان ليكون أكثر من مجرد طين، أي أن يكون مُستقبِلًا وعاكسًا للمجد. وقد تلقى امتيازا يفوق الإدراك والوصف بالسَّير في شركة مع الله، وبالتالي التغيُّر "من مجد إلى مجد"، حيث يرى اللهَ "بوجه مكشوف".[١٨] ومع ذلك، خَسِر الإنسانُ كل شيء في ذلك اليوم الذي رفَع فيه ذاته عن الإله، واختار الاِستقلال لكائن محدودٍ عِوضًا عن سيادة إله خيِّر وحكيم بلا حدود. في المقابل أصبح آدم معدومًا وعاريًا من المجد الذي كان يتمتع به من قبْل بوفرة. وهكذا شَوَّهت الخطية صورة الله، وكُتب على جبهة الإنسان **إيخابود**؛ لأن مجد الرب قد زال عنه.[١٩] وأصبح آدم على النقيض مما قد خُلق

١٥- أفسس ١:١١
١٦- رومية ٣:٨
١٧- تكوين ١:٢٦
١٨- كورنثوس الثانية ٣:١٨
١٩- صموئيل الأول ٤:٢١

ليكونه، وصار مرآة مشوهة ومكسورة بلا فائدة.[٢٠] أمَّا قلبه فأصبح خاويًا من الداخل، ويُغلفه قبو صلب كالصوان. وبات إنسانه الخارجي صورة لحالته الداخلية. وتحوَّل إلى كائن مُشوه ومُشوَّش خَسِر مكانه، وأفسد غاية وجوده نفسِها.

ترك آدم هذا الميراث لأبنائه وبناته. بالرغم من مرور الآلاف من السنين، لم يستطع الإنسانُ استعادة ثروة العائلة. وُلِد جميع البشر على شَبه الذي سقط من الصورة التي صنعه الله عليها.[٢١] وصارت البشرية الآن تتدبر معيشتها تحت اللعنة. ومع ذلك تَبَقَّى ما يكفي من صورة الله في الإنسان حتى لا يرضى بأي شخص، ولا أيِّ شيء إلَّا الذي يهرب هو منه.[٢٢] يُمكن للإنسان إن تزين بشهرة هذا العالم وثروته أن يظل مع ذلك عاريًا. كما يُمكنه أن يغتسل بتقدير الذات، ويُحيط نفسَه بمجموعات الدعم ليُوكِّد كل أفكاره وأعماله ويؤيدها، لكنه لن يهرب من اتهامات ضميره التي بلا رأفة. ويُمكنه أن يكسب العالم والآلاف، لكن فقره الحقيقي سيستمر في إزعاجه من داخله. صنع الله قلب الإنسان ليكون مسكنه، ولن يملأه أي شيء أقل منه. كما كتب أوغسطينوس: "يا الله، أنت تُحركنا لنتلذذ بتسبيحك؛ لأنك خلقتنا لذاتك، وقلوبنا لن تهدأ حتى تجد راحتها فيك."[٢٣]

مع أن واقع الإنسان مظلم للغاية، فإن هذه الكارثة التي صنعها الإنسان لها جانب مشرق؛ حيث توفر هذه الكارثة للكنيسة فرصة ممتازة للكرازة بالإنجيل، لكن لا يحدث ذلك سوى عندما تكون الكنيسة ورسالتها مؤمنين بحق. أولًا، يجب التحرُّر من قيود العالم الحاضر ومحاولاته الفاشلة لإيجاد بديل لله. وحتى نكونَ شهودًا لعالم فارغ، يجب أن يملأنا الله ويشبعنا في عمل مشيئته. إنها وصمة عار علينا أن يكون مؤمنو الغرب هم الأكثر ثراءً، والأكثر تمتُّعًا بالحماية في تاريخ الكنيسة، ومع ذلك فإنهم الأكثر خواءً. تشهد مكتباتُنا المسيحية علينا. كم من مجلدات كُتبت

٢٠- رومية ٣:١٢. واحدة من صفات الإنسان الساقط هي عدم نفعه التام: «ليس من يعمل صلاحًا».

٢١- تكوين ٥:٣

٢٢- تكوين ٣:١٦-٢٤؛ يعقوب ٣:٩

٢٣- اعترافات القديس أوغسطينوس

Augustine, The Confessions of St. Augustine, Bishop of Hippo (London: J. M. Dent,1950), 1.1

لشفاء خوائنا، وتصحيح افتقارنا للهدف، ودعم تقديرنا للذات؟ لكننا فارغون بسبب أسباب جميعها لم تنطبق يومًا على يسوع. فكثيراً ما شعر يسوع بالتعب، والجوع، وأساء الناس فهمه، واضطهدوه، وتركوه أو تخلوا عنه، لكنه لم يكن خاويًا قط. السبب الذي كشف عنه يسوع لملئه يفسر أيضًا سبب خوائنا «**فَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا لِي طَعَامٌ لآكُلَ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ أَنْتُمْ»... طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأُتَمِّمَ عَمَلَهُ.**»[٢٤] صار المؤمن الغربي خاويًا؛ لأنه مليء بالعالم، ومُستغرِق في ذاته، ومكرَّسٌ لفعل مشيئته.

ثانيًا، يجب أن تسعى الكنيسة لتكون كتابية بدلًا من سعيها أن تكون ملائمة. لن نؤثر في مجتمعنا؛ لأننا درسنا طرقه وأقلمنا أنفسَنا عليها. لن نؤثر في مجتمعنا ونكون نوراً سوى بقدر دراستنا لطرق الله وبقائنا أمناء لها في وجه أمواج ثقافتنا العاتية الدائمة التغير. لسنا مناسبين للعالم؛ لأننا مثله، بل سنكون مناسبين حين نرفض العالم قطعيًّا، ونكون على النقيض معه بكل ما في الكلمة من معنى!

تقدم هذه الظلمة الحاضرة فرصة عظيمة للكنيسة؛ حتى تكون مِلحًا للأرض، لكن إن اختلطنا بالنجاسات التي من المفترض أن نفضحها، لن نصلح لأي شيء بل سنُلقى خارجًا، ونُداس بالأقدام من البشر أنفسِهم الذين دُعينا لنؤثر فيهم.[٢٥] لا تزال أمامنا أعظم فرصة لنكون مدينة مبنية على جبل، لكن إن كان النور الذي نقدمه لا يزيد عن انعكاس ذي صبغة مسيحية لأفكار ثقافتنا ورغباتها، فإننا بلا فائدة تمامًا كما يظن مجتمعُنا.[٢٦] يجب مواجهة فراغ عصرنا بحقائق الإنجيل الثابتة التي لا تقبل الليونة أو الحل الوسط. يجب أن نكتفي بالله وحده، مكرَّسين لمشيئته وحدها، ومطابقين لصورته وحدها. وحينئذ سنكون بلا لوم وأبناء أتقياء لله فوق أي لوم وسط هذا الجيل الفاسد والمعوج. وسنقف وسط ظلمته كأنوار في العالم متمسكين بكلمة الحياة إلى يوم المسيح.[٢٧]

٢٤- يوحنا ٤:٣٢، ٣٤
٢٥- متى ٥:١٣
٢٦- متى ٥:١٤-١٦
٢٧- فيلبي ٢:١٥-١٦

تقتضي مثل هذه الطريقة في الحياة شجاعةً عظيمة. لذلك، يجب أن نكون مستعدين للوقوف وإخبار البشر أنهم مخطئون أساسيًّا وجَذريًّا في بحثهم عن المعنى، وتقدير الذات، وتحقيقه. علينا أن نخلع قناع الآمال المزيفة التي تروِّج لها الحركات الإنسانية والمادية، ويجب فضح كل شكل مما يُسمَّى مسيحية، يسعى لشفاء البشر عن طريق قيادتهم لنفس الأمور بعد طلائها بالصبغة المسيحية. يجب أن نتحدى كل المحاولات؛ للاستفادة إلى أقصى حد ممكن من يسوع، والوصول للهدف، أو بلوغ أفضل حياة ممكنة الآن. يجب ألَّا نتبنى نظرة العالم، ثم نُعدِّلها حتى نجعلها مسيحية، يجب أن نرسم خطًّا أحمر، ونثْبُت على تعاليم المسيح وإنجيله الجذرية. وعلينا أن نُبشِّر بالحق، ونكون مثالًا للحق الذي نُبشِّر به. ويجب أن نحسب كل الأمور خَسارة من أجل فضل معرفة يسوع المسيح ربنا، ونحسبها نفاية لكي نربح المسيح ونوجد فيه.[٢٨]

٢٨- فيلبي ٣:٧-٩

الفصل الرابع عشر

خطـاة بالكـامل

«إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ»

(رومية ٣: ٢٣)

في هذا الفصل سنواجه حقيقة مهمة. يرتكب البشر الخطية؛ لأنهم وُلِدوا فاسدين أخلاقيًا.[١] واحد من أهم المصطلحات التي يستخدمها اللاهوتيون لوصف عمق فساد الإنسان الأخلاقي الموروث هو كلمة فساد. تتكون الكلمة من مقطعين البادئة (de)، وتُشير إلى الحِدَّة، والكلمة اللاتينية (pravus) وتعني ملتويًا أو منحرفًا. عندما ندعو شيئًا بأنه فاسد يَعني هذا أن حالته الأصلية أو شكله الأصلي قد شُوِّه تمامًا. وعند قول إن الجنس البشري فاسد يَعني هذا أنه سقط من حالته الأصلية، أي من حالة البِر، وأن كل البشر وُلِدوا خطاة فاسدين أخلاقيًا بالطبيعة. لوصف مدى هذا الفساد الأخلاقي، غالبًا ما يستخدم اللاهوتيون مصطلحات عِدة لتوصيل الحقيقة نفسِها، وأكثرها شيوعًا: **الفساد الكلي، والموت الروحي، والعجز الأخلاقي.**

١- مزمور ٥١:٥؛ ٥٨:٣؛ تكوين ٨:٢١

الفساد الكلي

استخدم اللاهوتيون الإصلاحيون وآخرون على مدار فترة طويلة عبارة **الفساد الكلي** لوصف الحالة الساقطة للإنسان. ومع أن المصطلح مناسب حين يُعرَّف على نحو صحيح، قد تكون عبارات مثل الفساد المتفشي والفساد الجذري أكثر ملاءمة.[٢] إن قلنا إن كل إنسان فاسد بالكامل لا يَعني هذا أنه سيء إلى أقصى حد، أو أن كل أعماله شريرة تمامًا وبالكامل. بل يَعني أن الانحراف أو الفساد الأخلاقي قد أصاب كيانه بالكامل: جسدًا، وفكرًا، وإرادةً. سنتأمل في الجزء التالي ما يَعنيه الفساد الكلي وما لا يَعنيه.

أولًا، لا يَعني الفساد الكلي أن صورة الله في الإنسان قد فُقِدَت بالكامل في السقوط. في نصوص عديدة، لا يزال الكتاب المقدس يُشير إلى الإنسان على أنه كائن مخلوق على صورة الله.[٣] لكن الفساد الكلي يَعني أن صورة الله في الإنسان قد شُوِّهت بشدة، وأن الفساد الأخلاقي قد لوث الشخص بكامله: الجسد، والفكر، والمشاعر، والإرادة.[٤]

ثانيًا، لا يَعني الفساد الكلي أن الإنسان ليست لديه معرفة عن شخص الله ومشيئته. يُعلمنا الكتاب المقدس أن جميع البشر يعرفون الإله الحقيقي ومشيئته بما فيه الكفاية؛ ليكونوا بلا عذر أمامه في يوم الدينونة.[٥] ما يَعنيه الفساد الكلي هو أنه بمعزل عن عمل النعمة الخاص، فكل الأشرار يرفضون الحق الإلهي لصالح تخميناتهم غير المُجدية. إنهم عدائيون تجاه الحق الإلهي، ويسعون لقمعه؛ حتى لا

٢- الفعل يتغلغل pervade يَعني التقدُّم عبر شيء؛ أن يُصبح منتشرًا في كل جزء (قاموس ويبستر)، وهكذا يتعلق الفساد بجذر هويتنا؛ حيث ينبثق الفساد مباشرة من جذر نفسنا.

٣- تكوين ٩:٦؛١كورنثوس ١١:٧؛ يعقوب ٣:٩

٤- جسدًا (رومية ٦:٦، ١٢؛ ٧:٢٤؛ ٨:١٠، ١٣)، وفكرًا (رومية ١:٢١؛ ٢كورنثوس ٣:١٤-١٥؛ ٤:٤؛ أفسس ٤:١٧-١٩)، ومشاعر (١:٢٦-٢٧؛ غلاطية ٥:٢٤؛ ٢تيموثاوس ٣:٢-٤)، وإرادةً (رومية ٦:١٧؛ ٧:١٤-١٥).

٥- رومية ١:٢٠

يُزعج ما تبقّى من ضميرهم.[٦] ويَعرف البشر ما يكفي عن الله ليكرهوه، وما يكفي عن مشيئته ليرفضوها ويحاربوها.

ثالثًا، لا يَعني الفساد الكلي أن الإنسان ليس لديه ضمير، أو أنه غير مدرك تمامًا للخير والشر. يُعلِّم الكتاب المقدس أن لكل البشر ضميراً، إن لم يكن ميتًا، فإنه يُمكن أن يقودهم لأن يُعجبوا بالصفات والأفعال الفاضلة.[٧] وما يَعنيه ذلك هو أن البشر ليسوا مطيعين بإخلاص لتوجيهات ضميرهم، إذ إن الإنسان لا يُعد باراً؛ لأنه يعرف ما هو صالح أو يشجب ما هو شرير، بل لأنه يعمل الصلاح الذي يعرفه.[٨]

رابعًا، لا يَعني الفساد الكلي أن الإنسان غير قادر على إظهار فضيلته. يوجد أناس يُحبون عائلاتهم، ويضحون بحياتهم لإنقاذ آخرين، ويؤدون واجباتهم المدنية، ويقومون بأعمال صالحة باِسم الدين. وهذا يَعني أن تلك الفضيلة غير مدفوعة بمحبة حقيقية لله، أو بأية رغبة حقيقية في إطاعة وصاياه. يشهد الكتاب المقدس أنه لا يوجد إنسان يُحب الله كما يليق أو كما يأمر الناموس، ولا يوجد إنسان يُمجِّد الله في كل فكرة، وكلمة، وعمل.[٩] يُفضِّل كل البشر ذواتهم عن الله، وما يدفعهم لأعمال حب الغير والبطولة والواجب المدني والخير الديني الظاهري هو محبة الذات أو محبة الآخرين، وليس محبة الله.[١٠]

خامسًا، لا يَعني الفساد الكلي أن كل البشر غير أخلاقيين إلى أقصى حد، وأن كل البشر غير أخلاقيين بالقدر نفسِه، أو أن كل البشر ينغمسون في كل شكل من الشرور الموجودة. ليس كل البشر مجرمين وزناة وقاتلين، بل يَعني ذلك أن كل البشر مولودون بنزعة أو ميل شديد تجاه الشر، وأن كلهم قادرون على اِرتكاب أفظع الجرائم وأكثر الاِنحرفات خِزيًا. وفي المجمل، تميل كل البشرية إلى فساد أخلاقي

٦- رومية ١:٢١-٢٣ ؛ ١:١٨
٧- رومية ٢:١٥؛ ١تيموثاوس ٤:٢
٨- رومية ٣:١٠-١٢؛ ٢:١٣، ١٧-٢٣؛ يعقوب ٤:١٧
٩- تثنية ٦:٤-٥؛ متى ٢٢:٣٧؛ ١كورنثوس ١٠:٣١؛ رومية ١:٢١
١٠- ٢تيموثاوس ٣:٢-٤

أشد وأعظم، وهذا التدهور الأخلاقي كان من الممكن أن يكون أسرع بما لا يُمكن قياسه، لولا نعمة الله المعروفة التي تكبحه.[١١] لا يُمكن للإنسان بأعماله، أن يُحرِّر نفسَه أو يستعيدها من هذا الانِحدار السريع.[١٢]

أخيراً، لا يَعني الفساد الكلي أن البشر لا يملكون القدرات اللازمة لطاعة الله. فالإنسان ليس ضحية يرغب في الطاعة لكنه غير قادر بسبب عوامل خارجة عن سيطرته. فقد منح الله الإنسان عقلًا، وإرادة، وحرية الاِختيار. لذلك فالإنسان مسؤول أمام الله كعامل أخلاقي. يَعني الفساد الكلي أن الإنسان **لا يستطيع** أن يُخضِع ذاته لله؛ لأنه **لا يُريد** بسبب عدائيته تجاه الله.[١٣]

الموت الروحي

أحد المصطلحات اللاهوتية المهمة الأخرى التي يستخدمها اللاهوتيون لوصف عمق فساد الإنسان الأخلاقي هو **الموت الروحي**. في الجنة، حذَّر الله آدم من الموت الأكيد يوم أن يأكل من الشجرة المحرَّمة.[١٤] ومع أن آدم لم يَمُت جسديًّا إلَّا بعد سنوات عديدة لاحقة، فإنه بالمعنى الحقيقي قد مات روحيًّا حين فضَّل تقرير مصيره على الخضوع، فأخطأ إلى الله.[١٥] وبهذا الخيار المشؤوم، أصبح آدم غريبًا عن الله، وعَبَر الموتُ إلى ذلك الجزء من كيانه الذي مكَّنه من معرفة خالقه والتواصل معه وديًّا. باِختصار، بات آدم جثة روحية. كان حيًّا جسديًّا، لكنه ميت روحيًّا. أصبح سريع الاِستجابة لكل أنواع المحفِّزات الشريرة، البشرية منها والشيطانية، لكنه لم يتجاوب مع شخص الله ومشيئته.

يُعلِّمنا الكتاب المقدس أن هذه العاقبة المدمرة التي سبَّبها عصيان آدم لم تكن قاصرة عليه وحده، بل إن كل أعضاء جنس آدم يُولدون أمواتًا روحيًّا. وهذا ما

11. A. A. Hodge, Outlines of Theology (Edinburgh: Banner of Truth), 329.
١٢- إرميا ١٣:٢٣ ؛ رومية ٧:٢٣-٢٤
١٣- رومية ٨:٧-٨
١٤- تكوين ٢:١٧
١٥- تكوين ٥:٥

تعنيه عبارة بولس الأساسية في رسالته لأهل أفسس: «**وَأَنْتُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، الَّتِي سَلَكْتُمْ فِيهَا قَبْلاً حَسَبَ دَهْرِ هذَا الْعَالَمِ، حَسَبَ رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ، الَّذِينَ نَحْنُ أَيْضًا جَمِيعًا تَصَرَّفْنَا قَبْلاً بَيْنَهُمْ فِي شَهَوَاتِ جَسَدِنَا، عَامِلِينَ مَشِيئَاتِ الْجَسَدِ وَالأَفْكَارِ، وَكُنَّا بِالطَّبِيعَةِ أَبْنَاءَ الْغَضَبِ كَالْبَاقِينَ أَيْضًا**»[١٦] في هذا النص، نجد أن كل البشر يدخلون هذا العالم مولودين أمواتًا روحيًّا، بلا حياة روحية حقيقية، وغير مستجيبين لشخص الله ومشيئته. إنهم "بعيدون عن حياة الله" ويعيشون كما لو كانوا أمواتًا عنه، وهو ميت عنهم.[١٧] ولهذا السبب يُخبرنا كاتب المزمور أن الساقطين لا يطلبون الله، وفي كل أفكارهم ليس له مكان.[١٨] لا يأخذ الساقطون بعين الاعتبار واقع وجود الله، ولا الاحتياج للسير حسب وصاياه. ويعيشون ملحدين عمليًّا. ومع أن الشخص قد يعترف بوجود الله، أو أيِّ شكل من أشكال الألوهية، فإن ذلك لا يؤثر على حياته تأثيراً عمليًّا أو حقيقيًّا. إنه يعيش كميت حتى حين يعيش ويفتخر بالحياة.[١٩] يملك قلبًا متحجراً تجاه الله، مثل شجرة خريفية بلا ثمر، ميّتة موتًا مُضاعفًا ومُقتلَعة.[٢٠] إنه جثة حية، برُّها كثوب عدَّة قذرِ، وأكثر أعماله تدينًا هي أعمال ميتة.[٢١]

العجز الأخلاقي

يُعد العجز الأخلاقي أحد المصطلحات الأخرى التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بعقيدة الموت الروحي. وعادةً ما يُستخدم هذا المصطلح لوصف مدى فساد الإنسان الأخلاقي، وتُعلمنا هذه العقيدة أن الإنسان الساقط غير قادر أن يُحب الله أو يطيعه أو يرضيه.

١٦- أفسس ٢:١-٣
١٧- أفسس ٤:١٨
١٨- مزمور ١٠:٤ الشِّرِّيرُ حَسَبَ تَشَامُخِ أَنْفِهِ يَقُولُ: «لاَ يُطَالِبُ». كُلُّ أَفْكَارِهِ أَنَّهُ لاَ إِلهَ. «في كل أفكاره لا يوجد مكان لله».
١٩- ١تيموثاوس ٥:٦ ؛ رؤيا يوحنا اللاهوتي ٣:١
٢٠- حزقيال ١١:١٩؛ يهوذا ع ١٢
٢١- إشعياء ٦٤:٦؛ عبرانيين ٦:١؛ ٩:١٤

عند سماع مثل هذه العقيدة، يتساءل المرء: "كيف يكون الإنسان مسؤولًا أمام الله، في حين أنه غير قادر على عمل أيِّ شيء يأمر الله به؟" الإجابة مهمة للغاية. إن كان الإنسان لا يُحب الله أو يطيعه بسبب افتقاده للقدرات الذهنية لعمل ذلك، أو أنه مقيد جسديًّا بشكل ما، حينها سيكون ظلمٌ من الله أن يحاسبه، إذ سيكون الإنسان حينها ضحية. ومع ذلك، ليست هذه هي الحالة مع الإنسان. حيث يَنبُع عجزُه الأخلاقي من عداوته لله.[٢٢] الإنسان غير قادر على محبة الله؛ لأنه يكره الله.[٢٣] كما أنه غير قادر على طاعة الله؛ لأنه يزدري بوصاياه، وغير قادر كذلك على إرضائه؛ لأنه لا يتمسك بمجده ومسرته الصالحة كهدف يستحق السعي نحوه.[٢٤] وبالتالي الإنسان ليس الضحية بل المجرم. إنه **"لا يقدر"** لأنه **"لا يُريد"**. كما أن فساده وعداوته لله عظيمان جدًّا، لدرجة أنه يُفضِّل أن يُقاسي العقابَ الأبدي عن الاعتراف بالله كإله، والخضوع لسيادته.

لهذا السبب يُمكن أن نُطلق على العجز الأخلاقي أيضًا **العدائية الطوعية**. تشرح العَلاقة بين يوسف وإخوته هذه الحقيقة على أفضل نحو: «**فَلَمَّا رَأَى إِخْوَتُهُ أَنَّ أَبَاهُمْ أَحَبَّهُ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ أَبْغَضُوهُ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُكَلِّمُوهُ بِسَلاَمٍ.**»[٢٥] يُوضح النص أن إخوة يوسف لم يستطيعوا التحدُّث معه بودٍّ. ولم يكن السببُ أنهم افتقروا إلى القدرة الجسدية للحديث؛ بل لأن كراهيتهم له كانت شديدة جدًّا، حتى إنهم لم يرغبوا في أن يكونوا ودودين معه. بالطريقة نفسِها، عدائيةُ الإنسان الساقط تجاه الله شديدة جدًّا، حتى إنه لا يقدر أن يُجبِر نفسَه على محبة الله، أو الخضوع لوصاياه.

تخيَّل سجينًا سياسيًّا محبوسًا بعدل في زنزانة لخيانته للملك والوطن. وفي يوم من الأيام يزور الملك العادل والرحيم الزنزانة ويفتح الباب على مصراعيه. ثم يَعد بأن يُعطي عفوًا تامًّا للسجين، ويَرد له حريته بشرط واحد أن يتخلى عن تمرّده،

٢٢- رومية ٥: ١٠؛ ٨: ٧-٨

٢٣- رومية ١: ٣٠

٢٤- رومية ١: ٢١

٢٥- تكوين ٣٧: ٤

ويُكرِم الملك، ويخضع لقانونه. وفور سماع السجين لكلمات الملك، أسرع نحو الباب وأغلقه بقوة، وسجن نفسَه مرةٍ ثانيّة في تلك الزنزانة البغيضة. ثم في نوبة غضب، بصق على الملك، وصرخ: "أفضِّل أن أتعفن في هذه الزنزانة عن أن أحني ركبتيَّ لك!" وهذه هي حالة القلب غير المتجدد. إن عداوة الإنسان تجاه الله عظيمة جدًّا حتى إنه يُفضِّل أن يهلك في الجحيم عن أن يُقدِّم له التبجيل والمجد والطاعة التي يستحقها!

يقول الحق الكتابي إن إرادة الإنسان خاضعة لطبيعته. وإن كانت للإنسان طبيعة نقية أخلاقيًّا، حينها ستميل إرادتُه نحو الأعمال الطاهرة أخلاقيًّا: وسيُحب الإلهَ القدوس البار، وسيحترم وصاياه ويُطيعها. لكن الإنسان الساقط له طبيعة فاسدة أخلاقيًّا، وهكذا فإرادته ميَّالة نحو الأعمال الفاسدة أخلاقيًّا. وبالتالي، فهو يكره الإله القدوس والبار، ويبتَعد عن حقه، ويتمرد على وصاياه.

نجد في تلك العَلاقة، التي لا يُمكن قطعها، بين طبيعة الإنسان الساقط وإرادته، الإجابة عن السؤال الجدلي المتكرر، "هل يملك الإنسان إرادة حرة؟" الإجابة الكتابية هي أن الإنسان حر ليختار ما يحلو له؛ لكن لأنه فاسد، يحلو له اختيار الشر. وبعبارة أخرى، الإنسان الساقط يملك إرادة حرة لكنه لا يملك إرادة صالحة. فإرادته مأسورة بطبيعته الفاسدة؛ ولذلك سيختار دومًا بحرية ما هو عكس شخص الله وإرادته. يكشف يسوع عن هذا بوضوح في توبيخه اللاذع للفريسيين: «**يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي! كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَتَكَلَّمُوا بِالصَّالِحَاتِ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ؟**»[٢٦]

دفع الحق الكتابي المتعلق بالعجز الأخلاقي مارتن لوثر ليكتب كتابه الشهير "**عبودية الإرادة**" (**The Bondage of the Will**). ويُوصِّل عنوان الكتاب فكرة أن الإنسان لا يُمكنه أن يهرب من ماهيته، فهو شرير بالطبيعة، ويفعل الأعمال الشريرة بكامل إرادته وحريته. يحمل الإنسان الساقط ثماراً ردية لأنه "شجرة ردية".[٢٧] وإرادته خاضعة أو مستعبدة لطبيعته الفاسدة. سندرس في الصفحات التالية بعض التبعات الرهيبة لهذه الحقيقة.

٢٦- متى ١٢:٣٤
٢٧- متى ٧:١٨

الإنسان الساقط لا يُمكنه معرفة الله

بفضل كرم العناية الإلهية، حقَّق الجنسُ البشري إنجازاتٍ فكرية عظيمة في مجالات كالعلم، والتكنولوجيا، والطب. ومع ذلك، لا تعدو معرفة الإنسان الساقط عن الله أن تكون متاهاتٍ ملتوية من هرطقات وتفكير باطل.[٢٨] وهذا الجهل ليس نتيجة إله خفي، بل نتيجة إنسان مُختبئ. أعلن الله عن نفسِه للبشر بوضوح من خلال خليقته وأعماله السيادية في التاريخ، وفي الكتاب المقدس، وأخيراً في ابنِه المتجسد.[٢٩] غير أن الإنسان استجاب لذلك الإعلان بإغلاق عينيه، وتغطية أذنيه. ولا يُمكنه أن يعرف الحق؛ لأنه يكره الحق، ويسعى إلى كبته.[٣٠] إنه ضد الحق لأنه حق الله. فالحق يتكلم ضده؛ ولذلك لا يقدر أن يحتمله.

الإنسان الساقط لا يُمكنه أن يحب الله

يدَّعي معظم البشر، حتى المتدينون، درجة من الحب والشغف تجاه الله. مع أن الكتاب المقدس يشهد أن الإنسان الساقط لا يُمكنه أن يُحب الله. وفي الواقع يُعلمنا الكتاب المقدس أنه قبل الإيمان، كان كل جنس آدم يكره الله ويعيش في حرب ضده.[٣١] وهذه العداوة موجودة؛ لأن مخلوقًا فاسد أخلاقيًا لا يُمكنه ببساطة أن يحتمل إلهًا قدوسًا وبارًا، ولا أن يحتمل الخضوع لإرادته.

من المهم ملاحظة أن معظم من يدَّعون محبة حقيقية لله، يعرفون القليل جدًا عن صفاته وأعماله كما يصفها الكتاب المقدس. لذلك فالإله الذي أحبوه ليس سوى نسيج من خيالهم. فقد صنعوا إلهًا على صورتهم وأعجبهم ما صنعوه. كما يُعلن الله من خلال كاتب المزمور: «**ظَنَنْتَ أَنِّي مِثْلُكَ. أُوَبِّخُكَ.**»[٣٢]

٢٨- رومية ١:٢١-٢٣؛ أفسس ٤:١٧-١٩
٢٩- رومية ١:١٩-٢٠؛ ٢تيموثاوس ٣:١٦؛ يوحنا ١:١٨
٣٠- رومية ١:١٨؛ أيوب ٢١:١٤-١٥
٣١- رومية ١:٣٠؛ ٥:١٠
٣٢- مزمور ٥٠:٢١

إن فحص الكتاب المقدس، معظم البشر، حتى أولئك الذين يعتبرون أنفسَهم متدينين، لوجدوا بكل تأكيد إلهًا مختلفًا تمامًا عن الإله الذي ادَّعوا أنه موضِع شغفهم. وإن قبلوا تعليم الإنجيل عن الصفات الإلهية كالقداسة، والعدل، والسيادة، والغضب، كما هو، لكان رد فعلهم في الغالب هي الاشمئزاز، ولكانوا أعلنوا: "إلهي ليس هكذا!" أو "لا يُمكنني أن أحب إلهًا كهذا البتة!" وهكذا، نرى سريعًا أنه حين يتقابل الإنسان الساقط مع إله الكتاب المقدس، يكون رد فعله الوحيدة هو النفور والرفض. ما هو سبب رد الفعل المعادي هذا؟ أقولها مرةً أخرى، إنه يرتبط بمن هو الإنسان في جوهر طبيعته. لو كان البشر قديسين وأبراراً بالطبيعة، لأمكنهم بسهولة أن يُحبوا الإله القدوس البار. لكن الإنسان فاسد بالطبيعة؛ ولذلك لا يستطيع.

الإنسان الساقط لا يُمكنه طلب الله

نعيش في عالم مليء بمن يَدْعون أنفسَهم "باحثين عن الله"، ومع ذلك يُحطِّم الكتاب المقدس هذا التفاخر بإعلان واحد بسيط «**لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ اللهَ.**»[٣٣] وكثيراً ما نسمع المؤمنين حديثًا يبدأون شهادتهم بجملة "كنت أبحث عن الله لسنوات عديدة". لكن يُجيب الكتاب المقدس مجددًا: «**لَيْسَ مَنْ يَطْلُبُ اللهَ.**»[٣٤] الإنسان مخلوق ساقط، ويكره الله لأن الله قدوس، ويعارض حق الله؛ لأنه يكشف فساده وتمرده.[٣٥] لذلك لن يأتي إلى الله، بل سيفعل كل شيء في قدرته ليتجنبه، وليُزيل كل بقايا شريعته من ضميره. كثيراً ما كان يلخص الوعَّاظ القدماء هذه الحقيقة فيقولون إن "الإنسان لا يميل للبحث عن الله أكثر من مَيل مُجرم للبحث عن ظابط شُرطة."[٣٦] ويوافق يسوع إذ يقول: «**وَهذِهِ هِيَ الدَّيْنُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ؛ لأن أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ**

٣٣- رومية ٣:١١
٣٤- رومية ٣:١١
٣٥- يوحنا ٣:١٩-٢٠
٣٦- "الاختِباء" الخائب لآدم وحواء في تكوين ٣:٨ يُبرهن هذا بوضوح.

السَّيِّآتِ يُبْغِضُ النُّورَ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى النُّورِ لِئَلاَّ تُوَبَّخَ أَعْمَالُهُ. وَأَمَّا مَنْ يَفْعَلُ الْحَقَّ فَيُقْبِلُ إِلَى النُّورِ، لِكَيْ تَظْهَرَ أَعْمَالُهُ أَنَّهَا بِاللهِ مَعْمُولَةٌ».[٣٧]

الإنسان الساقط لا يُمكنه طاعة الله أو ارضاؤه

يتمثل أحد القواسم المشتركة التي تربط كل الأديَّان الأخرى معًا باستثناء المسيحية في الاعتقاد بأن التبرير أمام الله يرتكز على الطاعة أو الاستحقاق الشخصي أو القدرة على إرضاء الله. لكن تقف المسيحية بمفردها مُعلنة أنه بمعزل عن عمل نعمة الله الخاص، لا يُمكن للإنسان أن يُطيع الله أو يرضيه.[٣٨] وبما أن الإنسان غير طاهر حقًا، فإنه يفتقر إلى أي استحقاق. حتى أكثر أعماله المثالية ليست سوى خرقة قذرة أمام إله قدوس وبار.[٣٩] وتُعد هذه واحدةً من أكثر الحقائق الكتابية التي تبعث على الاتضاع، كما أنها أيضًا واحدةٌ من أكثر الحقائق التي يَمقتها ويُقاومها جنس آدم. ومع ذلك فهي جزءٌ أساس من الإنجيل، ويجب أن تُطبَع في عقل الإنسان؛ حتى يعرف ثِقل حقيقتها. فالإنسان ضالٌ على نحوٍ بائس، وبلا رجاء. وإن كان سيخلُص، فليس غير الله وحده القادر أن يُخلِّصَه.

الإنسان الساقط لا يُمكنه إصلاح نفسِه

بدأ القرن العشرون بتفاؤل عظيم بقدرة الإنسان على التطور إلى مخلوق أعظم وأكثر نُبلًا. كان من المفترض أن يكون عصر الإصلاح، لكنه انتهى بيأس وارتباك مدهشَيْن. يُعلِّم الكتاب المقدس بوضوح أن الإنسان وُلِد ميتًا روحيًا وفاسدًا أخلاقيًا. وكل محاولة لإصلاح الذات ميئوس منها وستنتهي بفشل تام.[٤٠] صرَّح الشيخ الجليل أيوب: «**أَنَا مُسْتَذْنَبٌ، فَلِمَاذَا أَتْعَبُ عَبَثًا؟ وَلَوِ اغْتَسَلْتُ فِي الثَّلْجِ، وَنَظَّفْتُ يَدَيَّ**

٣٧- يوحنا ٣:١٩-٢٠
٣٨- رومية ٧:١٤-٢٤؛ أفسس ٢:٤-٥
٣٩- إشعياء ٦٤:٦
٤٠- أيوب ٩:٢٩-٣١

بالإشْنَانِ، فَإِنَّكَ فِي النَّقْعِ تَغمِسُنِي حَتَّى تَكْرَهَنِي ثِيَابِي.»[٤١] وأعلن الله بإرميا النبي: «**فَإِنَّكِ وَإِنِ اغْتَسَلْتِ بِنَطْرُونٍ، وَأَكْثَرْتِ لِنَفْسِكِ الأُشْنَانَ، فَقَدْ نُقِشَ إِثْمُكِ أَمَامِي.**»[٤٢] وقال مجددًا، «**هَلْ يُغيِّرُ الْكُوشِيُّ جِلْدَهُ أَوِ النَّمِرُ رُقَطَهُ؟ فَأَنْتُمْ أَيْضًا تَقْدِرُونَ أَنْ تَصْنَعُوا خَيْرًا أَيُّهَا الْمُتَعَلِّمُونَ الشَّرَّ!**»[٤٣] للإنسان رجاء واحد، لكن قبل أن يتمكن من رؤيته يجب أن يقتنع بعجزه التام، ويصل إلى آخر ما في طاقته. هذا أحد الأعمال الجوهرية التي تعملها الكرازة بالإنجيل.

الإنسان الساقط عبد للشيطان

كان آدم في البداية حراً ليطيع الله، ويمارس سلطانه على الأرض.[٤٤] وبسبب تمرده على الله، سقط هو وجنسُه في الفساد والعبودية. ومنذ السقوط يُولد كل إنسان في عبودية لطبيعته الفاسدة، وفي اِستعباد للشيطان. وبرُغم أن قليلين هم الذين يعترفون يومًا بأنهم تابعون لإبليس، يشهد الكتاب المقدس أن كل البشر يعيشون "حسب رئيس سلطان الهواء" أي إبليس، وهو يعمل بقوة من خلال كل من يعيش في عصيان لله.[٤٥] فضلًا عن ذلك، يشهد الكتاب المقدس أن العالم كله يقع تحت نفوذ الشرير، وأن كل البشر وُلِدوا تحت سيطرته، وأنه يأسر كل البشر ليعملوا مشيئته.[٤٦]

من الملائم أن نستخدم لفظ **عبودية** لوصف عَلاقة الإنسان بإبليس، لكن علينا فهم أن الإنسان ليس ضحيةً أو مُحتجزاً ضد إرادته. فالإنسان قد رَفَض سلطان الله، و"أُسلِمَ" لسيادة الشيطان. إن المأسور والآسر على حدٍّ سواء مخلوقات ساقطة،

٤١- أيوب ٩:٢٩-٣١
٤٢- إرميا ٢:٢٢
٤٣- إرميا ١٣:٢٣
٤٤- تكوين ١:٢٧-٢٨
٤٥- أفسس ٢:٢
٤٦- ١يوحنا ٥:١٩؛أعمال الرسل ٢٦:١٨؛ ٢تيموثاوس ٢:٢٦

ويحدث اِنجذاب قوي بينهما.[٤٧] إنهما متشابهان في فسادهما الأخلاقي وعداوتهما لله. وبرُغم أنه أمر مُنفِّر للأغلبية، فإنه حقيقي. يتشابه أخلاقيًّا البشر الساقطون والشيطان، حتى إنه بدون إيمان يُمكننا أن نُطلق على كل البشر بالحق أبناء إبليس.[٤٨]

هل نحن حقًّا بهذا السوء؟

نعيش في عصر مُتفائل لكن مُتوهم بلا جدال، يضع الإنسان في مركز الكون، ويُعظمه وكأنه مقياس لكل الأشياء. ويدَّعي الإنسان الفضيلة والاِستحقاق ويفتخر بمستقبل أكثر إشراقًا عكس شهادة تاريخه الفاسد وضميره المعذَّب وتعاليم الكتاب المقدس. كما يُخفي رجاساته التي لا حصر لها، وانحطاطه المستمر بتغيير قواعد الأخلاق ببساطة، ويجعل ما كان يُعتبر شراً يبدو مسيحيًّا ويدعوه خيراً.[٤٩] وبسبب هذا الوهم الكبير، ليس مفاجِئًا أن نرد على اِتهام الكتاب المقدس للإنسان بهذا السؤال: هل نحن حقًّا بهذا السوء؟ الإجابة الكتابية هي **نعم!** نحن حقًّا بهذا السوء!"

يشهد الكتاب المقدس بوضوح أن الله جلب طوفانًا هائلًا على العالم أجمع في أيام نوح.[٥٠] وكان شر الإنسان وفجوره الشديد هو السبب وراء فعل الدينونة الإلهي هذا. يُقدِّم لنا الكتاب المقدس التفسير الآتي: «**وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ.**».[٥١] إن الفكرة البارزة في هذا النص

٤٧- بسبب هذه الألفة أو الانجذاب، يدعو يسوع في يوحنا ٨:٤٤، إبليس بأنه «أب» لغير المؤمنين.

٤٨- ١يوحنا ٣:٨؛ يوحنا ٨:٤٤

٤٩- إشعياء ٥:٢٠-٢١: «وَيْلٌ لِلْقَائِلِينَ لِلشَّرِّ خَيْرًا وَلِلْخَيْرِ شَرًّا، الْجَاعِلِينَ الظَّلاَمَ نُورًا وَالنُّورَ ظَلاَمًا، الْجَاعِلِينَ الْمُرَّ حُلْوًا وَالْحُلْوَ مُرًّا. وَيْلٌ لِلْحُكَمَاءِ فِي أَعْيُنِ أَنْفُسِهِمْ، وَالْفُهَمَاءِ عِنْدَ ذَوَاتِهِمْ!»

٥٠- تكوين ٧-٩

٥١- تكوين ٦:٥-٦

ليست مجرد شر الإنسان فحسب، بل أيضًا فداحته: "كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير باِستمرار". وتُعد هذه إحدى أقوى العبارات في الكتاب المقدس بخصوص ما أشرنا إليه بالفساد الكلي أو الجذري أو الواسع الانتشار للإنسان. في البداية قد يبدو هذا الاِتهام متطرفًا، أو لا ينطبق سوى على عدد قليل من الأشخاص سيئي السمعة في التاريخ، ممن كان ضميرهُم موسومًا تمامًا. لكن بعد المزيد من الفحص والتدقيق، يُصبح واضحًا أنه ينطبق على كل واحد منِّا.

تخيل لو لدينا جهاز قادر على تحويل كل فكرة جالت بأذهاننا يومًا إلى صورة مرئية، ثم نضع هذه الصور في فيلم ليراه الجميع. تخيل لو كل عائلاتنا وأصدقائنا وزملائنا كانوا ذاهبين لرؤية هذا الفيلم، ألم نكن لنفعل كل ما في وسعنا لنمنعهم من مشاهدة هذا الفيلم؟ وإن شاهدوا الفيلم، ألن نجده أمراً صعبًا، إن لم يكن مستحيلًا، أن ننظر في عيونهم مجددًا؟ لكن، لو حافظنا ضد كل منطق، على رباطة جأشنا، وادَّعينا أننا لا نخجل من شيء، ألن يكون هذا دليلًا على أننا إمَّا كاذبون أو متوهمون أو موسومة ضمائرنا؟ الحقيقة هي أن أفضلنا قد فكَّر أفكاراً شريرة جدًّا؛ حتى إننا لا نُطلِع عليها أعز أصدقائنا! وكل هذا يُثبت أن شيئًا فينا ببساطة غير سليم، وأن لدينا نزعة للشر، ومَيْل تجاه الأشياء نفسِها التي يُعارضها ضميرُنا ويُدينها. وكان هذا دائمًا هو المأزق الكبير للفلاسفة، وأساتذة الأخلاق، واللاهوتيين، الأكثر استثارةً على مر تاريخ الفكر. لخَّص الرسول بولس مُعضلة الإنسان حين رثاه قائلًا: «**لأَنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ مَا أَنَا أَفْعَلُهُ، إِذْ لَسْتُ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُهُ، بَلْ مَا أُبْغِضُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ.**»[٥٢]

من المهم فهم أن الشر الذي وصفناه ليس مقصوراً على عصر ما قبل الطوفان.[٥٣] وبعبارة أخرى، لم يغسل الطوفان ميل الإنسان للشر، ولا استطاع نوح أن يترك ميراثًا أفضل من آدم. فبعد اِنحسار المياه مباشرة، أمَرَ الله نوحَ بأن يترك الفلك، وكشف

٥٢- رومية ٧:١٥

٥٣- الحقبة التاريخية السابقة لطوفان نوح.

الله الفساد المستمر الذي بقي في قلب الإنسان، وكان علامة على شخصيته غير المتجددة حتى نهاية العالم: «**فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا. وَقَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ: لاَ أَعُودُ أَلْعَنُ الأَرْضَ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الإِنْسَانِ؛ لأن تَصَوُّرَ قَلْبِ الإِنْسَانِ شِرِّيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ. وَلاَ أَعُودُ أَيْضًا أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ.**»[٥٤]

قبل الطوفان، أعلن الله أن كل تصورات أفكار قلب الإنسان ليست سوى شريرة.[٥٥] وبعد الطوفان، لم يتغير شيء يُذكر. فتصوُّر قلب الإنسان لم يكن شريراً فقط، بل إن أصل ذلك الشر مكشوف أيضًا، ويُقيم في قلب الإنسان منذ مولده. إنه ميراثه من آدم.[٥٦] وبرُغم أن الكتاب المقدس لا يفسر لنا اللغز، لكنه يُوكِّد أنه حقيقي. فقد صُوِّر الإنسان بالإثم، وحُبِل به بالخطية؛ وزاغ من الرحم، وضلَّ من مولده.[٥٧] ولهذا السبب، لا حاجة لتعليم الأطفال الأنانية أو الخداع، بل يجب على الوالدين وغيرهم، أن يُجاهدوا بجد ليعلموهم كبح أنانيتهم والتكلم بالحق والاهتمام بخير الآخرين. لم يشاهِد أي شخص يأمل أن يحكم الأطفال في يوم من الأيام العالم، مبدأ التسلط الوحشي وعديم الرحمة الذي عادةً ما يكون قائمًا بين أصغر الأطفال عمراً، ولا حتى شاهد ما قد يحدث عندما يشتهي طفل لعبة طفل آخر. وكل من يقول عكس ذلك فالتاريخ والأخبار اليومية يشهدون عليه!

يُعلِّم الكتاب المقدس أن الإنسان يعمل الشر لأن الشر ساكن فيه. وهذا الفساد الساكن فيه يتغلغل ويؤثر في كل أفكاره، وكلماته، وأعماله. ويشرح نواح النبي إشعياء بقوة هذة الحقيقة «**وَقَدْ صِرْنَا كُلُّنَا كَنَجِسٍ، وَكَثَوْبِ عِدَّةٍ كُلُّ أَعْمَالِ بِرِّنَا، وَقَدْ ذَبُلْنَا كَوَرَقَةٍ، وَآثَامُنَا كَرِيحٍ تَحْمِلُنَا.**»[٥٨] وتتناول العديد من الآراء ما كان إشعياء يقصده بقوله: "ثوب عدة". لكن معظم الدارسين يعتقدون أنه يُشير إلى ثوب أصبح

٥٤- تكوين ٨:٢١
٥٥- تكوين ٦:٥-٦
٥٦- تكوين ٥:٣؛ رومية ٥:١٢
٥٧- مزمور ٥١:٥؛ ٥٨:٣
٥٨- إشعياء ٦٤:٦

نجسًا من الناحية الطقسية، لتلامسه مع ميت، أو مع نازف دماء أو مع أبرص. وسنهتم بآخر ثلاثة.

على مر التاريخ، جرى اِعتبار البَرص أحد أكثر الأوبئة ترويعًا؛ لذلك فهو يُقدَّم مثالًا توضيحيًّا وتصويريًّا قويًّا للخطية. يُدمِّر البَرص الجسم حتى يُصبح ليس أكثر من كتلة متعفنة ونتنة. إنه مرض لا يحتمله من يعاني منه، كما لا يحتمله بالقدر نفسِه أولئك الذين عليهم أن يشاهدوه. وفي ضوء هذه المعلومة، تخيل معي أن نادي التفاؤل المحلي قرَّر أن يأوي أبرصَ مِسكينًا، ويجعله حسن المظهر. فغسلوه بعناية، وغطوا رائحته بأغلى العطور. وأخيراً ألبسوه ثوبًا أبيضَ نقيًّا مصنوعًا من أفضل أنواع الحرير، وقدَّموه للعالم أجمع ليراه. برُغم أن مجهودهم قد يُثمر نفعًا لحظيًّا للأبرص، ويقدم لهم المديح، فإنه سرعان ما تسقط الكسوة الخارجية، وسرعان ما ينزف تعفن الجسد من خلال الثياب، وتطغى نتانتُه سريعًا على عطره. وفي لحظات، يُصبح الرجل والرداء وكل ما قد يلمسه فاسدًا وأبرص.

يُمكن أن يُقال الأمر ذاته عن الإنسان. بغض النظر عن إصلاحاته الدينية والأخلاقية التي قد يفرضها على نفسِه، يبقى كما هو في داخله. يصفه يسوع بأنه كأس نظيف من الخارج لكنه مليء في الداخل قذارة، قبر مبيَّض مليء بعظام ميتة.[٥٩] ومثله في ذلك مثل الأبرص الذي فساده ينزف من خلال ثيابه، ويجعله كريهًا تمامًا كشخصه، ينزف فساد قلب الإنسان وطبيعته من خلال كل فكرة، وكلمة، وعمل، ويجعله نجسًا. ولهذا السبب لا يقدر الإنسان غير المتجدد أن يتبرر أمام الله بأعماله أو اِستحقاقه؛ فأفضل ما قد يعمله مثل ثوب نتن وقذر في عيني الله!

إن فَهْمَنَا لطبيعة الإنسان أمرٌ أساسي لفهمنا للإنجيل والكرازة. إذا كان الإنسان صالحًا أساسًا، أو كان ساكنًا فيه بقايا أو بصيصٌ من الصلاح، فإن الكارز أو

٥٩- متى ٢٣:٢٥-٢٨

الواعظ لديه القدرة على الإقناع، كما أن البشر لديهم القدرة على التجاوب. لكن إذا كان الإنسان فاسدًا جَذريًّا، إذًا قوة الله الخارقة للطبيعة وحدها هي القادرة على أن تفتح القلوب والأذهان وتمنح التوبة، وتُعطي الإيمان الذي يقود للخلاص.[٦٠]

يدعونا الله كمؤمنين وخدام للإنجيل لا أن نُعلن عظمة الله وغِنى نعمته فقط، بل أن نفضح أيضًا الحالة الحقيقية لقلب الإنسان بنور كلمة الله وقوة الروح القدس. إن فضح الفساد الأخلاقي للبشر يقودهم حتى يضعوا ثقتهم لا في الجسد، بل في المجد الذي في المسيح يسوع.[٦١] تعمل ظلمة الإنسان الأخلاقية كخلفية ليلة معتمة يلمع فيها نجمان توأمان، هما **نعمة** الله و**رحمته**.

٦٠- أعمال الرسل ١٦:١٤؛ لوقا ٢٤:٤٥؛ ٢تيموثاوس ٢:٢٥؛ أفسس٢:٨؛ رومية ١٢:٣

٦١- فيلبي ٣:٣

الفصل الخامس عشر

الغضبُ البـار

«اَللهُ قَاضٍ عَادِلٌ، وَإِلهٌ يَسْخَطُ فِي كُلِّ يَوْمٍ.»

(مزمور٧: ١١)

«لاَ يَقِفُ الْمُفْتَخِرُونَ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ. أَبْغَضْتَ كُلَّ فَاعِلِي الإِثْمِ.»

(مزمور٥: ٥)

نسي معظم المجتمع المسيحي الإنجيلي الآيات المذكورة أعلاه، لدرجة أنها لم تُعد موضِعَ جدل. كم مرة يُعلن فيها الوعَّاظ للخطاة عن غضب الله البار على الخاطئ؟ كم مرة تُعالج المنابر موضوعات كالغضب الإلهي أو الكراهية المقدسة؟ هل السبب أننا لم نعد ندرس الكتاب المقدس؟ أم أننا استنتجنا أن أجزاء معينة قد أصبحت غيرَ موحى بها، أو باتت قديمة ومهجورة؟ هل يُمكن أن يكون السبب هو أننا أصبحنا جبناء تحت مسمَّى التصحيح السياسي وأهواء الثقافة؟ أم إننا صرنا مقتنعين بأن الوعظ بالحق ليس هو الطريق لنمو الكنيسة؟

يُعد غضب الله البار واقعًا في الكتاب المقدس، وجزءًا جوهريًّا من إعلان الإنجيل الحقيقي، بغض النظر عَمَّا إذا كان سائغًا لعصرنا الحاضر أم لا. لذلك، علينا فهم هذه العقيدة والحقائق المحيطة بها. علينا أيضًا أن نضع في الاِعتبار أنه

بمجرد فهم تلك الحقائق يجب إذاعتُها أيضًا. ليس الهدف من دراستنا أن نحصل على مجرد توازن لاهوتي لأنفسِنا، بل أن نُذيع الحقائق التي نكتشفها لمنفعة شعب الله. نتعرض للقليل من المخاطرة في التعلُم، لكن غالبًا ما تواجهنا مخاطرة كبيرة في إذاعة ما تعلَّمناه. لن تُسبب لنا الحقائق التي نعرفها ضرراً يُذكر، ولكنها لن تجلب كذلك منفعة تُذكر للكنيسة إن اِحتجزناها في مكتباتنا.

هل نُريد إلهًا بارًّا؟

السؤال الأول الذي يجب طرحُه على رفاقنا وعلى أنفسِنا هو: "هل حقًّا نُريد إلهًا باراً؟" قد يبدو سؤالًا غير اِعتيادي، وغير ضروري، لكنه في الواقع يكشف الكثير عن حالتنا البشرية، ومشكلتنا أمام الله.

من ناحيةٍ، نحن نُريد إلهًا باراً. إن مجرد التفكير في العيش في كونٍ تحت سيادة مطلقة لكائنٍ شرير وجبار أمرٌ مُرعِب. لا يَظهر أمثال هتلر سوى لحظة على مسرح التاريخ، وسريعًا ما يجرفهم شرُّهم، ومع ذلك فالأثر الذي يُخلِّفه دمارُهم يمتد لأبعد من جيلهم. إذًا، كيف سيكون طعم الحياة تحت حكم إله ظالم غير أخلاقي وأبدي؟ تُشبه الفكرة في حد ذاتها ما يحدث في الكوابيس. إن شرَّه كفيل بأن يجعله متناقضًا، بل أيضًا متقلب المزاج. وستجعله قوتُه مرعبًا. حتى لو كان صالحًا معنا لأطول وقت، لن نكون على يقين بأن صلاحه سيستمر. سنكون مثل بحَّارة في بحرٍ هادئ يفقدون صوابهم لتوقعهم اِحتمال حدوث عاصفة مُهلكة. لن يكون لدينا يقين ولا أساس منطقي للإيمان. لن نتمتع بالرجاء في تصحيح أخطاء المستقبل؛ لأن العالم الحاضر يترنح تحت ثقل ظلمٍ لم ينَل عقابه، واِنعدام أخلاق لم يُواجهه أحد. ولهذه الأسباب، إن تُرِك الأمرُ للتصويت، فالعاقل بين البشر سيُصوِّت لإله بار تمامًا، "لا يُشارك في الشر"[١] يستحق الثقة التامة، وسيُدين العالمَ بالبِر، ويُجري حُكمَه على جميع البشر بعدلٍ كاملٍ تمامًا ودون انحياز.[٢]

١- ٢ أخبار الأيام ١٩:٧
٢- تثنية ٩:٧؛ مزمور ٨:٩

الإله العادل هو الإله الذي يُريده أغلب البشر ويُطالبون به. حين تستوحش مظاهر الظلم، وتستفحل في عالمنا دون أيِّ تدخل إلهي واضح أو دينونة، يقف الجاهلون مثل بهائم وحشية يُطالبون بعدل من السماء، لكن الإنسان المُفكر يجلس في زاوية صامتًا، وقد أخفى رأسه بين كفَّيه. إذ يعرف أنه محصور بين المطرقة والسندان. وبسبب إصبع الاِتهام الذي يُوجِّهه له ضميرُه، يُدرك أن الله إن أجرى العدل الذي يطلبه البشر، سيُدان كل البشر، بما فيهم الذين يطالبون بعدله بشدة. كما هو مكتوب «**أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلاَ وَاحِدٌ.**»[٣] يجب أن يُدرك أولئك الذين يطالبون بتقديم آخرين للعدالة أنهم يلتمسون محاكمة أنفسِهم في القفص ذاته. وبرُغم أن الجميع لم يرتكبوا الفظائعَ نفسَها، فإنهم قد أخطأوا جميعًا وأصبحوا تحت دينونة الموت والاِنفصال الأبدي عن إله قدوس وبار. وكل من يسعى لعزل نفسِه بعيدًا عن أبشع الخطاة هو أعمى عن فساده وشر أعماله.

تلك هي المعضلة التي أثارت السؤال: "هل حقًّا نُريد إلهًا بارًا؟" هل نُريده حقًّا أن يفحص كل جانب في حياتنا، وأفكارنا، وكلماتنا، وأفعالنا، ثم يُصدر الحكم الدقيق الذي نستحقه؟ لن يَعرض سوى الإنسان أو المجتمع الذي تَحَجَّرَ ضميرُه أن يقف أمام فحص مثل هذا، ويقبل ما قد يأتي عليه من دينونة إله بار تمامًا.

تُعد حقيقة أن الله إله بار مثل سيف ذي حدَّين. تبعث معرفة أن العالم لا يحكمه كائن غير أخلاقي جبار شعورًا بالراحة. لكن بالنسبة لأولئك الذين لا يزال لديهم ضمير يفكرون به، فالحقيقة مرعبة تمامًا. فإن كان الله حقًّا بارًا، ويُحب كل ما هو حق محبة كاملة، ويكره الشر كراهية كاملة، كيف سيكون ردُّه على الشر الذي ارتكبناه بأيدينا؟

٣- رومية ٣:١٠

هل الله غاضب؟

إنه من الشائع الآن بين الوعّاظ والمبشّرين المعاصرين التأكيد على سامعيهم أن الله ليس إلهًا غاضبًا، لكن هذه العبارة، على أحسن تقدير، مُضلِّلة؛ وعلى أسوأ تقدير، هرطقة.[٤] لأنها لا يُمكن أن تُقدِّم أيَّ تعزيةٍ ملموسة للبشر. فوفقًا للكتاب المقدس، الله إله غاضب، ومن الجيد لنا أنه كذلك. يُعلن الكتاب المقدس: «**اَلرَّبُّ إِلهٌ غَيُورٌ وَمُنْتَقِمٌ. الرَّبُّ مُنْتَقِمٌ وَذُو سَخَط. الرَّبُّ مُنْتَقِمٌ من مُبْغِضيه وَحَافِظٌ غَضَبَهُ عَلَى أَعْدَائه.**»؛ «**اَللهُ قَاضٍ عَادِلٌ، وَإِلهٌ يَسْخَطُ فِي كُلِّ يَوْمٍ.**»؛ «**أَنْتَ مَهُوبٌ أَنْتَ. فَمَنْ يَقِفُ قُدَّامَكَ حَالَ غَضَبِكَ؟**»[٥]

عندما تتلاقى قداسة الله وعدله ومحبته، مع فساد الإنسان وظلمه وانعدام محبته، فالنتيجة الحتمية هي سخطٌ أو نقمةٌ أو غضبٌ إلهي عظيم جدًّا، لدرجة أن كاتب المزمور صرخ قائلًا: «**مَنْ يَعْرِفُ قُوَّةَ غَضَبِكَ؟ وَكَخَوْفِكَ سَخَطُكَ.**»[٦] تأتي الكلمة المُترجَمة **سخط** في العهد القديم من ثلاث كلمات عبرية الأولى (qetsep)، التي تُشير إلى السخط أو الغضب أو النقمة. في حين تُشير الكلمة الثانية (hema) إلى السخط أو الغضب، أو الاشمئزاز، أو الحنق، أو الاهتياج أو حتى السُم. وتُترجم الكلمة الثالثة (aph)، حرفيًّا إلى "فتحة الأنف" أو "الأنف" ذاته. كما تمثّل غضب الله بالطريقة نفسها التي يمثل فيها اتساع فتحتي الأنف غضب حيوان ثائر. قد يكون هذا التشبيه غير مهذب تمامًا لكنه قوي.

في العهد الجديد، تُرجمت كلمة **سخط** من كلمتين يونانيتين. تُشير الكلمة الأولى (orge) إلى السخط أو الغضب. في حين تُشير الكلمة الثانية (thumos) إلى الغضب، والنَّقمة، والانفعال، والثورة. وفي النطاق الأوسع في الكتاب المقدس، يُشير السخط الإلهي إلى استياء الله المقدس، وسخطه البار الموجَّه نحو الخاطئ وخطيته.

٤- العديد من الوعّاظ زوّدوا وعظة جوناثان إدواردز بعنوان جَدِّي، فتحولت من «خطاة بين يدي إله غاضب» إلى أفراد لديهم خلل وظيفي طفيف بين يدي إله غاضب قليلًا».

٥- ناحوم ١:٢؛ مزمور ٧:١١؛ ٧٦:٧

٦- مزمور ٩٠:١١

من المهم عندما نتأمل غضب الله فهم أنه ليس غضبًا خارج السيطرة، أو غير منطقي، أو نابع من عاطفة أنانية، بل غضبه هو نتيجة قداسته وبره ومحبته. كما أنه أيضًا عنصر ضروري في حكمه. ينبغي أن يرد الله على الخطية على نحو معاكس بسبب ماهيته. **الله قدوس**؛ لذلك ينفر من الشر، ويقطع شركته مع الشرير. **الله محبة**، ويُحب بغيرة كل ما هو صالح. وتُظهِر مثل هذه المحبة الشديدة للبر نفسَها في كراهية شديدة مساوية لكل ما هو شر. وهكذا، لا تَلغي محبة الله غضبه، بل تُؤكِّده وتضمنه. **الله بار**؛ لذا عليه أن يحكم على الشر ويُدينه. إن كان الإنسان موضِع غضب الله، فهذا لأنه اختار أن يتحدى سيادة الله، وينتهك مشيئته المقدسة، مُعرِّضًا نفسَه للدينونة.

في قداسة الله وبرِّه ومحبته، يكره الخطية، ويأتي بغضب رهيب وعنيف في أحيان كثيرة ضدها. ترتعد الأرض أمام سخطه، والصخور تتهدم. لا تقدر الأمم أن تحتمل غضبه، ولا يستطيع أحد الوقوف أمام سخطه.[٧] يذوب أمامه أقوى البشر والملائكة على حدٍّ سواء، مثل تمثال صغير من الشمع أمام أتون نار مُحمَّى.[٨]

يرفض الكثيرون اليوم عقيدة الغضب الإلهي، أو أيَّ تعليم مشابه قد يقترح حتى أن إلهًا مُحبًا ورحيمًا يُمكن أن يكون ساخطًا، أو يُظهِر غضبًا كهذا في الحُكم على الخاطئ وإدانته. إنهم يحاولون أن يُبرهنوا أن أفكارًا كهذه ليست سوى اِستنتاج خاطئ من بشر بدائيين، رأوا الله كائنًا عدائيًّا ومنتقمًا، وقاسيًا أيضًا. ينبغي علينا كمؤمنين رفض أيِّ عقيدة قد تُصور الله قاسيًّا أو تتجاهل رأفته. ومع ذلك، علينا ألَّا نترك تعليم الكتاب المقدس الواضح عن عقيدة الغضب والعقاب الإلهيِّيْن. يحتوى الكتاب المقدس على إشارات كافية تتعلق بغضب الله وسخطه تجعل هذا الموضوع بارزًا تمامًا، على الأقل كموضوع محبته ولطفه ورأفته.

٧- إرميا ١٠:١٠ ؛ ناحوم ٦:١

٨- أنا مديون بهذه الفكرة للقس تشارلز لايتر، راعي كنيسة ليك رود، كيركسفيل، بولاية ميسوري.

الله حنَّان ورؤوف، وبطيء الغضب، وكثير الإحسان والوفاء. لكنه يُعاقب الخطاة غير التائبين؛ حيث يُقيم العدل بين خلائقه، ويُدافع عن اسمه القدوس.[٩] في كثرة عظمته يُطيح بمقاوميه، ويُرسل حمو غضبه فيحرقهم كالقش.[١٠] حتى في العهد الجديد يُوصَف الله بأنه نار آكلة، وبأنه إله "يجلب الغضب" حتى إن الأعظم بين الأشرار سيصرخ للجبال والصخور أن تسقط عليه؛ لتُخفيه من غضب الخروف.[١١] لذلك، يُناشد الرسول بولس البشر ألَّا ينخدعوا، بل أن يعيشوا في نور الحق؛ لأن غضب الله سيأتي على أبناء المعصية.[١٢]

يُعد الكلام الذي كثيراً ما يتردد على الألسنة، ويُشير بأن الله ليس إلهًا غاضبًا، غيرَ صحيح، ولا يُمكنه أن يُقدِّم أيَّة تعزية حقيقية للإنسان! ما التعزية التي يُمكن أن نجدها في إله محايد تجاه الشر، ولا يُظهِر أيَّ سخط تجاهه؟ كيف يُمكن لله أن يكون صالحًا أو مُحِبًّا أو حتى أخلاقيًّا إن لم يتَّقد غضبًا على تجارة العبيد، أو على معسكرات الاعتقال والإبادة، أو على قتل ملايين الأطفال وهم بعد في أرحام أمهاتهم، بدعوى الملاءمة؟ عندما نسمع عن فظائع كهذه، لا بد أن نشعر شعوراً غامراً بالغضب الأخلاقي. فضلًا عن ذلك، نعتبر أيَّ إنسان لم يتأثر بمثل هذه الأمور المرعبة وغير الأخلاقية أنه منعدم الأخلاق، ويُعاني من نفس وحشية أولئك الجناة أنفسِهم. إذًا ما الذي نُوصِّله حين نُعلن أن الله ليس إلهًا غاضبًا؟ هل يُمكن أن نُبرِّر غضبنا تجاه الشر، وفي الوقت نفسه نُنكر على الله هذا الحق؟

على النقيض مع التأملات الشِّعرية للوعَّاظ الذين يُريدون جعل الله مقبولًا لهذا العالم الجسدي، يُعلِّمنا الكتاب المقدس أن الإله غير المحدود في قداسته، وبرِّه، ومحبته، هو إله غضب. لم يكن قط غير مبالٍ بالشر، ولن يكون أبدًا، بل يتقد

٩- خروج ٣٤: ٦-٧
١٠- خروج ١٥: ٧
١١- عبرانيين ١٢: ٢٩؛ رومية ٣: ٥؛ رؤيا ٦: ١٦
١٢- أفسس ٥: ٦

بنار لا تُخمَد ضده. إنه يوجه سخطه البار ضد الخطايا التي تكاد لا تُحصى، التي ارتُكبت في حقه في كل لحظة من الزمن. «**هُوَذَا اسم الرَّبِّ يَأْتِي مِنْ بَعِيدٍ. غَضَبُهُ مُشْتَعِلٌ وَالْحَرِيقُ عَظِيمٌ. شَفَتَاهُ مُمْتَلِئَتَانِ سَخَطًا، وَلِسَانُهُ كَنَارٍ آكِلَةٍ**»[١٣]، «**ارْتَعَبَ فِي صِهْيَوْنَ الْخُطَاةُ. أَخَذَتِ الرِّعْدَةُ الْمُنَافِقِينَ: «مَنْ مِنَّا يَسْكُنُ فِي نَارٍ آكِلَةٍ؟ مَنْ مِنَّا يَسْكُنُ فِي وَقَائِدَ أَبَدِيَّةٍ؟»**»[١٤]، «**هُوَذَا زَوْبَعَةُ الرَّبِّ تَخْرُجُ بِغَضَبٍ، نَوْءٌ جَارِفٌ. عَلَى رَأْسِ الأَشْرَارِ يَثُورُ.**»[١٥]

يجب ألّا ننخدع بالتفكير في أن نار الله الآكلة، التي لا تطفأ، تشتعل فحسب في أفظع الجرائم، أو أنها تشتغل فقط في الأكثر خِسة بين البشر. لا يوجد في فكر الله فئتان مختلفتان من الخطايا، واحدة تجعله غاضبًا وأخرى لا تثير رد الفعل ذاته. يُعلِّمنا الكتاب المقدس أن كل خطية هي تعدٍّ، وكل شكل من أشكال التمرُّد هو كالعرافة، وكل عناد مثله في ذلك مثل أشر فجور وعبادة الأوثان.[١٦] وعلى كل الخطايا، يأتي غضب الله على أبناء المعصية؛ وثمن الخطية موت.[١٧]

تشرح خطية آبائنا الأولين، والغضب الإلهي الذي أثارته، بوضوح الطبيعة البشعة لكل شكل من أشكال الخطية. ويبدو أكل الثمرة المحرَّمة غير مؤذٍ حين يُقارَن بفظائع التاريخ الإنساني، وبأولئك الذين يتصدرون عَنَّاوين الأخبار العاجلة بسبب جرائمهم، ومع ذلك فعِل التمرُّد هذا وحده تسبب في غضب الله ودينونة العالم. إن لم يُعلِّمنا هذا شيئًا آخر، يكفي أنه يُعلمنا أن كل خطية شائنة أمام الإله القدوس والبار، وكل من يرتكب الخطية هو موضِع غضبه.[١٨]

١٣- إشعياء ٣٠:٢٧
١٤- إشعياء ٣٣:١٤
١٥- إرميا ٣٠:٢٣
١٦- يوحنا الأولى ٣:٤؛ صموئيل الأول ١٥:٢٣
١٧- أفسس ٥:٦؛ رومية ٦:٢٣
١٨- أفسس ٢:٣؛ ٥:٦؛ كولوسي ٣:٦

هل الله يكره؟

هل الله يكره؟ هل تلك الكراهية موجَّهة للبشر؟ لم يسمع الغالبية عظة عن هذا الموضوع أو حتى استمتعوا بهذه الفكرة. السؤال وحده كافٍ لإثارة الجدل، ووضع المتدين المعتدل في وضع الاِستعداد للقتال. ومجرد اِقتراح إمكانية أمر كهذا يناقض الكثير مما يعلِّمه الوعَّاظ الإنجيليون اليوم. لكن كراهية الله هي واقع في الكتاب المقدس تمامًا مثل محبته. وبحسب الكتاب المقدس، يكره الله القدوس المُحِب بعضَ الأمور، ويَمقتها، بل ويشمئز منها. فضلًا عن ذلك، توجَّه هذه الكراهية غالبًا نحو الساقطين.

يُعارض الكثيرون أيَّ تعليم كهذا عن كراهية الله، اِستنادا إلى افتراض خاطىء بأن الله محبة، وبالتالي لا يُمكنه أن يكره. وعلى رُغم أن محبة الله حقيقة وتفوق فهمنا، من المهم رؤية أن محبة الله هي سبب كراهيته. يجب ألَّا نقول أن الله محبة وبالتالي **لا يستطيع** أن يكره، بل يجب أن نقول إن الله محبة ولذلك **يجب** أن يكره. إن كان شخصٌ يُحب الحياة حقًّا ويُقِر بقداستها، ويُقدِّر كل الأطفال بوصفهم عطية من الله، إذًا يجب أن يكره الإجهاض. من المستحيل أن تُحب الأطفال محبة بشغف واخلاص، وفي الوقت نفسه تكون حياديًّا مع من يقتلهم في الرحم. وعلى هذا المنوال، إن كان الله يُحب كل ما هو مستقيم وصالح محبة شديدة؛ إذًا يجب أن يكره كل ما هو فاسد وشرير بالشدة ذاتها.

يُعلِّمنا الكتاب المقدس أن الله لا يكره الخطية فقط، بل يوجِّه غضبه تجاه أولئك الذين يمارسونها أيضًا. وقد تعلمنا جميعًا تلك الفكرة الشائعة: "الله يُحب الخاطئ ويكره الخطية"، لكن هذا التعليم هو إنكار للكتاب المقدس الذي يُعلن بوضوح شيئًا مختلفًا. كتب كاتب المزامير بوحي من الروح القدس أن الله لا يكره الشر فحسب، بل يكره أيضًا «**كُلَّ فَاعِلِي الإِثْمِ.**»[١٩]

١٩– مزمور ٥:٥ «أَبْغَضْتَ كُلَّ فَاعِلِي الإِثْمِ.» (ترجمة فان دايك)؛ «أَبْغَضْتَ جميع فعلة الآثام.» (الترجمة اليسوعية)؛ "أنت تكره كل عمالَ السوءَ" (ترجمة الإنجيل الشريف)؛ "أبغضت جميع فعلة الشر" (ESV).

يجب أن نفهم أنه من المستحيل فصل الخطية عن الخاطئ. الله لا يعاقب الخطية، بل يعاقب الذي يرتكبها. ليست الخطية هي ما يُحكَم عليه بالجحيم بل الإنسان الذي يمارسها. ولهذا السبب أعلن كاتب المزمور: «**لاَ يَقِفُ الْمُفْتَخِرُونَ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ. أَبْغَضْتَ كُلَّ فَاعِلِي الإِثْمِ.**»[٢٠] وأيضًا: «**اَلرَّبُّ فِي هَيْكَلِ قُدْسِهِ. الرَّبُّ فِي السَّمَاءِ كُرْسِيُّهُ. عَيْنَاهُ تَنْظُرَانِ. أَجْفَانُهُ تَمْتَحِنُ بَنِي آدَمَ. الرَّبُّ يَمْتَحِنُ الصِّدِّيقَ، أَمَّا الشِّرِّيرُ وَمُحِبُّ الظُّلْمِ فَتُبْغِضُهُ نَفْسُهُ. يُمْطِرُ عَلَى الأَشْرَارِ فِخَاخًا، نَاراً وَكِبْرِيتًا، وَرِيحَ السَّمُومِ نَصِيبَ كَأْسِهِمْ. لأَنَّ الرَّبَّ عَادِلٌ وَيُحب الْعَدْلَ.**»[٢١]

من المهم فهم أن النصوص السابقة ليست الوحيدة في الكتاب المقدس، لكنها مصحوبة بمقاطع أخرى تدعم مثل هذا التجاوب الصادر من إله قدوس. في سفر اللاويين، حذَّر الرب شعب إسرائيل من أن يتبعوا عادات الأمم الذين سيطردهم أمامهم، ثم أضاف: «**لأَنَّهُمْ قَدْ فَعَلُوا كُلَّ هذِهِ، فَكَرِهْتُهُمْ.**»[٢٢] وأيضًا في سفر التثنية، حذَّر شعبه قائلًا إن الكنعانيين سيُطرَدون لأنهم كانوا "مكرهة الرب" وإن أيَّ شخص شارك في الشر ذاته سيكون "رجسًا" في عينيه مثلهم تمامًا.[٢٣] وفي سفر المزامير، وصف الله موقفه من الإسرائيليين غير المؤمنين الذين رفضوا دخول أرض الموعد قائلًا: «**أَرْبَعِينَ سَنَةً مَقَتُّ ذلِكَ الْجِيلَ،**»[٢٤] وأخيراً، في رسالة تيطس، يصف بولس الذين اعترفوا بالإيمان بالله اعترافًا بلا معنى أو ظاهريًا بأنهم "رَجِسون" أمامه، ويصف يوحنا في جزيرة بطمس، بحيرة النار بأنها المسكن الأبدي لكل من هم "رَجِسون."[٢٥]

٢٠- مزمور ٥:٥
٢١- مزمور ١١:٤-٧
٢٢- لاويين ٢٠:٢٣
٢٣- تثنية ١٨:١٢؛ ٢٥:١٦
٢٤- مزمور ٩٥:١٠
٢٥- تيطس ١:١٦؛ رؤيا ٢١:٨

شرح الكراهية الإلهية

ما الذي يَعنيه الكتاب المقدس حين يُعلن أن الله يكره الخطاة؟ أولًا، يعرِّف قاموس ويبستر الكُره بأنه إحساس بعداوة شديدة تجاه شخص ما، أو النظر لآخر بعدائية فعلية، أو أن يضمر المَرء بُغضًا قويًّا تجاه آخر، أو يمقت، أو يشمئز، أو ينفر، أو يبغض، أو يكره بشدة. بالرغم من أنها كلمات قاسية، يستخدم الكتاب المقدس أغلبها، إن لم يكن جميعها؛ ليصف عَلاقة الله بالخطية والخاطئ. ثانيًا، يجب إدراك أن كراهية الله في تناغم تام مع صفاته الأخرى. على خلاف الإنسان، كراهية الله مقدسة، وعادلة، ونابعة من محبته. ثالثًا، يجب استيعاب أن كراهية الله ليست إنكارًا لمحبته. فمزمور ٥: ٥ لا يلغي يوحنا ٣: ١٦ أو متى ٥: ٤٤، ٤٥. مع أن غضب الله يمكث على الخاطئ، والله يغضب على الشرير كل يوم، ويبغض كل فاعلي الإثم، فطبيعة محبته تُفسِّر قدرته على محبة أولئك الذين هم أنفسُهم موضِع كراهيته، ويعمل بالنيابة عنهم من أجل خلاصهم.[٢٦] رابعًا، مع أن الله طويل الأناة تجاه من هم موضِع كراهيته، ويستمر في عرض الخلاص عليهم، سيأتي وقت يسحب فيه ذلك العرض؛ ولن تكون المصالحة ممكنة فيما بعد.[٢٧]

٢٦- يوحنا ٣:٣٦؛ مزمور ٧:١١؛٥:٥

٢٧- رومية ١٠:٢١

الفصل السادس عشر

الحربُ المقدسةُ

«وَلكِنَّهُمْ تَمَرَّدُوا وَأَحْزَنُوا رُوحَ قُدْسِهِ، فَتَحَوَّلَ لَهُمْ عَدُوًّا، وَهُوَ حَارَبَهُمْ.»

(إشعياء ٦٣: ١٠)

«اَلرَّبُّ إِلهٌ غَيُورٌ وَمُنْتَقِمٌ. الرّبُّ مُنْتَقِمٌ وَذُو سَخَطٍ. الرّبُّ مُنْتَقِمٌ مِنْ مُبْغِضِيهِ وَحَافِظٌ غَضَبَهُ عَلَى أَعْدَائِهِ.»

(ناحوم ١: ٢)

بعد أن درسنا غضب الله البار الظاهر في سخطه وغضبه، سنوجِّه انتباهنا لموضوع مرتبط به هو العداوة بين الله والخاطئ غير التائب. من واجب الكارز أن يُنبِّه البشر إلى الحرب المقدسة التي أعلنها الله على أعدائه، وأن يُناشد الخطاة حتى يتصالحوا مع الله قبل فوات الأوان. إن وَعْدَ الله بالعفو عن المتمرد صادق، لكن يجب ألَّا يُسَلِّم جدلًا به. سيأتي يوم فيه يُسحَب غصن الزيتون، ويُلغى عرضُ السلام. وفي ذلك اليوم كل ما سيبقى للخطاة هو **«قُبُولُ دَيْنُونَةٍ مُخِيفٌ، وَغَيْرَةُ نَارٍ عَتِيدَةٍ أَنْ تَأْكُلَ الْمُضَادِّينَ... مُخِيفٌ هُوَ الْوُقُوعُ فِي يَدَيِ اللهِ الْحَيِّ!»**[١]

١- عبرانيين ١٠: ٢٧, ٣١

مَن في حرب مع مَن؟

إن الإعلان الشائع بأن "الله يُحب الخاطئ ويكره الخطية" عادة ما يصاحبه عبارة مماثلة بأن "الإنسان في حرب ضد الله، لكن الله ليس في حرب ضد الإنسان مطلقًا." وبالتالي تزيد عداوة الخاطئ وحربه المتواصلة ضد الله، في حين يُقال القليل، أو لا يُقال أي شيء على الإطلاق عن حرب الله المتواصلة ضد الخاطئ.

بغض النظر عن الاتجاه الحالي في الفكر الإنجيلي، من المهم فهم أن العداوة بين الله والخاطئ ليست من جانب واحد، بل هي عداوة متبادلة. حين يُعلن البشر الحرب على الله، يتحول الله عدوًا لهم ويُحاربهم.[٢] وبرُغم أنها حقيقة مُقلقة، يُعلِّم الكتاب المقدس بوضوح أن الله يعتبر الخاطئ غير التائب عدوَّه، وقد كتب إعلان حرب ضده. يبقى رجاء الخاطئ الوحيد أن يُلقي سلاحه، ويرفع الراية البيضاء ويُعلن استسلامه قبل فوات الأوان إلى الأبد.[٣]

يُخبرنا سفر ناحوم أن: «**الرَّبُّ مُنْتَقِمٌ مِن مُبْغِضِيهِ وَحَافِظٌ غَضَبَهُ عَلَى أَعْدَائِهِ.**»[٤] تتمثل الحقيقة الأولى التي يعلمنا إيَّاها هذا النص في أن الله هو الشخص الذي يعتبر الشرير عدوه. كما أنه لا يندب أن الإنسان قد جعله عدوًّا، بل يُعلن موقفه ضد الإنسان. إذًا، الله هو الشخص الذي يرسم خط المعركة ويحشد الجنود. وتتمثل الحقيقة الثانية التي نتعلمها في أن الله هو الذي في موقف الهجوم. إنه لا يقف فقط ضد هجوم الأشرار، بل هو نفسُه يُطلق صرخة الحرب، ويركض ليشتبك معهم بقوة غضبه الكاملة. كما يحذر كاتب المزمور: "الله حدَّد سيفه للمعركة ومدَّ قوسه وهيأها وسدَّد آلة الموت ضد أعدائه، وإن لم يتب الشرير فسيهلك تحت سخطه بكل تأكيد."[٥]

٢- إشعياء ٦٣:١٠
٣- القس تشارلز لايتر هو أول من لفتَ انتباهي لهذه الفكرة.
٤- ناحوم ١:٢
٥- مزمور ٧:١٢-١٣

من الضروري فهم وقبول أن حقيقة هذه "الحرب المقدسة" ليست ذكرى من العهد القديم، أو رؤية بدائية لله أُبطِلت بإعلان العهد الجديد التدريجي، بل هي حقيقة كتابية ثابتة موجودة في كل الكتاب المقدس. في رسالة رومية، يكتب الرسول بولس: «**لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ.**»[٦] مع أن هذا النص يوصِّل فكرة العداوة المتبادلة بين الله والإنسان، فالتأكيد الأكبر ليس على عداوة الخاطئ لله، بل على مقاومة الله للخاطئ. بعد إدراك أن هذا المفهوم غريب عن الغالبية العُظمى من الإنجيليين المعاصرين، قدَّم بعض الباحثين التاليون المزيد من التأكيد. صرَّح تشارلز هودج (Charles Hodge) قائلًا: "لا توجد معارضة شريرة من الخاطئ لله فحسب، بل مقاومة مقدسة من الله للخاطئ أيضًا."[٧] وقال لويس بيركهوف (Louis Berkhof): "لا يتعلق الأمر بأن البشر معادون لله، بل هم موضِع استيائه المقدس."[٨] كما شرح روبرت ال. ريموند (Robert L. Reymond) قائلًا: "يجب أن تُترجم كلمة **أعداء**، على الأرجح، **مكروهين من الله**، بدلًا من بنائها للمعلوم وترجمتها **كارهين لله**. بكلمات أخرى، كلمة **أعداء** لا تسلط الضوء على كراهيتنا غير المقدسة لله، بل على كراهية الله المقدسة لنا."[٩]

وفقًا للآيات السابقة، الإنسان أخطأ، والله هو الطرف الذي أُهين. وحتى تحدث المصالحة، يجب محو جريمة الإنسان، وإرضاء عدالة الله، كما يجب رفع غضبه عن الإنسان. نعلم أن موتَ المسيح لم يجعل كل البشر يميلون ميلًا إيجابيًا إلى الله؛ لأن أغلب البشر استمروا في مقاومتهم الكارهة لشخصه ومشيئته. لكن موت المسيح قد أرضى مطالب الله القدوس والبار، حتى يميل ميلًا إيجابيًا إلى أعدائه،

٦- رومية ٥: ١٠

٧- تشارلز هودج "تفسير رسالة رومية".
Charles Hodge, A Commentary on the Epistle to the Romans (London: Banner of Truth, 1989), 138.

٨- لويس بيركهوف اللاهوت النظامي.
Louis Berkhof, Systematic Theology (Edinburgh: Banner of Truth, 1993), 374.

٩- روبرت ال. ريموند، لاهوت نظامي جديد للإيمان المسيحي.
Robert L. Reymond, A New Systematic Theology of the Christian Faith (Nashville: Thomas Nelson, 1998), 646.

ويَمُد لهم غصن الزيتون من خلال الإنجيل كعلامة للسلام. سيخلص أولئك الذين يتوبون ويؤمنون بالمسيح، لكن الذين يرفضون، يدَّخرون غضبًا لأنفسِهم ليوم غضب الله حين تُعلن أخيراً دينونته البارة.[١٠]

يجب ألَّا ننسى أبدًا أن المسيح الذي قدَّم حياته للأمم هو نفسُه الذي سيضربهم ويحكمهم بعصًا من حديد.[١١] ذلك العبد المتألم الذي داس طريق الجلجثة هو نفسُه الذي سيدوس معصرة خمر وسخط وغضب الإله القادر على كل شيء.[١٢] ذلك المخلِّص الذي سفك دمَه من أجل أعدائه سيظهر ثانيةً متسربلًا بثوبه المغموس في دم أعدائه.[١٣] ذلك الحملُ الذي حملَ غضب الله على الخشبة هو نفسُه الذي سيسكب غضب الله على أولئك الذين اجتمعوا عليه، لدرجة أنهم سيصرخون للجبال أن تسقط عليهم لتخبئهم من حضوره.[١٤] إن رئيس السلام الذي أعلن سنة الرب المقبولة، سيُعلن يومًا ما يومَ انتقامه.[١٥] كما أنه سيُحاكِم بنفسه، ويشن الحرب ويقود جيوش السماء ضد أعداء الله.[١٦] من أجل هذا ينصح كاتب المزمور الأمم بأن يُقبِّلوا الابن لئلا يغضب فيبيدوا من الطريق؛ لأنه عن قليل يتقد غضبه.[١٧]

بوصفنا كارزين بالإنجيل، يجب أن نُعلن محبة الله لكل البشر، واستعداده لأن يخلص، لكن يجب ألَّا نضع جانبًا تلك التحذيرات الواضحة جدًّا والمتكررة في الكتاب المقدس. على البشر أن يستعدوا للقاء الله.[١٨] عليهم أن يتفقوا سريعًا مع خَصمهم، بينما هم معه في الطريق.[١٩] لأنهم إن لم يتوبوا، سيُحدد سيفه، فقد مدَّ

١٠- رومية ٢:٥
١١- رؤيا ١٩:١٥
١٢- رؤيا ١٩:١٥
١٣- رؤيا ١٩:١٣
١٤- رؤيا ٦:١٦ -١٧
١٥- إشعياء ٩:٦؛ ٦١:٢ ؛ لوقا ٤:١٩
١٦- رؤيا ١٩:١١ , ١٤
١٧- مزمور ٢:١٢
١٨- عاموس ٤:١٢
١٩- متى ٥:٢٥

قوس غضبه بالفعل.[٢٠] على الكارز أن يُعلن لأولئك الذين آمنوا الوعدَ بالعفو التام ويقين السلام. ومع ذلك، يجب على الرسول الأمين أن يُخبر أولئك الذين يرفضون أن يُطيعوا الإنجيل بأن غضب الله سيمكث عليهم.[٢١]

يا لَهَا من دعوة رائعة ومخيفة دُعي إليها خادم الإنجيل. للبعض هو عبير الحياة، لكن لآخرين هو رائحة الموت. ومَن تراه كُفُوًا لهذه المسؤولية؟[٢٢]

هل الاِنتقام لا يليق بالله؟

يرتبط انتقام الله بغضبه اِرتباطًا شديدًا. يدعو كاتب المزمور الله "إله النقمات" ويقدِّمه ناحوم على أنه الرب المنتقم والساخط فهو «**مُنْتَقِمٌ من مُبْغِضِيه وَحَافِظٌ غَضَبَهُ عَلَى أَعْدَائِهِ**»[٢٣] حتى ترنيمة موسى تُعظِّم انتقام الله. إنه أحد أكثر أوصاف الله رعبًا في الكتاب المقدس كله: «**اُنْظُرُوا الآنَ! أَنَا أَنَا هُوَ وَلَيْسَ إِلهٌ مَعِي. أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي. سَحَقْتُ، وَإِنِّي أَشْفِي، وَلَيْسَ مِنْ يَدِي مُخَلِّصٌ. إِنِّي أَرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ يَدِي وَأَقُولُ: حَيٌّ أَنَا إِلَى الأَبَدِ. إِذَا سَنَنْتُ سَيْفِي الْبَارِقَ، وَأَمْسَكَتْ بِالْقَضَاءِ يَدِي، أَرُدُّ نَقْمَةً عَلَى أَضْدَادِي، وَأُجَازِي مُبْغِضِيَّ. أُسْكِرُ سِهَامِي بِدَمٍ، وَيَأْكُلُ سَيْفِي لَحْمًا.**»[٢٤]

كيف لنا أن نقرأ نصوصًا كهذه ولا نرتعد؟ كيف لنا أن نؤمن بحقيقة كهذه ولا نُعلنها؟ أعلن عاموس النبي: «**الأَسَدُ قَدْ زَمْجَرَ، فَمَنْ لاَ يَخَافُ؟ السَّيِّدُ الرَّبُّ قَدْ تَكَلَّمَ، فَمَنْ لاَ يَتَنَبَّأُ؟**»[٢٥] وكتب الرسول بولس: «**فَإِذْ لَنَا رُوحُ الإِيمَانِ عَيْنُهُ، حَسَبَ الْمَكْتُوبِ: «آمَنْتُ لِذلِكَ تَكَلَّمْتُ»، نَحْنُ أَيْضًا نُؤْمِنُ وَلِذلِكَ نَتَكَلَّمُ أَيْضًا.**»[٢٦] على

٢٠- مزمور ٧:١٢-١٣
٢١- يوحنا ٣:٣٦
٢٢- ٢كورنثوس ٢:١٦
٢٣- مزمور ٩٤:١؛ ناحوم ١:٢
٢٤- تثنية ٣٢:٣٩-٤٢
٢٥- عاموس ٣:٨
٢٦- ٢كورنثوس ٤:١٣

نحوٍ مماثل، إن كنا نؤمن بأن الكتاب المقدس معصوم من الخطأ، وأن الله ثابت لا يتغير، فكيف يُمكن ألَّا نُعلن أموراً كهذه؟ هل تحذير ناحوم مجرد شعر بلا معنى ولا تطبيق عملي؟ هل هو مجازي وبلا تفسير واقعي ملموس؟ هل كُتِب لمجتمع أكثر صدقًا، أم قوي أكثر من اللازم على نفس الإنسان المعاصر الهشة؟ إن كانت هذه كلمات حقيقية عن الله وضرورية للإنسان في وقت ناحوم، إذًا، فإنها لا تزال كذلك اليوم. إنها الحق، وهي عنصر أساس في كرازتنا بالإنجيل!

وفقًا للكتاب المقدس، يجب أن يُحَذَّر البشرُ من أن الله إله اِنتقام. مع ذلك كيف يُمكننا أن نُصالح هذه الحقيقة مع نصوص أخرى في الكتاب المقدس، التي تُصوِّر بوضوح الاِنتقام كجُرم يرتكبه البشرُ الأشرار؟[٢٧] كيف لإله قدوس ومُحب أن يكون إله اِنتقام أيضًا؟ أولًا، يجب فهم أن الاِنتقام الإلهي موضوع ثابت في الكتاب المقدس؛ ولذلك لا يُمكن إنكارُه. ثانيًا، يجب إدراك أن اِنتقام الله يختلف عن اِنتقام البشر الساقطين؛ إذ أن غيرته على القداسة، والبر، والعدل، تدفعه للاِنتقام. الله حنَّان ورؤوف، وبطيء الغضب، وكثير الرأفة، لكنه أيضًا عادل. يُعاقب الخاطئ من أجل تبرئة اِسمه، وإجراء عدله بين خلائقه.[٢٨] في ضوء الطبيعة المروِّعة لخطية الإنسان، الله له الحق أن ينتقم لنفسه. ثلاث مرات في سفر إرميا يسأل الله: «**أَمَا أُعَاقِبُ عَلَى هذَا؟... مَا تَنْتَقِمُ نَفْسِي مِنْ أُمَّةٍ كَهذِهِ؟**»[٢٩] وفي موضع آخر في الناموس والأنبياء، نجد الإجابة عن هذا السؤال، حيث يُؤكِّد موسى أن الله لن يؤجل ردَّه على أولئك الذين يبغضونه بوجوههم، ويُعلن إشعياء أنه سيستريح من خصومه، وينتقم لنفسه من أعدائه.[٣٠]

يرفض الكثيرون اليوم عقيدة الاِنتقام الإلهي، أو أيَّ تعليم آخر قد يقترح حتى أن إلهًا مُحبًّا ورحيمًا يقدر أن يكون منتقمًا. حتى أولئك الخدَّام الذين يقبلون هذه العقيدة

٢٧- لاويين ١٩:١٨؛ صموئيل الأول ٢٥:٢٥ , ٣٠-٣٣
٢٨- خروج ٦:٣٤
٢٩- إرميا ٩:٥ ,٢٩؛ ٩:٩
٣٠- تثنية ١٠:٧؛ إشعياء ٢٤:١

باعتبارها التعليم الصريح للكتاب المقدس، نادراً ما يُعلنونها من على المنابر. ونتيجة لذلك، العالَم غير المؤمن وكذلك المؤمن المخلَّص، كلاهما غير مُدرك لشخصية الله الحقيقية، وتجاوبه الجَذري مع أعمال البشر الخاطئة.

يُحذرنا الكتاب المقدس أن غضب الله آتٍ على أبناء البشر، ويحثنا على الاستعداد للقاء إلهنا.[٣١] على البشر الخطاة أن يتأملوا هذه الحقائق بخوف ورعدة، لكن على الكارزين، أولًا، أن يجعلوا هذه الحقائق معروفة. إن مسؤوليتنا هي دق نواقيس الخطر محذِّرين البشر من حتمية الغضب الآتي.[٣٢] إن رفضنا تحقيق هذا الجانب، المكروه، من خدمتنا، فسنُحاسَب، ودم السامعين سيُطلَب من أيدينا، كما حذر الله النبيَّ حزقيال: «**إذَا قُلْتُ لِلشِّرِّيرِ: يَا شرِّيرُ مَوْتًا تَمُوتُ. فَإِنْ لَمْ تَتَكَلَّمْ لِتُحَذِّرَ الشِّرِّيرَ مِنْ طَرِيقِهِ، فَذلِكَ الشِّرِّيرُ يَمُوتُ بِذَنْبِهِ، أَمَّا دَمُهُ فَمِنْ يَدِكَ أَطْلُبُهُ.**»[٣٣]

في ضوء النصوص القليلة التي تأملناها بخصوص انتقام الله، لا يُمكن للإنسان سوى أن ينتحب حين يفكر كم أصبح وعظُنا غريبًا وغيرَ متزن! وصارت عظاتُنا تخوِّننا وتكشف كم أننا متحيزون لبعض الحقائق، وكم نحن متحاملون على البعض الآخر! نحن مدعوون لإعلان مشيئة الله الكاملة، ويجب ألَّا نتراجع عنها.[٣٤] لم يعطنا الله السلطان لننتقي ما ينبغي أن نعظ به وما لا ينبغي، على ضوء ما نظن أننا نعرفه عن احتياجات الإنسان المعاصر. إن الذين نالوا امتياز إرشاد الآخرين، عليهم أن يسألوا أنفسَهم: "كم مرة أعلنا ما يحتاجه البشر بالأكثر ليفهموا، وفي الوقت نفسه لا يرغبون في سماعه كثيراً، مثل دينونة الله. ينبغي فهم أن نقص مثل هذا الوعظ يكشف تناقضات منّابرنا، ويُفسِّر سبب الجهل في صفوف كنائسنا فيما يخص بعض أكثر الحقائق جوهريةً عن شخص الله، وتعامُله مع البشر.

٣١- عاموس ٤:١٢
٣٢- أفسس ٥:٦
٣٣- حزقيال ٣٣:٨
٣٤- أعمال الرسل ٢٠:٢٧

إننا نحيا في زمن عدم اتزان لاهوتي خطير. كثُر الحديث عن محبة الله، هذا صحيح، لكن يكاد لا يُقال شيء عن غضبه. إن ألقى واعظ عظة كاملة عن محبة الله دون أن يذكر غضبه مرة واحدة، ففي الغالب لن يُحاسَب، لكن إن وعظ جزءًا فقط من العظة عن غضب الله ففي الغالب سيُنتَقَد لأنه لم يكن متوازنًا، وخبيث الروح، وغير مُحب. هكذا هو العصر الذي نعيش فيه. «**لأَنَّهُ سَيَكُونُ وَقْتٌ لاَ يَحْتَمِلُونَ فِيهِ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ، بَلْ حَسَبَ شَهَوَاتِهِمُ الْخَاصَّةِ... يَصْرِفُونَ مَسَامِعَهُمْ عَنِ الْحَقِّ.**»[٣٥]

٣٥- ٢ تيموثاوس ٤:٣-٤

الفصل السابع عشر

العطية الأكثر كُلفة

«مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ»

(رومية ٣: ٢٤)

في الفصول السابقة، تناولنا الحالة الأخلاقية للإنسان الساقط، وتمرُّده الشامل على الله، والعواقب الوخيمة للدينونة الإلهية: يقف البشر جميعًا مدانين أمام الله. ومع ذلك، سنكتشف في النص الذي أمامنا حدوث تغيير جذري في موقف المؤمن أمام الله، فلم يُعد خاطئًا، بل قد تبرَّرَ بالإيمان بالرب يسوع المسيح.

التبريـــــر

نتعلم من الكتاب المقدس أن الله اله بار.[١] إن أعماله كاملة، وجميع سبله عدل؛ وهو إله الأمانة الذي لا يُحرِّف الحق.[٢] ولأنه بار، لا يُمكنه بالتالي أن يكون محايدًا أو غير مكترثٍ بالأمور الأخلاقية؛ لأنه يُحب البر ويُبغض الإثم،[٣] وعيناه أطهر من أن تصدِّقا على الشر، ولا يُمكن للإثم أن ينال حُظوةً في عينيه،[٤] وقد

١- مزمور ٧: ٩

٢- تثنية ٣٢: ٤؛ أيوب ٨: ٣

٣- مزمور ١١: ٧؛ ٥: ٥

٤- حبقوق ١: ١٣

ثبَّتَ كرسيه للدينونة، وسيُدين العالم بالبر.[٥] إنه إله يسخط في كل يوم، وإن لم يرجع الإنسان ويتب، فهو سيُحدد سيفه، ويُهيئ قوسه للدينونة.[٦]

تقودنا شهادة الكتاب المقدس عن بر الله وشر الإنسان إلى مشكلة لاهوتية وأخلاقية كبرى: كيف لإنسان خاطئ أن يقف أمام بر الله؟ وكيف يكون لإله بار شركة مع بشر أشرار؟ يصف كاتب المزمور هذه المشكلة كالتالي: «**مَنْ يَصْعَدُ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ؟ وَمَنْ يَقُومُ فِي مَوْضِعِ قُدْسِهِ؟ اَلطَّاهِرُ الْيَدَيْنِ، وَالنَّقِيُّ الْقَلْبِ، الَّذِي لَمْ يَحْمِلْ نَفْسَهُ إِلَى الْبَاطِلِ، وَلاَ حَلَفَ كَذِبًا. يَحْمِلُ بَرَكَةً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ.**»[٧]

يتطلب التبرير في محضر الله كمالًا أخلاقيًّا مطلقًا أو تامًّا. يجب أن تُبرهِن كل فكرة أو كلمة أو عمل من لحظة الميلاد وحتى لحظة الممات على توافقها التام مع طبيعة الله ومشيئته، وتؤدي أقل شائبة أو انحراف عن هذا المقياس إلى الحكم الفوري بعدم الأهلية. لا نحتاج سوى النظر إلى خطية آدم وسقوطه كي نتعلم عن صرامة بر الله وشدته. ولهذا عندما يسأل الشخص الأخلاقي: «ماذا **أعمل** لكي أخلُص؟» لا بد أن نضع أمامه شرط الطاعة التامة. فإن وصل، بنعمة الله، إلى حالة من الارتباك واليأس، حينئذ نوجهه نحو المسيح.

يُعدُّ الإنسان الذي يسعى أن يتبرر أمام الله مثيراً للشفقة وميئوسًا منه أكثر من كل الخليقة. فمنذ سقوط آدم، لم يُحقق أي إنسان قط متطلَّبات الله البارة؛ إن أيادينا غير طاهرة وقلوبنا ملوثة.[٨] من الرحم نجري إلى الكذب، ومن فضلة القلب نتكلم بأمور خادعة.[٩] لهذا ليست لدينا أية قوة أو حق للوقوف أمامه، إننا نُجرِّد أنفسنا من أهليتنا تمامًا. وإن كان يُمكن عمل أي شيء على الإطلاق لإصلاح هذا الكسر، فالله الوحيد من يجب أن يعمله؛ فالتبرير عطية مجانية تُمنح بنعمته.[١٠]

٥- مزمور ٩: ٧
٦- مزمور ٧: ١١-١٢
٧- مزمور ٢٤: ٣-٥
٨- أرميا ١٧: ٩
٩- مزمور ٥٨: ٣؛ متى ١٥: ١٨-١٩
١٠- رومية ٣: ٢٤

تأتي كلمة "**متبررين**" من الفعل اليوناني (dikaioo) الذي يَعني إثباتًا أو إعلانًا بأن شخصًا ما بار، أو من المفترض أن يكون كذلك. وفي سياق كلمة الله وعقيدة الخلاص، تُعد كلمة "**متبررين**" تصريحًا قانونيًا، أو قضائيًا.[١١] فمن يُؤمن بالله يتبرر، أي: يُوضَع البر في حسابه، وبذلك يُحسَب بارًا أمام الله، أو يصدر تصريح بأنه بار أمام الله، ويتعامل معه الله بناء على هذا. كتب بولس الرسول في رسالته إلى كنيسة رومية قائلًا: «**لأَنَّهُ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ؟ «فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا».**»[١٢]

من المهم ملاحظة أن كلمة "**متبررين**" لا تعني أنه في اللحظة التي يُؤمن فيها الإنسان بالله يُصبح بارًا. لو كانت هذه هي الحالة، فإن هذا المؤمن سيتحول إلى كائن بار تمامًا لا يُخطئ فيما بعد، ولا يستطيع حتى أن يُخطئ. ولا تعني الكلمة أيضًا أن مَن يُؤمن تنغرس فيه نعمة خاصة تُمَكِّنه من أن يحيا حياةً أكثرَ برًا، وبالتالي يتبرر أمام الله بناء على أعماله. لو كان هذا صحيحًا، فإن الخلاص حينئذ لن يكون بعد بالإيمان، ولن تكون النعمة بعدُ نعمة.[١٣] تشهد كلمة الله، وأكثر اعترافات الإيمان وخدام الله نفعًا عبر تاريخ الكنيسة بأكمله، بأن التبرير هو مقام وموقف قانوني أمام عرش الله. ومَن يُؤمن بشهادة الله عن ابنه تُغفَر له جميع خطاياه، ويتبرر أمام كرسي دينونة الله.[١٤] ويصيغ اعتراف إيمان ويستمنستر (١١: ١) الأمر هكذا: "أولئك الذين يدعوهم الله دعوة فعالة، هو أيضًا يُبرِّرهم مجانًا، ليس بأن يسكب البر فيهم، بل بأن يغفر لهم خطاياهم، ويقبلهم كأبرار، لا لأجل عمل فيهم، أو تم بواسطتهم، بل لأجل المسيح وحده... بواسطة حسبان طاعة المسيح وكفايته لهم."

١١- كلمة "قضائي" (Forensic) مشتقة من الكلمة اللاتينية "forensis" المتعلقة بسوق أو ميدان عام. فاللفظ forensis يُشير إلى ما يتعلق بالمحاكم أو الشؤون القانونية، مثل الطب الشرعي الذي يقوم بتطبيق حقائق طبية على قضايا قانونية.

١٢- رومية ٤: ٣؛ غلاطية ٣: ٦؛ يعقوب ٢: ٢٣.

١٣- رومية ١١: ٦

١٤- ١ يوحنا ٥: ١١

فوائد التبرير

إذًا التبرير بركة رائعة ومتعددة الأوجه، تُقبل بالإيمان بشخص يسوع المسيح وعمله. ويُمكننا أن نقول الآتي عن المؤمن الذي تبرر. أولًا، غُفرت كل خطاياه: الماضية، والحاضرة، والمستقبلة، ولن تؤخذ في الاعتبار أبدًا أمام منصة الله القضائية. ويقتبس بولس الرسول من داود قائلًا: «**طُوبَى لِلَّذِينَ غُفِرَتْ آثَامُهُمْ وَسُتِرَتْ خَطَايَاهُمْ. طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً.**»[١٥]

لا يُثير هذا الحق فيمن يعتقدون أن الله لا يختلف كثيراً عنهم سوى تقدير باهت مترفِّع.[١٦] أمَّا من يرفعون من قدر أنفسهم ولا يفهمون أو يُصدقون العقيدة القديمة والمهيبة التي تُدعى الفساد الكلي، فإن هذا الحق يُرضيهم لكنه لا يدهشهم. ومع ذلك، من رأى فساد قلبه وخزي أعماله أمام الإله القدوس، فإن هذا الحق يفوق كونه مدهشًا؛ إنه صاعق، ومذهل، وصادم، ومبهر، واستثنائي، وخارق للطبيعة، وأخَّاذ، وخلَّاب، ومثير، وعجيب لأقصى درجة. ويدعو لقرع الأجراس، وانهمار دموع الفرح، وصيحات المجد! وهذا يُثبت مرة أخرى الحاجة إلى التعليم عن الأمور المظلمة، حتى حين يبرز النور يُصبح محببًا للنفس تمامًا.

ثانيًا، إن حساب بر المسيح للمؤمن يَعني إعلان المؤمن بارًّا أمام الله. إن كلمة "**يحسب**" هي مصطلح لاهوتي فائق الأهمية مترجم من الكلمة اليونانية (logizoma) التي تعني "يحسب أو يضع في حساب أو يُقرر". وفيما يخص المؤمن تعني أن بر المسيح يُحسَب له، أو يوضَع في حسابه، وهكذا يصير المؤمن بارًّا أمام الله، ليس من جراء فضائله أو استحقاقاته، بل بسبب كمال حياة الرب يسوع المسيح وموته الكفاري. كتب الرسول بولس: «**وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً.**»[١٧]

١٥- رومية ٤: ٧-٨
١٦- مزمور ٥٠: ٢١
١٧- ١ كورنثوس ١: ٣٠

سلَكَ الرب يسوع المسيح في أثناء حياته وخدمته على الأرض في طاعة تامة لله. ويشهد الرسول بولس بأن المسيح «**لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً**.»[١٨] ويُخبرنا أيضًا كاتب رسالة العبرانيين بأنه جُرِّبَ في كل شيء مثلنا، ولكن كان بلا خطية.[١٩] وهذه واحدة من أعجب الحقائق التي تخص شخص يسوع في كلمة الله، وتُعد الطريقة المُثلَى لفهم شيء بهذه العظمة والقوة هي المقارنة: فلم توجَد في حياتنا لحظة واحدة أحببنا فيها الرب إلهنا كما يستحق، وفي المقابل لم توجَد قط لحظة واحدة في حياة يسوع لم يُحب فيها الرب إلهه من كل قلبه، ونفسه، وفكره، وقدرته.[٢٠] كما لم توجَد لحظة واحدة في حياتنا فعلنا فيها ما نفعله لمجد الله دون أي انحراف في الدافع. وفي المقابل لم توجَد لحظة واحدة في حياة يسوع فشِلَ فيها في تمجيد الله بالتمام والكمال، وبكل ذرة في كيانه. ولهذا لم يتردد الآب قط في شهادته عنه: «**هذَا هُوَ ابْني الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ**.»[٢١]

يُعد الشيء الرائع في التبرير أن هذه الحياة المثالية الكاملة التي عاشها يسوع تُحسَب للمؤمن، أي توضَع في حسابه. فضلًا عن ذلك، فإنه يحدث بحسب مشيئة الآب والابن، حيث يهَبُ المسيح برَّه مجانًا، وبغِنى مفرط، وبفرح لا يقاس. إن يُوسف، وهو واحد من الآباء، ورمز للمسيح، كان يمتلك قميصًا رائعًا ملوَّنًا بألوان كثيرة، لكنه لم يتشاركه مع إخوته. إلَّا أن المسيح، ذاك الذي هو أعظم من يوسف، يتلذذ بأن يكسو إخوته رداء بره الذي يفوق الوصف والمتعدد الجوانب. إنه رداء من الجمال يجلب المجد لأحقر البائسين، وهو رداء مدرَّع للتصدى لجميع سهام الشرير الملتهبة.[٢٢] وبما أننا قد لبسنا المسيح، فإن الله ينظر الآن إلى كل مؤمن على حِدة، ويُعلن دون تردد: «**هذَا هُوَ ابْني الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ**».

١٨- ٢ كورنثوس ٥: ٢١
١٩- عبرانيين ٤: ١٥
٢٠- مرقس ١٢: ٣٠؛ لوقا ١٠: ٢٧.
٢١- متى ٣: ١٧؛ ١٧: ٥؛ مرقس ١: ١١؛ ٩: ٧؛ لوقا ٣: ٢٢؛ ٢ بطرس ١: ١٧
٢٢- أفسس ٦: ١٦

ثالثًا، بما أن المؤمن قد تبرر أمام عرش الله، فإنه يُعامَل على هذا الأساس باعتباره بارًا. وتُعلن كلمة الله أن المسيح قد صار خطيةً لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه،[٢٣] فعلى الصليب، وضع الله عليه إثم جميعنا،[٢٤] وعامله بقسوة كأنه مذنب بالخطايا التي حملها، فصار متروكًا من الله، مضروبًا ومصابًا ومسحوقًا لأجل آثامنا، ومؤدَّبًا لأجل سلامنا.[٢٥] وقاسى اللعنة الإلهية وغضب الله الشديد الذي آثَرْناه نحن بخطايانا. ومع هذا، فبآلامه سدَّد بالكامل الدين الذي لم نكن نستطيع سداده.[٢٦] ونتيجة لهذا، أُعلِن الآن المؤمن بارًا، ونال فائدة البر غير المحدودة التي لا تُقاس؛ فالله صار يُعاملنا كأبناء! تُغير هذه الحقيقة المدهشة من الطريقة التي يرى بها المؤمن نفسَه، فقد صرنا المستفيدين من هذه المبادلة العظمى، «**الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ.**»[٢٧]

رابعًا وأخيرًا، ينعم المؤمن بسلام مع الله بالإيمان بعمل المسيح الكفاري. كتب الرسول بولس: «**فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ.**»[٢٨] وفي ضوء حالة العداوة السابقة، تُعد هذه بركة تفوق الخيال. فمن خلال هبة التبرير، لم يَعُد المؤمن ابنًا للغضب، بل ابنًا لله.[٢٩] وإذ قد تبررنا بموت المسيح الكفاري، سنخلص به (أي بالمسيح) من غضب الله.[٣٠] وهذا الحق المجيد هو الذي قاد الرسول بولس لوصف المؤمن كالتالي: «**رَجَعْتُمْ إِلَى اللهِ مِنَ الأَوْثَانِ، لِتَعْبُدُوا اللهَ الْحَيَّ الْحَقِيقِيَّ، وَتَنْتَظِرُوا ابنه مِنَ السَّمَاءِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، يَسُوعَ، الَّذِي يُنْقِذُنَا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي.**»[٣١]

٢٣- ٢ كورنثوس ٥: ٢١
٢٤- إشعياء ٥٣: ٦
٢٥- مزمور ٢٢: ١؛ متى ٢٧: ٤٦؛ مرقس ١٥: ٣٤؛ إشعياء ٥٣: ٥
٢٦- يوحنا ١٩: ٣٠
٢٧- ١ بطرس ٣: ١٨
٢٨- رومية ٥: ١
٢٩- أفسس ٢: ٣؛ غلاطية ٤: ٥
٣٠- رومية ٥: ٩
٣١- ١ تسالونيكي ١: ٩-١٠

النعمـــة

ربما يكون أروع شيء في التبرير أنه بنعمة الله، أو أنه إحسان من غير اِستحقاق. تتفق كلمة الله بالإجماع مع هذا الحق: أن المؤمن "قد تبرَّر مجانًا بنعمته."[٣٢]

تشتق كلمة "**مجانًا**" من الكلمة اليونانية التي أتت بصيغة الحال (dorean)، وتعني حرفيًّا "مجانًا، أو دون اِستحقاق، أو بلا سبب." إنها الكلمة نفسُها التي استخدمها الربُّ يسوع المسيح ليُبَيِّن لتلاميذه أنه لم يكن مستحقًّا على الإطلاق عداوة العالم له: «**لكِنْ لِكَيْ تَتِمَّ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ فِي نَامُوسِهِمْ: إِنَّهُمْ أَبْغَضُونِي بِلاَ سَبَبٍ.**»[٣٣]

كان المسيح بلا خطية،[٣٤] ولم يقدر حتى أعداؤه أن يُبكتوه على خطية أو يتهمونه بشيء.[٣٥] ولم يُعطِ سببًا لأحد كي يبغضه. وبالطريقة نفسِها لم نُعطِ لله سببًا قط كي نتبرر أمامه، فأقل فحص لحياتنا قبل إيماننا ستثبت الاِستحالة التامة لتبريرنا عن اِستحقاق، واِستحالة أن يكون خلاصُنا بأي شيء آخر سوى النعمة. لم يُعلن الله تبريرنا **لشيء فينا**، بل **بالرغم من حالتنا**. لم تدفع قيمتنا الداخلية أو أي اِستحقاق شخصي الله حتى يُخلِّصَنا، بل كان الدافع هو النعمة والنعمة وحدها.

تُميز عقيدة التبرير بالنعمة من خلال الإيمان، المسيحية، عن كل ديانات العالم الأخرى. تخيَّل معي لقاءً صحفيًّا دار بين مراسل صحفي عِلماني وممثلين من الديانات الثلاث الرئيسة في العالم: اليهودية، والإسلام، والمسيحية. في البداية، يتوجَّه المراسل بالحديث إلى اليهودي المحافظ ويسأله: "إن مُتَّ في هذه الساعة، إلى أين ستذهب، وما هو سبب رجائك؟"

٣٢- رومية ٣: ٢٤
٣٣- يوحنا ١٥: ٢٥
٣٤- عبرانيين ٤: ١٥؛ ٢ كورنثوس ٥: ٢١
٣٥- يوحنا ٨: ٤٦

سيجيب اليهودي: "سأذهب إلى السماء، فأنا أحب التوراة أو ناموس الله، وأطيعه، وقد سلكت في سبل البر، وأعمالي تشهد عني."

ثم ينتقل المراسل إلى المسلم، ويُوجه له السؤال ذاته: "إن مُتَّ في هذه الساعة، إلى أين ستذهب، وما هو سبب رجائك؟"

فيجيب المسلم: "سأذهب إلى السماء، فأنا أحب القرآن، وقد اتَّبعت تعاليم أعظم أنبياء الله، وأديت مراسم الحج، وكنت لا أترك فرضًا، وتصدَّقت على الفقير. أنا رجل بار."

وأخيراً، يتوجه المراسل بالسؤال ذاته إلى المسيحي قائلًا: "إن مُت في هذه الساعة، إلى أين ستذهب، وما هو سبب رجائك؟"

ويجيبه المسيحي: "سأذهب إلى السماء." ثم يُعلن بنظرة اختلط فيها الفرح مع الأسى: "بالخطية حبلت بي أمي، وفي الخطية وُلِدت، وقد كَسَرْتُ كل نواميس الله، وأستحق الدينونة الأعظم."

وهنا يقاطعه المراسل متعجبًا: "أنا لا أفهم سبب رجائك هذا، فأنا أفهم جيدًا أسباب اليهودي المحافظ والمسلم المخلص، إنهما سيذهبان إلى السماء، وسيقفان في حضرة الله بسبب اِستحقاقاتهم وأعمالهم، ولكنك تدَّعي أنك معدم من هذه الأشياء الضرورية، فكيف إذًا يُمكنك أن تتبرر أمام الله؟ ما هو أساس رجائك هذا؟"

فيبتسم المسيحي ويجيبه قائلًا: "إن رجائي في الدخول إلى حضرة الله مبنى على فضائل واِستحقاق شخص آخر، هو يسوع المسيح ربِّي."

كان هذا هو الاِختبار الشخصي لكل مؤمن وُجِد على هذه الأرض من الأيام الأولى للرسل، وحتى الآن، وسيظل هذا هو الاِختبار الفريد للمسيحية حتى نهاية الدهر. كتب الرسول بولس: «**بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ**

مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ، وَأُوجَدَ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بِرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ، الْبِرُّ الَّذِي مِنَ اللهِ بِالإِيمَانِ.»[٣٦]

ردَّدَ القس وكاتب الترانيم الشهير أغسطس توبلادي (Augustus Toplady) في ترنيمته الشهيرة بعنوان "صخر الدهور" (Rock of Ages) تلك الأحاسيس القوية نفسُها التي شعر بها الرسول بولس:

لا تقدر أعمال يديَّ أن تُتمم وصايا ناموسك
إن لم تعرف غيرتي الراحة وإن فاضت إلى الأبد دموعي
لن يُكفِّر كل هذا عن خطيتي أنت وحدك القادر أن تخلصني
لا شيءَ في يدي أقدمه لك لكني ببساطة أتعلق بالصليب
عُريانًا آتي إليك لتكسوني عاجزاً ألتمس منك نعمة
جاهلًا، أركض إلى النبع يا مخلصي اغسلني وإلّا أموت

أولئك الذين يتباهون بموقفهم القانوني السليم أمام الله بناء على الفضيلة أو الاستحقاق الشخصي لا يُدركون مَنْ هو الله أو مَن هم. إن أقل نظرة خاطفة إلى بر الله، أو فساد الإنسان الأخلاقي كافية لسحق أي أمل في الخلاص. يتطلب الدخول إلى محضره كمالًا أخلاقيًا مطلقًا؛ لأن قداسته فائقة، حتى إنه لا يقدر على النظر إلى الشر أو الإثم والجور.[٣٧] إن خطية واحدة ارتكبها آدم تسببت في طرده من الجنة، وغطت العالم بالدينونة والموت. كيف لنا إذًا، نحن الذين أخطأنا بما يفوق قدرتنا على الحساب، أن نقف أمامه راجين أن نتبرر؟ فقد أخطأ كلٌّ منَّا بما يكفي لتُطرح آلاف العوالم في الهلاك. إن كان لنا أن نخلص، فهذا منه وبواسطته، وإن كنا نجد سببًا لخلاصنا، فلا بد أن يأتي منه، وإن كان يُمكن عمل شيء، فهذا لا بد أن يكون بنعمة الله المخلص.

٣٦- فيلبي ٣: ٨-٩
٣٧- حبقوق ١: ١٣

الفــــداء

ينبغي نطق بعض الكلمات بهدوء، وبإجلال، وبشفاه مرتجفة. ويُعد "**الفداء**" أحد هذه الكلمات المترجمة من الكلمة اليونانية (apolutrosis) التي تُشير إلى «إطلاق سراح قد بات ممكنًا من خلال دفع ثمن أو فدية». وتُستخدم هذه الكلمة كثيراً في الأدب القديم عِند إطلاق سراح العبيد أو أسرى الحرب. وفي العهد الجديد، تُشير كلمة فداء إلى تحرير البشر من الدينونة وعبودية الخطية من خلال ذبيحة يسوع المسيح.

كثيراً ما يتساءل البشر: "لمن دُفعت الفدية؟" و"ممَّ افْتُدينا؟" ومع أن آراء مبتكرة كثيرة قد قيلت في هذا الشأن، كلها على حدٍّ سواء خاطئة، فإن العهد الجديد واضح: فقد أهانت خطايانا عدل الله وأهاجت غضبه، وهكذا «أغلق علينا» للحكم والدينونة دون أدنى ملاذ لنلتجئ إليه لنوال حريتنا مرة أخرى.[٣٨] وتطلب إرضاءُ عدل الله موت المجرم لأن «أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ»، و«اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ.»[٣٩] لكن «اَللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا،» تَدَخَّل وسدد الثمن نيابة عَنَّا بإرساله ابنه الوحيد كي يموت بدلًا عَنَّا ويسدد ديننا.[٤٠]

يُمكن أن يتصف هذا العمل بالنُّبل حتى إن كنا رعايا أوفياء لملكوت الله قد وقعنا أسرى دون خطأ مِنَّا في شيء. لكن لم يكن الأمر هكذا، فالله فدانا على الرغم من أننا لم نكن ضحايا بل مجرمين نتحمل اللوم. وقد أسرعنا دون تردد إلى التمرُّد على إلهنا. دينونتنا وسجننا تحت عدله وغضبه كانا ذنبنا نحن، فقد شكَّلت خطايانا القيود وحرَّضت سيف العقاب.

يجعل الواقع المقيت لجُرمنا من فدائنا أمراً غير مألوف وأكثر بهجة. لو كان المسيح قد مات لأجل عبيد نبلاء، لما كان عمل النعمة عويص الفهم، لكنه مات

٣٨- رومية ١١: ٣٢
٣٩- رومية ٦: ٢٣؛ حزقيال ١٨: ٤
٤٠- أفسس ٢: ٤

لأجل من هم أقل من هذا بكثير. وكما كتب الرسول بولس: «فَإِنَّهُ بِالْجَهْدِ يَمُوتُ أَحَدٌ لأَجْلِ بَارٍّ. رُبَّمَا لأَجْلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَيْضًا أَنْ يَمُوتَ. وَلكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا؛ لأنه وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا.»[٤١]

إن تبرير المؤمن عطية تُقدَّم بالفداء الذي بات ممكنًا من خلال شخص يسوع المسيح وعمله. ومع أنه يُوهَب للمؤمن مجانًا، لا يُمكننا إدراك الكُلفة التي استلزمها هذا، والثمن الذي دفعه يسوع. وفي الحقيقة، قد يكتشف القديسون أن شغلهم الشاغل في السماء يتمثل في البحث عن قيمة تلك الذبيحة. ولا توجد معرفة أروع أو أكثر استحقاقا للبحث فيها من عمل المسيح الفدائي نيابةً عن شعبه. كَتَبَ الرسول بطرس: «عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ، بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، دَمِ الْمَسِيحِ.»[٤٢]

إن أقل معرفة بالثمن الذي دُفِعَ لأجل فدائنا لا بد أن تدفع الخاطئ والقديس على حدٍّ سواء إلى التجاوب بإيمان، وتكريس، وعبادة. ومَن لا يُؤمنون في الوقت الحاضر عليهم أن يتوبوا عن عدم إيمانهم ويركضوا نحو المسيح، فأية نجاة لهم إن أهملوا خلاصًا هذا مقدارُه؟[٤٣] أمَّا الذين يُؤمنون منَّا، فيجب ألّا يعيشوا بعدُ لأنفسهم، بل للذي مات لأجلهم. يُعلِّق الرسول بولس مفكِّراً: «لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْصُرُنَا. إِذْ نَحْنُ نَحْسِبُ هذَا: أَنَّهُ إِنْ كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ، فَالْجَمِيعُ إِذًا مَاتُوا. وَهُوَ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لاَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ.»[٤٤]

من أجل هذا، أي تأمل حقيقي في سداد المسيح لثمن فداء المؤمن لا بد أن يدفعه إلى السجود بامتنان والصراخ: "كيف يجب إذًا أن أحيا؟" فنحن كمؤمنين لا نعمل أعمالًا لمجرد كونها صالحة أو حكيمة أو تؤدي إلى حياة مزدهرة، بل

٤١- رومية ٥: ٧-٨
٤٢- ١ بطرس ١: ١٨-١٩
٤٣- عبرانيين ٢: ٣
٤٤- ٢ كورنثوس ٥: ١٤-١٥.

نفعلها لأجل المسيح، إذ قد أُرِيقَ دَمُه لفداء نفوسنا. وهذا هو الدافع الأعظم للحياة المسيحية، وسبب سيرنا في زمان غربتنا على الأرض بخوف.[٤٥]

في المسيح وحده

كان من الصعب على بولس أن يذكر أي شيء عن التبرير أو الفداء دون أن يضيف أن كل هذا تم في المسيح وحده. ففي الأعداد الثلاثة عشر الأولى من رسالة أفسس، يستخدم بولس عبارة «**في المسيح**» أو ما يقابلها إحدى عشرة مرة؛ حتى يُثْبِتَ أن كل ما للمؤمن أمام الله، هو له في المسيح. وهذه الحقيقة غير مبالغ فيها، وليست مذكورة أكثر من اللازم.

كثيراً ما نقول إن المسيح هو كل ما نحتاجه، لكن سيكون أكثر ملاءمة أن نقول إنه كل ما لدينا. وبدونه، ليس لنا نصيبٌ مع الله![٤٦] وتشهد كلمة الله نفسُها أن كل الأشياء قد خُلِقت فيه، وبه، وله، والشيء نفسُه يُمكن أن يُقال عن خلاصنا.[٤٧] إن إطلاق سراحنا من الأسر، وتبرُّرنا أمام الله هو فقط في المسيح، وبه، وله. وكل شخص على هذا الكوكب إمَّا في آدم ومُدان، أو في المسيح ومبرَّر. قد ينشأ الطفل في بيت تقي، وقد يتردد رجل على كنيسة تتبع التعاليم الكتابية، لكن ما لم يكونا في المسيح، فهما بلا رجاء، وبلا إله في العالم.[٤٨] المسيح وحده هو الطريق، والحق، والحياة، وليس أحد يأتي إلى الآب إلَّا به.[٤٩] فليس بأحد غيره الخلاص؛ لأن لَيْسَ اسم آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ.[٥٠]

٤٥- ١ بطرس ١: ١٧-١٨.
٤٦- ١ يوحنا ٥: ١٢
٤٧- كولوسي ١: ١٦ «فَإِنَّهُ فيه (by him) خُلِقَ الْكُلُّ.» وعبارة "فيه" مشتقة من العبارة اليونانية "auto en" والتي يُمكن ترجمتها "فيه". وإن كان المعنى هو "به"، فإنه يُشير إلى أن الابن كان هو وكيل أو أداة الخلق. أمَّا المعنى الأكثر ترجيحًا فهو "فيه"، وهو يُشير إلى أن الابن كان هو المجال الذي فيه حدث الخلق. فإن كل ما في السماء وفي الأرض متعلق به؛ كل الأشياء تتعلق به بشكل مباشر ولها علاقة به.
٤٨- أفسس ٢: ١٢
٤٩- يوحنا ١٤: ٦
٥٠- أعمال ٤: ١٢

هذه الحقيقة نفسُها تعطي المسيح مكانة رفيعة لدى المؤمن، على رُغم أنها في الوقت نفسه «حَجَرَ صَدْمَةٍ وَصَخْرَةَ عَثْرَةٍ» للعالم.[٥١] للمؤمنين منَّا، المسيح له أعظم قيمة، ويستحق أقصى تكريس. وليس صعبًا علينا أن نتخلى عن أي ادعاء باستحقاقنا الشخصي، وأن نُشير إلى المسيح قائلين في ابتهاج: «فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ أَلَّا بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ.»[٥٢] وأي تلميح، ولو ضئيل، بأننا قد تبرَّرْنا بأعمالنا، أو أضفنا شيئًا إلى عمل المسيح النيابي عَنَّا ينبغي أن يُنَفِّرنا، فنحن نؤيد كاتب المزمور في تصريحه: «لَيْسَ لَنَا يَا رَبُّ لَيْسَ لَنَا، لكِنْ لاسْمِكَ أَعْطِ مَجْدًا، مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِكَ مِنْ أَجْلِ أَمَانَتِكَ.»[٥٣]

أمَّا بالنسبة لمن يرفضون أن يُؤمنوا، يصير يسوع المسيح بالنسبة لهم نموذجًا للوقاحة والكبرياء والتَعَصُّب؛ فكيف يجرؤ على الوقوف أمام العالم مُدَّعيًّا كونه المخلِّص الوحيد، وبالأخص في ظل وجود العديد من المخلِّصين الآخرين المرشحين والمتنافسين على هذا المنصب؟ كيف تجرؤ الكنيسة على معارضة الحقيقة المطلقة الوحيدة الباقية في هذه الثقافة التي تعتقد بأن لا أحد على خطأ، إلَّا مَنْ يَدَّعي أنه على صواب؟ كيف يجرؤ المسيحي على الإيمان بأن طريقه هو الطريق الوحيد إلى حد إقصاء كل طريق آخر؟ إن مثل هذا الادعاء ما هو إلَّا برهان سافر على الحماقة والتَعَصُّبِ الأعمى في عالم ما بعد الحداثة.

لهذا السبب، لطالما بقيت المسيحية عارًا وجهالة للعالم. فقد وُجِّهت الاتهامات للمؤمنيين الأوائل في الامبراطورية الرومانية، وتعرضوا للاضطهاد باعتبارهم ملحدين؛ لأنهم أنكروا وجود كل الآلهة الأخرى، وأقروا بولائهم للمسيح وحده. يتبع أيضًا المؤمن في العصر الحديث هذا التقليدَ المخزي نفسَه عندما يستند على المسيح وحده، ويُعلنه الرجاء الوحيد للعالم. ومع ذلك، إن فقدت الرسالة المسيحية هذا التفرُّد وهذه الحصرية، لن تظل مسيحية، ولن يكون لها بعدُ قوةٌ للخلاص.

٥١- ١ بطرس ٢: ٧-٨
٥٢- غلاطية ٦: ١٤
٥٣- مزمور ١١٥: ١

الفصل الثامن عشر

المعضلة الإلهية

«الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ»

(رومية ٣: ٢٥)

إن كانت رومية ٣: ٢٣-٢٧ تُعد حصن الإيمان المسيحي، فإن عدد ٢٥ سيكون هو الجزء المحصَّن في هذه المدينة. تشرح هذه الآية صليب المسيح كما لم يشرحه أيُّ نصٍّ آخر. وهنا يُمكننا النظر من وراء الستار لنكتشف سبب الصليب. كما يُمكننا معرفة طبيعة آلام المسيح. ونفهم ما كان لا بد أن يتحقق، وما قد تحقق بالفعل، من خلال موته. وهذا النص هو الخيط المفقود في الكثير من الكرازة بالإنجيل في العصر الحديث، وهو أيضًا سبب أن القليلين جدًّا، حتى من شعب الله، يفهمون الصليب.

يتفق العديد من اللاهوتيين والكارزين عبر العصور أن رومية ٣: ٢٥ أحد أهم النصوص في كل الكتاب المقدس. وينبع هذا التقييم الإيجابي من أنه يحتوي على جوهر البشارة: موت المسيح كفارةً عَنَّا. يستند الإيمان المسيحي ككل إلى هذا الحق، ومع ذلك فهو يكاد يكون مجهولًا تمامًا داخل الأوساط الإنجيلية المعاصرة. فكم عدد الإنجيليين الذي سمعوا قبلًا بكلمة **كفارة**؟ ومِن الذين سمعوا، كم عدد من يفهمون معناها، أو يُدركون أي شيء عن أهميتها العظيمة؟ يُعد نقص المعرفة هذا

اتهامًا ضد عصرنا، وبرهانًا على ضآلة فهمنا الفِعلي لرسالة الإنجيل. فما أكثر العظات التي تُقدَّم عن بشارة الإنجيل، والآلاف من النبذات والكتب التي تُكتب كل عام، ومع هذا، نادراً ما نجد هذا النص الرئيس، وقد لا نجده البتة، بين كل هذه الكتابات. ولا عجب أننا نرى ضَعفًا كبيراً جدًّا في تقديم بشارة الإنجيل في هذا العصر.

عرضٌ عامٌ

يُخبرنا رومية ٣: ٢٥ بأن الله «قَدَّمَ»، أو «عَرَضَ علنا» ابنه كفارة. وتأتي كلمة «قدَّم» من الكلمة اليونانية (protíthemai)، التي تعني أقام بغرض العرض العام. وعلى صليب الجلجثة، علق اللهُ حرفيًّا «ابنَه علنا.»[١] وفي تلك اللحظة المحدَّدة من التاريخ، رفعه اللهُ على خشبة عِند مفترق طرق مركز العالم الديني (أورشليم)؛ كي يُبصره الجميع.[٢]

على الرغم من عدم ورود هذا صراحةً في الكتاب المقدس، لن يكون من الخطأ افتراض أن الله كان بإمكانه محو الخطية في مكان مغلق، أو أن المسيح كان بإمكانه أن يموت بطريقة ذات خصوصية أكبر. تُبرهن حقيقة أنه قد عُلِّق علنًا أمام العالم على أن الله قصد أن تكون آلامُه وموتُه أدوات أو وسائل للإعلان. قرَّر اللهُ من خلال الصليب، أن يكشف للبشر والملائكة حقائقَ معينة عن نفسه لم يكن ممكنًا كشفُها بأية وسيلة أخرى.[٣] تتمثل شهادة الكنيسة الثابتة والأبدية في أن صليب يسوع المسيح أعظم إعلان عن الله وعن الحقيقة ذاتها. إن الصليب هو تلك الكلمة العظيمة والحاسمة من الله للإنسان، التي تُفسر كل ما يجب تفسيره، وتُجيب عن تساؤلاتنا القديمة الأزل عن قصد الله وعمله بين البشر.

١- إعلان أو placard هي لافتة أو مُلصق، أو علامة. أن تعرض شيئًا (placard) هو أن تضعه أمام نظر العامة؛ حتى تتسنى لهم رؤيته.
٢- غلاطية ٤: ٤
٣- أفسس ٣: ١٠؛ ١ بطرس ١: ١٢

لن نستطيع تقديم لمحة عامة عن كل ما يكشفه صليب المسيح في هذا الفصل. وقد نقول مقتبسين كلمات الرسول يوحنا إننا إذا كتبنا بالتفصيل كل ما كشفه الصليب، فإن العالم كله لن يسع الكتب المكتوبة.[٤] لذلك، علينا أن نحصر أنفسَنا في هذا النص، ونتبع عن كثب قيادة بولس وإرشاده لنا. فقد تغاضى بولس، بإرشاد مباشر ومعصوم من الروح القدس، عن كل الجواهر الأخرى الثمينة التي لا تُحصى المُعلنة بالصليب؛ ليُوجِّهنا نحو واحدةٍ من أعظم حقائق الإنجيل: الله علَّق ابنه على الصليب؛ كي يُظهر أنه **الإله** البار.[٥]

قد يبدو هذا الحق للوهلة الأولى غير جدير بالملاحظة أو غير مدهش لمن يدرسون كلمة الله. وذلك لأن كلمة الله، من البداية، وحتى النهاية، تشهد بأن الله بار، وكل أعماله كاملة، وكل سبله عدل.[٦] فلماذا إذًا يُريد الله أن يبرهن علنًا للبشر والملائكة على حدٍّ سواء أنه بار؟ ما الذي فعله وألقى ظلالًا من الشك حول عدله حتى إنه بات مضطراً لتفسير سبله أو تبرئة نفسه؟ يشرح لنا الرسول بولس أنه كان من الضروري أن يُثبت الله عدله، ويدافع عن برِّه مرة واحدة وإلى الأبد، «مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ الله.»[٧] بكلمات أخرى، رأى الله أنه كان من اللازم أن يُثبت برَّه للبشر والملائكة؛ لأنه على مر التاريخ البشري قد حَجَزَ دينونته عن الخطاة، ومنح الغفران للأشرار. ومع أن هذا يُعد خبراً ساراً للخاطئ، فإنه يُمَثِّلُ أعظمَ مشكلةٍ لاهوتية وأخلاقية في الكتاب المقدس: كيف يُمكن لله أن يكون عادلًا، على رُغم أنه يمنع في الوقت ذاته دينونته ويُقدم غفرانه لمن كان واجبًا أن يُدانوا؟ كيف يُمكن لله أن يكون عادلًا ومع هذا يُبرِّر الفُجَّار؟

٤- يوحنا ٢١: ٢٥

٥- كلمة "يثبت" (demonstrate) مشتقة من العبارة اليونانية *eís éndeixin*، والتي تعني حرفيًا: "كدليل إثبات" أو "كبرهان".

٦- تثنية ٣٢: ٤

٧- رومية ٣: ٢٥

المعضلة الإلهية

يُعرِّف قاموس وبستر كلمة "مُعْضِلة" على النحو التالي: "موقف يُوضع المَرء فيه بين خيارين أحلاهما مُر،" أو "مشكلة تبدو غير قابلة لإيجاد حل مُرضٍ لها." وتكاد تكون أعظم معضلة على الإطلاق معروضة أمامنا في كل صفحة من صفحات الكتاب المقدس: كيف يُمكن لله العادل أن يعفو عن الشرير؟

في الفصل السابق، حاولنا بتوسُّع إثبات أن الله يُبرِّر مجانًا أكثر البشر شراً، الذين يلجأون إليه بإيمان. وتُعد هذه الحقيقة أعظم فرح تُقدمه الكنيسة، وموضوع أكثر ترنيماتها المجيدة والمحببة. فنبتهج مع داود قائلين: «طُوبَى لِلَّذِينَ غُفِرَتْ آثَامُهُمْ وَسُتِرَتْ خَطَايَاهُمْ.»[٨] ومع ذلك تظل المشكلة قائمة؛ كيف لله أن يكون عادلًا ومع ذلك يمنح العفو لأشرار؟ أَدَيَّان كُلِّ الأَرْضِ لاَ يَصْنَعُ عَدْلاً؟[٩] هل يُمكن لإله عادل أن يكون غير مبالٍ بالخطية، أو يُخبِّئها بالمكنسة تحت البساط، وكأنها لم تحدث قط؟ هل يُمكن لإله قدوس أن يدخل في عَلاقة شركة مع أشرار ويظل رغم ذلك قدوسًا؟

في سفر الأمثال، تُقدم كلمة الله حكمة تبدو متنافية مع أي احتمال لعفو الله أو تبريره للخطاة، إذ يقول النص: «مُبَرِّئُ الْمُذْنِبَ وَمُذَنِّبُ الْبَرِيءَ كِلاَهُمَا مَكْرَهَةُ الرَّبِّ.»[١٠] وفقًا لهذا النص، أي شخص يُبرِّر الشرير هو مكرهة الرب. وكلمة «مَكْرَهَة» تأتي من الكلمة العبرية (tow`ebah)، التي تُشير إلى "شيء كريه، أو مثير للاشمئزاز، أو منفِّر". إنها واحدة من أقوى الكلمات في الأسفار المقدسة العبرية! يُوصل هذا النص حقيقة تتمثل في أن الله يمقت ويشمئز من أي شخص يُبرِّر أو يُبرِّئ شخصًا مذنبًا، بالأخص لو كان هذا الشخص في سُلطة أو قاضيًا. ومع ذلك، نجد أن هذا هو موضوع رسالة الإنجيل! وعلى مر التاريخ، فعل الله هذا الشيءَ عينَه، أي أنه برَّرَ الأشرار، وغفر آثامهم، وستر خطاياهم.

٨- مزمور ٣٢: ١؛ رومية ٤: ٧
٩- تكوين ١٨: ٢٥
١٠- أمثال ١٧: ١٥

كيف يُمكنه إذًا أن يظل عادلًا؟ قد يُساعدنا المثال التوضيحي التالي على شرح المشكلة بمزيد من الوضوح: لنفترض أن إنسانًا عاد إلى بيته ذات ليلة ليجد كل أفراد عائلته مقتولين على أرضية غرفة المعيشة، ولا يزال القاتل واقفًا فوقهم، والدم يغطي يديه. لنفترض أن الرجل أمسك بالقاتل، وأسلمه للسلطات مع كل الأدلة التي تُدينه. ولنفترض أن القاضي صرَّح يوم النطق بالحكم على القاتل بالآتي: "أنا قاضٍ محب للغاية، كُلِّي شفقة ورحمة. لذلك أعلن أن هذا الشخص "غير مذنب" أمام هيئة المحكمة، وأنه حر من كل ما يعاقب عليه القانون."

ما رد فعل الضحية على مثل هذا الحكم؟ هل سيوافق على أن العدل قد أخذ مجراه؟ مطلقًا! بل سيُصاب بصدمة من جراء تبرير القاضي لذلك الشرير، وسيُطالب بعزله في الحال. كما سيشكو لمَن يُمثله في البرلمان، وقد يكتب مقالات في الصحف، ويُخبر جميع من قد يستمعون إليه بوجود قاضٍ في منصة القضاء أكثر فسادًا وإثارة للاِشمئزاز من المجرمين أنفسِهم الذين يُطلِقُ سراحَهم! وعلى الأرجح سنتفق جميعنا معه في تقديره للموقف بهذا الشكل، لكن هنا تكمن المشكلة. إن كنا نطالب قضاتنا الأرضيين بهذا المستوى من العدل، أنتوقع مستوى أقل من هذا من ديَّان كل الأرض؟ نُردد مقتبسين من حديث أليهو: «فَحَقًّا إِنَّ اللهَ لاَ يَفْعَلُ سُوءًا، وَالْقَدِيرَ لاَ يُعَوِّجُ الْقَضَاءَ.»[١١]

يغفر وينسى؟

لكن يظل السؤال المحير قائمًا: "لماذا لا يُمكن لله ببساطة أن يغفر خطية الإنسان وينسى أمرها؟ تُوصينا كلمة الله أن نغفر بلا مقابل، فلماذا يصير الله مخطئًا إن فعل الشيءَ ذاته؟" لدينا لهذا السؤال إجابة ثلاثية الجوانب:

أولًا، الله ليس مثلنا، لكنه أعظم قيمة من كل خليقته مجتمعة. لذلك ليس من الصواب فقط أن يطلب مجده ويدافع عنه، بل من الضروري أن يفعل ذلك أيضًا. ونظرًا لطبيعته وشخصيته، فإن أقل تمرُّد ضده يُعد إهانةً بشعة لشخصه، وخيانة

١١- أيوب ٣٤: ١٢

عُظمى تستحق توبيخ أكثر صرامة وأشد قسوة. وسماحُه بعدم معاقبة أية إهانة موجهة ضده يُعد ظلمًا مزدوجًا. إذ سيكون ظالمًا تجاه ألوهيته بإنكاره للمجد الذي يستحقه بالفعل، وظالمًا أيضًا تجاه خليقته بسماحه لها بتجاهل سبب وجودها نفسه (أي: تمجيد الله) والركض دون تردد نحو الباطل. لو كان قبول هذا في غاية الصعوبة لإنسان العصر الحديث؛ فهذا لأنه لا يرى الله كما ينبغي أن يراه.

ثانيًا، لا يُمكن أن يغفر الله ببساطة خطية الإنسان وينسى أمرها؛ لأنه لا توجد تناقضات في شخصيته؛ لذا لا يُمكنه ببساطة تجاهل عدله؛ كي يُظهر محبته بمنحه الغفران للأشرار. يجب أن يكون عادلًا ومحِبًا على حدٍّ سواء، ولا يُمكنه أن يكون واحدًا على حساب الآخر. أعلن بالخطأ العديد من الكارزين بنية حسنة للجماهير الضالة أن الله قد قرَّر الآن أن يكون محِبًّا للخاطئ، بدلًا من أن يكون عادلًا معه. ويُعد الاستنتاج المنطقي هنا أن محبة الله ظالمة، أو أن الله قادر على تجاهُل عدله باسم المحبة. يَنِمُّ مثل هذا التصريح عن جهل بالإنجيل وبصفات الله؛ لأن روعة الإنجيل لا تكمن في أن الله اختار المحبة على حساب العدل، بل في قدرته أن يظل عادلًا بينما يمنح الغفران في محبة.

ثالثًا، بما أن الله هو ديَّان كل الأرض، فإن وظيفته أن يُجري العدل، ويُعاقِب الشر، ويُحامي عن الحق. ولا يليق بالقاضي السماوي أن يعفو عن الشرير تمامًا، كما لا يليق بقاضٍ أرضي أن يعفو عن مجرم يقف أمامه في ساحة القضاء. إننا نشكو كثيراً من فساد النظام القضائي في بلادنا، ونشعر بالرعب حين يصدر عفو عن مجرمين مدانين. أينبغي لنا أن نتوقع من الله مستوى من العدل أقل مما نتوقعه من قضاتنا؟ هذا حق راسخ؛ فبدون فرض العدالة وإنفاذها، ستقع جميع الدول والشعوب والثقافات فريسة للفوضى والتدمير الذاتي. لو تجاهل الله بِرَّه، ومنح عفوًا دون تحقيق عدله، ولم يحكم بدينونة قاطعة على الشر، فإن الخليقة ببساطة لن تحتمل هذا.

الكفــارة

بعد توضيح الضرورة المطلقة لعدل الله وإدانته للشرير، يظل السؤال الآتي قائمًا: "كيف لله أن يكون عادلًا ومع ذلك يُبرِّر الفُجَّار؟" تكمن الإجابة في واحدة من أعظم كلمات الكتاب المقدس: **الكفارة**. تشتق هذه الكلمة من الكلمة اللاتينية (propicio)، التي تعني "رحمة"، وتُترجم في العهد الجديد من الكلمة اليونانية (hilastérion)، التي تُشير إلى "شيء يُرضي، أو يُهدِّئ، أو يُسكِّن."

جاءت كلمة (hilastérion) في العهد الجديد في موضع وحيد آخر هو رسالة العبرانيين حيث تُشير إلى كرسي الرحمة الذي يُغطي تابوت العهد.[١٢] فقد كان الكروبان يظللان الغطاء (كرسي الرحمة)، المصنوع من الذهب.[١٣] وفي تدبير العهد القديم، كان حضور الله يظهر في سحابة فوق الغطاء، أي كرسي الرحمة، داخل قدس الأقداس، حيث وَعَدَ الله بأن يتقابل مع شعبه ويُعطيهم وصاياه.[١٤] والأكثر أهميةً أن رئيس الكهنة كان يرش دم الذبيحة سبع مرات على وجه الغطاء وقدامه في يوم الكفارة مرة واحدة في السنة.[١٥] ومن فوق هذا الغطاء عينِه، أعلن الله صفحَهُ عن شعبه وتصالحه معهم من خلال موت الذبيحة وسفك دمها. ولهذا السبب دُعي غطاء التابوت بكرسي الرحمة؛ لأن هناك كُفِّر عن الخطية وأصبحت الرحمة ممكنة.

في النص الذي نحن بصدده في هذا الفصل، تُشير كلمة "كفارة" على وجه التحديد إلى ذبيحة يسوع المسيح على صليب الجلجثة.[١٦] ويشرح النص أن موت يسوع قد محا خطايانا، وأرضَى عدل الله الإلهي، ورفع غضبه عَنَّا. ولأن يسوع

١٢- عبرانيين ٩: ٥ «وَفَوْقَهُ كَرُوبَا الْمَجْدِ مُظَلِّلَيْنِ الْغِطَاءَ (كرسي الرحمة hilastérion). أَشْيَاءُ لَيْسَ لَنَا الآنَ أَنْ نَتَكَلَّمَ عَنْهَا بِالتَّفْصِيلِ». مَن الجدير بالذكر أن الكلمة اليونانية عينها مستخدمة أيضًا في الإشارة إلى كرسي الرحمة في الترجمة السبعينية (الترجمة اليونانية للأسفار العبرية).

١٣- خروج ٢٥: ١٧-١٨.

١٤- لاويين ١٦: ٢؛ خروج ٢٥: ٢٢

١٥- لاويين ١٦: ١٤-١٥

١٦- ١ يوحنا ٢: ٢ «وَهُوَ كَفَّارَةٌ (استرضاء hilasmós) لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا»

المسيح قد سدَّدَ ثمن خطايا شعبه مرة واحدة وإلى الأبد، أصبح في إمكان الله أن يمد يد الرحمة في عدل للمذنب ويظل في الوقت نفسه "باراً ويُبرِّر" أي شخص يُؤمن بابنه.[١٧]

وفقًا لما تقوله كلمة الله، فإن الإنسان أخطأ، وأجرة الخطية هي موت،[١٨] كما أن الله أيضًا عادل وبار، ولا يُمكنه الصفح عن المذنب ما لم تتحقق مطالب ناموسه.[١٩] ولذلك، في ملء الزمان، صار ابن الله إنسانًا، وعاش على هذه الأرض في طاعة تامة وكاملة لناموس الله.[٢٠] وفي نهاية حياته، وبحسب مشيئة الآب، صُلب بأيدي أثمة.[٢١] وعلى الصليب، أخذ ابن الله مكان شعبه المذنب، وحسبت خطاياهم عليه.[٢٢] وباعتباره حاملًا للخطايا، صار ملعونًا من الله ومتروكًا منه، وسُحق تحت ثقل الغضب الإلهي.[٢٣] وهكذا سدَّدَ موته دين الخطية، وأرضى مطالب العدل الإلهي، ورفع سخطه. وبهذه الطريقة، حل الله المعضلة الكبرى. وعاقب بعدلٍ خطايا شعبه بموت ابنه الوحيد، وبذلك تمكَّن أن يُبرِّر مجانًا كل من يضعون رجاءهم فيه. وسوف نخصِّص الفصول التالية لاكتشاف هذا الحق العظيم.

١٧- رومية ٣: ٢٦
١٨- رومية ٣: ٢٣؛ رومية ٦: ٢٣
١٩- أمثال ١٧: ١٥
٢٠- غلاطية ٤: ٤
٢١- أعمال ٢: ٢٣
٢٢- ٢ كورنثوس ٥: ٢١
٢٣- غلاطية ٣: ١٣؛ متى ٢٧: ٤٦؛ إشعياء ٥٣: ١٠

الفصل التاسع عشر

فادٍ مؤهَّل

«وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا»

(يوحنا ١: ١٤)

«الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ»

(رومية ٣: ٢٥)

قبل أن ندرس دور المسيح دراسة أعمق باِعتباره كفارة عَنَّا، من المهم أن نضع في الاِعتبار المؤهِّلات المطلوبة للقيام بهذا الدور. وبصريح العبارة، لا يَعني موت الذبيحة شيئًا على الإطلاق ما لم يكن الشخص الذي يُقدِّم حياته كفارةً مؤهَّلًا حقًّا للقيام بهذا. وبعبارةٍ أخرى، تعتمد قيمة العمل نفسِه على صفات الشخص الذي يقوم به. ويأخذ غالبية الإنجيليين بعين الاِعتبار صليب المسيح مع التأكيد الكبير على ما فعله، وهذا صحيح، ولكننا في المقابل نُسلط ضوءًا ضعيفًا للغاية على هوية يسوع وصفاته. كان يسوع إلهًا وإنسانًا على حدٍّ سواء، معصومًا من الخطأ (أي بلا خطية)، كما كان أيضًا ذا قيمة غير محدودة. إن لم يُوفِ بكل هذه المؤهِّلات، فإن ذبيحته النيابية عَنَّا لم تكن لتحقق شيئًا. لكن، سنرى أنه أوفى بكل هذا وأكثر، لذلك كان يسوع مؤهلًا بطريقة فريدة حتى يُقدِّم حياته ذبيحة كفارية ويكون مخلص العالم.[١]

١- يوحنا ٤: ٤٢؛ ١ يوحنا ٤: ١٤

كلمة تحذير

يجب توخي الحذر دائمًا عندما نتحدث أو نكتب عن شخص يسوع المسيح. لا يُمكننا فهم سرَّ الله المتجسد بالكامل، والدور المحدد لطبيعتيه الإلهية والبشرية في فدائنا. كتب الرسول بولس: «**وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ، تَبَرَّرَ فِي الرُّوحِ، تَرَاءَى لِمَلاَئِكَةٍ، كُرِزَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، أُومِنَ بِهِ فِي الْعَالَمِ، رُفِعَ فِي الْمَجْدِ.**»[٢]

عبر تاريخ الكنيسة، ظهرت الكثير من الهرطقات فيما يخص العَلاقة بين الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية في شخص يسوع المسيح. وظهرت بعض هذه التعاليم الكاذبة من سعي بعض المهرطقين لإنكار إمَّا لاهوت المسيح أو ناسوته. ومع ذلك، بعضٌ من التعاليم الخاطئة الأخرى جاءت أيضًا من مؤمنين مخْلِصين، الذين ببساطة أخذوا على عاتقهم مهمة تفسير القضية، وعدم ترك مجال للغموض فيه. لذلك، يجب توخي الحذر عند الكتابة والحديث. ويُعد قول القليل في هذا الشأن أفضل من قول أكثر من اللازم، وإحالة القَدر الأكبر إلى فئة الأسرار أفضل من محاولة كشف كل غموض بإضافة شئ إلى المكتوب. كما يحذرنا موسى: «**السَّرَائِرُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا، وَالْمُعْلَنَاتُ لَنَا وَلِبَنِينَا إِلَى الأَبَدِ، لِنَعْمَلَ بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هذِهِ الشَّرِيعَةِ.**»[٣]

الطبيعتان وعمل الخلاص

تُؤكِّد شهادة كلمة الله الثابتة أن الله هو المخلِّص الوحيد، وأنه لا يُشارك هذا الامتيازَ الإلهي المجيد مع أحد. أعلن الله على لسان إشعياء النبي قائلًا: «**أَنَا أَنَا الرَّبُّ، وَلَيْسَ غَيْرِي مُخَلِّصٌ.**»[٤] وحتى في هذا العصر العِلماني يتوفر الكثير من الآلهة أو المخَلِّصين. ومع ذلك، وعلى عكس هذا التيار الذي يحوي كافة أنواع

٢- ١ تيموثاوس ٣: ١٦

٣- تثنية ٢٩: ٢٩

٤- إشعياء ٤٣: ١١؛ انظر أيضًا هوشع ١٣: ٤

الآلهة والمنقذين، لا تزال كلمة الله وحدها تُعلن بثبات عن الخلاص ليكون العمل الحصري لله الواحد الحقيقي الذي خلق السماء والأرض. وكما أعلن يونان النبي من جوف الحوت: «**لِلرَّبِّ الْخَلاَصُ.**»[٥] لذلك، يُعد نسب عمل الخلاص أو منح لقب "مُخَلِّص" لأي كائنٍ غير الله تجديفًا صارخًا.

يُقدم هذا الحق الكتابي مشكلة لأي شخص يتمعن فيما يدَّعيه العهد الجديد عن شخص يسوع المسيح وعمله. وفي ضوء ما نعرفه عن الخلاص باعتباره عمل الله حصريًّا، وفي ضوء الإشارات التي لا تُحصى إلى يسوع المسيح باعتباره المخلِّص، فإننا نخلُص إلى الاستنتاجات التالية: إن كان يسوع مخلِّصًا، إذًا فهو الله بالمعنى الدقيق للكلمة، وإن لم يكن يسوع هو الله بالمعنى الدقيق للكلمة، إذًا فهو ليس مخلِّصًا.

إن من يُنكرون لاهوت المسيح ومع ذلك يدَّعون استفادتهم من موته يقعون في تناقض شديد، فالمسيح لا يُمكنه أن يُخلِّص إن لم يكن هو الله. ومع ذلك إن كان يسوع إلهًا حقيقيًّا، فلن نجد تناقضًا بين قول إشعياء النبي بأنه ليس مخلِّص غير يهوه، وإعلان الرسول بطرس بأنه ليس بأحد غير يسوع الخلاص.[٦] سيكون من الممكن أيضًا أن يحث إشعياء جميع أقاصي الأرض على الالتفات إلى الله ليخلصوا، وأيضًا أن يُنادي الرسول بولس قائلًا: «**كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ.**»[٧]

لكي يصير المسيح مخلِّصًا للعالم، كان لزامًا أن يكون إلهًا. لكن عدل الله طالب أيضًا بمعاقبة الخطية في الطبيعة نفسها التي ارتُكِبت فيها.[٨] لذلك، كان لا بد أيضًا أن يكون الشخص الذي مات إنسانًا؛ لأن من كسر ناموس الله إنسانًا، ومن كان لا بد أن يموت هو إنسان أيضًا، كما تكلم الله على فم النبي حزقيال قائلًا:

٥- يونان ٢: ٩
٦- أعمال ٤: ١٢
٧- إشعياء ٤٥: ٢٢؛ رومية ١٠: ١٣
٨- Francis Turretin, Institutes of Elenctic Theology (Phillipsburg, N.J.: P&R, 1994), 2:303.

«اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ.»[٩] ولكي تتحرر هذه النفس من حكم الله العادل، كان لا بد أن تموت نفسٌ أخرى تتمتع بالطبيعة نفسها مكانها. ويؤيد كاتب العبرانيين هذه الحقيقة بالآية التي قالها عن استحالة أن يَرفع دم تيوس وعجول خطايا بشر أعلى مقامًا،[١٠] لا يستطيع سوى واحد من جنس آدم أن يأخذ مكان المذنبين ويُكفِّر عن خطاياهم.

يُعلِّمُ الكتاب المقدس أن يسوع الناصري كان هو ذلك الإنسان. ويُخبرنا كاتب العبرانيين الآتي: بما أنه جاء كي "يُمسك (يُعين)" نسل إبراهيم، كان ينبغي أن يُشبه إخوته في كل شيء، وإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذلِكَ فِيهِمَا.[١١] لهذا السبب حين كتب الرسول بولس عن المسيح باعتباره الوسيط الوحيد بين الله والناس، أشار إليه باعتباره "الإنسان" يسوع المسيح.[١٢] فقد كان لا بد للكلمة، كي يكون مخلِّصًا لشعب الله، أن يصير جسدًا ويحل بيننا، و"إذ كان في صورة الله"، وُجِدَ في هيئة البشر.[١٣] وكان الإعلان الشهير لبيلاطس (Ecce Homo) «هُوَذَا الإِنْسَانُ!» تذكير آخر بأن يسوع المسيح كان هو ذلك الإنسان![١٤]

الطبيعتان وغضب الله

بحسب المكتوب، تفوق قوة غضب الله وسخطه كل قدرة على الاستيعاب.[١٥] ترتعد الأرض نفسُها من أحكامه، وإن اجتمعت كل قوى الأمم معًا، لن يُمكنها أن تحتمل غضبه.[١٦] لن يصرخ أقوى الرجال يومًا ما بدون سبب وجيه داعين الجبال أن تسقط عليهم لتُخفيهم عن غضبه.[١٧] وحتى كتبة المزامير والأنبياء أنفسُهم الذين

٩- حزقيال ١٨: ٤
١٠- عبرانيين ١٠: ٤
١١- عبرانيين ٢: ١٤-١٧
١٢- ١ تيموثاوس ٢: ٥
١٣- يوحنا ١: ١، ١٤؛ فيلبي ٢: ٦-٨
١٤- يوحنا ١٩: ٥
١٥- مزمور ٩٠: ١١
١٦- إرميا ١٠: ١٠
١٧- رؤيا يوحنا ٦: ١٦

مكثوا في محضر الله كانوا يرتعدون من قوة سخطه المدمرة، وسألوا أنفسَهم عن معاينتهم إياه قائلين: «**فَمَنْ يَقِفُ قُدَّامَكَ حَالَ غَضَبِكَ؟**»[١٨] «**مَنْ يَقِفُ أَمَامَ سَخَطِهِ؟ وَمَنْ يَقُومُ فِي حُمُوِّ غَضَبِهِ؟**»[١٩] وحين لم يجدوا أيَّ جواب عن تساؤلاتهم القلقة هذه، لم يستطيعوا سوى قول: «**أَنْتَ مَهُوبٌ أَنْتَ.**»[٢٠]

في ضوء ما نعرفه الآن عن غضب الله، من الصواب استنتاج أن يسوع الناصري لو كان مجرد إنسان أو مخلوق، لن يستطيع تحمُّل غضب الله على خطايا شعبه. لكنه كان قادراً على تحمُّله حتى النهاية، بل وخرج منتصراً؛ لأنه كان الله الظاهر في الجسد، وقد تثبَّت وتأيَّد بقدرته الكلية الإلهية. ويتفق دليل ويستمنستر الكبير للتعليم المسيحي مع ذلك على النحو التالي: "السؤال ٣٨: لماذا كان لازمًا أن يكون الوسيط هو الله؟ الإجابة: كان لازمًا أن يكون الوسيط هو الله حتى يُمكنه أن يُعضِّد الطبيعة البشرية، ويحفظها من الغرق تحت غضب الله غير المحدود، وتحت قوة الموت."

في ضوء قوة غضب الله، يجب معرفة حقيقة ألوهية المسيح، ويجب الانتباه جيدًا؛ لئلا نُنكر أو نقلل من شأن حقيقة أخرى أساسية للغاية مثل هذه الحقيقة أن المسيح قاسَى غضب الله القدير كإنسان. يجب أن نكون حريصين على التمسُّك بحقيقة أن غضبًا حقيقيًا قد وقع على إنسان حقيقي فوق صليب الجلجثة، وهذا الغضب تسبب له في آلام حقيقية لا يُمكن وصف حجمها وشدتها. وعلى الرغم من الحفاظ على لاهوت المسيح، فإنه لم يُشكِّل بأي شكل من الأشكال حاجزاً ضد الغضب الذي انسكب فوقه، لكنه قاسَى «**فِي جَسَدِهِ**»[٢١] المقدارَ الدقيق من الغضب الالهي الذي كان لازمًا للوفاء بمطالب العدل الإلهي، وصنع السلام بين الله وشعبه. ولهذا كان المسيح حقًّا «**رَجُلُ (إنسان) أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ**».[٢٢]

١٨- مزمور ٧٦: ٧
١٩- ناحوم ١: ٦
٢٠- مزمور ٧٦: ٧
٢١- ١ بطرس ٢: ٢٤
٢٢- إشعياء ٥٣: ٣

الطبيعتان وقيمة الذبيحة

كثيراً ما يسأل المتشككون: "كيف يُمكن لإنسان واحد يتألم على صليب لبضع ساعات أن يُسدِّد ثمن خطايا جموع من البشر، ويُخلِّصهم من أبدية مليئة بالألم؟ كيف يُمكن لحياة إنسان واحد أن تُوفي مطالب العدل الذي يستحقه كثيرون؟" تحوي واحدةٌ من أروع وأثمن عقائدنا الكتابية الجواب عن هذه الأسئلة، وتتمثل في: **قيمة ابن الله غير المحدودة وطاعته الكاملة.**

إن مَن سُمِّر على صليب الجلجثة هو الله، والحياة التي بذلها لأجل شعبه كانت غير محدودة القيمة. ومن عُلِّق على الخشبة كان إنسانًا أعطت طاعته الكاملة لناموس الله استحقاقا للذبيحة، وقدَّمت براً كاملًا ليُحسب لشعبه. لذلك نجيب عن سؤال المتشكك عن كيف يُمكن لشخص واحد أن يُسدِّد دين الكثيرين بالإشارة إلى يسوع المسيح، الذي تمكَّن من فداء عدد لا حصر له من البشر بسبب قيمته غير المحدودة بصفته الله، وطاعته الكاملة بصفته إنسانًا.

فيما يخص لاهوت يسوع المسيح، لا بد من التأكيد مرة أخرى على أنه كان إلهًا بكل معنى الكلمة. وقد أعطى "مِلء اللاهوت" كرامة غير محدودة لشخصه وقيمة غير محدوة لذبيحته."[٢٣] يُوضح لنا المُصلح السويسري العظيم فرانسيس توريتين (Francis Turretin) هذا الحقَّ في صورةٍ رائعة: "على رُغم أن قيمة المال في يد ملك ليست أعلى من قيمته في يد أسير، فإن رأس الملك وحياته أكثر قيمة بكثير من رأس وحياة عبد حقير (مثلما حُسبت حياة داود أكثر قيمة من حياة نصف جيش إسرائيل، ٢ صموئيل ١٨: ٣). على هذا المنوال، ينبغي تقدير المسيح وحده بقيمة أعلى من كل البشر مجتمعين؛ لأن كرامة شخص غير محدود تبتلع وتستوعب كلَّ العقوبات اللامتناهية المستحقة علينا."[٢٤] قال جون نيوتن:

٢٣- وقد كتب دابني: "لو لم تكن هناك طبيعة إلهية تعكس كرامة ومجد غير محدود على شخصه، فإن مقاساته للعنة الخطية لسنين عديدة لم تكن لتُصبح كافية لاسترضاء الله لأجل خطايا العالم."
Robert Lewis Dabney, Systematic Theology (Edinburgh: Banner of Truth, 1985), 201.

٢٤- Turretin, Elenctic Theology, 2:437.

"إن كان المسيا إنسانًا كاملًا وبلا خطية لا أكثر ولا أقل، فمن الممكن أن يكون قد أطاع مشيئة الله طاعة كاملة، ولكن هذا سيكون عن نفسه وحده. لا يُمكن لأكثر المخلوقات تميُّزًا وسموًّا أن تتعدى على قانون خليقته، فهو مُلزَم كمخلوق بأن يعبد الله بكل ما فيه، وهذا الإلزام دائمًا ما سيكون مساويًا لقدرته. لكن الطاعة المقبولة والمتاحة للآخرين، أي للآلاف والملايين، لكل المستعدين لالتماسها، لا بد أن تكون مرتبطة بطبيعة [إلهية] ليست إذًا بالضرورة مُلزَمة."[٢٥]

مرة أخرى نتساءل: "كيف يُمكن لحياة رجل واحد أن تُوفي بمطالب العدل الإلهي عن كثيرين؟" هذا لأنه كان إلهًا حقيقيًّا، وقيمة حياته أكبر من قيمة حياة كل الآخرين مجتمعين! تخيل للحظة أن كل الخليقة وُضعت معًا فوق كفة الميزان: الجبال والتلال، التراب والنجوم، الفئران والبشر، كل ما كان وما سيكون، ثم تخيل المسيح يصعد فوق الكفة المقابلة من الميزان. في الحال ستميل كفة الميزان لصالحه؛ إذ إن قيمته تفوق على نحو غير محدود قيمة الآخرين جميعهم معًا.

لو وُجِد رجل بلا خطية أو ملاك بلا لوم مستعد للموت، فإن موته لن يفيد شيئًا من جهة خطايانا. لو قدَّمَت ربوات الملائكة التي لا حصر لها حياتها الطاهرة على تلك الخشبة، فإن ذبيحتها لن ترقى لقيمة الثمن المطلوب. ذلك لأن خلاصنا تطلّب ذبيحة غير محدودة القيمة، وهذه القيمة هي في «الله، إلهنا الْعَظِيم وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ».[٢٦] نحن قد افتُدِينا لا بأشياء تفنى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ، الذي هو أيضًا دم الله![٢٧]

بما أننا أوضحنا ضرورة ألوهية المسيح في إضفاء قيمة غير محدودة لشخصه، واستحقاق غير محدود لذبيحته، لا بد مرةً أخرى أن نكون حذرين إلى أقصى حد

---

25. John Newton, The Works of John Newton (Edinburgh: Banner of Truth, 1985), 4:60.

٢٦- تيطس ٢: ١٣

٢٧- ١ بطرس ١: ١٨-١٩؛ أعمال ٢٠: ٢٨.

من تجاهل حقيقة أساسية مساوية لهذا الحق: أن المسيح كان إنسانًا مكَّنته طاعته الكاملة لناموس الله من أن يموت عن خطايا شعبه، وأن يَحسِب لهم براً كاملًا.[٢٨] أولًا، يجب فهم أن الإنسان الذي يموت عن خطايا الآخرين لا بد أن يكون هو نفسُه إنسانًا كاملًا وبلا خطية، وإلا فإن حياته تنتهي هباءً، ويسقط تحت حكم الموت والعقاب الأبدي بسبب خطاياه الشخصية. ولذلك، فإن طاعة المسيح الفاعلة (أي طاعته الكاملة لناموس الله) هي التي جعلت طاعته غير الفاعلة (أي تقديم نفسه ذبيحة عن الخطايا) مقبولة لدى الله. ولكي نصيغ هذا بطريقة أبسط نقول: لا يُمكن لخاطئ أن يَبذل حياته عن خطايا آخر، بل هو مجبَر أن يموت عن ذنبه. وبما أن يسوع المسيح كان إنسانًا بلا خطية، بالتالي كان قادراً على تقديم نفسه طواعيةً عن خطايا شعبه.[٢٩]

ثانيًا، يجب فهم أن خلاص الإنسان يتطلب أكثر من مجرد إزالة الذنب؛ إذ يتطلب أيضًا اِحتساب البر. ولكي يصير إنسانٌ ما في سلام مع الله، يجب أن لا يحصل على عفو أو حكم بالبراءة فحسب، بل لا بد أن يتبرر أمام الله أيضًا. يشرح داود بوضوح هذا الحق حين يُجيب عن السؤال القديم حول مَن يُمكنه أن يصعد إلى جبل الرب، ويقوم في موضع قدسه، فيقول: «اَلطَّاهِرُ الْيَدَيْنِ، وَالنَّقِيُّ الْقَلْبِ، الَّذِي لَمْ يَحْمِلْ نَفْسَهُ إِلَى الْبَاطِلِ، ولاَ حَلَفَ كَذِبًا.»[٣٠]

إن المطلب الرئيس الأوحد للدخول إلى محضر الله هو البر، أي التوافق المطلق والتام مع ناموس الله، والطاعة الكاملة له دون أي حيدان بالقلب أو بالفعل. ويُمثل هذا الحق للإنسان الساقط عائقًا لا يُمكن اجتيازُه، إذ تشهد كلمة الله بوضوح بأنه ليس بارٌّ ولا واحد، وأن الجميع أخطأوا، وأن فشلنا الأخلاقي المستمر جعل

٢٨- كلمة «يَحسب» تعني «يضع في حساب، أو يضع في رصيد». وفيما يخص المؤمن، فهي تعني أن برَ المسيح (أي طاعته الكاملة) قد وُضِعَت في حسابه أو في رصيده.
٢٩- عبرانيين ٩: ١٥
٣٠- مزمور ٢٤: ٤

التبرير بالناموس ضربًا من المستحيل.[٣١] ولكي نصيغ ذلك بطريقة أبسط، نقول إننا مخلوقات غير بارة تمامًا، مفلسون أخلاقيًا، وغيرُ مؤهَّلين على الإطلاق للمثول في حضرة الله. نحن بلا رجاء ولا قوة في أنفسنا.[٣٢]

أمَّا بشارة الإنجيل السَّارة، فهي أن يسوع الناصري قد عاش حياة بر كامل أمام الله، فقد توافق كل فكره، وكل كلامه، وكل أعماله مع مشيئة الله دون أدنى انحراف. وفي كل لحظة من لحظات حياته قد أحبَّ الرب، من كل قلبه، ونفسه، وفكره، وقدرته.[٣٣] وكل عمل عمله، حتى أقل المهام قدراً مثل الأكل والشرب، قد عمله لمجد إلهه.[٣٤] وهكذا استطاع الآب دائمًا أن يشهد عنه: «**هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ.**»[٣٥]

ما يجب فهمُه هو أن المسيح لم يَمُت لأجل شعبه فحسب، بل عاش أيضًا حياةً كاملة لأجلهم، وهذه الحياة الكاملة تُحسَب لكل من يُؤمن، أو تُوضَع في حسابه.[٣٦] ولهذا يُخبرنا الرسول بولس أننا «**برَّ الله فيه**»[٣٧]، ويشرحها بولس هكذا: «**وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ ظَهَرَ برُّ اللهِ بِدُونِ النَّامُوسِ، مَشْهُودًا لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ، برُّ اللهِ بِالإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. لأَنَّهُ لاَ فَرْقَ.**»[٣٨]

تُبين عقيدة الاحتساب المحبوبة بوضوح العَلاقة بين آدم الأول وآدم الأخير.[٣٩] وقف آدم الأول رأسًا لكل جنسه، وفي جنة عدن عاش وسقط عن نفسه وعن نسله أيضًا. وهكذا يستنتج الرسول بولس أنه «**كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ**

٣١- رومية ٣: ١٠، ٢٠-٢٣؛ غلاطية ٢: ١٦
٣٢- رومية ٥: ٦؛ أفسس ٢: ١٢
٣٣- مرقس ١٢: ٣٠
٣٤- ١ كورنثوس ١٠: ٣١
٣٥- متى ٣: ١٧؛ ١٧: ٥
٣٦- رومية ٤: ٢٢-٢٤؛ ٥: ١
٣٧- ٢ كورنثوس ٥: ٢١
٣٨- رومية ٣: ٢١-٢٢
٣٩- تُصوِّر كلمة الله آدم والمسيح على أنهما آدم الأول وآدم الأخير. انظر رومية ٥: ١٥ و ١ كورنثوس ١٥: ٤٥.

الْكَثِيرُونَ خُطَاةً،» وأيضًا «**بِخَطِيَّةِ وَاحِدٍ مَاتَ الْكَثِيرُونَ.**»[٤٠] بالمثل ولكن بصورة أعظم، وقف آدم الأخير، يسوع المسيح، رأسًا لشعبه، ولم يَمُت عنهم فحسب، بل عاش أيضًا لأجلهم؛ حتى تُحتسَب حياة طاعته الكاملة لهم عطيةً بالإيمان. لهذا يستنتج الرسول بولس أنه من خلال «**إِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَارًا.**»[٤١]

هكذا كان من الضروري أن يكون المسيح هو الله؛ حتى تُعطي ألوهيته قيمة غير محدودة لذبيحته النيابية عن شعبه. وبالمثل، كان من الضروري أيضًا أن يكون المسيح إنسانًا؛ حتى يعيش حياة طاعة كاملة، ويموت عن الخطاة، ثم يحسب حياته البارة لكل من يؤمن.

الطبيعتان والوسيط الصحيح

يُعرِّف قاموس وبستر كلمة **وسيط** بأنها: "شخص مؤهَّل وقادر على التدخُّل بين طرفين؛ كي يُصالح بينهما أو شرح موقف كلٍّ منهما للآخر." ولكي يكون يسوع الناصري وسيطًا صحيحًا بين الله والإنسان، كان من الضروري أن يكون إلهًا وإنسانًا في شخص واحد. كان الناسوت الحقيقي ضروريًّا؛ حتى يتمكن من وضع يده على الإنسان لأجل خلاصه وتعزيته، وكانت الألوهية الحقيقية ضرورية أيضًا؛ حتى يتمكن من وضع يده على الله ويتعامل معه. أية خليقة عادية يُمكنها أن تحاول فعل هذا وتحيا؟ نفهم من كلمة الله أن أقوى السيرافيم لا يجرؤ على مد يده ولمس ذاك الذي هو نار آكلة، والساكن في نور لا يُدنى منه.[٤٢] يتطلب ذلك كل قوة السيرافيم للوقوف ببساطة في محضر الله حانين رؤوسهم ومغطين وجوههم.[٤٣] وهذا دليل إضافي على أن وسيطنا لا بد أن يكون إنسانًا، كما ينبغي أيضًا أن يكون أقوى من أقوى الملائكة أو أعظم الكائنات. كان من الضروري أن يكون إلهًا؛ حتى يستطيع التعامُل مع الله نيابةً عَنَّا.

٤٠- رومية ٥: ١٥-١٩
٤١- رومية ٥: ١٩
٤٢- عبرانيين ١٢: ٢٩؛ ١ تيموثاوس ٦: ١٦
٤٣- إشعياء ٦: ٢-٣

يُوفي يسوع الناصري بهذين المؤهَّليْن؛ لأنه إنسان مثلنا في كونه اشترك في لحمنا ودمنا، ولا يستحي أن يدعونا إخوة،[٤٤] «لأَنْ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ.»[٤٥] وفي الوقت نفسه، هو ابنُ الله القدوس، والبار، الذي بلا دنس، والمنفصل عن الخطاة، والمرتفع فوق السماوات،[٤٦] و «بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيراً لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي.»[٤٧] وقد اجتاز السماوات نيابةً عَنَّا، ووضع يده على القدير.[٤٨]

لا يُمثِّل ما وصفته هذه الصفحات القليلة عن شخص المسيح حتى مجرد السفح لجبل شاهق الارتفاع، ولكن الغرض مما قيل كان حث الخدام والعامة على استكشاف أمجاد شخص المسيح، وإخبار الآخرين بها من خلال بشارة الإنجيل. يجب أن نتذكر دائمًا، ونحفظ في قلوبنا حقيقة أننا لم نَخلُص فقط بما قد فعله المسيح لأجلنا، بل أيضًا من خلال ماهية المسيح في الماضي والحاضر، وما سيكونه إلى الأبد!

٤٤- عبرانيين ٢: ١١، ١٤
٤٥- عبرانيين ٤: ١٥
٤٦- عبرانيين ٧: ٢٦
٤٧- عبرانيين ١: ٣
٤٨- عبرانيين ٤: ١٤

الفصل العشرون

صليب يسوع المسيح

«وَفِي السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِلُوِي، إِلُوِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» اَلَّذِي تَفْسِيرُهُ: إلهي، إلهي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟»

(مرقس ١٥: ٣٤)

«وَانْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمْيَةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى قَائِلاً: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ». وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيهِ. وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ.»

(لوقا ٢٢: ٤١- ٤٤)

«فَلَمَّا أَخَذَ يَسُوعُ الْخَلَّ قَالَ: «قَدْ أُكْمِلَ».
وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ»

(يوحنا ١٩: ٣٠)

نحن أمام أهم فصل في هذا الكتاب، أو أهم فصل في تاريخ البشرية حسبما اتفق غالبية المؤمنين. لا يُمكن تقسيم هذا الموضوع إلى أجزاء أصغر، حتى لو كان هذا ملائمًا للقارئ؛ فهذا هو جوهر الإنجيل، وإن كان يجب أن نجتهد لفهمه، فإنه يستحق الجهاد حقًا!

يُعد أحد أخطر أمراض الكرازة المعاصرة بالإنجيل أنها نادرًا ما تشرح صليب المسيح. لا يكفي أن نقول إنه مات، فالجميع يموتون، ولا يكفي أيضًا قول إنه مات مِيتةً كريمة، يموت الشهداء هكذا. يجب فهم أننا لن نُعلن بالكامل موت المسيح بقوة مخلِّصة ما لم نمحُ التشويش واللَّبس المحيط به، ونُفسِّر معناه الحقيقي للسامعين. فقد مات حاملًا آثام شعبه، وتكبَّد العقوبة الإلهية عن خطاياهم. وتُرِك من الله، وسُحِق تحت الغضب الإلهي عِوضًا عَنَّا.

متروكٌ من الله

من أكثر النصوص المُربكة والمؤرِّقة في كلمة الله ما رواه مرقس عن السؤال العظيم الذي طرحه المسيح فيما كان معلقًا فوق الصليب الروماني. فقد صرخ بصوت عالٍ: «إِلُوِي، إِلُوِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» الذي تفسيره «إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟»[١]

في ضوء ما نعرفه عن طبيعة ابن الله المعصومة من الخطأ، وشركته الكاملة مع الآب، من الصعب فهم كلمات المسيح، لكنها تكشف عن معنى الصليب وسبب موته. ويُخبرنا تسجيل الكلمات باللغة العبرية الأصلية عن أهميتها الكبرى. لم يَرِد الكاتب أن نُسيء فهم أي شيء!

لم يكن المسيح في هذه الكلمات يصرخ إلى الله فحسب، بل كان أيضًا باعتباره المعلم الكامل يوجِّه من كانوا ينظرون إليه، وجميع القرَّاء في المستقبل إلى واحدةٍ من أهم النبوات المسيَّانية في العهد القديم الواردة في مزمور ٢٢. وعلى رُغم أن المزمور بكامله يزخر بنبوات تفصيلية عن الصليب، فإننا سنركز فقط على الأعداد الستة الأولى:

«إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي، بَعِيدًا عَنْ خَلاَصِي، عَنْ كَلاَمِ زَفِيرِي؟
إِلهِي، فِي النَّهَارِ أَدْعُو فَلاَ تَسْتَجِيبُ، فِي اللَّيْلِ أَدْعُو فَلاَ هُدُوَّ لِي.
وَأَنْتَ الْقُدُّوسُ الْجَالِسُ بَيْنَ تَسْبِيحَاتِ إسرائيل. عَلَيْكَ اتَّكَلَ آبَاؤُنَا.

١- مرقس ١٥: ٣٤

اتَّكَلُوا فَنَجَّيْتَهُمْ. إِلَيْكَ صَرَخُوا فَنَجَوْا. عَلَيْكَ اتَّكَلُوا فَلَمْ يَخْزَوْا. أَمَّا أَنَا فَدُودَةٌ لاَ إِنْسَانٌ. عَارٌ عِند الْبَشَرِ وَمُحْتَقَرُ الشَّعْبِ.»

في أيام المسيح، لم تكن الأسفار العِبرية مُرتَّبة في أصحاحات وآيات مرقمة كما هي اليوم. ولذلك، كان المعلم اليهودي يسرد السطور الأولى من النص حين يرغب في توجيه سامعيه نحو مزمور أو جزء معين من كلمة الله. وفي هذه الصرخة التي انطلقت من فوق الصليب، وجَّه يسوع أنظارنا نحو مزمور ٢٢، وكشف لنا شيئًا من سمات آلامه والغرض منها.

في العددين الأول والثاني من المزمور، نسمع شكوى المسيح، إذ يَعتبر نفسه متروكًا من الله. وقد استخدم مرقس الكلمة اليونانية (egkataleípo)، التي تعني «يتخلى عن، أو يترك، أو يهجر».[٢] أمَّا كاتب المزمور فاستخدم الكلمة العبرية (azab)، التي تعني "الترك أو الهجر."[٣] وفي كلتا الحالتين يبدو القصد واضحًا. كان المسيح نفسه يعلم أن الله قد تركه، وسدَّ أذنه عن سماع صراخه. لم يكن هذا تركًا رمزيًّا أو شِعريًّا، بل كان حقيقيًّا! وإن شعر شخصٌ ما يومًا بترك الله له، فهذا الشخص هو ابن الله المعلَّق فوق صليب الجلجثة!

في العددين الرابع والخامس من هذا المزمور، تزداد حِدة الكرب والحزن الذي يعانيه المسيح عندما يتذكر أمانة الله من نحو عهده مع شعبه، فيقول: «**عَلَيْكَ اتَّكَلَ آبَاؤُنَا. اتَّكَلُوا فَنَجَّيْتَهُمْ. إِلَيْكَ صَرَخُوا فَنَجَوْا. عَلَيْكَ اتَّكَلُوا فَلَمْ يَخْزَوْا.**» ويبدو التناقض واضحًا، فلم يحدث مرة واحدة في تاريخ عهد الله مع الشعب أن صرخ رجل بار إلى الله ولم يُخلِّصه. ومع ذلك، نرى المسيح الذي بلا خطية معلقًا على خشبة متروكًا تمامًا. فما سبب اِنسحاب الله وابتعاده عنه؟ لماذا حجب وجهه بعيدًا عن اِبنه الوحيد؟

يصيغ يسوع الإجابة عن هذه الأسئلة المزعجة في شكواه، ويُعلن بثبات في العدد الثالث بأن الله قدوس، ثم يُقر في العدد السادس بشيء يفوق الوصف: أنه

٢- مرقس ١٥: ٣٤
٣- مزمور ٢٢: ١

صار دودة لا إنسان. لماذا ينطق المسيح بهذه اللغة المهينة والمُحقِّرة عن نفسه؟ هل رأى نفسَه دودة لأنه صار «**عَارٌ عِند الْبَشَرِ وَمُحْتَقَرُ الشَّعْبِ**،» أم انتقص من قدر نفسه لسبب أعظم وأبشع؟[٤] على أية حال لم يصرخ قائلًا: «إلهي إلهي لماذا تركني الناس؟» بل بالحري، سعى لمعرفة سبب ترك الله له. ويُمكننا أن نجد الإجابة في حقيقة مُرة: فقد وضع الله آثامنا جميعًا عليه، وكدودة تُرك وسُحق بدلًا عَنَّا.[٥]

الحية والمُحرِقة (كبش الفداء)

لم يكن هذا التشبيه القاتم لموت المسيح كدودة الوحيد في كلمة الله، بل توجد تشبيهات أخرى تأخذنا إلى قلب الصليب بطريقة أعمق، وتكشف لنا بوضوح عَمَّا كان لا بد أن يُقاسيه المسيح لفداء شعبه.[٦] إن أُصبنا بالقشعريرة من كلمات كاتب المزمور، فسوف نصاب بالذهول أكثر حين نقرأ أن ابن الله شُبِّه أيضًا بالحية التي رُفِعت في البرية، وبتَيْسَيْن حاملين للخطية: الأول يُذبَح والآخر يُطلَق حُرًا.

نجد الاستعارة الأولى في سفر العدد. بسبب تمرُّد إسرائيل المستمر على الرب، ورفضهم لتدبيرات نعمته لهم، أرسل الله "حيات محرِقة" في وسط الشعب ومات الكثيرون.[٧] ولكن نتيجة لتوبة الشعب وشفاعة موسى عنهم، دبَّر الله مرة أخرى شيئًا لخلاصهم، وأمر موسى أن "يصنع حية مُحرِقة، ويضعها على سارية." ثم وعد بأن «**كُلُّ مَنْ لُدِغَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا يَحْيَا**.»

لأول وهلة، قد يبدو منَافيًا للمنطق أن "يُصنع العلاج على شِبه مسبِّب المرض."[٨] ولكن هذا يمدنا بصورة نابضة بالحياة عن الصليب. كان الإسرائيليون يموتون من سُم الحيات المُحرِقة، كما يموت البشر أيضًا من سُم خطاياهم. أمر الله موسى بأن يرفع سبب الموت عاليًا فوق سارية. وبالمثل وضع الله سبب موتنا على ابنه

٤- مزمور ٢٢: ٦
٥- إشعياء ٥٣: ٥-٦
٦- لوقا ٢٤: ٢٦
٧- عدد ٢١: ٥-٩
8. Matthew Henry, Matthew Henry's Commentary on the Whole Bible (Peabody, Mass.: Hendrickson, 1991), 1:665.

فيما كان معلقًا فوق صليب. جاء الابن «**فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ،**» وصار خطيةً لأجلنا.[٩] وكل يهودي صدَّق الله، ونظر نحو الحية النُّحاسية كان يحيا. ومن يُصدِّق شهادة الله عن ابنه، وينظر إليه بإيمان، سيَخلُص.[١٠] كما هو مكتوب: «**اِلْتَفِتُوا إِلَيَّ وَاخْلُصُوا يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الأَرْضِ، لأَنِّي أَنَا اللهُ وَلَيْسَ آخَرَ.**»[١١]

يحتوي سفر اللاويين على الاستعارة الثانية. طالب الله الشعب بتقديم ذبيحة تتضمن تَيْسَين؛ لأنه كان من المستحيل لتقدمة أو ذبيحة واحدة أن تمثل أو تفسر بالكامل موت المسيح الكفاري.[١٢] كان التيس الأول يُذبَح كذبيحة خطية أمام الرب، ويُرش دمُه فوق غطاء التابوت (كرسي الرحمة)، وأمامه خلف الحجاب في قدس الأقداس.[١٣] وكان هذا رمزاً للمسيح الذي سُفِك دمُه على الصليب ليُكفِّر عن خطايا شعبه. وتُعد هذه صورة توضيحية رائعة عن موت المسيح ككفارة. فقد سفك المسيح دمَه كي يُرضي عدل الله، ويرفع غضبه، ويجلب السلام. ثم كان رئيس الكهنة يُقدِّم التَّيْس الثاني أمام الرب باعتباره تيس الكفارة،[١٤] وكان عليه أن يضع «**يَدَيْهِ عَلَى رَأْسِ التَّيْسِ الْحَيِّ وَيُقِرُّ عَلَيْهِ بِكُلِّ ذُنُوبِ بَنِي إسرائيل، وَكُلِّ سَيِّئَاتِهِمْ مَعَ كُلِّ خَطَايَاهُمْ،**»[١٥] ثم يُرسل تيس الكفارة هذا إلى البرية حاملًا فوقه كل ذنوب الشعب إلى أرض مقفرة، وهناك كان يهيم وحده، متروكًا من الله، ومقطوعًا عن شعب الله. وكان تيس الكفارة هذا أيضًا رمزاً للمسيح، الذي "حمل خطايانا في جسده على الخشبة" وتألم ومات وحده "خارج المحلة."[١٦] تُعد هذه صورة رائعة لموت المسيح الكفاري، فقد أبعد عَنَّا خطايانا، كما قال كاتب المزمور: «**كَبُعْدِ الْمَشْرِقِ مِنَ الْمَغْرِبِ أَبْعَدَ عَنَّا مَعَاصِينَا.**»[١٧]

٩- رومية ٨: ٣؛ ٢ كورنثوس ٥: ٢١
١٠- ١ يوحنا ٥: ١٠-١١
١١- إشعياء ٤٥: ٢٢
١٢- لاويين ١٦: ٥-١٠
١٣- لاويين ١٦: ٩، ١٥، ٢٠
١٤- لاويين ١٦: ١٠
١٥- لاويين ١٦: ٢١
١٦- ١ بطرس ٢ : ٢٤؛ عبرانيين ١٣: ١١-١٢
١٧- مزمور ١٠٣: ١٢

المسيح جُعِلَ خطية

كيف لا نعتقد أنه أمرٌ مريع أن يُرمَز للمسيح بالدودة، والحيَّة السامة، والتَّيس؟ إن تشبيهنا لابن الله بمثل هذه التشبيهات الكريهة قد يُعد تجديفًا ما لم تكن هذه التشبيهات قد جاءت من نصوص العهد القديم نفسِها، وما لم يُؤكِّدها أيضًا كُتَّاب العهد الجديد الذين تمادوا في تصويرهم القاتم لموته الكفاري. فقد أخبرونا وهم مسوقون من الروح القدس بأن المسيح الذي لم يعرف خطيةً قد "صار خطية،" وأن الابن المحبوب للآب صار "لعنةً" أمامه.[١٨]

سمعنا جميعًا هذه الحقائق من قبل، لكن هل انتبهنا إليها بما يكفي لكي نفهمها حقًّا وننكسر أمامها؟ من قالت عنه جوقة السيرافيم: "قدوس، قدوس، قدوس" "صار" أو جُعِل خطية على الصليب.[١٩] تبدو الرحلة إلى داخل معنى هذه العبارة محفوفة بالمخاطر. ذلك لأننا نتراجع من الخطوة الأولى. ما الذي يَعنيه أن يصير الشخص الذي فيه «**يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا**» خطية؟[٢٠] يجب ألَّا نسعى إلى تحريف هذه الحقيقة إنقاذًا لسمعة ابن الله، ولكن علينا أن ننتبه لئلا نتفوه بأشياء بشعة ضد عِصمته من الخطية، وصفاته التي لا يعتريها تغيير. كيف جُعِل خطية؟ نستنتج من كلمة الله أن المسيح صار خطية بالطريقة نفسِها التي يصير المؤمن بها "بر الله" فيه.[٢١] كتب الرسول بولس في رسالته الثانية لكنيسة كورنثوس: «**لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ.**»[٢٢]

في هذه الحياة الحاضرة، يصير المؤمن "بر الله"، ليس بسبب تنقية ما حدثت في شخصيته، وصار بها كائنًا بارًا تمامًا أو بلا خطية، بل بالحري نتيجة أن الله قد

١٨- ٢ كورنثوس ٥: ٢١؛ غلاطية ٣: ١٣
١٩- إشعياء ٦: ٢-٣
٢٠- كولوسي ٢: ٩
٢١- أدين بهذه الفكرة لجون كالفن وتفسيره لنص ٢ كورنثوس ٥: ٢١
٢٢- ٢ كورنثوس ٥: ٢١

حسبه باراً بفضل عمل المسيح نيابةً عنه. وعلى المنوال نفسه، جُعِلَ المسيحُ خطية، ليس بسبب انحدار أخلاقي في شخصيته جعله فاسدًا أو غيرَ بار، بل نتيجة جعله مذنبًا أمام كرسي دينونة الله عِوضًا عَنَّا. لم يَصِر المسيح على الصليب خاطئًا، بل احتُسِبت خطايانا عليه، فاعتبره اللهُ مذنبًا بجرائمنا، وعامَلَه بحسب الحكم الذي كنا نستحقه نحن. وبالتالي، لم يَصِر المسيح خطيةً باشتراكه في فسادنا، بل بحمله ذنبنا. وعلينا ألَّا ننسى أنه حتى حين حمل خطايانا، ظلَّ هو حمَلُ الله الذي بلا عيب ولا دنس، وكانت ذبيحتُه رائحةً طيبة لأبيه.[٢٣]

يجب أن نحرص على فهم أن هذه الحقيقة لا تُقلِّل من بشاعة كون المسيح صار خطيةً بدلًا مِنَّا. على الرغم من أنه كان ذنبًا محسوبًا عليه، فإنه كان ذنبًا حقيقيًّا، تسبب في كرب وحزن لنفسِه يفوقان الوصف. فقد أخذ بالفعل مكاننا، وحَمَلَ خطايانا وذنوبنا، واختبر الكيل الطافح من غضب الله الذي استحقَّته خطايانا.

تكشف المقابلة الكبرى بين ما كان المسيح عليه في الحقيقة وما "صار" عليه، عن المزيد من الضيق والكرب الذي اختبره المسيح. يا له من أمر مروِّع أن يقف الخاطئ وجهًا لوجه أمام خطاياه، وأن يشعر بثقل ذنبه، لكن أن يحمل «**الذي لم يعرف خطية**» رجسًا غريبًا عنه تمامًا، ويشعر بذنب جموع غفيرة من الخطاة لا حصر لها، فهذا أمر مختلف تمامًا. ويا له من رعب يفوق الوصف أن يُعامَلَ الخاطئ كمذنب أمام كرسي دينونة الله، لكن أن يُعامَل «القدوس، الذي هو بلا دنس، الذي انفصل عن الخطاة»[٢٤] بهذه الطريقة، فهذا أمر مختلف تمامًا. وأن يُدان الخاطئ من إلهٍ لا تربطه به أية عَلاقة، ولا يكن له أيَّ مشاعر هذا شيء، وأن يُحاكَم اِبن الله المحبوب، ويُدان من أبيه، الذي كانت له معه في الأزل أعظم شركة حميمة، والذي يَكِن له محبة تفوق الوصف والقياس، فهذا شيء مختلف تمامًا.

٢٣- ١ بطرس ١: ١٩؛ أفسس ٥: ٢

٢٤- عبرانيين ٧: ٢٦

المسيح صار لعنة

تُعد إحدى الحقائق المريعة وغير المفهومة أيضًا أن يصير المسيح خطية. ولكن، عندما نعتقد أنه لا يُمكن أن تنطق كلمات أكثر قتامة من هذه عنه، يأتي الرسول بولس ويُضيء سراجًا ويأخذنا لأبعد من هذا إلى داخل هُوة المسيح الذي تعرض للذل والترك. وعندما ندخل إلى أعمق كهف فيها، نجد ابن الله معلقًا على الصليب، وحاملًا لقبه الأكثر خزيًا وعارًا: «ملعونٌ من الله!»

يُعلن الكتاب المقدس بأن كل الجنس البشري تحت لعنة الله لكسره مبادئ الناموس الإلهي، وكما كتب الرسول بولس إلى كنيسة غلاطية: «**مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ.**»[٢٥] وتأتي كلمة «ملعون» من الكلمة اليونانية (katára)، التي تُشير إلى «إنزال لعنة». وتُشير هذه الكلمة في العهد الجديد إلى الوجود في حالة رفض أو نقمة إلهية تؤدِّي إلى الحكم والدينونة. وبما أن اللعنة الإلهية هي مضاد البركة الإلهية، يُمكننا بالتالي، باستخدام التطويبات كمعيار، أن نتعلم شيئًا عَمَّا يُعنيه أن يُصبح أحد تحت لعنة الله.

> المباركون (المُطوَّبون) لهم ملكوت السماوات، أمَّا الملعونون فيُحرَمون من دخولها.
>
> المباركون لهم التعزية الإلهية، أمَّا الملعونون فموضوع الغضب الإلهي.
>
> المباركون يرثون الأرض، أمَّا الملعونون فيُقطَعون منها.
>
> المباركون يُشبَعون، أمَّا الملعونون فبائسون وأشقياء.
>
> المباركون يُرحَمون، أمَّا الملعونون فيدانون دون شفقة.
>
> المباركون يعاينون الله، أمَّا الملعونون فيُطرَدون من محضره.
>
> المباركون أبناء الله وبناته، أمَّا الملعونون فيتبرأ منهم، بلا كرامة.[٢٦]

٢٥- غلاطية ٣: ١٠؛ تثنية ٢٧: ٢٦

٢٦- إعادة صياغة لنص متى ٥: ٣-١٢

لذلك، مَن يكسرون ناموس الله، بحسب منظور السماء، فاسدون ومستحقون لكل ازدراء. إنهم جماعة بائسة، معرَّضة عن استحقاق للنِّقمة الإلهية، ومخصصة بعدل للهلاك الأبدي. ولا نُبالغ إن قلنا إن آخر ما يجب أن يسمعه الخاطئ الملعون، بل وسيسمعه بالفعل حين يخطو خُطواته الأولى داخل الجحيم هو صوت تصفيق كل الخليقة لله؛ لأنه خلَّص الأرضَ منه. هذا الشر لمن يكسرون ناموس الله، وهذا الازدراء للقدوس نحو النَّجِس.

تُعد مثل هذه اللغة إهانة كبرى للعالم، ولأغلبية المجتمعات الإنجيلية المعاصرة. ومع ذلك، فهي لغة كتابية ولا بد أن نقولها. إن رفضنا شرح وتفسير كل أقوال كلمة الله القاتمة بدافع الكياسة، لن ينظر البشر لله فيما بعد على أنه قدوس، ولن يُدركوا الورطة المخيفة التي وقعوا فيها، ولن يحسبوا الثمن الذي دفعه المسيح، أو يُقدِّروا قيمته. ما لم نُدرك جيدًا ما الذي يَعنيه أن يكون الإنسان تحت اللعنة الإلهية، لن نفهم أبدًا ما الذي كان يَعنيه هذا بالنسبة للمسيح أن "يصير لعنة لأجلنا". ولن نفهم بالكامل أبدًا رعب وجمال ما فعله لأجلنا على تلك الخشبة! «**اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا؛ لأنه مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ.»»**[٢٧]

إن الحق الذي نُقل إلينا من غلاطية ٣: ١٠ جعل يسوع المسيح وإنجيله عاراً ليهود القرن الأول. فقد كانوا جميعًا على دراية بالحق المرعب الموجود في كلمة الله أن «**الْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ اللهِ.**»[٢٨] كيف يُمكن إذًا للمسيح أن يكون مخلِّص إسرائيل وملكهم ومع هذا يموت بهذه الصورة المنحطة والمشبوهة؟ إن قبول مثل هذه الفكرة أكثر من مجرد فضيحة، بل تجديف صريح ومباشر! ولكن اليهود فشلوا في رؤية أنها كانت "لعنة متبادلة،" وأن المسيح كان لا بد أن يصير على الصورة التي كانوا عليها قبلًا؛ حتى يفديهم مما استحقوه.[٢٩] فقد صار دودةً لا إنسان، وصار الحية

٢٧- غلاطية ٣: ١٣

٢٨- تثنية ٢١: ٢٣

٢٩- Richard N. Longenecker, Galatians, vol. 41 of Word Biblical Commentary (Waco, Tex.: Word Books, 1990), 122–23.

التي رُفِعت في البرية، وكبش الفداء الذي أُطلق خارج المحلَّة، حامل الخطايا ولعنة الله. وقد فعل هذا كله عِوضًا عن شعبه!

في تثنية ٢٧، ٢٨، قسَّم الله أمة إسرائيل إلى قسمين منفصلين، واضعًا القسم الأول فوق جبل جرزيم، والقسم الآخر فوق جبل عيبال. وكان على الواقفين على جبل جرزيم أن ينطِقوا بالبركات التي ستأتي على من يحرصون على طاعة الرب إلههم،[٣٠] أمَّا الواقفون على جبل عيبال فكان عليهم أن ينطِقوا باللعنات التي تحل على من يرفضون هذه الطاعة.[٣١] ومع أن المسيح كان له كل الحق في نوال بركات جرزيم، فقد أرعد أباه ضده من فوق جبل عيبال بينما كان معلقًا على خشبة الجلجثة. ومن خلف أبواب السماء المغلقة، سحق الآبُ ابنَه الوحيد بكل رعبٍ كان يجب أن يقع على أولئك الذين مات من أجلهم. وحين رفع عينيه إلى فوق نحو السماء ملتمسًا ملامح وجه الله، حوَّل أبوه وجهه عنه. وحين صرخ: "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" أجابه أبوه باعتباره قاضيًا: "ملعون أنت من الرب إلهك."[٣٢] حمل المسيح لعنات تثنية ٢٨ عن شعبه.

> «يُرْسِلُ الرَّبُّ عَلَيْكَ اللَّعْنَ وَالاضْطِرَابَ وَالزَّجْرَ ... حَتَّى تَهْلِكَ وَتَفْنَى سَرِيعًا.»[٣٣]
>
> يَضْرِبُكَ الرَّبُّ بِجُنُونٍ وَعَمًى وَحَيْرَةِ قَلْبٍ، فَتَتَلَمَّسُ فِي الظُّهْرِ كَمَا يَتَلَمَّسُ الأَعْمَى فِي الظَّلاَمِ ... وَلَيْسَ مُخَلِّصٌ.»[٣٤]
>
> «يَفْرَحُ الرَّبُّ لَكُمْ لِيُفْنِيَكُمْ وَيُهْلِكَكُمْ.»[٣٥]

٣٠- تثنية ٢٨: ١
٣١- تثنية ٢٨: ١٥
٣٢- أدين بهذه الفكرة لآر. سي. سبرول في عظته عن غلاطية ٣: ١٣ التي ألقاها في مؤتمر «Together For The Gospel» في عام ٢٠٠٨.
٣٣- تثنية ٢٨: ٢٠
٣٤- تثنية ٢٨: ٢٨-٢٩
٣٥- تثنية ٢٨: ٦٣

«مَلْعُونًا تَكُونُ فِي الْمَدِينَةِ وَمَلْعُونًا تَكُونُ فِي الْحَقْلِ.»[٣٦]

«مَلْعُونًا تَكُونُ فِي دُخُولِكَ، وَمَلْعُونًا تَكُونُ فِي خُرُوجِكَ.»[٣٧]

«وَتَكُونُ سَمَاؤُكَ الَّتِي فَوْقَ رَأْسِكَ نُحَاسًا، وَالأَرْضُ الَّتِي تَحْتَكَ حَدِيدًا.»[٣٨]

«وَتَكُونُ دَهَشًا وَمَثَلاً وَهُزْأَةً فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ يَسُوقُكَ الرَّبُّ إِلَيْهِمْ.»[٣٩]

«وَتَأْتِي عَلَيْكَ جَمِيعُ هذِهِ اللَّعَنَاتِ وَتَتَّبِعُكَ وَتُدْرِكُكَ حَتَّى تَهْلِكَ، لأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ لِتَحْفَظَ وَصَايَاهُ وَفَرَائِضَهُ الَّتِي أَوْصَاكَ بِهَا.»[٤٠]

بينما كان المسيحُ يحمل خطايانا على الجلجثة، حلَّت عليه اللعنة كمن يَصْنَعُ تِمْثَالاً وَيَضَعُهُ فِي الْخَفَاءِ،[٤١] وكمن يَسْتَخِفُّ بِأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ، أو يَنْقُلُ تُخْمَ صَاحِبِهِ، أو كمن يُضِلُّ الأَعْمَى عَنِ الطَّرِيقِ،[٤٢] أو يُعَوِّجُ حَقَّ الْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ، [٤٣] وكمن يرتكب كل أشكال الفجور والانحراف الجنسي، أو يَقْتُلُ قَرِيبَهُ فِي الْخَفَاءِ، أو يَأْخُذُ رَشْوَةً لِكَيْ يَقْتُلَ نَفْسَ دَمٍ بَرِيءٍ.[٤٤] لُعِنَ كمن لاَ يُقِيمُ كَلِمَاتِ هذَا النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهَا.[٤٥] كَتَبَ الحكيم في سفر الأمثال: «**كَالْعُصْفُورِ لِلْفِرَارِ وَكَالسُّنُونَةِ لِلطَّيَرَانِ، كَذلِكَ لَعْنَةٌ بِلاَ سَبَبٍ لاَ تَأْتِي.**»[٤٦] ولكن الغصنَ قد لُعِن، ليس لخللٍ ما في شخصيته أو خطأ

٣٦- تثنية ٢٨: ١٦
٣٧- تثنية ٢٨: ١٩
٣٨- تثنية ٢٨: ٢٣
٣٩- تثنية ٢٨: ٣٧
٤٠- تثنية ٢٨: ٤٥
٤١- تثنية ٢٧: ١٥
٤٢- تثنية ٢٧: ١٦-١٨
٤٣- تثنية ٢٧: ١٩
٤٤- تثنية ٢٧: ٢٠-٢٥
٤٥- تثنية ٢٧: ٢٦
٤٦- أمثال ٢٦: ٢

ما في أفعاله؛ بل لأنه حمل خطايا شعبه وآثامهم أمام منصة القضاء الإلهية.[٤٧] وهناك، وقفَ دون ساتر، ودون حماية، مُعرَّضًا لكل عواقب الدينونة الإلهية. صرخ داود: «**طُوبَى لِلَّذِي غُفِرَ إِثْمُهُ وَسُتِرَتْ خَطِيَّتُهُ. طُوبَى لِرَجُلٍ لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً، وَلاَ فِي رُوحِهِ غِشٌّ.**»[٤٨] ومع ذلك، فوق الصليب، فُضحت الخطية التي حُسبت على المسيح أمام الله وجند السماوات. وعُلِّق المسيحُ علنًا أمام البشر، في مشهد غير معتاد للملائكة والشياطين على حدٍّ سواء.[٤٩] لم تُغفر له الآثام، ولم تُستَر الخطايا التي حملها. فإن حُسِب أحدهم مطوَّبًا لأن آثامه لم تُحسَب عليه، فالمسيح إذًا قد صار ملعونًا فوق كل المقاييس؛ لأن إثمنا قد وُضِع عليه.[٥٠] ولهذا تعامَل الله معه باعتباره ذلك المعتدي على العهد، الذي ورد الحديث عنه عِند تجديد العهد الموسوي في موآب:

> «**لاَ يَشَاءُ الرَّبُّ أَنْ يَرْفُقَ بِهِ، بَلْ يُدَخِّنُ حِينَئِذٍ غَضَبُ الرَّبِّ وَغَيْرَتُهُ عَلَى ذلِكَ الرَّجُلِ، فَتَحِلُّ عَلَيْهِ كُلُّ اللَّعَنَاتِ الْمَكْتُوبَةِ فِي هذَا الْكِتَابِ، وَيَمْحُو الرَّبُّ اسْمَهُ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. وَيُفْرِزُهُ الرَّبُّ لِلشَّرِّ مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِ إسرائيل حَسَبَ جَمِيعِ لَعَنَاتِ الْعَهْدِ الْمَكْتُوبَةِ فِي كِتَابِ الشَّرِيعَةِ هذَا.**»[٥١]

في الجلجثة، أُفرِز المسيَّا للشر، وحلَّت عليه كل لعنة مكتوبة في الناموس. وفي نسل إبراهيم هذا، تباركت جميع قبائل الأرض؛ لأن اللعنة التي حلَّت عليه أكثر من أي إنسان آخر عاش يومًا على الأرض.[٥٢] يحتوي سفر العدد على وعدٍ من أجمل وعود البركة التي قطعها الله للإنسان على الإطلاق. ويُشار إليه بالبركة الكهنوتية، أو بركة هارون: «**يُبَارِكُكَ الرَّبُّ وَيَحْرُسُكَ. يُضِيءُ الرَّبُّ بِوَجْهِهِ عَلَيْكَ وَيَرْحَمُكَ. يَرْفَعُ الرَّبُّ وَجْهَهُ عَلَيْكَ وَيَمْنَحُكَ سَلاَمًا.**»[٥٣] ومع أن هذه البركة مليئة بالنعمة

٤٧- إشعياء ١١: ١
٤٨- مزمور ٣٢: ١-٢
٤٩- رومية ٣: ٢٥ «عرَضَه على مرأى من الناس»
٥٠- إشعياء ٥٣: ٦
٥١- تثنية ٢٩: ٢٠-٢١
٥٢- تكوين ١٢: ٣
٥٣- عدد ٦: ٢٤-٢٦

وجميلة، فإنها تمثل مشكلة لاهوتية وأخلاقية عويصة. كيف يُمكن لإله بار أن يمنح مثل هذه البركة لشعب خاطئ دون أن يتنازل عن برِّه؟ مرة أخرى نجد الإجابة في الصليب. لا يُمكن أن ينال الخاطئ البركة سوى لأن اللعنة حلَّت على القدوس البار.[٥٤] وكل بركة وأي بركة أُعطيت أو ستُعطى من الله لشعبه على الإطلاق هي بسبب أن المسيح فوق الخشبة نال النقيض تمامًا من هذه البركة الكهنوتية.[٥٥] لم يقل لنا: "يباركك الرب،" سوى لأنه قيل له: "ملعون أنت من الرب، ليسلمك إلى الهلاك، وينزع نور حضوره عنك، ويدينك، ليحوّل الربُّ وجهَه عنك ويملأك بؤسًا."

يصف كاتب المزمور المباركين على أنهم مَن يكونون فرحين بابْتِهَاج في محضر الله، ويَعرفون صوت الْهُتَافَ ويسلكون بِنُورِ وَجْهِ الله.[٥٦] فلأجلنا جُعل المسيح حزينًا حيث غاب حضور الله الآب عنه، وعَرف صوت بوق الدينونة المرعب، وتعلق في ظلمة وجه الله العابس وغير المحتمَل. وبسبب اختيار آدم المصيري، استُعبِدت الخليقةُ بكاملها للفساد والبُطْل، فيما صارت تئن تحت اللعنة.[٥٧] ولكي يُحرر آدم الأخير الخليقة، أخذ على عاتقه حَمْل خطايا شعبه، وأنَّ تحت ذلك النير الرهيب: «**الْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا.**»[٥٨]

تُعد أكبر محاكاة ساخرة هي أن المعنى الحقيقي "لصرخة المسيح من فوق الصليب" قد فُقِدت في صيغ رومانسية مبتذلة. وبات شائعًا أن تسمع كارزاً يُعلن أن الآب قد حوّل وجهه عن ابنه؛ لأنه لم يُعد قادراً على تحمُّل مشاهدة الألم الذي أوقعته عليه أيادي الأشرار. وكما تعلَّمنا، فإن مثل هذه التفسيرات تُعد تحريفًا تامًّا للنص، ولما قد حدث بالفعل فوق الصليب. لم يحجب الآبُ وجهه عن ابنه لأنه افتقر إلى الشجاعة لمشاهدة آلامه، بل «**لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً**

٥٤- أعمال ٣: ١٤

٥٥- عدد ٦: ٢٢-٢٧. أدين بهذه الفكرة لآر. سي. سبرول وعظته عن غلاطية ٣: ١٣ التي ألقاها في عام ٢٠٠٨ بمؤتمر «Gospel the for Together».

٥٦- مزمور ٢١: ٦؛ ٨٩: ١٥

٥٧- رومية ٨: ٢٠-٢٢

٥٨- غلاطية ٣: ١٣

لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ.»[٥٩] فقد وضع عليه آثامنا، ثم أشاح بوجهه عنه؛ لأن عينيه أطهر من أن توافقا على الشر، ولا يُمكنه النظر إلى الجور في استحسان."[٦٠]

تُصوِّر معظم النبذ التبشيرية وجود هُوة أو انفصال غير محدود بين إله قدوس وإنسان خاطئ لسبب وجيه. وتتفق كلمة الله مع هذه الصورة تمامًا، كما صرخ النبي إشعياء قائلًا: «**هَا إِنَّ يَدَ الرَّبِّ لَمْ تَقْصُرْ عَنْ أَنْ تُخَلِّصَ، وَلَمْ تَثْقَلْ أُذُنُهُ عَنْ أَنْ تَسْمَعَ.**»[٦١] ووفقًا لهذا النص، ونصوص أخرى لا حصرَ لها، كان ينبغي على كل البشر أن يعيشوا ويموتوا منفصلين عن محضر الله الحُلو، واقعين تحت الغضب الإلهي. ولهذا السبب، أخذ ابن الله مكاننا، وحمل خطايانا، و"تُرِك من الله". ولكي تُسَد هذه الهُوة، وتعود الشَّركة «**كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟**»[٦٢]

المسيح يُقاسي غضب الله

لكي يحقق المسيح الخلاص لشعبه، تحمَّلَ تركَ الله الرهيب، وشَرِب كأس غضب الله المُرة لآخرها، ومات مِيتةً دامية عِوضًا عن شعبه. ولم يتحقق العدل الإلهي، ويُرفع غضب الله، ولم تصر المصالحة ممكنة سوى عندما حدث كل ذلك.

صَلَّى المسيح في البستان ثلاث مرات؛ كي تُجاز عنه الكأس، لكن في كل مرة كانت إرادتُه تخضع لإرادة أبيه.[٦٣] يجب أن نسأل أنفسَنا هنا، ما الذي كان في الكأس جعله يُصلِّي بهذه اللجاجة؟ ما الشيء الرهيب الذي بداخل الكأس وتسبب له في هذا الكرب الشديد حتى امتزج عرقُه بالدم؟[٦٤]

كثيراً ما يُقال إن الكأس كانت تمثل الصليب الروماني القاسي، والعذاب الجسدي الذي كان ينتظره، وأن المسيح رأى مسبقًا السَّوط ينزل على ظهرِه، وتاج الشوك

٥٩- ٢ كورنثوس ٥: ٢١
٦٠- إشعياء ٥٣: ٦؛ حبقوق ١: ١٣
٦١- إشعياء ٥٩: ١
٦٢- لوقا ٢٤: ٢٦
٦٣- لوقا ٢٢: ٤١-٤٤
٦٤- لوقا ٢٢: ٤٤

يثقب جبهته، والمسامير تخترق يديه ورجليه. لكن مَن يعتقدون أن هذه الأشياء كانت مصدر كربه لا يفهمون الصليب، ولا يُدركون ما حدث هناك. وعلى الرغم من أن العذابات التي تكدست فوقه على أيدي البشر كانت كلها جزءًا من خُطة الله الفدائية، فإن شيئًا منذراً بالسوء أكثر بكثير هو الذي أثار صرخته طلبًا للخلاص من الكأس.

في القرون الأولى من زمن الكنيسة، مات الآلاف من المسيحيين مصلوبين. وقيل إن نيرون كان يصلبهم رأسًا على عقب، وكان يغطيهم بالقار مشعلًا النيران فيهم، لاستخدامهم في إنارة شوارع مدينة روما. ومنذ ذلك الحين، وعلى مر العصور، قاسَى جمهورٌ لا حصرَ له من المسيحيين عذابات تفوق الوصف، ومع ذلك يشهد الصديق والعدو على حدٍّ سواء أن العديد منهم توجهوا نحو موتهم بجسارة شديدة. أنصدق إذًا أن تلاميذ المسيح قابلوا مثل هذا الموت الجسدي القاسي بفرح لا يُنطَق به، بينما انكمش رئيس خلاصهم خوفًا في بستان، مرتعبًا من نوع العذاب عينه؟![٦٥] هل رهب مسيحُ الله السياط والأشواك والصليب والحربة، أم كانت الكأس تمثل رعبًا يفوق أبشع قساوة ارتكبها البشر؟

لكي نفهم ذلك المحتوى المشؤوم للكأس، لا بد أن نرجع إلى المكتوب، وأن نضع في اعتبارنا نَصَّين على وجه الخصوص، الأول من سفر المزامير، والثاني من أسفار الأنبياء. يقول النَّص الأول: «**لأَنَّ فِي يَدِ الرَّبِّ كَأْسًا وَخَمْرُهَا مُخْتَمِرَةٌ. مَلآنَةٌ شَرَابًا مَمْزُوجًا. وَهُوَ يَسْكُبُ مِنْهَا. لكِنْ عَكَرُهَا يَمَصُّهُ، يَشْرَبُهُ كُلُّ أَشْرَارِ الأَرْضِ.**»[٦٦] ويقول النَّص الثاني: «**لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ لِيَ الرَّبُّ إِلهُ إسرائيل: «خُذْ كَأْسَ خَمْرِ هذَا السَّخَطِ مِنْ يَدِي، وَاسْقِ جَمِيعَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ أُرْسِلُكَ أَنَا إِلَيْهِمْ إِيَّاهَا. فَيَشْرَبُوا وَيَتَرَنَّحُوا وَيَتَجَنَّنُوا مِنْ أَجْلِ السَّيْفِ الَّذِي أُرْسِلُهُ أَنَا بَيْنَهُمْ.**»[٦٧]

نتيجة لتمرُّد الأشرار المستمر، قضى عدل الله بالدينونة عليهم، وسيَسكب بعدلٍ سخطه على الأمم، ويضع كأسَ خمرِ سخطه في أفواههم، ويجبرهم على تجرُّعها

٦٥- عبرانيين ٢: ١٠
٦٦- مزمور ٧٥: ٨
٦٧- إرميا ٢٥: ١٥-١٦

حتى آخر قطرة.[٦٨] إن مجرد التفكير في مثل هذا المصير الذي ينتظر العالم مرعب تمامًا، ومع ذلك، كان هذا مصير الجميع لولا أن سعت رحمة الله لخلاص شعبٍ، ووضعت حكمة الله خُطة الفداء من قبل تأسيس العالم.[٦٩] فقد كان على ابن الله أن يصير إنسانًا، ويسلك في الأرض بطاعة تامة لناموس الله، ويُشابهنا في كل شيء، مجرَّبًا في كل شيء مثلنا، لكن بلا خطية،[٧٠] ويعيش حياة بارة تمامًا لمجد الله ولخير شعبه. ثم كان عليه أن يُصلَب في الوقت المعين بأيدي الأشرار، ويَحمل فوق الصليب ذنوب شعبه، ويُقاسي غضب الله عليهم. وكان على ابن آدم الحقيقي، الذي كان أيضًا ابن الله بحق، أن يأخذ كأس غضب الله المُرة من يده، ويتجرَّعها لآخر قطرة، حتى يكون **"قد أُكمل"**، وحينئذ يُرضي عدل الله بالكامل.[٧١] كان ينبغي أن يُسكب الغضب الإلهي الذي من نصيبنا على الابن، ومن خلال الابن تخمد نيران هذا الغضب.

تخيل معي سَدًّا هائلًا، ممتلئًا حتى حافته، ومنهَكًا من الثقل الذي خلفَّه. وفجأة، يتحطم هذا الحائط الحامي، ويُطلَق العنان لقوة الطوفان المدمرة والرهيبة. وفيما يركض هذا الدمار نحو قرية صغيرة في الوادي المجاور، تنفتح الأرض فجأة أمامه، وتَبتلع حتى آخر قطرة كلَّ ما كان من المفترَض أن يمحو هذه القرية. وهكذا أيضًا كانت دينونة الله تركض في عدل نحو كل إنسان، ولم يكن مهربٌ، سواء إلى أعلى تل، أو إلى أعمق هُوة، ولم يكن في إمكان أسرع قدمين لإنسان أن تنجو منه، ولم يكن في إمكان أقوى وأمهر سبَّاح أن يتحمل سيولها الجارفة. وهكذا أيضًا تحطم السد، ولم يستطع شيء إصلاح الخراب الذي حلَّ به. ولكن حين استُنزفت كل آمال البشر، تدخَّل ابن الله بنفسه في الوقت المعيَّن، بين العدل الإلهي وشعبه، فشرب لآخر قطرة هذا الغضب الذي أشعلناه بأنفسنا، والعقوبة التي استحققناها. وعندما مات، لم تبقَ قطرة واحدة من الفيضان السابق. فقد شربه بالكامل نيابةً عَنَّا!

٦٨- كلمة «dregs» هي الثُمالة، أو الثُفل، أي الراسب، وهو بقية الشَّراب في أسفل الكأس.
٦٩- متى ٢٥: ٣٤؛ أفسس ١: ٤؛ ١ بطرس ١: ٢٠؛ رؤيا ١٣: ٨؛ ١٧: ٨.
٧٠- عبرانيين ٢: ١٧؛ ٤: ١٥.
٧١- يوحنا ١٩: ٣٠.

تخيل معي أيضًا حجري رحى عملاقين، الواحد يدور فوق الآخر، ثم وُضِعت حبة قمح بينهما، وحوصرت تحت هذا الوزن العظيم. أولًا، ستسحق هذه الأحجار قشرة هذه الحبة حتى يصير التعرُّف عليها صعبًا، ثم تظهر أجزاؤها الداخلية، وتُطحن تمامًا. وبذلك لم يُعد رجاء في عودتها إلى وضعها الأول، فكل شيء قد ضاع، وأصبح غير قابل للإصلاح أو الاسترجاع. وهكذا أيضًا سُرَّ الله بأن يسحق ابنه الوحيد، ويجعله يختبر حزنًا يفوق الوصف.[٧٢] كما أيضًا سُرَّ الابن أن يستسلم لهذا الألم؛ كي يتمجد الله، ويُفتدى شعبه.

يجب ألّا نعتقد أن الله وجد لذة مبهجة في آلام ابنه الحبيب، لكن بموت الابن تحققت مشيئة الله. لم يكن لأي وسيلة أخرى القوة لرفع الخطية، وإرضاء العدل الإلهي، وتسكين غضب الله علينا. وما لم تكن حبة الحنطة الإلهية قد وقعت في الأرض وماتت، كانت ستبقى وحدها دون شعب أو دون عروس.[٧٣] لم تكن اللذة في الألم، بل في كل ما كان هذا الألم سيحققه، أي أن يُعلن الله في مجد لم يعرفه بشر ولا ملائكة قط، وأن يُؤتَى بشعب في شركة مع إلههم لا يعوقها شيء.

كَتَبَ الكاتب البيوريتاني المحبوب جون فلافيل (John Flavel) ذات مرة حواراً بين الآب والابن فيما يتعلق بالبشرية الساقطة، وبالثمن الكبير الذي كان مطلوبًا لنوال الفداء. يُصورِّ هذا الحوار بطريقة جميلة حِدة الكربِ في الصليب، ومحُبَّة الآب والابن التي دفعتهما لقبول ذلك. كتب فلافيل:

> "قد تفترض أن الآب عندما أجرى صفقته مع المسيح لأجلك، يقول ما يلي:
>
> الآب: يا ابني، ها هي جماعة من النفوس المسكينة والبائسة، التي دَمَّرت وأذت نفسَها تمامًا، والآن هم عُرضة لأطَبِّق عدلي عليهم! فالعدل يطالب بأن يتم إرضاؤه عنهم، أو سيتحقق بهلاكهم الأبدي. ماذا نفعل لأجل هذه النفوس؟

٧٢- إشعياء ٥٣: ١٠
٧٣- يوحنا ١٢: ٢٤

وهكذا أجاب المسيح:

الابن: آه يا أبي، هكذا هي محبتي لهم، وإشفاقي عليهم حتى إني أتحمل المسؤولية كضامن لهم لئلا يهلكوا إلى الأبد، أعطني كل صكوك المديونية؛ حتى أرى ما يدينون لك به. أيها الرب احسبها كلها عليَّ؛ حتى لا يتبقى عليهم أي صكوك أخرى، من يدي تطلبها. فأنا أختار أن أقاسي الغضب عن أن يقاسوه هم. عليَّ هذا، يا أبي، احسب عليَّ كل ديونهم.

الآب: لكن يا ابني، إن أخذتَ على عاتقك هذه المسؤولية عنهم، فسيكون عليك أن تسدد الدين حتى الفِلس الأخير، ولا تتوقع أي إسقاط من المديونية. فإن أبقيتُ على حياتهم، لن أُبقي على حياتك أنت، ولن تنجو من يدي.

الابن: بسرور ليكن هذا يا أبي، احسب الكل عليَّ، فأنا قادر على السداد، ومع أن هذا يُشكِّل نوعًا من الأذى لي، وعلى الرغم من أن هذا يسلبني كل غِناي، ويُجرِّدني من كل كنوزي، فإني راضٍ أن أتحمل المسؤولية!"[٧٤]

يعتقد الناس أحيانًا، بل ويعظون بأن الآب نظر من فوق، من السماء، وعاين الألم الذي تكدَّس على ابنه بأيدي البشر، وحينها حَسِب هذه المحنة تسديدًا لثمن خطايانا. وهذه أسوأ أنواع الهرطقات. إن المسيح قد أرضى العدل الإلهي ليس فقط بما تحمله من آلام البشر، بل بما تحمله من غضب الله. فالأمر يتطلب أكثر من مجرد صليب، ومسامير، وتاج شوك، وحربة لتسديد ثمن الخطية. لا يَخلُص المؤمن ببساطة بسبب ما فعله البشر بالمسيح على الصليب، بل بسبب ما فعله الله به. فقد سحقه الله تحت ثقل قوة غضبه الرهيب علينا.[٧٥] لكن نادراً ما تَعرض كرازتنا بالإنجيل هذه الحقيقة بوضوح كافٍ.

---

74. John Flavel, The Fountain of Life: A Display of Christ in His Essential and Mediatorial Glory, in The Works of John Flavel (London: Banner of Truth, 1968), 1:61.

٧٥- إشعياء ٥٣: ١٠

الله سُيدبِّر (الله يرى)

في واحدةٍ من أكثر قصص البطولة الملحمية في العهد القديم، أمر الله أبانا إبراهيم بأن يحمل ابنه إسحاق إلى جبل المُريا، ويُقدِّمه هناك ذبيحة: «**فَقَالَ: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ**»»[٧٦]

يا لثقل هذا الحمل الذي حمله إبراهيم! لا يُمكننا حتى تخيُّل الأسى والحزن الذي ملأ قلب هذا الشيخ، وأذاقه العذاب في كل خُطوة من رحلته. وقد حرصَت كلمة الله على إخبارنا بأنه قد تلقى أمراً بأن يُقدِّم "ابنه وحيده الذي يُحبه، إسحاق." ويبدو أن المقصود من تحديد اللغة هو لفت انتباهنا، وجعلنا نفكر في وجود معنى أبعد مُخبَّأ في هذه الكلمات لا تُخبرنا به نظرتنا الأولى لها. إن هذا الرجل وهذا الصبي هما ببساطة رمز، أو ظِل، لأب أعظم وابن أعظم وذبيحة أعظم!

في اليوم الثالث، وصل الاثنان إلى الموضع المعيَّن، فربط الأبُ ابنه الحبيب بيديه. وأخيراً، وفي خضوع لما يجب أن يحدث، وضع يده على جبين ابنه «**وَأَخَذَ السِّكِّينَ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ.**»[٧٧] وفي اللحظة ذاتها، تدخلت رحمة الله، وأوقفت يد الشيخ، ثم ناداه الله من السماء «**وَقَالَ: «إِبْرَاهِيمُ! إِبْرَاهِيمُ!... لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ، فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي**»»[٧٨]

عند سماعه لصوت الرب، «**رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَكًا فِي الْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ، فَذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ الْكَبْشَ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضًا عَنِ ابْنِهِ.**»[٧٩] فَدَعَا اسم ذَلِك الْمَوْضِع «**يَهْوَهْ يِرْأَهْ**» أو "الرب يُدبِّر،" «**حَتَّى إِنَّهُ يُقَالُ الْيَوْمَ: «فِي جَبَلِ الرَّبِّ يُرَى**»»[٨٠] أي في جبل الله هو يُدبِّر.

قبل إغلاق الستار على هذه اللحظة البطولية في التاريخ، لم يكن إبراهيم وحده هو الذي تنفَّس الصُعداء لنجاة ابنه من الموت، بل أيضًا كلٌ مَن قرأ هذه القصة.

٧٦- تكوين ٢٢: ٢

٧٧- تكوين ٢٢: ١٠

٧٨- تكوين ٢٢: ١١-١٢

٧٩- تكوين ٢٢: ١٣

٨٠- تكوين ٢٢: ١٤

وهكذا نفكر في أنفسنا: "يا لها من نهاية رائعة لهذه القصة." لكن لم تكن هذه حقًّا هي النهاية، بل كانت مجرد فترة استراحة!

بعد ألفي عام، فُتح الستار من جديد على خلفية قاتمة ومشؤومة. وابن الله في وسط خشبة المسرح في جبل الجلجثة. فقد ألزمته الطاعة المُحبة بتنفيذ مشيئة أبيه، فُعلِّق هناك حاملًا خطايا شعبه، ملعونًا، ومرفوضًا من خليقته، ومتروكًا من الله.[٨١] ثم كسر هذا الصمتَ صوتُ غضبِ الله كرعدٍ مرعب. وأخذ الآبُ السكين، ومد ذراعه، وذبح "ابنه الوحيد الذي يُحبه،" متمِّمًا كلمات إشعياء النبي: «**لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولاً. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا... أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ.**»[٨٢]

ثم أُغلِق الستار مرة أخرى على مشهد الابن المذبوح، والمسيح المصلوب؛ كي ينفتح لخطاة مستحقين الجحيم. وبخلاف قصة إسحاق، لم يكن هناك كبش ليموت عوضًا عنه، فقد كان هو الحمل الذي مات عن خطايا العالم،[٨٣] بتدبير الله لفداء شعبه، فقد تمَّم المسيح ما كان إسحاق والكبش مجرد ظِل أو رمز له. وتغيَّر فيه اسم ذلك الجبل المرعب المدعو جلجثة، ليُصبح اسمه "**يهوه يرأه**" أو "**الرب يدبر**"، **حَتَّى إِنَّهُ يُقَالُ الْيَوْمَ: "في جبل الرب يُرى.**"[٨٤] أي في جبل الرب هو يُدبِّر.

إن الجلجثة هي الجبل، والخلاص هو التدبير. ذات يوم نادى الله إبراهيم وقال له: «**إِبْرَاهِيمُ! إِبْرَاهِيمُ!... الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ، فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي،**»[٨٥] والآن يصرخ المؤمنون منَّا إلى الله بمثل هذا الكلام قائلين: «**يا الله إلهي، الآن علمت أنك تحبني فلم تمسك ابنك وحيدك الذي تحبه عني.**»[٨٦]

مات المسيح، لكنها ليست النهاية، بل يبقى مشهد آخر، مشهد قيامة وتتويج عظيم!

٨١- يوحنا ١: ١١؛ أعمال ٣: ١٤؛ متى ٢٧: ٤٦
٨٢- إشعياء ٥٣: ٤-٥ ، ١٠
٨٣- يوحنا ١: ٢٩
٨٤- تكوين ٢٢: ١٤
٨٥- تكوين ٢٢: ١١-١٢
٨٦- تكوين ٢٢: ١٢؛ رومية ٨: ٣٢.

الفصل الحادي والعشرون

تبرير الله

«الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ، لإِظْهَارِ بِرِّهِ،
مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ.
لإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، لِيَكُونَ بارًّا وَيُبرِّر
مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ.»

(رومية ٣: ٢٥، ٢٦)

تُخبرنا رسالة رومية ٣: ٢٥، ٢٦ في بدايتها أن إرادة الله كانت في أن يَعرِض ابنه علنًا، أو يُعلِّقه على مرأى من الناس، فوق صليب الجلجثة. وكما أسلفنا، في الوقت المعين من التاريخ، رفعه الله على خشبة في مفترق طرق مركز العالم الديني، كي يراه الجميع.[١] ووفقًا للنص الذي نحن بصدده الآن، اختار الله أكثر الأماكن وضوحًا للعلن؛ ليُقدِّم ابنه فيه ذبيحة، وذلك حتى يُمكِّنه أن يبرئ نفسَه، ويُظهر مرةً واحدة وإلى الأبد أنه إله بار. ولكن يجب أن نسأل: "لماذا كان هذا

١- غلاطية ٤: ٤

التبرير لازم؟"[٢] الإجابة من النص هي: **«مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ.»**[٣]

وفقًا لبولس الرسول، لزم أن يُبرِّئ الله نفسَه، أو يُثْبِت برَّه؛ لأنه، في إمهاله، صفح عن خطايا شعبه، ولم يُجرِ عدله، أو ينفذ عقوبته المستحَقة عليهم. وعلى مر تاريخ البشر، أظهر الله نعمةً، ومنح الغفران لجموع لا تُحصى من البشر الذين دعاهم من العالم، وأعلن أنهم شعبُه. ولكنه بهذا عرَّض نفسَه لعدة اتهامات بأنه ظالم: فكيف لإله بار أن يمنح الغفران للأشرار؟ وكيف لإله قدوس حقًّا أن يدعوهم إلى شَركة معه؟ إن كان الله بارًا، فلِمَ لم يُجرِ عدله؟ وعلى أي أساس منح الغفران لهذه الجموع الغفيرة من قديسي العهد القديم؟ إن شهادة كلمة الله واضحة بأن الذبائح الدموية القديمة من التيوس والعجول لا تقدر أن ترفع خطايا.[٤] كيف إذًا تمكَّن الله من الغفران لهم؟ هل يُثبِت إمهاله على خطاياهم أنه ليس بارًا؟ هل يُثْبِت عدم مبالاته بالشر أنه يستطيع الصفح عن الخطايا بإيماءة برأسه، أو يمنح الغفران في نزوة مفاجِئة؟ هل تنازل إله السماء عن عدله بصفحه عمَّن كان لا بد أن يُدانوا بعدل؟[٥] أديَّان كل الأرض لا يصنع عدلًا؟[٦]

يُقدِّم صليب الجلجثة الجواب عن كل هذه الأسئلة. فقد وضع الله خطايا شعبه فوق رأس ابنه الوحيد، وانسكب عدل الله الذي استحقه شعبُه في كل العصور: في الماضي، والحاضر، والمستقبل، فوق يسوع الناصري. وكل البشر - من أول إنسان نال الصفح في العهد القديم، وحتى آخر إنسان سينال الغفران في نهاية العالم، يدينون بالصفح عنهم لموت المسيح عن خطاياهم. ومن خلال الصليب، أعلن الله لمن يتهمونه:

٢- يُعرِّف قاموس وبستر كلمة "تبرئة أو تبرير" vindication بأنها الدفاع عن أي شيء، أي إظهار براءته ضد الرفض أو التجريم، أو ضد الاعتراضات أو الاتهامات.
٣- رومية ٣: ٢٥
٤- عبرانيين ١٠: ٤
٥- أمثال ١٧: ١٥
٦- تكوين ١٨: ٢٥

"هل تتساءلون كيف يُمكنني أن أدعو لي شعبًا حتى من أشرار ما قبل الطوفان ليكونوا لي؟ أتطلبون تفسيراً لسبب إبقائي على حياة نوح، بينما استحقَّ الموت هو أيضًا في الطوفان؟ أتريدونني أن أقدِّم حسابًا عن دعوتي لأبرام الوثني من مدينة أور الكلدانيين الشريرة، واحتسابي البر له، وجعله خليلي؟ أتتعجبون لأني خلَّصت بقية من أمَّة إسرائيل، وقبِلتهم، وجعلتهم أعزاء جدًّا مع أن خطاياهم استدعت رفضهم؟ هل تتوقون لمعرفة كيف أمكنني أن أغفر خطايا داود الكثيرة وأدعوه ابني؟".

طال زمن اِتهاماتكم لي. والآن قد أجبتُ عنها في صليب اِبني الحبيب، الذي قُدِّر له أن يموت عن خطايا شعبي من قبل تأسيس العالم. وعلى مدى عصور إمهالي الطويلة، كانت عيناي مثبَّتة على تلك الخشبة التي كان سيتألم عليها لأجلهم. كل ما فعلتُه لأجلهم في الماضي كان مؤسَّسًا على ما حقَّقه اِبني لأجلهم الآن. نعم، صفحتُ مجانًا عن جموع غفيرة من الأشرار، وغفرت آثامهم، وسترت خطاياهم، ولم أحسِب عليهم تعدياتِهم، لكن هذا كان لأني قررت أن أُرضي كل مطلب من مطالب عدلي ضدهم من خلال كفارة اِبني الحبيب!"

أمام صليب الجلجثة يُسدُّ كل فم، ويَثْبُت زيف كل اِتهام موجَّه لله. وعلى تلك الخشبة أدان الله خطايا شعبه بعدل تام، وكفَّر عن جرائمهم بمحبة فائقة. وعلى المذبح الخشبي هذا، «**الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ الْتَقَيَا. الْبِرُّ وَالسَّلاَمُ تَلاَثَمَا.**»[٧] فقد برأَ الله نفسه، وأثبت أنه بار، وبرَّر كل من يُؤمن بيسوع المسيح.[٨] يُبْطِل الصليب أي شك بشأن بر الله أو عدم تسامُحه مع الخطية، ويُبرهن أن لا أساس للشكوك التي تحيط بمحبته، وأنه لا ينبغي الترحيب بهذه الشكوك في قلوب شعبه.

٧- مزمور ٨٥: ١٠

٨- رومية ٣: ٢٦

أثبت الله بُغضه للخطية

يحتوى العهد القديم والعهد الجديد على نصوص لا حصر لها تُثبت بُغض الله للخطية، وغضبه ضد الشرير. ومع ذلك، نجد أعظم إثبات لبُغض الله وعنفه المقدس ضد أية صورة من صور الإثم في صليب ابنه الحبيب. إلى أي حد يُبغض الله الخطية، وما رد فعله تجاهها؟ إن بُغض الله للخطية هو من الشدة بحيث أنه حين حمَّل ابنه خطايانا، سحقَه الله ولم يُبقِ على حياته، لكنه أسلمه بسماحة قلب.

في وسط كل تلك الرومانسية الكرازية التي تُحيط بصليب المسيح، نسينا (إن كنا نعرف في أي وقت مضى) أن الجلجثة كانت مرعبة رعبًا يفوق الوصف! فالمسامير التي ثبَّتت قدميه ويديه على خشبة الصليب، وإكليل الأشواك الملتوية التي حفرت جبهته، والحربة العريضة والخَشنة التي انغرزت بعمق في جنبه، والمعاملة القاسية التي قاساها على يد رجال أشرار ومثيرين للاشمئزاز، لم يساوِ كل هذا شيئًا أمام الهول الذي حدث فوق ذلك التل الشبيه بالجمجمة، المدعو جلجثة،[٩] بل لم يكن سوى مجرد خلفية لرعب أعظم بكثير. لم تحجب إرادة إنسان الشمس، ولم تجعل النهار حالك السواد،[١٠] ولم تزلزل قوة الجيش الروماني الأرض، ولم تكسر الصخور وتُحوِّلها إلى كومات تراب،[١١] بل كان هذا هو غضب القدير المنصَب بكامل قوته على ابنه الوحيد! يبدو الطوفان العظيم الذي وقع في أيام نوح كقطرة من الندى على ورقة شجر بالمقارنة مع مقدار الغضب الإلهي الذي انسكب على المسيح، كما تبدو النيران التي سقطت من السماء فوق سدوم وعمورة مجرد شرارة غير مؤذية عجزت عن إيقاد النيران في أكثر الأخشاب جفافًا إذا ما قورنت أيضًا بهذا الغضب. إن يوم

٩- إن اسم جلجثة أصله آرامي، ويترجم جمجمة. وهو اسم الموضع الذي كان خارج أورشليم حيث صُلب يسوع. وأعطي هذا الاسم لأنه كان على شكل جمجمة.

١٠- لوقا ٢٣: ٤٤-٤٥

١١- متى ٢٧: ٥١

الجلجثة كان يَوْم سَخَطٍ، يَوْمُ ضِيق وَشِدَّةٍ، يَوْمُ خَرَابٍ وَدَمَارٍ، يَوْمُ ظَلاَمٍ وَقَتَام.[١٢] وفي ذلك اليوم سقطت نار القدير الآكلة ووقائده الأبدية من السماء على المسيح.[١٣] وفوق تلك الخشبة، أهاج الله عليه نار غضبه التي تُذيب الجبال كالشمع قدام النار، وكشلال قوي ينحدر بقوة،[١٤] ولهذا صرخ المسيح: «**كَالْمَاءِ انْسَكَبْتُ. انْفَصَلَتْ كُلُّ عِظَامِي. صَارَ قَلْبِي كَالشَّمْعِ. قَدْ ذَابَ فِي وَسَطِ أَمْعَائِي.**»[١٥]

أُفرِز الرب يسوع المسيح من بين الجموع الغفيرة من البشر ليتحمل الشر، وحلَّت عليه كل اللعنات المكتوبة في الناموس. وحين عُلِّق فوق الصليب، انصب الغضب الإلهي الكامل الذي على شعب الله عليه وحده، واستشاط عليه غضب الله.[١٦]

إلى أي حد يبغض الله الخطية؟ سحق الله ابنه عندما حمل خطايانا. في ضوء هذه الحقيقة الرهيبة، يجب أن ننتبه إلى تحذيرات كاتب رسالة العبرانيين: «**فَكَيْفَ نَنْجُو نَحْنُ إِنْ أَهْمَلْنَا خَلاَصًا هذَا مِقْدَارُهُ؟**»[١٧] إن استمرينا في رفض الإنجيل بعد أن عرفناه معرفة حقيقية، لن تبقى بعدُ لنا ذبيحة عن الخطية. يُمكننا أن ندور باحثين في جميع أنحاء السماء والأرض إلى أن يزولا كلاهما، لكننا لن نجد علاجًا آخر لخطايانا، ولا وسيلة أخرى للتطهير، ولا اسم آخر نخلص به.[١٨] ما سنجده هو قبول دينونة مخيفة، وغيرة نار ستأكلنا باعتبارنا مضادين. تُحذرنا كلمة الله أن كل من يخالف ناموس موسى سيموت دون رحمة. أي عقاب أشد إذًا سيكون على تجاهل المسيح وذبيحته؟ ومع أننا لا نعتبر عدم اكتراثنا وعدم إيماننا جريمة كبرى، فإن الله يرى الأمر رؤية مختلفة. وبحسب تقديره، نحن قد دُسنا ابنه تحت أقدامنا، وحسِبنا الدَّمَ الذي سفكه نجسًا، وازدرينا بروح النعمة الذي عرَّفنا بهذه الأشياء،

١٢- صفنيا ١: ١٥
١٣- إشعياء ٣٣: ١٤
١٤- حزقيال ٢٢: ١٨-٢٢؛ ميخا ١: ٤؛ ناحوم ١: ٤
١٥- مزمور ٢٢: ١٤
١٦- تثنية ٢٩: ٢٠-٢١
١٧- عبرانيين ٢: ٣
١٨- أعمال ٤: ١٢

ولهذا يحذرنا قائلًا: «**لِيَ الانْتِقَامُ، أَنَا أُجَازِي.**» ولهذا السبب علينا التمسُّك ببشارة الإنجيل، ومناشدة جميع البشر أن يتوبوا ويرجعوا إلى المسيح قبل أن يفوت الأوان؛ لأنه «**مُخِيفٌ هُوَ الْوُقُوعُ فِي يَدَيِ اللهِ الْحَيِّ!**»[١٩]

الله بيَّن محبته لشعبه

إن شكَّ خاطئ يومًا في بر الله، فما عليه سوى أن ينظر إلى الصليب. ولكن إن شكَّ المؤمن يومًا في محبة الله، فما عليه سوى أن ينظر نحو الخشبة ذاتها. فهناك "**أُكمِل خلاصنا،**"[٢٠] وزالت العداوة، وصار لنا سلامٌ مع الله.[٢١] هناك بيَّن الله محبته لشعبه بطريقة تقضي على الشك إلى الأبد! ولهذا كتب الرسول يوحنا: «**بِهذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا: أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ ابنه الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِه. فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابنه كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا.**»[٢٢]

نفهم مما كتبه يوحنا أن أعظم إظهار لمحبة الله تجاه شعبه هو إرسال ابنه كفارة لخطاياهم.[٢٣] ويكشف هذا الفعل الفريد عن كلٍّ من سمات محبة الله، وشِدَّتها بطريقة غير مسبوقة. وعلى الصليب، بيَّن الآب محبته لنا بأن وضع آثامنا جميعًا على ابنه الحبيب، وسحقه تحت الغضب الإلهي الذي كان ينبغي أن يكون من نصيبنا.[٢٤] وعلى الصليب أيضًا بيَّن الروح القدس محبته لنا بأن دبَّر كل ما كان يلزم لتنفيذ الحكم على الابن بالموت.[٢٥] وهكذا أيضًا على الصليب، بيَّن الابن

١٩- هذه الفقرة مأخوذة من عبرانيين ١٠: ٢٦-٣١

٢٠- يوحنا ١٩: ٣٠

٢١- رومية ٥: ١

٢٢- ١ يوحنا ٤: ٩-١٠

٢٣- مترجمة من الاسم اليوناني hilasmos الذي يُشير إلى الكفارة (propitiating)، وسيلة الكفارة.

٢٤- إشعياء ٥٣: ٤-١٠

٢٥- دبَّر الروح القدس وصمَّم كل ما كان يلزم لفدائنا، من حَبَل العذراء بالمسيح (لوقا ١: ٣٥؛ متى ١: ٢٠) وحتى صلبه على أيدي رجالٍ أثمة (أعمال ٢: ٢٣).

محبته لنا، ووضع نفسَه لأجل أحبائه.[٢٦] فقد افتقر وهو غني لأجلنا، لكي نستغني نحن بفقره.[٢٧] ومع أنه كان في صورة الله، أخلى نفسه آخذًا صورة عبد، ووضع نفسه وأطاع حتى الموت، حتى موت الصليب.[٢٨] ومع أنه لم يعرف خطية، حَمَلَ خطايانا وصار لعنة لأجلنا، «**لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ»**»[٢٩]

لا بد أن يُحركنا الثمن الرهيب الذي دفعه هذا الإله غير المحدود في صلاحه عن خطايانا للنوح وتمزيق قلوبنا، وكما تنبأ زكريا النبي، ننظر إلى الذي طعنَّاه، وننوح عليه كأم تنوح على وحيد لها، وننوح في مرارة عليه كَمَنْ هُوَ فِي مَرَارَةٍ عَلَى بِكْرِهِ.[٣٠] ولكن الله قادر في الوقت ذاته أن يستقبل ضربات الصليب القاتمة، ويرسم بها أجمل الصور وأروعها. ففي الجلجثة، أعلن الله للبشر والملائكة عن محبته بوسيلة تفوق جمالًا، وقوة كل الإعلانات الأخرى مجتمعة. إن خطايانا وآلام المسيح التي لا يسبر غورها نيابةً عَنَّا بمثابة ليلة حالكة السواد تسطع من خلالها نجمات رحمة الله ونعمته في أبهى وأمجد صورها.

إن كانت قيمة الهدية تُبيِّن مقدار محبة مَن يُقدِّمها، فالجلجثة تُبيِّن أن محبة الله لشعبه لا يُمكن قياسُها. مَن ذا الذي يُمكنه قياس قيمة المسيح؟ سيكون من الأسهل إحصاء نجوم السماء، وكل ذَرة رمل في البحر. إن قيمته أعظم بكثير من كل الخليقة مجتمعة. ومَن يُمكنه قياس محبة الآب للابن؟ وعلى الرغم من ازدراء العالم بالابن، وعدم تقدير شعبه الخاص له تقديراً صحيحًا، فإن الله قد اختاره وهو ثمين في نظره.[٣١] لا يستطيع بشر أو ملائكة أن يُدركوا القيمة التي ينسبها الآب له وتقديره له، فقد ظل الابن دائمًا حبيب الآب وموضوع مسرَّته،[٣٢] ولذَّته الفائقة.[٣٣] ولذلك، حين بذل الآب ابنه، أعطانا كل شيء، ولم يمنع عَنَّا شيئًا.

٢٦- يوحنا ١٥: ١٣

٢٧- ٢ كورنثوس ٨: ٩

٢٨- فيلبي ٢: ٦-٨

٢٩- غلاطية ٣: ١٣؛ ٢ كورنثوس ٥: ٢١؛ تثنية ٢١: ٢٣.

٣٠- زكريا ١٢: ١٠

٣١- ١ بطرس ٢: ٤

٣٢- متى ٣: ١٧؛ ١٧: ٥؛ مرقس ١: ١١؛ ٩: ٧؛ لوقا ٣: ٢٢

٣٣- أمثال ٨: ٣٠

إن محبة الله، التي أُظهِرت عندما بذل ابنه كفارةً لخطايانا، تزداد شدَّتُها، ويتعاظم قدرُها حين نُدرك أننا لم نكن مستحقين على الإطلاق لهذه المحبة، فهي تنبع من صفات الله وقصده، في استقلال تام عن فضائل واستحقاقات شعبه. فالله لا يُحبنا **بسبب شيء فينا بل على الرغم مما فينا**، كما كتب الرسول يوحنا: «فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: **لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا الله**، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابنه كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا.»[٣٤]

لم تكن محبة الله رد فعل تجاهنا، بل عكس كل ما نستحقه؛ ذلك لأنه يُحبنا بالرغم من غياب أية فضيلة، وأي استحقاق فينا يؤهِّلنا لربح هذه المحبة، أو يُجبره عليها.[٣٥] يُحبنا الله على الرغم من أننا كنا أعداء له في الفكر والأعمال،[٣٦] وعلى الرغم من أننا أبغضناه بلا سبب![٣٧]

يُعد هذا الجانب من محبة الله أكثر الجوانب التي أسَرت قلب بولس الرسول، بل ينبغي أن يأسر قلوبنا نحن أيضًا. فقد اعتبر بولس نفسَه أول الخطاة، ومجدفًا، ومضطهدًا للكنيسة ومفتريًا.[٣٨] لذلك، كان تفسيره الوحيد لموت المسيح نيابة عنه هو محبة الله عن عدم استحقاق، ولم يكن بولس قادراً على تحرير نفسه من هذه المحبة، بل كانت تحصره، وتلزمه، وتدفعه، وتؤثِّر عليه بكل شكل.[٣٩] كانت طبيعة محبة الله التي دون استحقاق هي الموضوع الرئيس العظيم الذي شغل قلبه، وقد اجتهد بعزم وتصميم ليُعرِّفها لكل البشر. وكان يَعلَم أن محبة الله لا يُمكن إدراكها وتقديرها إلَّا بقدر إدراكنا لمدى عدم استحقاقنا لتلك المحبة. ولهذا كتب لكنيسة روما: «**فَإِنَّهُ بِالْجَهْدِ يَمُوتُ أَحَدٌ لأَجْلِ بَارّ. رُبَّمَا لأَجْلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَيْضًا أَنْ يَمُوتَ. وَلكِنَّ الله بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا؛ لأنه وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا.**»[٤٠]

٣٤- ١ يوحنا ٤: ١٠
٣٥- إشعياء ٦٤: ٦
٣٦- رومية ٨: ٧؛ كولوسي ١: ٢١
٣٧- رومية ١: ٣٠؛ يوحنا ١٥: ٢٥
٣٨- ١ كورنثوس ١٥: ٩؛ ١ تيموثاوس ١: ١٣-١٥
٣٩- ٢ كورنثوس ٥: ١٤-١٥
٤٠- رومية ٥: ٧-٨

بينما نتعلم قياس محبة الآب للابن بأكثر دقة، وقياس أيضًا فداحة خطايانا في حق الله، يُمكننا أن نبدأ في تفسير ما استعصى علينا من غموض محبة الآب من نحونا. فمحبة الله بلا شك ضخمة بما يفوق القياس؛ إذ قدَّم لنا ابنه الوحيد، على رُغم أننا لم نكن نستحق شيئًا سوى غضبه. لو منحنا الآب آلاف العوالم المثالية لكل يوم من الأبدية، فإن قيمة هذه الهبات مجتمعة لا تساوي شيئًا بالمقارنة مع هبة ابنه الفريدة. فكل تلك الهبات لن تعكس، ولو جزءًا صغيرًا من المحبة التي أُظهرت، حين قدَّم ابنه كفارة لخطايانا! وإن اعتقدنا أن في هذا غلوًّا أو مبالغة، سنكون عميانًا عن أمجاد المسيح، وغيرَ مدركين لقيمته. دعونا نستشهد بكلمات جون فلافيل (John Flavel) الذي قال:

> دعوني أخبركم بهذا، إن العالم بكامله لا يتسع بالقدر الكافي ليعرض مجد المسيح فوق مسرحه، أو ليكشف نصف الكنوز البعيدة عن الفحص المذخَّرة فيه. لكننا سنُدرك هذه الأمور، ونتحدث عنها في السماء من خلال الألوهية التي ستُشرق مثل شمس الظهيرة، حيث سيظل الجمعُ الذي استنار استنارةً مباشرة يُحدِّث بتسبيحه، أفضل من لساني المتلعثم هذا، وقلمي الذي يشخبط، ويكاد في محاولته لوصف روعتها أن يُشوِّهها. يا للأسف! إني أكتب تسبيحاته فقط تحت ضوء القمر؛ فلا يُمكنني أن أُسبحه إلَّا جزئيًّا. قال غريغوريوس النازيانزي نقلًا عن باسيليوس: "حقًا، لا لسان سوى لسانه يكفي ليأخذ على عاتقه تلك المهمة." ماذا أقول عن المسيح؟ فإن مجده الرائع والمتميز يُبهر كل فهم، وتتوه فيه كل قدرة على التعبير. وحتى عند الاستعانة بكل الاستعارات الموجودة في كل خليقة تتمتع بأي تميُّز لجمالٍ فيها، وحتى عند تجريد الخليقة بكاملها من كل زينتها، وحتى عندما تبلى ألسنتنا من كثرة منح التسبيح للمسيح، لكي نلبس المسيح كل ذلك المجد، ويا للأسف، نظل وكأننا لم نفعل شيئًا؛ لأنه هو قد أكملَ الكل".[41]

41. Flavel, The Fountain of Life Opened Up, 1:xviii.

الفصل الثاني والعشرون

قيامة يسوع المسيح

«لِمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الأَمْوَاتِ؟ لَيْسَ هُوَ ههُنَا، لكِنَّهُ قَامَ!!»

(لوقا ٢٤: ٥، ٦)

«وَتَعَيَّنَ ابْنَ اللهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقَدَاسَةِ»

(رومية ١: ٤)

«الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا.»

(رومية ٤: ٢٥)

في الفصل الحادى والعشرين أُسدِل الستارُ على ابن الله، ولحظة إعدامه على صليب الرومان. فقد حمل خطايا شعبه، وقاسَى الغضب الإلهي، وأسلم روحه.[١] غير أن هذه لم تكن النهاية؛ إذ نضم أصواتنا إلى المؤمنيين الأوائل من قرون ماضية معلنين بفرح وبثقة: "المسيح قام! بالحقيقة قام!"

إن قيامة يسوع المسيح التاريخية واحدة من الأعمدة العظيمة التي يقوم عليها الإيمان المسيحي. فبدون الإيمان بهذه الحقيقة لا يُعتبر الشخص مؤمنًا. وبدون الإعلان عن هذه الحقيقة والمناداة بها، لا كرازة بالإنجيل. لذلك، لا يمتلك أي واعظ

١- لوقا ٢٣: ٤٦

أو لاهوتي، أو كاتب، أو نبي مزعوم لا يُؤمن بثباتٍ لا يتزعزع بقيامة يسوع المسيح الجسدية والتاريخية، شيئًا يستحق أن يُقال للكنيسة. لا ينبغي أن نتعلم منهم، أو نفهمهم، أو ندعوهم إلى الشَّركة معنا. لأنهم غير مؤمنين.

لعلَّه كان عصراً من العصور الذهبية للمسيحية حين لم يكن توجد حاجة لمثل هذا التحذير الشديد فيما يتعلق بقيامة المسيح، لكن ويا للأسف، تغيَّر الحال. إن القيامة تقف في الخطوط الأمامية في الحرب على الإنجيل، وتستقبل هجمات العدو الضارية والعنيفة. إن إبليس يفهم جيدًا أن المسيحية كلها تقوم أو تسقط على هذه العقيدة الواحدة.[٢] وبالتالي، صار هدفُه الأول هو إنكارها. وإن لم يتحقق له ذلك، يُسر عدوُّنا حين يتعامل مَن يسعون لتوحيد رأي الكنيسة مسكونيًّا مع القيامة كما لو كانت شيئًا غير ضروري، ويود أيضًا أن يرى الذين يؤمنون حقًّا وهم يُهملون القيامة في كرازتهم بالإنجيل.

كانت العقائد المسيحية العظيمة دائمًا معرَّضة للهجوم من كل جهة، والقيامة ليست استثناءً من ذلك. ومع ذلك، ينفرد عصرُنا هذا بأن الهجمات الأكثر خطورةً يَشنُّها مَن يدَّعون بكل معنى الكلمة بأنهم مسيحيون بل وإنجيليون حتى. فتراهم لا يُنكرون القيامة صراحة، وربما حتى هم أنفسُهم يعتنقونها بقوة، غير أنهم لا يُطالبون الآخرين باعتناقها، ولا يعتقدون بأن هذه العقيدة ضرورية للدخول في المسيحية. فقد اختاروا شكلًا زائفًا من أشكال التسامح على حساب الحق، وتعاطفًا كاذبًا منحرفًا مع الإنسانية، على حساب مخافة الله، والإخلاص للكتاب المقدس. ومثل يهوذا، يَقبلون المخلِّص بدعوى إجلاله واحترامه، مع أنهم يَخونونه.[٣]

إن إنكار قيامة المسيح، أو حتى اعتبارها غير ضرورية، يهدم المسيحية الحقيقية. ومع ذلك، قد يمارس البعض من الذين يُؤمنون بالعقيدة، وبالفعل يسعون بإخلاص لنشر الإنجيل، شيئًا أقل شراً، يتمثل في إهمال إعطاء القيامة المكانة التي تستحقها في وعظهم وكرازتهم. وهذه العقيدة العظيمة ليست شيئًا يُمكننا الإشارة إليه إشارة عابرة في نهاية عظة طويلة عن الصليب، لكن يجب أن تُعطى لها أهمية

٢- كورنثوس الأولى ١٥: ١٤

٣- متى ٢٦: ٤٩، ٥٠

مساوية لأهمية الصليب. ويُظهِر المسحُ الدقيق لعظات الرسل في سفر الأعمال أن قيامة يسوع المسيح كانت الموضوع الأول لتقديم رسالة الإنجيل. وهكذا لم تكن القيامة عظة يُخرجها الواعظ من خزانة عظاته يوم أحد القيامة من كل عام؛ بل كانت أنشودة الانتصار المستمرة للكنيسة الأولى!

من المهم أن نضع في الاعتبار أن الجدال الثائر حول المسيحية والإنجيل ليس هو حقيقة موت المسيح تاريخيًّا. لا أحد سوى أشباه المثقفين، المشحونين بهذيان ما بعد الحداثة، والغافلين عن المنهج التاريخي، يُنكر أن رجلًا اسمه يسوع من الناصرة عاش في فلسطين، ومات في أثناء حكم بيلاطس البنطي. إذن الخلاف قائم حول القيامة؛ وبالتالي، تُعد القيامة (بالنسبة للبعض) إشاعة بقدر الصليب نفسه؛ لذا وجب المناداة بها بكثافة ووضوح مساويين. إن أعطينا المزيد من الأهمية للكرازة بالقيامة، سيزداد الإنجيل الذي ننادي به قُربًا من الحق الكتابي، وسنشهد إظهاراً أعظم لقوة الإنجيل.

رواية الكتاب المقدس

قبل التفكير في المعنى الدقيق لقيامة المسيح وأهميتها، من المفيد أن يكون لدينا على الأقل فهم عام للأحداث التاريخية كما يَرويها لنا الكتاب المقدس.

باكراً في صباح اليوم الثالث، توجهت النساء في طريقهم نحو البستان، حيث وُضِع جسد المسيح في القبر. لم تكن رحلةً مبعثُها الرجاء بل الرثاء. لم يَكُنَّ يرغبن إلّا في إكرام جسد محبوبهن يسوع بدفنه بالطريقة اللائقة. واقتصر حديثهن معًا على ما يُعد تفاصيلَ تافهة: "مَن سيُدحرج لنا الحجر؟ إذ كان الحجر ضخمًا جدًّا.[٤] كانت القيامة أبعد ما يكون عن تفكيرهم.

مع ذلك، تحول الرثاءُ إلى خوف، والخوفُ إلى رجاء لا ينطفئ، وتحوَّل الرجاءُ إلى فرح لا يُنطق به ومجيد. فقد وجدوا حجراً مدحرجًا، وبابًا مفتوحًا، وقبراً فارغًا، وإعلانًا ملائكيًّا ينقل لهم الأخبار السارة: «لِمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الأَمْوَاتِ؟ لَيْسَ

٤- مرقس ١٦: ٢-٤

هُوَ ههُنَا، لكنَّهُ قَامَ! اُذْكُرْنَ كَيْفَ كَلَّمَكُنَّ وَهُوَ بَعْدُ فِي الْجَلِيلِ[٧] قَائِلاً: إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُسَلَّمَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي أَيْدِي أُنَاسٍ خُطَاةٍ، وَيُصْلَبَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ.»[٥]

خرجت النساء سريعًا من القبر "بخوف وفرح عظيم،" راكضات ليُخبرن تلاميذه، غير أن شهادتهن بدت هذيانًا وكلامًا غير معقول لأولئك الذين كان ينبغي أن يُصدقوهن.[٦] حينئذ، ومع أنه لم يكن لدى بطرس ويوحنا أيُّ رجاء، فقد أسرعا إلى القبر الفارغ. وبعد تحقيق سريع ومحيِّر، رجعا إلى الآخرين دون جواب أكيد: "لأنهم لم يكونوا بعدُ يعرفوا الكتاب: أنه ينبغي أن يقوم من الأموات."[٧]

عند عودتهن سريعًا، تركوا خلفهن مريم المجدلية باكية، تلك التي كانت أول من رأى الرب المُقام. وقد أمرها الرب بأن ترجع لتلاميذه غير المصدقين بإثبات جديد لقيامته.[٨] تبع هذا ظهور ثان للمرأتين (المريمتين) وهما عائدتان من القبر، ثم ظهور ثالث لكليوباس ومعه تلميذ آخر في الطريق إلى عمواس.[٩] وأخيراً ظهر يسوع لبطرس، ثم للأحد عشر.[١٠] حتى إنه ظهر لأخيه غير الشقيق المدعو يعقوب الذي لم يكن مصدِّقًا في لقاء غيَّر يعقوب تغييراً جذريًا، لدرجة أنه صار ضمن جماعة الرسل، وكذلك عمودًا في كنيسة أورشليم.[١١] وأخيراً ظهر "للذي وُلِد في غير موعده،" شاول الطرسوسي في الطريق إلى دمشق.[١٢] ولا حاجة للكتابة عن ذلك اللقاء ولا عن أثره. ذلك الرجل الذي كرَّس نفسَه للقضاء على المسيحية صار أكثر المنادين بها، والمدافعين عنها غِيرةً وحماسًا."[١٣] باختصار، عندنا كلمة الله الأكيدة التي تُعلن أن ربنا يسوع المسيح قد ظهر لعدد كبير من الشهود، والأفراد، وقد "ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لأَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَخٍ."[١٤]

٥- لوقا ٢٤: ٥ – ٨
٦- لوقا ٢٤: ١١
٧- يوحنا ٢٠: ٩
٨- يوحنا ٢٠: ١١ – ١٨
٩- متى ٢٨: ٩، ١٠
١٠- لوقا ٢٤: ٣٤ – ٤٣
١١- كورنثوس الأولى ١٥: ٧؛ أعمال ١: ١٤؛ ١٥: ١٣
١٢- كورنثوس الأولى ١٥: ٨؛ أعمال ٩: ٣ – ١٩
١٣- أعمال ٩: ١، ٢؛ كورنثوس الأولى ١٥: ١٠
١٤- كورنثوس الأولى ١٥: ٦

تفرُّد قيامة المسيح

كثيراً ما يَستخدم الناس مصطلحات وكلمات لا يستطيعون تعريفها، ولا يفهمون معناها فهمًا كاملًا. وهذا أمر شديد الخطورة، خاصة المؤمنين المدعوين ليعيشوا بحسب مشيئة الله التي أُعلنت لهم بالكلمات. وينطبق هذا خصوصًا على عمل المسيح والقيامة. ماذا تَعني القيامة في الحقيقة؟

تُشتَق كلمة "القيامة" من الفعل اللاتيني (resurgere) الذي ينقسم إلى مقطعين هما (re) ويَعني مرة أخرى، والمقطع الثاني هو (surgere) ويَعني يقوم. وتُترجم الكلمة في العهد الجديد من الاسم اليوناني (anastasis) الذي ينقسم إلى مقطعين هما (ana) ويَعني أعلى أو مرة أخرى، والمقطع الثاني هو (stasis) ويَعني يقف أو ينهض. وبالتالي يُعد المعنى الحرفي للكلمة هو الوقوف أو النهوض مرة أخرى. وفي الأدب الحديث والقديم على حدٍّ سواء، تصف الكلمة إنسانًا ميتًا يعود إلى الحياة من جديد. ومع ذلك عِند تطبيق المصطلح على المسيح، نجد أنه يأخذ معنى يتفرد به المسيح وحده.

من الضروري للغاية إدراك أن قيامة المسيح لم تكن مجرد بعث للحياة من جديد. في العهد القديم، أُقيم ابن أرملة صرفة وابن المرأة الشونمية من بين الأموات، وعادا إلى الحياة بقوة الله العاملة في النبيين: إيليا، وأليشع.[١٥] يُعلِمنا العهد الجديد أن لعازر قد أُقيم من بين الأموات، وكذلك ابنة يايرس، وصبي صغير، وطابيثا، وأفتيخوس.[١٦] ومع أنهم قد أقيموا حقًّا من بين الأموات، كانوا لا يزالون عُرضةً للموت. وكما قال بولس للكنيسة في كورنثوس، كانت أجسادهم لا تزال فانية وقابلة للفساد.[١٧] وسيموتون مرة أخرى، وسيتعرضوا للفساد والتحلُّل الذي يحدث للجميع داخل القبر.

١٥- ملوك الأول ١٧: ١٧ - ٢٤؛ ملوك الثاني ٤: ١٨ - ٣٧

١٦- يوحنا ١١: ٢٣ - ٢٥، ٤٣؛ مرقس ٥: ٤١، ٤٢؛ لوقا ٧: ١٤، ١٥؛ أعمال ٩: ٣٦-٤٣؛ ٢٠: ٧ - ١٢

١٧- كورنثوس الأولى ١٥: ٥٣

أمَّا قيامة المسيح فكانت فريدة من حيث إنه قام من بين الأموات، ولم يُعد للموت ثانية. كما أعلن ليوحنا وهو في جزيرة بطمس: «الْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتاً وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ.»[١٨] وفي رسالته إلى الكنيسة التي في روما، عرض بولس هذه الحقيقة بوضوح شديد: «عَالمِينَ أَنَّ الْمَسِيحَ بَعْدَمَا أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ لاَ يَمُوتُ أَيْضًا. لاَ يَسُودُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَعْدُ. لأَنَّ الْمَوْتَ الَّذِي مَاتَهُ قَدْ مَاتَهُ لِلْخَطِيَّةِ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَالْحَيَاةُ الَّتِي يَحْيَاهَا فَيَحْيَاهَا لِلهِ..»[١٩]

تُعد الحقيقة القوية الأخرى التي تُثبت تفرُّد قيامة المسيح أنه أُقيم بسلطانه وقوته. ومع أن الكتاب المقدس يُعلِّم بأن القيامة كانت أيضًا عملًا متساوٍ من الآب والروح القدس، فإنها تُنسب أيضًا للمسيح نفسه.[٢٠] وعندما طُلبت منه آية ليُثْبِتَ بها سلطانه لتطهير الهيكل، أجاب يسوع: «انْقُضُوا هذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ.»[٢١] وقال للفريسيين: «لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا.»[٢٢]

كانت قيامة يسوع المسيح فريدة من نوعها. لم تكن مجرد بعث للحياة من جديد لا يؤدي إلى شيء سوى إطالة الحياة حتى حدوث المواجهة التالية مع الموت؛ بل كانت انتصاراً على الموت، والجحيم، والقبر. إن المسيح حي الآن، ولن يموت فيما بعد!

القيامة كتبرير للمسيح

استعرضنا الرواية التاريخية لقيامة المسيح، وبحثنا في تفرُّدها. أمَّا الآن سنركز انتباهنا على أهميتها. ومع أن الموضوع واسع النطاق وبعيد الأثر، ويستحق كتبًا عديدة، لن نركز سوى على اثنين من نتائجه وتأثيراته المهمة: القيامة باعتبارها: تبريراً للمسيح، وتثبيتًا لإيماننا.

١٨- رؤيا ١: ١٨
١٩- رومية ٦: ٩، ١٠
٢٠- رومية ٦: ٤؛ غلاطيه ١: ١؛ رومية ١: ٤؛ ٨: ١١
٢١- يوحنا ٢: ١٩
٢٢- يوحنا ١٠ : ١٨

في فصولٍ سابقة، عرفنا أن موت المسيح برَّر اللهَ من الاتهام الموجَّه له بعدم تطبيق العدالة لإمهاله السابق وتبريره للأشرار في الماضي.[٢٣] فيما يلي سنكتشف أن الله قد برَّر يسوع أيضًا باقامته من بين الأموات. ومن خلال القيامة أُعلن الله أمام الجميع، وبقوة، أن يسوع هو ابنُ الله، وأنه المسيا الذي وعد الله به إسرائيل. كان القبرُ فارغًا، وسيظل إلى هذا اليوم علامة للعالم على بنوة يسوع الإلهية. كتب الرسول بولس للكنيسة في رومية أن يسوع قد «تَعَيَّنَ ابْنَ اللهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقَدَاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ: يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا.»[٢٤] وتُشتق كلمة "تعيَّن" من الكلمة اليونانية (horizo)، التي تعني تحدَّدَ، أو تأسس، أو تعيَّن، أو تخصص، أو أشير إليه. لا تفترض الكلمة معنى أن المسيح صار أو أنه تعيَّن ابن الله للمرة الأولى عِند القيامة، بل إنه قد نودي به علانيةً بصفته ابنَ الله بواسطة هذا الحدث المعجزي.

أكَّد الآب بنوة يسوع الإلهية طول مشوار خدمته بواسطة المعجزات التي عملها باسم أبيه، وبصوت مسموع من السماء عِند معموديته، وأيضًا بتجليه في حضور بطرس، ويعقوب، ويوحنا.[٢٥] غير أن ولا واحدةً من تلك المعجزات يُمكن أن تضاهي الإعلان العظيم النهائي عن البنوة الذي حدث عندما أقام الآب ابنه الحبيب من بين الأموات. وأعلن هذا القبر الفارغ أن يسوع هو ابن الله "بقوة وبطريقة لافتة للنظر حين قام ظافراً."[٢٦] وفيما يتعلق باستخدام كلمة (horizo) ومعناها، كتب جون ماك آرثر (John MacArthur): "تعني الكلمة اليونانية المشتقة منها الكلمة الإنجليزية (horizon) "يُميز بين". وكما أن الأفق يصلح أن يكون خطًا للفصل أو التمييز بوضوح بين الأرض والسماء، هكذا ميَّزت القيامة بوضوح يسوع المسيح عن باقي البشر، وقدَّمت دليلًا دامغًا على أنه ابن الله."[٢٧]

٢٣- رومية ٣: ٢٥، ٢٦

٢٤- رومية ١: ٤

٢٥- يوحنا ١٠: ٣٧، ٣٨؛ متى ٣: ١٧؛ ١٧: ٥

26. Marvin Richardson Vincent, Word Studies in the New Testament (Peabody, Mass.: Hendrickson), 3:4.

27. 1691 The MacArthur Study Bible: New King James Version (Nashville: Word Bibles, 1997),

إن رؤية قيامة المسيح باعتبارها البرهان أو العلامة الكبيرة على بنوة المسيح لله، ليست موضوعًا غريبًا على الإنجيل. عندما طلب اليهود غير المؤمنين من يسوع آية أو دليلًا على سلطانه لتطهير الهيكل، أشار يسوع إلى قيامته العتيدة: «انْقُضُوا هذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ.»[٢٨] وعندما طلب منه الكتبة والفريسيون أن يُقدِّم برهانًا إضافيًّا على أنه المسيا، أشار مجددًا إلى سلطانه على الموت: «لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ.»[٢٩]

تُعد قيامة يسوع برهانًا ساطعًا ودليلًا لا يُمكن دحضه على حقيقة ماهيته، وما حققه بالنيابة عن شعبه. وتُبَرِّر القيامة يسوعَ حتى أمام أعدائه. فقد نَبَذَ الكتبة يسوع واعتبروه رجلًا عاميًّا لم يتعلم، ورفضه قادة اليهود، وازدروا به، وقالوا إنه رجل من الجليل ليس كفوًا لمنصب النبي، واستهزأ به الفريسيون، ونعتوه برفيق بعلزبول، وصديق الخطاة.[٣٠] ومع ذلك، لم تُسفِر كلُّ إهاناتهم عن أية نتيجة، وتهاوت حُجتهم إذ إن ذاك الذي صلبوه قد «تَعَيَّنَ ابْنَ اللهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقَدَاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ.»[٣١] وسَخِرَ الجنود من يسوع في طريقه للجلجثة قائلين: «السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!»[٣٢] غير أنهم أصابهم الذعر وصاروا كالموتى حين جاء الملاك ودحرج الحجر عن باب القبر.[٣٣] كما قام رئيس الكهنة، والكتبة، والشيوخ وكالوا له السباب قائلين: «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا.!»[٣٤] ولكنهم وقفوا في مهابة حين خلَّص ثلاثة آلاف نفس في يوم الخمسين.[٣٥] ولدغوه بألسنتهم الحادة في أحلك لحظات حياته، حين قالوا عليه: «إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيبِ

٢٨- يوحنا ٢: ١٩
٢٩- متى ١٢: ٤٠
٣٠- يوحنا ٧: ١٥، ٥٢؛ مرقس ٣: ٢٢؛ متى ١١: ١٩؛ لوقا ٧: ٣٤
٣١- رومية ١: ٤
٣٢- متى ٢٧: ٢٩
٣٣- متى ٢٨: ٤
٣٤- متى ٢٧: ٤٢
٣٥- أعمال ٢: ٤١

فَنُؤْمِنَ بِهِ!»[٣٦] لكنهم ارتعدوا حين أعلن لهم صياد السمك الذي أعطته قيامة سيده القوة: «فَلْيَعْلَمْ يَقِينًا جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هذَا، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ، رَبًّا وَمَسِيحًا.»[٣٧]

القيامة تثبت إيماننا

لم يكن القبر الفارغ فقط تبريراً ليسوع المسيح أمام العالم، بل كان أيضًا إثباتًا للإيمان المسيحي. تُبرهن حقيقة أن الله أقامه من بين الأموات على أن الله قد قبل ذبيحته الكفارية لخطايا شعبه. وصف الرسول بولس هذا لكنيسة رومية: «الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا.»[٣٨] يكمن مفتاح فهم هذا النص في تكرار حرف الجر في اللغة اليونانية (dia)، الذي يُترجَم بدقة بمعنى "بسبب". أسلم المسيح للموت **بسبب** حمله لآثامنا، وقد أقامه الله من بين الأموات **بسبب** قبوله لموته باعتباره ذبيحة كفارة لخطايانا. لذلك، تُثبت أو تُؤكِّد قيامة يسوع أن خطايا شعبه قد كُفِّر عنها، وأن تبريرَهم قد صار مضمونًا. كتب توماس شراينر (Thomas Schreiner): "يُثبت قول إن يسوع قد أُقيم لأجل تبريرنا، ويُوكِّد، أن تبريرنا قد صار مضمونًا. تُشكِّل قيامة المسيح البرهان على أن عمله النيابي عَنَّا قد اكتمل."[٣٩]

من المهم ملاحظة أن المسيح لم يقم من الأموات حتى نتبرر نحن، أو لأن الكفارة لم تتم على الصليب. وفقًا لكلمات يسوع نفسه، فإن عمله الفدائي نيابة عن شعبه "قد أُكمل" في لحظة موته.[٤٠] كما أننا لم نتبرر في اللحظة التي قام فيها المسيح. يقول الكتاب المقدس بوضوح إن التبرير يُمنح للشخص في اللحظة التي يُؤمن فيها؛ فقد تبررنا بالإيمان الشخصي بالمسيح وعمله.[٤١] يُعلِّم هذا النَّصُّ الكتابي أن المسيح قد أقيم من بين الأموات لأنه بالحقيقة المسيا، وأن الله قبل موته على أنه

٣٦- متى ٢٧: ٤٢
٣٧- أعمال ٢: ٣٦
٣٨- رومية ٤: ٢٥
39. Thomas R. Schreiner, Romans: Baker Exegetical Commentary on the New Testament (Grand Rapids: Baker Books, 1998), 244.
٤٠- يوحنا ١٩: ٣٠
٤١- رومية ٥: ١

جزاء خطايا شعبه. وفي القيامة نُلنا العهدَ الإلهي بأننا قد تبررنا أمام الله بالإيمان بذبيحة المسيح.

الله أقام يسوع الناصري من بين الأموات؛ لأنه كان بالضبط ما ادَّعاه عن نفسِه، وقد تحقق موتُه بالضبط كما ادَّعى. بَرَّر المسيحُ عندما مات على الجلجثة الآبَ، وأثبت أن الله الذي يُبرِّر الفاجر هو الإله الذي فوق مستوى الشَّك. كما أن الآب أيضًا برَّر الابنَ حين أقامه من بين الأموات وبرهن أن ابنَ الله مخلص العالم فوق كل شك.

قبل صلب المسيح تمنَّى التلاميذُ لو «أَنَّهُ هُوَ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ.»[٤٢] ورغم ذلك تحطمت كل أمانيهم إذ بدا أن الموت كانت له الكلمة الأخيرة. كيف يُمكن أن يكون يسوع الناصري تتميمًا لوعود الله وجسدُه يرقد في قبر مُقتَرَض؟ ولكن من جهة أخرى، كيف يكون إسحاق هو النسل الذي وعد به الله ليكون ذرية إبراهيم لو كان مات على المذبح بيد أبيه؟[٤٣] هل كان يجرؤ إبراهيم على الإيمان بأن الله قد يُقيمه من الموت؟[٤٤] وكيف كانت ستُصبح كل أحلام يوسف حقيقة لو كان قد كُتب له أن يموت داخل سجن في مصر؟[٤٥] أكان الله سيُقيمه في يوم، ويضعه حاكمًا على كل أرض مصر؟[٤٦] يُجيب الكتاب المقدس عن أسئلتنا بسؤال: «هَلْ يَعْسُرُ عَلَيَّ أَمْرٌ مَا؟»[٤٧]

فُكَّت قيود إسحاق ورُدَّ إلى أبيه. وأُطلق سراح يوسف من السجن، وارتفع شأنُه ليكون الذراع الأيمن لفرعون. وأقيم المسيح من بين الأموات وارتفع ليكون عن يمين العظمة، عن يمين الله. وقد أقيم لأنه ابن الله؛ ولأن أباه قد قبل موته ذبيحةً كفارية لخطايانا.

٤٢- لوقا ٢٤: ٢١
٤٣- تكوين ٢١: ١٢
٤٤- عبرانيين ١١: ١٩
٤٥- تكوين ٣٧: ٥ - ١٠
٤٦- تكوين ٤١ : ٤١
٤٧- إرميا ٣٢: ٢٧

الفصل الثالث والعشرون

أساس الإيمان في القيامة

«لِمَاذَا يُعَدُّ عِنْدَكُمْ أَمْرًا لاَ يُصَدَّقُ إِنْ أَقَامَ اللهُ أَمْوَاتًا؟»
(أعمال ٢٦: ٨)

إن أعداء المسيحية على حق في تركيز هجومهم على حقيقة قيامة المسيح تاريخيًّا؛ لأن إيماننا كله يعتمد عليها. لو كان المسيح لم يقم من بين الأموات لكان إيمانُنا حينئذ بلا قيمة تمامًا.[١] ولكان المؤمنون الأحياء لا يزالون في خطاياهم، والذين رقدوا هلكوا إلى الأبد.[٢] علاوةً على ذلك، سيكون مَن يكرزون بالقيامة شهودَ زور لله؛ لأننا **شَهِدْنَا مِنْ جِهَةِ اللهِ أَنَّهُ أَقَامَ الْمَسِيحَ وَهُوَ لَمْ يُقِمْهُ.**[٣] وأخيراً، إن لم يكن المسيح قد قام، فإن حياتنا تصير هباء ومثيرة للشفقة؛ لأننا نُقاسي الضيقات دون سبب، ويُبغضنا الناسُ لأجل نبيٍّ كذاب لا قوةَ له على أن يُخلِّص. كما كتب الرسول بولس: «**إِنْ كَانَ لَنَا فِي هذِهِ الْحَيَاةِ فَقَطْ رَجَاءٌ فِي الْمَسِيحِ، فَإِنَّنَا أَشْقَى جَمِيعِ النَّاسِ.**»[٤]

نحن أنفسُنا نُقِر بأن القيامة هي كل شيء للإيمان المسيحي، فإن لم يكن المسيح قد قام، فإن إيمانُنا باطل. ولذلك، نفعل حسنًا إن سألنا أنفسَنا سؤالًا في

١- ١ كورنثوس ١٥: ١٤، ١٧
٢- ١ كورنثوس ١٥: ١٧-١٨
٣- ١ كورنثوس ١٥: ١٥
٤- ١ كورنثوس ١٥: ١٩

غاية الأهمية: "كيف لنا أن نَعلم أنه قام؟ ولماذا نؤمن بذلك؟" في الصفحات التالية سنتناول وسيلتين ضروريتين ولكن مختلفتان، تُؤكِّدان وتُعرِّفان حقيقة القيامة. أولًا، يُعلن الروح القدس هذه الحقيقة من خلال عمل الاستنارة والتجديد. وثانيًا، تُؤكِّد البراهين التاريخية والقانونية المحيطة بحدث القيامة حقيقة هذا الحدث. يُعد الجانب الأول أساسيًّا ومطلقًا، أمَّا الجانب الثاني فيمدنا بتأكيد قوي للإيمان المسيحي، كما أنه بمثابة أداة فعَّالة في الحوار مع العالَم غير المؤمن.

عمل الروح القدس

تسعى الكنيسة الإنجيلية كثيراً إلى إثبات صحة إيمانها بالقيامة عن طريق الإشارة إلى القبر الفارغ، وعَجْزَ أعداءُ المسيح عن تقديم جسم الميت، والتحوُّل الذي حدث للتلاميذ، وأيضًا إلى العديد من البراهين التاريخية والقانونية الأخرى. لكن، مع أن هذه الأدلة تُثبت بالفعل أن الإيمان المسيحي ليس مخالفًا للمنطق أو مناقضًا للتاريخ، فإنها لا تُعد أساسًا أو قاعدة لإيمان الشخص المسيحي، ويتضح ذلك من خلال الحقائق التالية:

أولًا، لم يستخدم التلاميذ هذا الأسلوب الدفاعي في كرازتهم.[٥] لم يبذلوا أقصى ما في وسعهم لإثبات القيامة بل لإعلانها والمناداة بها.[٦] ولم تستند ثقتهم إلى قوة حُجتهم، بل إلى قوة الإنجيل للخلاص! ويتضح جليًّا من رسالة بولس الرسول إلى أهل كورنثوس:

> **«وَأَنَا لَمَّا أَتَيْتُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَتَيْتُ لَيْسَ بِسُمُوِّ الْكَلاَمِ أَوِ الْحِكْمَةِ مُنَادِيًا لَكُمْ بِشَهَادَةِ اللهِ، لأَنِّي لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا بَيْنَكُمْ إِلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا. وَأَنَا كُنْتُ عِنْدَكُمْ فِي ضَعْفٍ، وَخَوْفٍ، وَرِعْدَةٍ كَثِيرَةٍ. وَكَلاَمِي وَكِرَازَتِي لَمْ يَكُونَا بِكَلاَمِ**

٥- الدفاعيات: هي ذلك الفرع من فروع الإيمان المسيحي الذي يستخدم الحُجج المنطقية والعقلانية للدفاع عن الإيمان، وإظهار الأخطاء في حُجة المعارضين له.

٦- أعمال ٤: ٢، ٣٣؛ ١٧: ١٨؛ ٢٤: ٢١.

الْحِكْمَةِ الإِنْسَانِيَّةِ الْمُقْنِعِ، بَلْ بِبُرْهَانِ الرُّوحِ وَالْقُوَّةِ، لِكَيْ لاَ يَكُونَ إِيمَانُكُمْ بِحِكْمَةِ النَّاسِ بَلْ بِقُوَّةِ اللهِ.»[٧]

ثانيًا، تلك الأغلبية الساحقة ممَن آمنوا بالمسيحية عبر تاريخ الكنيسة، بمَن فيهم أعظم المفكرين، لم تأتِ إلى الإيمان من خلال دراستهم للبراهين التاريخية والقانونية للقيامة، بل بالإصغاء لإعلان الإنجيل والخضوع له. ثالثًا، لو كان إيمانُنا بالقيامة مؤسَّسًا على البراهين التاريخية والقانونية للحدث، فكيف لنا أن نُفسر إيمان هذا العدد الهائل من المؤمنين، الذين عاشوا وماتوا لأجل إيمانهم دون أن يكون لديهم أدنى معرفة بتلك البراهين؟ كيف لنا أن نُفسره للمؤمن القَبَلي، الذي بالكاد يستطيع القراءة، ويَعجز عن تقديم حُجة تاريخية واحدة عن القيامة؟ أسيحتمل أشد الاضطهادات قسوةً، حتى الاستشهاد، بدلًا من انكار الإيمان الذي هو عاجز عن الدفاع عنه منطقيًّا؟! وفي ضوء هذه الحقائق، يجب استنتاج أن البراهين التاريخية والقانونية للقيامة، ورغم أنها مفيدة بطرقٍ كثيرة، فإنها ليست أساس إيماننا بالقيامة.

ما هو إذًا أساس إيمان المؤمن بالقيامة؟ كيف يَعلم أن المسيح قد قام من بين الأموات؟ الإجابة واضحة من كلمة الله. نحن نَدين بمعرفتنا وإيماننا الراسخ بالقيامة لعمل الروح القدس في الاستنارة والتجديد. وفي لحظة الولادة الجديدة، يَنقل لنا اللهُ بطريقة فوق طبيعية قناعة تتعلق بحقيقة قيامة يسوع المسيح وصحة الإيمان المسيحي.[٨] نَعلم أن المسيح قام من بين الأموات؛ لأن الروح القدس قد أنار أذهاننا لفهم حق كلمة الله التي تشهد للمسيح.[٩] وبالتالي نؤمن أيضًا لأن الروح القدس يُجدد قلوبنا، ويَنقل لنا إيمانًا جديدًا ومشاعرَ جديدة تجاه المسيح الذي أُعلِن لنا. يصف الرسول بولس هذا العملَ المعجزي الذي يعمله الروح القدس كما يلي: «**لأَنَّ اللهَ الَّذِي قَالَ: «أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ»، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.»**[١٠]

٧- ١ كورنثوس ٢: ١-٥. انظر أيضًا رومية ١: ١٦ و ١ كورنثوس ١: ١٨-٢٤.
٨- يوحنا ٣: ٢
٩- يوحنا ٥: ٣٩؛ ١ يوحنا ٥: ٦-١٠.
١٠- ٢ كورنثوس ٤: ٦

إن من وُلِدوا ثانية لم يُعد بإمكانهم إنكار قيامة يسوع المسيح، تمامًا كما أنه لا يُمكنهم إنكار وجودهم. فقد صارت القيامة بالنسبة لهم حقيقةً لا تقبل الجدل، وذلك من خلال حكم الله السيادي وشهادة الروح القدس.[١١] فلنتعلم المبدأ التالي كما تَعلَّمه سريعًا مضطهدو الإيمان المسيحي: "أمَّا مَن أصيبوا بمرض ديانة يسوع، فلا شفاء لهم."[١٢]

إن الحقائق التي تعلمناها تُحذرنا وأيضًا ترشدنا. ومع أن الدفاعيات لها قيمتُها، فإن ملكوت السماوات ينتشر من خلال الكرازة ببشارة الإنجيل. يُقبل البشرُ للإيمان، لا بفضل فصاحتنا أو حُججنا المنطقية، بل بكرازتنا الأمينة بحياة المسيح وموته وقيامته. يجب ألَّا ننسى أبدًا أن مهمتنا باطلة، وعملنا إهدارٌ للوقت والجهد ما لم يعمل الروح القدس لإنارة أذهان السامعين وتجديد قلوبهم. ولهذا، يجب رفض الاستناد على عصا الحكمة البشرية المكسورة، والتمسُّك بالحق الذي يُصرِّح بأن الإنجيل وحده هو قوة الله للخلاص لكل من يؤمن.[١٣]

البراهين التاريخية أو القانونية

لا يستند إيمان الفرد بالمسيح على قدرته على سرد البراهين التاريخية أو القانونية لقيامة المسيح، كما أن هذا الإيمان لا يَثبت أو يَسقط وفقًا لقدرة المؤمن على الدفاع عنه باستخدامه للدفاعيات أو المنطق الطبيعي.[١٤] ومع ذلك، من المهم أن نُدرك ونُنادي بأن الإيمان المسيحي ليس مناقضًا للتاريخ أو للاستخدام الأصلي للمنطق. لا ترى المسيحية الحقة أية فضيلة في محاولة تحويل خرافة ما إلى قصة نافعة بغرض الترويج لبعض القيم الأخلاقية في العالم. بل إن الإيمان المسيحي وقيامة

١١- متى ١١: ٢٥ «فِي ذلِكَ الْوَقْتِ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ.»

١٢- قيل إن هذه كانت شهادة أحد جنود الاتحاد السوفيتي الذين سعوا لجعل المسيحيين يُنكرون إيمانهم بالمسيح الحي.

١٣- إشعياء ٣٦: ٦؛ رومية ١: ١٦.

١٤- أدين بهذا المنظور للقس تشارلز لايتر.

يسوع المسيح مؤسسان على أحداث حقيقية وقعت في التاريخ، يُمكن إثباتُها ببراهين وفيرة من خلال الأنواع ذاتها من الأدلة التي يستخدمها المؤرخ غير المسيحي.

أولئك الذين يرفضون ادعاءات المسيحية باعتبارها غير حقيقية تاريخيًا، أو باعتبارها خرافة، يفعلون هذا بسبب افتراضات مسبَّقة متحيزة لا تسمح للبراهين بالتحدث عن نفسها.[١٥] إن منطقهم هش؛ لأنهم قرروا بالفعل أن القيامة أمر مستحيل؛ لذلك فإن كل برهان في صالحها لا بد أن ينطوي على مغالطة، وكل ادعاء لا بد أن يكون استنتاجًا من شخص أحمق، أو ابتكارًا من شخص دجَّال.

تُعد عداوة الخطاة للإنجيل سببًا آخر يجعلنا نؤكد أنه: بمعزل عن نعمة الله وتجديد الروح القدس، لا أحد سيقبل ادعاءات المسيح. سيتجاهل الإنسان الادعاءات التي يُمكنه تجاهلها، ويُشوِّه تلك التي لا يستطيع تجاهلها، ويُقاوم تلك التي لا يستطيع تشويهها. بمعنى آخر، سيصرف قدرًا من الطاقة في إنكار الحق أكبر من القدر الذي قد يصرفه في الخضوع ببساطة له. وعلى رُغم أن استكشافنا لجميع الأدلة التي تُثبت قيامة المسيح سيكون فوق نطاق هدفنا الحالي، فإننا في الصفحات التالية سنتناول بعض هذه الأدلة التي ستكون نافعة لكلٍّ من إيمان المؤمن، وتساؤلات الساعي لمعرفة الحق.

القيامة حدث تنبأ الأنبياء به

لم يكن موت يسوع المسيح وقيامته أحداثًا مفاجئة باغتتنا على حين غِرة، بل تنبأ الكتاب بكل حدث كتتميم ضروري لمشيئة الله. ويتضح هذا جليًا من حديث يسوع لتلميذيه المشككَين بعد قيامته قائلًا لهم: «**أَيُّهَا الْغَبِيَّانِ وَالْبَطِيئَا الْقُلُوبِ فِي**

١٥- كتب روبرت ريموند Robert Reymond أن مَن يرفضون ادعاءات المسيحية معتبرين إياها غير حقيقية تاريخيًا أو أسطورية يفعلون هذا بناءً على "أساسٍ نقدي وفلسفي قابل للشك بشدة، هم ببساطة مرتاحون إليه نفسيًا ودينيًا."
A New Systematic Theology of the Christian Faith, 581

الإيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ! أَمَّا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟»[١٦]

قبل مجيء المسيح بمئات السنين، أعلنت نبوات مهمة في العهد القديم بوضوح عن قيامة المسيح. وتنبأ داود بأن الله لن يترك جسد مسيحه للقبر، ولن يدعه يرى فسادًا.[١٧] ونظر النبي إشعياء إلى المستقبل، ورأى أن الله سيكافئ المسيح مكافأةً عظيمة بعد أن قاسى من حَمْل خطايا شعبه حتى الموت.[١٨] وتنبأ المسيح نفسُه بموته وقيامته قبل صلبه بوقت طويل. وحين سأله اليهود غير المؤمنين أن يُريهم آيةً كعلامة على سلطانه في تطهير الهيكل، قال: «**انْقُضُوا هذَا الْهَيْكَلَ، وَفِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ.**»[١٩] وحين طلب منه الكتبة والفريسيون برهانًا آخر يُثبت أنه هو المسيا، نطق بتوبيخ لهم مصحوبًا بوعد يخص قيامته المستقبلية: «**جِيلٌ شِرِّيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ أَلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ، هكَذَا يَكُونُ ابن الإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَالٍ.**»[٢٠]

تُبرهن هذه النبوات على أن تلاميذ المسيح لم يخترعوا القيامة كمحاولة يائسة لإنقاذ الحلم المَسياني حتى يبقى على قيد الحياة، فقد أعلن المسيح هذا الحق بوضوح شديد مراراً وتكراراً؛ حتى إن أعداءَه أنفسَهم فهموا من نبواته أنه سيقوم ثانيةً.[٢١] «**وَفِي الْغَدِ الَّذِي بَعْدَ الاسْتِعْدَادِ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ إِلَى بِيلاَطُسَ قَائِلِينَ: يَا سَيِّدُ، قَدْ تَذَكَّرْنَا أَنَّ ذلِكَ الْمُضِلَّ قَالَ وَهُوَ حَيٌّ: إِنِّي بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَقُومُ.**»[٢٢]

١٦- لوقا ٢٤: ٢٥-٢٦
١٧- مزمور ١٦: ٨-١١
١٨- إشعياء ٥٣: ١٢
١٩- يوحنا ٢: ١٩
٢٠- متى ١٢: ٣٩-٤٠
٢١- متى ١٦: ٢١
٢٢- متى ٢٧: ٦٢-٦٣

القبر الفارغ

مع كل الاهتمام الذي انصب على جسد يسوع بعد موته، ليس من تلاميذه فحسب، بل أيضًا من أعدائه، يُمثل القبرُ الفارغ والجسد المفقود برهانًا قويًّا على القيامة. فمنذ اليوم الأول، كان كل ما يلزم لهدم المسيحية هو إظهار جسد الإنسان يسوع. وقد عرف كلٌّ من قادة اليهود الذين طالبوا بموته، والسلطات الرومانية التي صلبته، موضع القبر بالتحديد، وأتيحت لهم فرصة كبيرة لنبش القبر وإخراج الجسد. وبحركة واحدة جريئة كان بإمكانهم أن يُثبتوا للعالم أن رسالة القيامة خُدعة، وأن الرسل كانوا أشخاصًا منحرفين ابتدعوا هذه الخرافة، ولكانت المسيحية قد قُضي عليها في المهد. ولكن لمَاذا لم يظهر الجسد قط؟

ابتدع المشككون ثلاث نظريات ردًّا على هذا السؤال. وكل هذه النظريات متساوية في كونها سخيفة ومنافية للعقل. تقول النظرية الأولى إن يسوع لم يَمُت فوق الصليب الروماني، بل فقد الوعي فحسب، وأعلنت السلطات موته عن طريق الخطأ.[٢٣] ثم لاحقًا، حين وُضع في القبر الرَّطب والبارد، استعاد وعيه وهرب. ونجد في طبيعة الصلب نفسِها الحُجج المناقضة لهذه النظرية، فقد اخترقت حربة رومانية قلب يسوع، وأعلن الخبراء موته بعد فحصٍ متأنٍ ودقيق.[٢٤] وحتى في حالة نجاته من هذا التعذيب، من الصعب أن يكون في حالة تسمح له بدحرجة الحجر الضخم الذي كان يسد مدخل القبر. بالإضافة إلى ذلك، يبدو مستبعَدًا بشدة أن يكون مثل هذا الشخص قادراً على الهرب إلى منطقة مجهولة في فلسطين؛ ليقضي بقية حياته مجهول الهوية.

تتعلق النظرية الثانية بقيام التلاميذ بسرقة الجسد الميت ودفنه مرة أخرى في موضع مجهول. وتأتي الحُجج المناقضة لمثل هذه النظرية من مصدرين. يتمثل المصدر الأول فما أذيع عن قسوة الحرس الروماني، الذي كانت صفاته وكفاءته

٢٣- غالبًا ما يُشار إلى هذه النظرية باسم "نظرية الإغماء" لأسباب واضحة.
٢٤- يوحنا ١٩: ٣١-٣٤.

أسطورية. والمصدر الثاني هو ما يرويه العهد الجديد عن خوف التلاميذ أثناء موت المسيح وبعده. وأيضًا يُخبرنا الكتاب المقدس أن رئيس الكهنة والفريسيين طلبوا من بيلاطس بعد موت المسيح مباشرة تأمين القبر باِستخدام حراس رومانيين مدرَّبين؛ وذلك لمنع التلاميذ من سرقة جسد المسيح، وإشاعة خرافة قيامته.[٢٥] لكننا نستبعد بشدة أن يستطيع بضعة تلاميذ مرتعبين التغلُّب على فرقة كاملة من الحرس الروماني، وسرقة جسد يسوع. فقد أثبت التلاميذ من قبل اِفتقارهم للشجاعة بتخليهم عن المسيح أثناء الصلب، حتى إن سمعان بطرس، الذي كان قائدًا بينهم، لم يقدر أن يَثبت أمام جارية حين تعرفت عليه بوصفه أحد أتباع المسيح.[٢٦] كما أنه من المستبعد أيضًا أن يغلب النُّعاس فرقة كاملة من الحرس الروماني في أثناء أداء خدمتهم بحسب زعم رئيس الكهنة.[٢٧] بل في الواقع، الأمر يتطلب قدراً من الإيمان لتصديق هذه النظرية، أكبر من القدر الذي يتطلبه لقبول القيامة!

تقول النظرية الثالثة إن التلاميذ ببساطة ذهبوا إلى القبر الخطأ. تُعد هذه النظرية مستبعدة بشدة في ضوء أن القبر كان ملكًا ليوسف الرامي، الذي كان عضوًا في مجمع السنهدريم.[٢٨] وقد أعد هو ونيقوديموس، "إنسان من الفريسيين ... [و] رئيس لليهود،" جسد يسوع للدفن، ووضعاه في القبر.[٢٩] علاوةً على ذلك، تُخبرنا كلمة الله أن النساء اللواتي تبعن يسوع من الجليل عرفن أيضًا الموضع المحدَّد للقبر.[٣٠] فإن كان التلاميذ قد ذهبوا إلى القبر الخطأ، فمن المؤكد أن شخصًا ما، صديقًا أو عدوًّا، على حدٍّ سواء، كان سيُصحِّح خطأهم باِقتيادهم إلى القبر الصحيح، وفك الكفن عن الجسد، وجعلهم ينظرون لما صار إليه جسد يسوع.[٣١] ومرة أخرى تنضم هذه النظرية إلى النظريات الأخرى في قدر سُخفها.

٢٥- متى ٢٧: ٦٤

٢٦- مرقس ١٤: ٢٧؛ متى ٢٦: ٥٦؛ لوقا ٢٢: ٥٥-٦٢.

٢٧- متى ٢٨: ١١-١٥

٢٨- متى ٢٧: ٥٧-٦١؛ مرقس ١٥: ٤٢-٤٧؛ لوقا ٢٣: ٥٠-٥٦؛ يوحنا ١٩: ٣٨-٤٢.

٢٩- يوحنا ٣: ١؛ لوقا ٢٣: ٥٠-٥٣؛ يوحنا ١٩: ٣٨-٤٢.

٣٠- متى ٢٧: ٦١؛ مرقس ١٥: ٤٧؛ لوقا ٢٣: ٥٥

31. Reymond, A New Systematic Theology, 566.

شهود عيان صادقون

يتطلب التأكيد على حدث ما، تاريخيًا أو واقعيًا، ثلاثة مقتضيات: يجب أن يتوفر شهود عيان بعددٍ كاف، ويجب أن يتمتعوا بالنزاهة، وأن يكونوا جديرين بالثقة.[٣٢] ومن الأهمية بمكان أن تستوفي شهادة كلمة الله فيما يتعلق بقيامة يسوع المسيح كل هذه المقتضيات.

أولًا، تُمثل رواية الشهود عن خدمة المسيح، وقيامته، وصعوده أساسًا لشهادة كلمة الله، ويقف كل كاتب من كُتَّاب العهد الجديد مؤيِّدًا للرسول بطرس في قوله: «**لأَنَّنَا لَمْ نَتْبَعْ خُرَافَاتٍ مُصَنَّعَةً، إِذْ عَرَّفْنَاكُمْ بِقُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَمَجِيئِهِ، بَلْ قَدْ كُنَّا مُعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ.**»[٣٣] ومن الواضح أن كُتَّاب العهد الجديد قد أدركوا أهمية وجود شهود عيان مباشرين. فقد تعيَّن أن يكون متياس، كي ينضم إلى الأحد عشر تلميذًا، شاهد عيان لحياة المسيح وخدمته، بدايةً من معمودية يوحنا، ومرورًا بالقيامة، وإلى اليوم الذي ارتفع فيه إلى السماء.[٣٤] وقد بذل لوقا كلَّ ما في وسعه في أثناء كتابته للإنجيل للتأكيد على سرده القصة بترتيب زمني لكل ما تسلمه مِمَن كانوا «مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ.»[٣٥] ويبدأ الرسول يوحنا رسالته الأولى بالتأكيد بقوة وفصاحة على العَلاقة الشخصية مع الابن التي امتاز بها جميع الرسل، وهذه العَلاقة هي التي شكَّلت أساسًا لكلٍّ من عقيدتهم، وما كانوا يَكرزون به للآخرين:

> «**اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ. فَإِنَّ الْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا. الَّذِي رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ نُخْبِرُكُمْ بِهِ، لِكَيْ يَكُونَ**

32. Henry Thiessen, Introductory Lectures in Systematic Theology (Grand Rapids: Eerdmans, 1961), 246.

٣٣- ٢ بطرس ١: ١٦
٣٤- أعمال ١: ١٦-٢١
٣٥- لوقا ١: ١-٤

لَكُمْ أَيْضًا شَرِكَةٌ مَعَنَا. وَأَمَّا شَرِكَتُنَا نَحْنُ فَهِيَ مَعَ الآبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. وَنَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هذَا لِكَيْ يَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً.» [٣٦]

يجب أن يتضح لأي دارس غير متحيز أن الرسل لم يحظوا فقط بمعرفة شخصية مباشرة عن حياة يسوع وموته وقيامته، بل أدركوا أيضًا أهمية تأكيدهم على طبيعة هذه المعرفة. فقد أرادوا أن يَعرف العالَم أنهم لم يُضلَّلوا ببعض الشائعات، بل إنهم قد لمسوا يدي المسيح المُقام من بين الأموات وقدميه وجنبه، [٣٧] كما كانت لهم شَركة معه، وتعلَّموا منه. [٣٨] وأخيراً، تعبَّدوا له فيما غاب عن أنظارهم متجهًا إلى السماء. [٣٩]

ثانيًا، يجب أن يكون عدد شهود العيان كافيًا للتأكيد على صحة حدث ما باعتباره تاريخيًّا وواقعيًّا. ولكي نَصيغ هذا بوضوح نقول إنه كلما زاد عدد شهود العيان، زادت مصداقية الحدث. ونجد هذا المبدأ ذاته في ناموس العهد القديم، وفي وصايا العهد الجديد للكنيسة، حيث لا يُمكن التأكيد على حدث ما إلَّا على فم شاهدين أو ثلاثة. [٤٠]

هكذا أيضًا تستوفي قيامة المسيح هذا الشرط؛ حيث تُخبرنا كلمة الله بوجود مئات من الشهود ذوي المصداقية، الذين تقابلوا مع المسيح المُقام من بين الأموات في مختلف المواقف والظروف. وفي أحد القيامة، ظهر يسوع لمريم المجدلية في البستان، ثم لمجموعة صغيرة من النسوة كن عائدات من القبر. [٤١] وفي اليوم نفسه، رافق المسيحُ كليوباس وتلميذًا آخر فيما كانا يسيران في طريقهما إلى عمواس. [٤٢] وقبل انتهاء اليوم، ظهر أيضًا لبطرس، ثم لعشرة من التلاميذ في العُلِّية. [٤٣] وفي

٣٦- ١ يوحنا ١: ١-٤
٣٧- لوقا ٢٤: ٣٩؛ يوحنا ٢٠: ٢٧
٣٨- لوقا ٢٤: ١٣-٣٢؛ ٤١-٤٩؛ يوحنا ٢١: ١٢-١٤
٣٩- أعمال ١: ٩-١١.
٤٠- تثنية ١٧: ٦؛ ١٩: ١٥؛ متى ١٨: ١٦.
٤١- مرقس ١٦: ٩-١١؛ يوحنا ٢٠: ١١-١٩؛ متى ٢٨: ٩-١٠.
٤٢- مرقس ١٦: ١٢-١٣؛ لوقا ٢٤: ١٣-٣٢.
٤٣- لوقا ٢٤: ٣٤-٤٣؛ يوحنا ٢٠: ١٩-٢٥.

الأحد التالي، ظهر للأحد عشر تلميذًا ودار بينه وبين توما الشكَّاك ذلك الحوارُ الشهير.[٤٤] وبعد هذا ظهر لأكثر من خمسمائة شاهد دفعةً واحدة، وأيضًا ليعقوب أخيه غير الشقيق.[٤٥] وفي وقتٍ آخر لم يُكشف عنه، ظهر مرةً أخرى لبطرس ويوحنا وخمسة تلاميذ آخرين فيما كانوا يصطادون عند بحر الجليل.[٤٦] وأخيراً، صعد إلى السماء من فوق جبل الزيتون في حضور تلاميذه.[٤٧]

وفي ضوء شهادة كلمة الله، سيكون من المستحيل تكذيب رواية قيامة المسيح بناء على فكرة خاطئة تقول بأن القيامة تفتقر إلى عدد كافٍ من شهود العيان. ويشهد الواعظ البريطاني العظيم تشارلز سبرجن في بلاغة عن هذا الحق قائلًا:

> "أليس لافتًا للانتباه أن الكثير جدًّا من الأحداث ذات الأهمية القصوى مسجَّلة في التاريخ، وتُصدق عمومًا، بالرغم من أنها لم تحظ بعدد من الشهود يبلغ حتى عُشر عدد أولئك الشهود على قيامة المسيح؟ مثال على هذا توقيع الاتفاقيات الشهيرة التي تؤثر على مصائر دول، وميلاد الأمراء والرؤساء، وملاحظات الوزراء، ومخططات المتآمرين، بالإضافة إلى جرائم مرتكبي الاغتيالات. فقد اعتُبرت كل هذه الأحداث نقطة تحول في التاريخ، ولم يُشكَّك في صحتها قط، مع أنه لم يعاينها سوى قليلين... وهكذا، لو كانت حادثة القيامة كاذبة، فهذا يُعد نهاية كل شهادة أخرى، وسنقول عن عمد ما قاله داود في عُجالة، إن «**كُلُّ إِنْسَانٍ كَاذِبٌ**»، ومن ذلك اليوم فصاعدًا سيكون على كل شخص أن يُشكِّك في قريبه، ولا يصدِّق سوى ما يراه بعينيه، بل والخطوة التالية ستكون أن يُشكِّك في برهان ما تراه حواسُّه نفسُها. وإلى أي حد من الحماقة والجنون سيذهب، لن أتجرأ على التوقُّع."[٤٨]

٤٤- مرقس ١٦: ١٤؛ يوحنا ٢٠: ٢٦-٣١؛ ١ كورنثوس ١٥: ٥.
٤٥- ١ كورنثوس ١٥: ٦-٧.
٤٦- يوحنا ٢١: ١-٢٣.
٤٧- لوقا ٢٤: ٤٤-٤٩؛ أعمال ١: ٣-٨.
48. Spurgeon, The Metropolitan Tabernacle Pulpit, 8:218–19.

ثالثًا وأخيراً، لإثبات صحة حدث ما تاريخيًا وحقيقة وقوعه، يجب أن يُظهِر شهود العيان نزاهتهم. بمعنى آخر، يجب أن يُثبتوا أنهم جديرون بالثقة. ولا يخفى علينا أنه عبر تاريخ المسيحية، بذل عددٌ لا حصر له من المشككين كلَّ ما في وسعهم لتكذيب شهود العهد الجديد، لكنهم لم يَقدروا قط على إثبات عدم صدقهم، أو تجريدهم من أهليتهم على الصعيد الأخلاقي أو الأدبي؛ ما أجبر المشككون على تسليط هجومهم على اِحتمالية إصابتهم بالوهم الذاتي أو الهِستريا الجماعية.

أثير جدال حول أن التلاميذ وكثيرين من يهود القرن الأول كان لديهم الميل لتصديق القيامة؛ ولذلك رأوا ببساطة ما يرغبون في رؤيته فقط. أولًا، عانت الأمَّة اليهودية تحت طغيان وقمع الإمبراطورية الرومانية الذي لا يُحتمَل، ولهذا كان اليهود في زمن الرب يسوع يتوقون لمجيء المسيا، وبالتالي كانوا عُرضة للاقتناع بسهولة. وكثيرون من اليهود تبعوا بالفعل العديد من المسحاء الكذبة الذين ظهروا وسط الشعب، مبرهنين بهذا على أنهم كانوا ميَّالين إلى تصديق أي شيء.[٤٩] ثانيًا، تنبأ يسوع كثيراً عن قيامته المستقبلية. وعند ربط هذه النبوات مع محبة التلاميذ الشديدة لمعلمهم الحبيب، سنجد أن تلك النبوات كانت أرضًا خصبة لنمو الوهم الذاتي والهِستريا الجماعية.

تقف عدة حقائق ضد هذه النظريات الشائعة. أولًا، فقد رفضت الغالبية العُظمى من الأمة اليهودية أن يكون يسوع الناصري هو المسيا. وكانت خدمته الأرضية وموته حجر عثرة لهم.[٥٠] وهكذا، فإن إضافة حدث القيامة لرسالة الصليب المشينة بالفعل لم تكن لتجعل ادعاء يسوع بأنه المسيا أكثر إقناعًا للشخص اليهودي. علاوةً على ذلك، لا تضع هذه النظرية في اِعتبارها أنه في خلال بضعة عقود قليلة بعد القيامة كانت الغالبية العُظمى من المؤمنين من الأمم الذين لم يكونوا ميَّالين مسبقًا لتصديق أي شيء عن بشارة الإنجيل. وكما كتب لويس وديمارست (Lewis and Demarest): "وقع الحدث في تناقض حاد لما توقعوه (أي اليهود) لاهوتيًا، وحدث

٤٩- أعمال ٥: ٣٦-٣٧.

٥٠- ١ كورنثوس ١: ٢٣

تضارب حقيقي مع الإطار العام لرأي العالم العلماني آنذاك. كان هذا لليهود حجر عثرة، ولليونانيين هراء؛ لأن الدليل تطلّب ثورة كوبرنيكوس في لاهوتهم ودراستهم لعلم الكون."[٥١]

ثانيًا، لم يكن اليهود والأمم ميّالين لتصديق القيامة، والشيء نفسُه يُمكن بالتأكيد أن يُقال عن التلاميذ. كانت مريم المجدلية أول مَن رأى المسيح بعد القيامة، ومع ذلك، حين رأت القبر الفارغ لأول مرة، اعتقدت أن أحدهم قد سرق جسد الرب، ونقله لموضع مجهول.[٥٢] وحتى بعد أن بدأت بعض التقارير عن قيامة المسيح في الانتشار، لم يُصدِّق التلاميذ. ويُسجل لوقا أن أخبار قيامة المسيح «**تَرَاءَتْ لَهُمْ كَالْهَذَيَانِ**،» وكتب مرقس أنهم «**لَمْ يُصَدِّقُوا**.»[٥٣] وفي مقابلاتهم الأولى مع المسيح المُقام من بين الأموات، ظنوا أنه البُستاني، أو شبح، أو مجرد مسافر على الطريق إلى عمواس.[٥٤] ولم تُحَل مشكلة هذه التفسيرات الخاطئة، بل بالحَري المضحكة، إلَّا من خلال المزيد من ظهورات المسيح، وشرحه المتأني للناموس والأنبياء.[٥٥] ولكي ينتهي شك توما كان لا بد له أن يرى في يدي المسيح أَثَرَ الْمَسَامِيرِ، ويضع إِصْبِعِه فِي الجُرح، ويضع يَدَه فِي جَنْبِه![٥٦] ولهذا السبب وبَّخ يسوعُ عدم إيمانهم، وقساوة قلوبهم، وعنَّفهم ناعتًا إياهم بالأغبياء والبطيئي القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء.[٥٧] وهذه الحقائق تنفي ادعاء أن التلاميذ كانوا ميَّالين مسبَّقًا لتصديق القيامة!

51. Bruce Demarest and Gordon Lewis, Integrative Theology (Grand Rapids: Baker Academic, 1990), 2:466.
كان نيكولاس كوبرنيكوس (١٤٧٣–١٥٤٣) هو أول مَن افترض وجود نظام كوني مركزه الشمس، أي نموذج من النظام الشمسي حلت فيه الشمس مكان الأرض كمركز للكواكب. وكانت نظريته هي انحراف جَذري عن الوضع الحالي، وأصبحت علامة في تاريخ العلم الحديث، معروفة الآن باسم ثورة كوبرنيوس. وهكذا، فإن أية نظرية أخرى جذرية مثلها يتم دعوتها «ثورة كوبرنيوس.»

٥٢- يوحنا ٢٠: ٢، ١٣، ١٥.

٥٣- لوقا ٢٤: ٩-١١؛ مرقس ١٦: ١١.

٥٤- يوحنا ٢٠: ١٥؛ لوقا ٢٤: ١٣-٣١، ٣٧.

٥٥- لوقا ٢٤: ٢٥، ٤٤-٤٥.

٥٦- يوحنا ٢٠: ٢٤-٢٩.

٥٧- مرقس ١٦: ١٤؛ لوقا ٢٤: ٢٥-٢٦.

ثالثًا وأخيراً، عادةً ما ينحصر أي وهم على شخص واحد. لكن الاعتقاد بأن مئات الأشخاص ممَن ادَّعوا كونهم شهود عيان قد اشتركوا جميعًا في الوهم ذاته فهو مستبعَد بشدة. علاوةً على ذلك، فإن الهستريا الجماعية تتطلب عادةً دعمًا من مؤسسات سياسية أو دينية قوية ذات نفوذ على كتل كبيرة من البشر. لكن في حالة قيامة المسيح وبشارة الإنجيل، كانت المؤسسات ذات النفوذ آنذاك متحدة معًا في معارضتها للرسالة، بل وبذلت كل ما في وسعها لتكذيبها وإفقادها مصداقيتها. وكان ناشرو هذه الرسالة أكثرهم من الرجال غير المتعلمين أو المتدربين، الذين لم تكن لهم أية سُلطة سياسية أو دينية أو اقتصادية لتعزيز قضيتهم.[٥٨]

كذبة دون دافع

كثيراً ما نتغاضي عن حُجة تخص صحة حدوث القيامة تاريخيًّا مع أنها مُقنِعة بشدة. وتتعلق هذه الحُجة بتكريس الرسل كل حياتهم لرسالة الإنجيل، بغض النظر عن الآلام والخَسارة التي سبَّبها هذا التكريس لهم. لو لم يكن المسيح قد قام، وكان التلاميذ قد ابتدعوا ببساطة هذه القصة، إذًا من المفترض أن نكون قادرين على إيجاد دافع لهذا الخداع. ما الذي أرادوا الوصول إليه بإذاعتهم لهذه الكذبة؟ يُخبرنا التاريخ بالفعل أن الرسل والغالبية العُظمى من التلاميذ الأوائل ماتوا فقراء، ومشوَّهي السُّمعة، ومضطهَدين، ومبغَضين، كما قال الرسول بولس: «**صِرْنَا كَأَقْذَارِ الْعَالَمِ وَوَسَخِ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى الآنَ،**» وأيضًا «**إِنْ كَانَ لَنَا فِي هذِهِ الْحَيَاةِ فَقَطْ رَجَاءٌ فِي الْمَسِيحِ، فَإِنَّنَا أَشْقَى جَمِيعِ النَّاسِ.**»[٥٩]

لو كان هؤلاء الناس قد ابتدعوا قصة القيامة للأسباب المعتادة التي يختلق الناس لأجلها هذه الأكاذيب وينشرونها، مثل الثروة، والشُّهرة، والسُّلطة، لكانوا أنكروا القصة أو شجبوها حين لم يجدوا أنها تحقق لهم هدفهم المرجو. لكن التاريخ يُثبت أن غالبيتهم ماتوا شهداء من جراء الاضطهاد الوحشي، ولم يُنكروا إيمانهم ببشارة

٥٨- أعمال ٤: ١٣.
٥٩- ١ كورنثوس ٤: ١٣؛ ١٥: ١٩.

الإنجيل، أو قيامة المسيح التي على أساسها يقوم الإنجيل. ويُعد التفسير الوحيد لهذه الجسارة والثبات أمام مثل هذه الآلام، وأمام الموت، أن القيامة حقيقية، أي حقيقة تاريخية، وأن الرسل والمسيحيين الآخرين كانوا مجرد ناقلين لما قد شاهدوه عيانًا بالفعل، كما كتب الرسول يوحنا: «**الَّذِي رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ نُخْبِرُكُمْ بِهِ.**»[٦٠] كتب جيمس مونتغمري بويس (James Montgomery Boice): "ما الذي يُعلل وجود إيمان بالقيامة لدى تلاميذ المسيح؟ لا شيء سوى القيامة نفسِها. إن لم نقدر على تفسير إيمان التلاميذ بهذه الطريقة، نصير أمام أعظم لغز في التاريخ. وإن فسَّرنا هذا الإيمانَ بحدوث قيامة حقيقية، وظهورات حقيقية للرب المُقام، هنا تصير المسيحية قابلة للفهم، ويُمكن عندئذ أن تقدم رجاء راسخًا للجميع."[٦١]

يُعد استخدام النساء كشاهدات عامل مهم آخر في هذه المعادلة. إن أراد رجال محتالون نشر كذبة ما لأجل ربح خاص، لن يستخدموا نساءً على الإطلاق. ففي زمن العهد الجديد وثقافته، لم تكن النساء شاهدات شرعيات في الإجراءات القانونية، ومع هذا تلعب النساء في الأناجيل الأربعة أدوارًا بارزة باعتبارهن أول من شهد على قيامة يسوع المسيح.[٦٢] وكانت مريم المجدلية أول من رأى الرب بعد القيامة، وكانت أول مَن شهدت على قيامته للآخرين، بل في الحقيقة، يُصوِّرها الكتاب المقدس في صورة بطولية؛ لأنها صدَّقت، وأطاعت مقابل عدم إيمان الرسل.[٦٣] أمَّا النساء اللواتي صحبن مريم المجدلية إلى القبر في صباح يوم الأحد، كُنَّ التاليات في رؤية الرب، وكُنَّ أول من أوكل الرب إليهن بالفعل مهمة نقل الخبر للآخرين.[٦٤] لو كان كُتَّاب العهد الجديد يسعون للاحتيال والخداع، ما كانوا ليستخدموا النساء كشاهدات رئيسات، بل كانوا سينتقون رجالًا؛ لأنهم كانوا أكثر الشهود مصداقية في عيون الآخرين.

٦٠- ١ يوحنا ١: ٣.

61. James Montgomery Boice, Foundations of the Christian Faith: A Comprehensible and Readable Theology (Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1986), 358.

٦٢- متى ٢٨: ١-١٠؛ مرقس ١٦: ١-٨؛ لوقا ٢٤: ١-١٢؛ يوحنا ٢٠: ١-١٨.

٦٣- مرقس ١٦: ٩-١١؛ يوحنا ٢٠: ١١-١٨.

٦٤- متى ٢٨: ٨-٩.

تغيُّر التلاميذ

واحدة من أكبر العقبات التي يجب أن يتغلب عليها المتشكك من جهة إنكاره لقيامة المسيح هي التحوُّل الواضح الذي حدث للتلاميذ، لو لم تكن القيامة حقيقة تاريخية، أو لو كانت خدعة في أسوأ الأحوال، إذًا سيكون التحوُّل المعجزي الواضح الذي حدث في شخصية وأفعال الرسل وشهود عيان آخرين غيرَ قابل للتفسير.

قبيل القيامة، كان التلاميذ خجولين، وخائفين، ومدفوعين بخوفهم على حياتهم. فقد تخلُّوا عن يسوع أثناء القبض عليه، وأنكروه أثناء محاكمته، واختبأوا في عدم إيمان، وابتلعهم اليأس لثلاثة أيام بعد موته.[٦٥] ولكن النساء اللواتي كُنَّ بينهم أظهرن جَلَدًا أدبيًّا، ورجاءً أكثر من الرجال أنفسِهم الذين أوكل المسيح إليهم شخصيًّا أن يكونوا رسله. بل النساء هن من ذهبن إلى القبر في صباح يوم الأحد بينما انكمش الرجال خوفًا في العُلية. وكانت النساء أيضًا أولَ من آمن بخبر القيامة، وقمن بإذاعته بينما أغلق الرجال أفواههم بسبب الشَّك.

مع ذلك بعد القيامة، صار هؤلاء الرجال أنفسُهم مدافعين جَسورين عن الإيمان، ولا يُقهَرون. نتعلم من سفر الأعمال أنهم وقفوا ضد المسكونة و"قلبوها رأسًا على عقب" برسالة الإنجيل وبشارة قيامة يسوع المسيح.[٦٦] وحين أمرتهم أقوى المؤسسات الدينية والسياسية من اليهود والأمم «**أَنْ لاَ يَنْطِقوا الْبَتَّةَ، وَلاَ يُعَلِّمَوا بِاسم يَسُوعَ،**» تحدوا سُلطتهم في إخلاص راسخ لا يلين بشخص المسيح ورسالته.[٦٧] وقد برهن الرسولان بطرس ويوحنا على هذا في تصريحهما لمجمع السنهدريم حين قالا: «**إِنْ كَانَ حقًّا أَمَامَ اللهِ أَنْ نَسْمَعَ لَكُمْ أَكْثَرَ مِنَ اللهِ، فَاحْكُمُوا. لأَنَّنَا نَحْنُ لاَ يُمكننا أَنْ لاَ نَتَكَلَّمَ بِمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا.**»[٦٨]

على الرغم من تعرُّضهم للتهديد، والضرب، والسجن، والاستشهاد، رفض تلاميذ المسيح أن يُنكروا ما "رأوا وسمعوا"، أو أن يتوقفوا عن المناداة به.[٦٩] وفي جيل واحد،

٦٥- متى ٢٦: ٥٦، ٦٩-٧٥؛ مرقس ١٦: ١٤؛ يوحنا ٢٠: ١٩؛ لوقا ٢٤: ١٧.
٦٦- أعمال ١٧: ٦
٦٧- أعمال ٤: ١٨.
٦٨- أعمال ٤: ١٩-٢٠.
٦٩- ١ يوحنا ١: ١، ٣.

استطاع أولئك الرجال والنساء، الذين أمدَّهم حق قيامة يسوع بالجرأة والشجاعة، أن يَنشروا الإنجيل في جميع أنحاء العالم المعروف آنذاك.[٧٠] ولم تكن لديهم أية سلطة سياسية أو دينية أو اقتصادية. ولم يكونوا من الحاصلين على شهادات أكاديمية، لكنهم غيَّروا العالم وفتنوه إلى حد لم يفعله أي كيان سياسي أو عسكري آخر. لو لم يكن المسيح قد قام، كيف لنا أن نُفسر هذا التحوُّل في حياتهم، وكيف يُمكننا تعليل نجاح مهمتهم؟ كتب آر. أيه. توري (R.A. Torrey): "لا بد أن أمراً هائلًا قد حدث يُفسِّر مثل هذا التحوُّل الأدبي الجذري والمذهل. ولا شيء أقل من حقيقة القيامة، ورؤيتهم للرب القائم من بين الأموات، يُمكن أن يفسر هذا."[٧١]

إيمان الأعداء

لا تكمن مشكلة المتشكك الوحيدة في التحوُّل الجَذري الذي حدث لأتباع يسوع المسيح بعد قيامته، بل سيكون عليه أيضًا أن يُفسِّر الإيمان اللاحق للذين قاوموا يسوع، واضطهدوا الحركة التابعة له. وبعيدًا عن القيامة، كيف أثَّرت المسيحية على بعضٍ مِن أقدم وأكبر خصومها، وبالأخص إخوة يسوع غير أشقائه، وشاول الطرسوسي المعروف بجرائمه الشائنة؟

يذكر الكتاب المقدس بوضوح أنه في أثناء حياة يسوع وخدمته، لم يُؤمن به يعقوب أو يهوذا، بل كان كلاهما مقاومَيْن لشخصه وخدمته.[٧٢] بل ذات مرة ارتحل أقرباء يسوع من الناصرة إلى كفرناحوم؛ لكي يتحفظوا عليه؛ لأنهم اعتقدوا أنه "مختل."[٧٣] ومع ذلك، بعد القيامة، تحول كلا الأخوين تحولًا جَذريًّا، وصارا من أعمدة الكنيسة الأولى.[٧٤] ويُمكننا أن نرى تكريسهما وإخلاصهما للمسيح، بل وخضوعهما لربويته في مقدمتَي رسالتيهما، حيث يُشيران إلى أنفسِهما بأنهما عبدا

٧٠- كولوسي ١: ٥-٦

71. R. A. Torrey, The Bible and Its Christ (Old Tappan, N.J.: Fleming H. Revell, n.d.), 92.

٧٢- يوحنا ٧: ٣-٤.

٧٣- مرقس ٣: ٢١.

٧٤- يعقوب: أعمال ١: ١٤؛ ١٢: ١٧؛ ١٥: ١٣؛ ١ كورنثوس ٩: ٥؛ ١٥: ٧؛ غلاطية ١: ١٩؛ ٢: ٩؛ يعقوب ١: ١. يهوذا: يهوذا ١؛ أعمال ١: ١٤؛ ١ كورنثوس ٩: ٥.

الرب يسوع المسيح.[٧٥] وهكذا تحولا من مقاومين غير مؤمنين إلى عبيد أمناء أخضعوا حياتهما طوعًا لسيادته ولربوبيته. كيف أمكن لهذا التحوّل أن يحدث بعيدًا عن قبول شهادة كلمة الله؟ فقد رأيا المسيح المقام من بين الأموات![٧٦]

يُضيف إيمان شاول الطرسوسي المعروف بأحد أعداء الكنيسة الأولى، لمناداة الرسل بالقيامة، ثقلًا وأهمية. في سفر الأعمال، وبحسب ما جاء على لسانه، كان شاول أكبر وأشرس عدو للمسيحية الأولى. ففي جهله وعدم إيمانه، لم يرَ يسوع الناصري إلَّا شخصًا محتالًا ومجدفًا، واعتَقد أن كل من تبعوه يستحقون السجن والموت.[٧٧] ويُقدمه سفر الأعمال لنا في أول ظهور له بأنه كان راضيًا بقتل استفانوس.[٧٨] وبعد هذا، نراه يتقدم إلى رئيس الكهنة، «**يَنْفُثُ تَهَدُّدًا وَقَتْلاً عَلَى تَلاَمِيذِ الرَّبِّ،**» طالبًا منه رسائلَ إلى دمشق «**حَتَّى إِذَا وَجَدَ أُنَاسًا مِنَ الطَّرِيقِ، رِجَالاً أَوْ نِسَاءً، يَسُوقُهُمْ مُوثَقِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ.**»[٧٩] ولكن في الطريق إلى دمشق اختبر شاول هذا تحولًا جَذريًّا، واقتنع بأن يسوع هو مسيًّا إسرائيل، فاعتمد باسمه، وعلى الفور بدأ في المناداة به في المجامع، قائلًا: «**هذَا هُوَ ابنُ اللهِ.**»[٨٠] وكان رد فعل الإخوة اليهود في ذهول: «**أَلَيْسَ هذَا هُوَ الَّذِي أَهْلَكَ فِي أُورُشَلِيمَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهذَا الاسْمِ؟ وَقَدْ جَاءَ إِلَى هُنَا لِهذَا لِيَسُوقَهُمْ مُوثَقِينَ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ!**»[٨١]

سرعان ما انتشرت الأخبار في كل كنائس اليهودية «**أَنَّ الَّذِي كَانَ يَضْطَهِدُنَا قَبْلاً، يُبَشِّرُ الآنَ بِالإِيمَانِ الَّذِي كَانَ قَبْلاً يُتْلِفُهُ.**»[٨٢] ولكن شاول هذا كان خَصمًا عنيفًا للكنيسة؛ حتى إنه لم يجرؤ أحد من المؤمنين على الالتصاق به، وكان الجميع يخافونه، حتى أحضره برنابا إلى الرسل؛ فصدَّقوا على شهادته.[٨٣] وبهذه

٧٥- يعقوب ١: ١؛ يهوذا ١: ١.
٧٦- ١ كورنثوس ١٥: ٧.
٧٧- ١ تيموثاوس ١: ١٣؛ ٢ كورنثوس ٥: ١٦.
٧٨- أعمال ٧: ٥٨؛ ٨: ١.
٧٩- أعمال ٩: ١-٢.
٨٠- أعمال ٩: ١٨-٢٠.
٨١- أعمال ٩: ٢١.
٨٢- غلاطية ١: ٢٢-٢٣.
٨٣- أعمال ٩: ٢٦-٢٧.

الطريقة صار شاول الطرسوسي، الذي كان يُعد أعظم عدو للإيمان المسيحي، أعظم مدافع عنه وكارزاً به. كتَب ويليام نيل (William Neil): "مما لا شك فيه تاريخيًّا أن مُضطهِد المسيحيين المتعصب، الذي ترك أورشليم وهو ينفث قتلًا وتهديدًا، قد دخل إلى دمشق محطَّمًا عقليًّا، وأعمى جسديًّا، وبعد تعافيه صار في طليعة مناصري المعتقدات التي كان قد عزم على اقتلاع جذورها."[٨٤]

بما أن المتشكك لا يُمكنه إنكار الوقائع التاريخية لإيمان شاول والتغيير الجذري الذي حدث لحياته، لذا فهو مُجبر بالتالي على تقديم تفسير معقول لذلك. والآن، وبعد ألفي عام، لا تزال الكنيسة تنتظر مثل هذا التفسير!

الجموع الكثيرة على مر التاريخ

في العام الأول للمسيحية، خاطبَ المعلمُ المبجَّل والفريسي غمالائيل مجمع السنهدريم بحكمة عظيمة فيما يتعلق باتباع يسوع، وهذا الخطاب جدير بأن نقتبسه بالكامل:

> **«أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ، احْتَرِزُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ جِهَةِ هؤُلاَءِ النَّاسِ فِي مَا أَنْتُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ تَفْعَلُوا. لأَنَّهُ قَبْلَ هذِهِ الأَيَّامِ قَامَ ثُودَاسُ قَائِلاً عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ شَيْءٌ، الَّذِي الْتَصَقَ بِهِ عَدَدٌ مِنَ الرِّجَالِ نَحْوُ أَرْبَعِمِئَةٍ، الَّذِي قُتِلَ، وَجَمِيعُ الَّذِينَ انْقَادُوا إِلَيْهِ تَبَدَّدُوا وَصَارُوا لاَ شَيْءَ. بَعْدَ هذَا قَامَ يَهُوذَا الْجَلِيلِيُّ فِي أَيَّامِ الاكْتِتَابِ، وَأَزَاغَ وَرَاءَهُ شَعْبًا غَفِيراً. فَذَاكَ أَيْضًا هَلَكَ، وَجَمِيعُ الَّذِينَ انْقَادُوا إِلَيْهِ تَشَتَّتُوا. وَالآنَ أَقُولُ لَكُمْ: تَنَحَّوْا عَنْ هؤُلاَءِ النَّاسِ وَاتْرُكُوهُمْ! لأَنَّهُ إِنْ كَانَ هذَا الرَّأْيُ أَوْ هذَا الْعَمَلُ مِنَ النَّاسِ فَسَوْفَ يَنْتَقِضُ، وَإِنْ كَانَ مِنَ اللهِ فَلاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَنْقُضُوهُ، لِئَلاَّ تُوجَدُوا مُحَارِبِينَ للهِ أَيْضًا.»**[٨٥]

84. William Neil, *The Acts of the Apostles* (London: Oliphants, 1973), 128.
٨٥- أعمال ٥: ٣٥-٣٩.

قبل مجيء يسوع المسيح، قام في أمَّة إسرائيل مسيحان كاذبان، واجتذب كلاهما لنفسِه بعضَ التابعين، ولكن بعد موتهما، سرعان ما تبدد هؤلاء التابعون، ولم يُسمع شيء بعد هذا عن حركتيهما. لذلك، تحدث غمالائيل بعقلانية موضحًا إن كان يسوع الناصري مجرد إنسان، وكانت قيامته مجرد خدعة، سيلقى تابعوه هذا المصير عينه. ولكنه أيضًا فكَّر بحكمة أنه إن كانت قصة القيامة حقيقية، فيسوع سيكون هو المسيَّا، وستستمر هذه الحركة، ومَن يُقاومونها سيُحاربون الله نفسَه. ويبدو أن الألفَي سنة الأخيرة من التاريخ تُؤكِّد حُجة غمالائيل.

من أعظم البراهين على قيامة يسوع المسيح هو استمرار الإيمان المسيحي عبر التاريخ، وفي جميع أنحاء الأمم، والقبائل، وشعوب العالم. وحتى اليوم، يشهد ملايين لا حصر لهم، بل ومليارات من البشر، بأن لهم عَلاقة شخصية بيسوع المسيح، ويدَّعون بأنه غيَّر مسار حياتهم تغييراً جَذريًّا. من المهم ملاحظة أن هذه الجماعة من الناس لا تنحصر في جماعة عِرقية، أو سياسية، أو اقتصادية، أو أكاديمية معينة، لكنها تشمل أشخاصًا من كل الأعراق، ومن كل الطبقات الاقتصادية، ومن كل المستويات الأكاديمية. كانت الكنيسة الأولى تتكون من أشخاص من المستحيل أن يجتمعوا معًا تحت أي ظروف أخرى، فقد كانوا يونانيين ويهودًا، ختانًا وغرلة، بربريين وسكيثيين، عبيدًا وأحراراً، لكن المسيح كان هو الكل، وفي الكل.[٨٦] والشيء نفسُه يُمكن أن يقال عن المسيحية اليوم.

من المهم ملاحظة أيضًا أن جموعًا لا حصر لها من الرجال والنساء والأطفال الذين تبعوا يسوع فعلوا هذا على حساب تضحيات شخصية كبرى. تُقدِّر بعض الإحصائيات عدد الشهداء بأكثر من خمسين مليونًا من المؤمنين، وآخرون يدَّعون أن العدد يفوق هذا بكثير. وكل هذا يقودنا إلى سؤال حاسم: ما هو المنطق العقلي الذي كان يكمن وراء مثل هذا التكريس، ومثل هذه التضحيات، وما الذي يُمكن أن يُفسِّر استمرار الكنيسة وثباتها في وجه أعداء تعهدوا بإبادتها؟ هذا يجعلنا نثق بأن شيئًا حقيقيًّا قد حدث بالفعل في صباح ذلك الأحد حين وجدت النساء الحجر مدحرَجًا!

٨٦- كولوسي ٣: ١١.

الفصل الرابع والعشرون

صعود المسيح بصفته رئيس كهنة لشعبه

«اِرْفَعْنَ أَيَّتُهَا الأَرْتَاجُ رُؤُوسَكُنَّ، وَارْتَفِعْنَ أَيَّتُهَا الأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ، فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ. مَنْ هُوَ هذَا مَلِكُ الْمَجْدِ؟ الرَّبُّ الْقَدِيرُ الْجَبَّارُ، الرَّبُّ الْجَبَّارُ فِي الْقِتَالِ. ارْفَعْنَ أَيَّتُهَا الأَرْتَاجُ رُؤُوسَكُنَّ، وَارْفَعْنَهَا أَيَّتُهَا الأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ، فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ. مَنْ هُوَ هذَا مَلِكُ الْمَجْدِ؟ رَبُّ الْجُنُودِ هُوَ مَلِكُ الْمَجْدِ. سِلاَهْ.»

(مزمور ٢٤: ٧- ١٠)

«فَإِذْ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ عَظِيمٌ قَدِ اجْتَازَ السَّمَاوَاتِ، يَسُوعُ ابْنُ اللهِ، فَلْنَتَمَسَّكْ بِالإِقْرَارِ. لأَنْ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ.»

(عبرانيين ٤: ١٤، ١٥)

بعد القيامة بأربعين يومًا، يُوكِّد لنا الكتاب المقدس أن المسيح صعد إلى السماء في حضور جمهور كثير من تلاميذه. ونقرأ في سفر أعمال الرسل: «ارْتَفَعَ

وَهُمْ يَنْظُرُونَ. وَأَخَذَتْهُ سَحَابَةٌ عَنْ أَعْيُنِهِمْ.»[١] كما يشهد إنجيل لوقا: «**وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمْ، انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأُصْعِدَ إِلَى السَّمَاءِ.»**[٢] ويُعلن مرقس: «**ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللهِ.»**[٣] وكذلك وصف الرسول بولس الأمر بهذه الطريقة: «**اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ، تَبَرَّرَ فِي الرُّوحِ، تَرَاءَى لِمَلاَئِكَةٍ، كُرِزَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، أُومِنَ بِهِ فِي الْعَالَمِ، رُفِعَ فِي الْمَجْدِ.»**[٤]

قيامة المسيح وصعوده كانا بشارةً وبرهانًا لتتويجه وجلوسه عن يمين الله. وفقًا للكتاب المقدس، الآب مجَّد الابن مع ذاته بالمجد الذي كان له عِنده قبل تأسيس العالم.[٥] لكن المجد الذي استرده أعظم من المجد الذي تخلَّى عنه حين جاء إلى العالم.[٦] في الوقت الراهن، يجلس المسيح عن يمين الآب ليس فقط بملء لاهوته، بل كذلك بكونه الإنسان الممجَّد؛ ليس فقط بصفته الحاكم بل أيضًا الفادي ورئيس الكهنة. إنه الله الابن وآدم الأخير؛ والملك الجَسور والحمل المذبوح؛ وديَّان كل الأرض ورئيس الكهنة الأعظم الذي قدَّم نفسَه كفارةً لخطايا شعبه.

صعود المسيح

لنبدأ تأمُّلنا في موضوع الصعود المَهيب، سنوجِّه انتباهنا أولًا لأسفار العهد القديم. يُعتبر مزمور داود الرابع والعشرون ترتيلة طقسية للاحتفال بموكب دخول الرب إلى صهيون. فسَّرت الكنيسة هذا المزمور دائمًا بأنه احتفال بصعود المسيح إلى أورشليم السمائية، وإلى «**الْمَسْكَنِ الأَعْظَمِ وَالأَكْمَلِ، غَيْرِ الْمَصْنُوعِ بِيَدٍ.»**[٧] برُغم أن تطبيق هذا المزمور على المسيح كان موضع جدال في السنوات الأخيرة، فالإصلاحيون والتطهريون وبعض أعظم اللاهوتيين والمفسرين على مر تاريخ

١- أعمال الرسل ١:٩
٢- لوقا ٢٤:٥١
٣- مرقس ١٦:١٩
٤- تيموثاوس الأولى ٣:١٦
٥- يوحنا ١٧:٥
٦- فيلبي ٢:٦-٨
٧- عبرانيين ٩:١١، ٢٤

الكنيسة فسَّروه بالارتباط بدراسة عقيدة المسيح. وسنحذو حذوهم هنا، ونجد في هذا المزمور مجد المسيح وهو صاعد إلى يمين الله.

تُجيب الأعداد الستة الأولى من المزمور ٢٤ عن سؤال في غاية الأهمية: مَن يدخل إلى محضر الرب؟ وكما سنرى، المتطلبات صارمة ومتشددة: «**مَنْ يَصْعَدُ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ؟ وَمَنْ يَقُومُ فِي مَوْضِعِ قُدْسِهِ؟ ٤اَلطَّاهِرُ الْيَدَيْنِ، وَالنَّقِيُّ الْقَلْبِ، الَّذِي لَمْ يَحْمِلْ نَفْسَهُ إِلَى الْبَاطِلِ، وَلاَ حَلَفَ كَذِبًا.**»[٨] يجب أن نُدرك فور قراءة هذا النص أننا غير مؤهلين لنصعد إلى جبل الرب، أو أن نقوم في موضِع قدسه. لأن أيدينا نجسة، وقلوبَنا غيرُ نقية، ونفوسَنا ملآنة بعبادة الأصنام، وشفاهَنا مدنَّسة بالكَذب. إن خطايانا قد صنعت انفصالاً بيننا وبين إلهنا، وأغلقت أبواب السماء بإحكام كأبواب أريحا؛ حتى لا يخرج منها أحد، ولا يدخل إليها أحد.[٩] الحكم الصادر ضدنا هو عدل: ليس بارٌّ، ولا واحد.[١٠] ولو تُركنا لذواتنا، فليس لدينا ملجأ سوى أن نسكت وننتظر الدينونة.[١١] وبرُغم أننا قد نغسل أنفسَنا بالثلج، وننظف أيدينا بالأشْنَانِ، تظل بقع إثمنا أمامه.[١٢] لا يُمكننا أن ندخل أو حتى نقترب.

تُعد البشرية مُجردَة تمامًا من الأهلية بكل الطرق، ومع ذلك اجتاز واحد من جنسنا السماوات، ووقف أمام الله محاميًا عن شعبه؛ إنه يسوع المسيح البار.[١٣] جاء من نسل آدم؛ لذا هو من الجذع نفسه. وفي أثناء رحلته الأرضية كان مثلنا في كل شيء ما عدا الخطية.[١٤] وقد مجَّد الله في كل فكرة، وكلمة، وفعل، وأحبَّ الرب إلهه من كل قلبه، ونفسه، وفكره، وقوته.[١٥] وميَّزت الطاعة المتواصلة مسار حياته

٨- مزمور ٢٤:٣-٤
٩- إشعياء ٥٩:٢ ؛ يشوع ٦:١
١٠- رومية ٣:١٠
١١- رومية ٣:١٩
١٢- أيوب ٩:٣٠-٣١؛ إرميا ٢:٢٢
١٣- عبرانيين ٤:١٤ ؛ ١يوحنا ٢:١
١٤- عبرانيين ٤:١٥
١٥- ١كورنثوس ١٠:٣١؛ متى ٢٢:٣٧؛ مرقس ١٢:٣٠؛ لوقا ١٠:٢٧

كلها.[١٦] فكان بلا لوم فيما يخص الناموس، وفي نور قداسة الله الناصع البياض، الذي يكشف كل ظلمة، وقف بلا عيب. يُعلن الكتاب المقدس أن الله ينسب حماقة حتى إلى ملائكته، لكن لم يجد في يسوع سوى قداسة كاملة وبر غير محدود.[١٧] كان قدوسًا وبريئًا وغير مُدنَّس، مختلفًا ومستقلًا عن الخطاة؛ وكان العضو الوحيد في عِرق آدم الذي وقف مستحسَنًا من الله بفضل استحقاقه الشخصي.[١٨] وكان الوحيد الذي شَهِد له الله، «**هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ.**»[١٩]

في المزمور ٢٤:٧، نرى هذا الإنسان المعصوم من الخطأ المدعو يسوع الناصري، صاعدًا وواقفًا أمام أبواب السماء. وهناك رفع صوته وهتف: «**ارْفَعْنَ أَيَّتُهَا الأَرْتَاجُ رُؤُوسَكُنَّ، وَارْتَفِعْنَ أَيَّتُهَا الأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ، فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ.**»[٢٠] كم سيتعظم إجلالنا ليسوع المسيح إن حَصُلنا على لمحة خاطفة لما يحدث هنا! ها هو، بفضل استحقاقه يقف أمام بوابات السماء، ويأمرهن أن تنفتح له. وفور سماع صوته، تركض الملائكة نحو شُرفة الحِصن، وتُحدِّق من أعلى الأسوار؛ كي تُلقي نظرة خاطفة عليه.[٢١] فيسألون: "مَن هو هذا ملك المجد حتى إن أبواب السماء عليها أن تُذعن له؟ مَن هو هذا الإنسان الذي يأتي باسمه ذاته، ويُطالب الدخول بفضل استحقاقه؟" حتى السيرافيم، تلك الكائنات العظيمة، يَحنون رؤوسهم، ويُغطون أنفسَهم في محضر الله؛ اعترافًا منهم بأنهم لا يملكون برًا في ذاتهم حتى يظهر؛ لأن فضيلتهم ومجدهم مستمدان من الله، وهما نتيجة نعمته.[٢٢] الملائكة لا تفتخر باستحقاقها، ولا تدَّعي شيئًا باسمها. مع ذلك فهذا **الإنسان** لا يُطالب بالسماء فقط بل بعرش الله ذاته! فمَن هو هذا ملك المجد؟ ردًّا على سؤالهم، يرفع المسيح صوته

١٦- يوحنا ٨:٢٩
١٧- أيوب ٨:٢٩
١٨- عبرانيين ٧:٢٦
١٩- متى ٣:١٧؛ ١٧:٥؛ مرقس ١:١١؛ ٩:٧؛ لوقا ٣:٢٢
٢٠- مزمور ٢٤:٧
٢١- هذه الفكرة من تعليقات تشارلز سبرجن على المزمور الرابع والعشرين في:
The Treasury of David (Grand Rapids: Zondervan, 1950), 1:377.
٢٢- إشعياء ٦:١-٢

مرةً أخرى هاتفًا: «... **الرَّبُّ الْقَدِيرُ الْجَبَّارُ، الرَّبُّ الْجَبَّارُ فِي الْقِتَالِ. ارْفَعْنَ أَيَّتُهَا الأَرْتَاجُ رُؤُوسَكُنَّ، وَارْفَعْنَهَا أَيَّتُهَا الأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ، فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ.**»[٢٣]

يُسكِت هذا الأمر الثاني كلَّ التساؤلات المستقبلية؛ فقوة صوته تكشف هويته. إنه الكلمة الظاهر في الجسد، ابن الإنسان الصاعد إلى حيثما كان سابقًا.[٢٤] ودون تأجيل، انفصلت المزاليج الدهريات، واهتزت المصاريع، وخضعت الأبواب ليسوع الناصري:

ابْنُ اللهِ،[٢٥]

ابْنِ آدَمَ،[٢٦]

الذي حُبِلَ بِهِ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ،[٢٧]

المولود مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ،[٢٨]

مِلْءِ اللاَّهُوتِ،

في صورة جَسَدٍ،[٢٩]

الأَسَدُ الَّذي مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا،[٣٠]

حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ![٣١]

غير مَخزِيٍ أمام عرش الله،[٣٢]

لاَ يَسْتَحِي أَنْ يَدْعُونَا إِخْوَةً،[٣٣]

٢٣- مزمور ٢٤:٨، ٩
٢٤- يوحنا ١:١، ١٤؛ ٦:٦٢
٢٥- يوحنا ١:٣٤
٢٦- لوقا ٣:٢٣-٣٨؛ ١كورنثوس ١٥:٤٥
٢٧- متى ١:٢٠
٢٨- رومية ١:٣
٢٩- كولوسي ٢:٩
٣٠- رؤيا ٥:٥
٣١- يوحنا ١:٢٩
٣٢- عبرانيين ٩:٢٤
٣٣- عبرانيين ٢:١١

ديَّان الأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ،[٣٤]

المحامي عن شعبه.[٣٥]

ستُعيد الملائكة رواية مجد تلك اللحظة طوال الدهور الأبدية. ويعود الابن المنتصر حاملًا آثار الجراح ذاتها التي تُثبت انتصاره. فقد محا صك المديونية المستحقة على شعبه، مُسَمِّراً إيَّاه بالصليب.[٣٦] وجرَّد إبليسَ من أسلحته، وأشهَره جهاراً وهو الذي استعبد شعبه تحت حكم الموت.[٣٧] ودافع عن بر الله، الذي يُبرِّر الشرير.[٣٨] لهذا السبب، كل السماء تنظر له، وتنظر إلى ذاك المطعون، وتهتف بصوت عظيم: «**مُسْتَحِقٌّ هُوَ الْحَمَلُ الْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ الْقُدْرَةَ وَالْغِنَى وَالْحِكْمَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْكَرَامَةَ وَالْمَجْدَ وَالْبَرَكَةَ!**»[٣٩]

بينما يعبر المسيح المنتصر من الأبواب الدهريات، يُشير له الآب أن يصعد إلى العرش، ويأخذ مكانه الشرعي بجانبه. حيث يجلس هناك عاليًا فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وفوق كل اِسم يُسمَّى، ليس في هذا الدهر فقط، بل في الدهر الآتي أيضًا، وحتى النهاية؛ ليُكرِمِ الجميعُ الابنَ حتى كما يُكرمون الآب.[٤٠] وبهذه الطريقة تحققت أخيراً نبوة داود بالكامل: «**قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي**»[٤١]

يسوع الناصرى، أخونا، هو ملك المجد. إنه ليس إلهًا حديث العهد، ولا خليقة صالحة جرت ترقيتُها مؤخراً، بل هو اِبن الله السَّرمدي، الذي لم يَحسب مساواته لله شيئًا يُمكن اغتنامُه، بل تخلى عن مجده، وجاء في صورة جسد، ومات كفارةً لخطايا

٣٤- أعمال الرسول ١٠:٤٢؛ ٢تيموثاوس ٤:١
٣٥- ١يوحنا ٢:١ قصيدة ألَّفها الكاتب
٣٦- كولوسي ٢:١٤
٣٧- كولوسي ٢:١٥؛ عبرانيين ٢:١٤-١٥
٣٨- رومية ٣:٢٥-٢٦
٣٩- رؤيا ٥:١٢
٤٠- أفسس ١:٢١؛ يوحنا ٥:٢٣
٤١- مزمور ١١٠:١

شعبه.[٤٢] وفي اليوم الثالث قام من بين الأموات، وبعد أن أظهر نفسَه حيًّا ببراهين مقنعة كثيرة، صعد إلى السماوات، وأخذ كرسيه عن يمين العظمة في الأعالي.[٤٣] وهناك جُلِّس بصفته الكاهن الأعلى، وسابقًا لشعبه، ورب وديَّان الكل.

المسيح بصفته الوسيط

حين صعد يسوع المسيح الإنسان إلى يمين الله، أخذ على نفسِه وساطة كل الأشياء بين الله والخليقة. وكان هدف الآب من إعطاء هذا المنصب إليه مُتعددَ الأوجه، وكل وجه يُظهر سمو الابن، ومحبة الآب غير المحدودة تجاهه. إن دور المسيح كوسيط هو تجلٍّ في الزمن والخليقة للعَلاقة بين الآب والابن الموجودة من الأزل إلى الأبد. مبدئيًّا، يجب فهم أن غاية الآب ومسرته الصالحة كانت دائمًا تسعى أن يكون للابن تفوُّق في كل الأشياء، وأن لا يكون أيُّ شيء باستقلالية عنه.[٤٤] لهذا السبب، سُرَّ اللهُ دائمًا أن يتعامل مع خليقته من خلال وساطة الابن. فقد خلق العالم وحفظه بواسطة ابنه، كما أظهر نفسَه للعالم بواسطة ابنه، وكذا فدى العالم بواسطة ابنه.[٤٥] ويومًا ما سيدين العالم بواسطة ابنه.[٤٦]

ثانيًا، يجب فهم أيضًا أن عمل الوسيط الذي قام به ابن الله في الجلجثة سيظل دائمًا هو مركز إعلان الله لخليقته. ولن تَنقص مركزيته أو تفوقه طيلة دهور الأبدية الخالدة، بل ستزداد حيث تستمر الخليقة المفدية على عهدها الذي لا ينتهي، باحثةً في أمجاد الإنجيل اللامتناهية.

ثالثًا، علينا دائمًا أن نتذكر ونتهلل لحقيقة أن كل عطية صالحة وتامة أنعم الله بها على الخليقة كانت بواسطة الابن ومن أجله.[٤٧] إن مَن يعبدون الله، ومَن

٤٢- فيلبي ٢:٦-٩؛ رومية ٣:٢٥؛ ايوحنا ٢:١-٢
٤٣- أعمال الرسل ١:٣؛ عبرانيين ١:٣
٤٤- كولوسي ١:١٨؛ يوحنا ١:٣
٤٥- يوحنا ١:٣؛ كولوسي ١:١٦؛ عبرانيين ١:٣؛ يوحنا ١:١ ، ١٤، ١٨؛ ٣:١٧؛ ١٢:٤١؛ إشعياء ٦١:١-٣؛ أعمال الرسل ٤:١٢
٤٦- يوحنا ٥:٢٢؛ أعمال ١٠:٤٢؛ ١٧:٣١؛ رومية ٢:١٦
٤٧- يعقوب ١:١٧

يلعنونه على حدٍّ سواء مديونون بكل خير عرفوه يومًا لوساطة الابن.[٤٨] وتبرير الكنيسة أمام الله والعطايا التي أغدقها عليها هي بفضل الابن ومن أجله.[٤٩] والأمطار التي يُرسلها على الأشرار، والشمس التي تُدفئ وجوههم مُعطاة من خلاله!

رابعًا، يجب أن نُدرك أن التجسُّد جلب وجهًا جديدًا وبديعًا لعمل وساطة الابن. فالإنسان يسوع المسيح، ابن الله الأبدي والابن الحقيقي لآدم، يحفظ الآن الكون ويحكمه ويتوسط له، كل هذا بفضل تجسُّده وتمجُّده الأخير في الجسد. إن تطبيقات تلك الحقيقة مذهلة. فقد تحققت ذروة قصد الله للخليقة بيسوع الناصرى ومن خلاله.

المسيح النذير

تشرح رواية الخليقة في سفر التكوين لنا أن الله خلق الإنسان على صورته، وقصد له أن يتسلط على كل الأرض بصفته ممثله.[٥٠] وكون الله قد منحَ منصبًا متميزاً كهذا لمجرد مخلوق من طين، حرَّك كاتب المزمور ليهتفَ باندهاش:

> **«إِذَا أَرَى سَمَاوَاتِكَ عَمَلَ أَصَابِعِكَ، الْقَمَرَ وَالنُّجُومَ الَّتِي كَوَّنْتَهَا، فَمَنْ هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ؟ وَابْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟ وَتَنْقُصَهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، وَبِمَجْدٍ وَبَهَاءٍ تُكَلِّلُهُ. تُسَلِّطُهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ. جَعَلْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ.»**[٥١]

وضع الله كل شيء تحت قدميّ أبينا، آدم. فقد صنعه الله ليكون تاج الخليقة، ورأس جنسه، وحاكمًا على صنائع الله. لكنه وقع سريعًا في خداع الحية، وانضمَّ لها في تمرُّدها.[٥٢] نتيجةً لذلك، فَقَدَ الإنسان مكانته السامية، ملقيًا بالخليقة كلها

٤٨- يوحنا ١:٣-٤
٤٩- أفسس ١:٧-٨
٥٠- تكوين ١:٢٦
٥١- مزمور ٨:٣-٦
٥٢- تكوين ٣:١-٧

في فوضى وعبث وعبودية الفساد.[٥٣] علاوةً على ذلك، كان على الإنسان أن يترك محضر الله، ويُصبح موضِع العدل الإلهي؛ ما ينتج عنه الموت.[٥٤]

مِن وجهة نظر الإنسان، فُقِد الفردوس، واستردادُه بات أمرًا مستحيلًا. لكن في سر العناية الإلهية، بدأ يتكشَّف العملُ العظيم الذي خطط له الله من قبل تأسيس العالم![٥٥] في مِلء الزمان، أرسل اللهُ ابنه لينضم لعِرق آدم الساقط، ويفدي شعبًا لله، ويردهم لمجد يفوق جدًّا ذلك الذي فُقِد![٥٦] وهذا هو البرهان العظيم في الأصحاح الثاني من رسالة العبرانيين:

> **«فَإِنَّهُ لِمَلاَئِكَةٍ لَمْ يُخْضِعِ الْعَالَمَ الْعَتِيدَ الَّذِي نَتَكَلَّمُ عَنْهُ. لكِنْ شَهِدَ وَاحِدٌ فِي مَوْضِعٍ قَائِلاً: «مَا هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ؟ أَوِ ابْنُ الإِنْسَانِ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟ وَضَعْتَهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ. بِمَجْدٍ وَكَرَامَةٍ كَلَّلْتَهُ، وَأَقَمْتَهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ. أَخْضَعْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ». لأَنَّهُ إِذْ أَخْضَعَ الْكُلَّ لَهُ لَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا غَيْرَ خَاضِعٍ لَهُ. عَلَى أَنَّنَا الآنَ لَسْنَا نَرَى الْكُلَّ بَعْدُ مُخْضَعًا لَهُ. وَلكِنَّ الَّذِي وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، يَسُوعَ، نَرَاهُ مُكَلَّلاً بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ، مِنْ أَجْلِ أَلَمِ الْمَوْتِ، لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللهِ الْمَوْتَ لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ.»**[٥٧]

بحسب الحكمة المعطاة لكاتب العبرانيين، الله لديه خُطة بخليقة جديدة، للعالم الآتي.[٥٨] ولن يخضع هذا العالم الجديد للملائكة، بل لأولئك المفديين من جنس آدم الساقط. ولهذا السبب، جُعِل ابن الله الأبدي- لوقت قليل- أقل من الملائكة؛ حتى يذوق الموت عن كل واحد من شعبه، ويفديهم من عقوبة الموت، ويردَّهم إلى مقامهم المجيد الذي صمَّمه الله من أجلهم.

٥٣- تكوين ٣:١٤-١٩؛ رومية ٨:٢٠-٢٢
٥٤- تكوين ٣:٢٤؛ ٢:١٦-١٧؛ رومية ٦:٢٣
٥٥- ١ بطرس ١:٢٠؛ إشعياء ٤٦:٩-١٠
٥٦- غلاطية ٤:٤
٥٧- عبرانيين ٢:٥-٩
٥٨- عبرانيين ٢:٥

في الوقت الحاضر، من الواضح للجميع أن هذا التصميم لم يتحقق بالكامل بعد، وسيتحقق بالكامل في المستقبل؛ لأننا لم نرَ بعد كل الأشياء خاضعةً لشعب الله المفدي.[٥٩] لكننا نرى حقًّا يسوع قائمًا من بين الأموات، وصاعدًا عن يمين العظمة في الأعالي، مكلَّلًا بالمجد والكرامة.[٦٠] وقد سبق شعبه بصفته رئيس خلاصهم.[٦١] إنه عربون الرجاء الحاضر، والنذير الذي سيأتي بأبناء كثيرين للمجد! ويُعلن الكتاب المقدس أن الخليقة نفسَها تتوق بلهفة لإعلان أبناء الله، وتئن من أجل حريتها من عبودية الفساد إلى حرية المجد الذي لأبناء الله. وبسبب هذا الإنسان الواحد، يسوع، لن يخيب رجاء الخليقة ولا رجاؤنا!

المسيح رئيس كهنتنا

على مر التاريخ، كانت المشكلة الأعظم للإنسان الساقط هي الحاجة لوسيط يستطيع التعامُل مع الله على قدَم المساواة، وأيضًا التعامُل مع الإنسان في حالته الساقطة والبائسة. ولكي يكون وسيط بين الله والإنسان، كان من الضروري أن تكون طبيعتي الوسيط، الإلهية والبشرية، "متحدتين بلا انفصال معًا في شخص واحد، بغير تغيير ولا امتزاج ولا اختلاط."[٦٢] لكونه ملء اللاهوت ومساويًا لله، وشخصٌ كهذا يستطيع أن يكون له تعامُل مع الله.[٦٣] ولكونه إنسانًا حقيقيًّا؛ ولأنه جُرِّب في كل شيء ومع ذلك ظل بلا خطية، فإنه يستطيع أيضًا أن يرثي لضعفات الإنسان، ويشفع له.[٦٤] وتُعد هذه الصفات هي المطلوبة في الوسيط. وقد اجتمعت كلُّ تلك الصفات، وأكثر في شخص يسوع الناصرى لمجد الله وتعزية نفوسنا. إنه الله بكل معنى الكلمة، ويتشارك بمساواة في كل صفات وأمجاد ومظاهر الشرف المرتبطة بالألوهية.[٦٥]

٥٩- عبرانيين ٢:٨

٦٠- عبرانيين ٢:٩؛ ١:٣

٦١- عبرانيين ٢:١٠ (رئيس خلاصهم، ويُمكن ترجمتُها أيضًا مؤسِّس خلاصهم)

62. 1689 London Baptist Confession, chapter 8.2.

٦٣- كولوسي ٢:٩؛ فيلبي ٢:٦

٦٤- عبرانيين ٤:١٥

٦٥- يوحنا ١:١، ١٤؛ فيلبي ٢:٦

كما إنه إنسان بالكامل.[٦٦] في التجسُّد، كان شَبه إخوته في كل شيء، وجُرِّب في كل شيء، ومع ذلك كان بلا خطية.[٦٧] لهذا السبب هو رئيس كهنة أمين ورحيم، يُمكنه أن يتعامل مع الجهَّال والمضلَّلين ويَرثي لضعفاتهم.[٦٨] وقد اجتاز السماوات بفضيلته واستحقاقه؛ ليُدافع عن قضيتنا في عرش الله نفسه.[٦٩] كما يقف بلا خزي أمام الله، ومع ذلك لا يستحي أن يدعونا إخوة.[٧٠] وإذ لبس الجسد الممجَّد، صار الإنسان الذي "**سبقنا**" إلى المجد، والإنسان "**المدافع عَنَّا**" أمام عرش الله. وجلس هناك متوجًا بصفته ممثل شعبه، ويحيا إلى الأبد ليشفع فيهم.[٧١]

تاق أيوب، الشيخ، إلى وسيط مؤهل وفريد ليضع يده على الله والإنسان.[٧٢] إن الشخص الذي تاق إليه أيوب هو الآن جالس عن يمين الله. وعند انقضاء الدهور سيُبطِل الخطية بذبيحة نفسه الكاملة، حيث دخل إلى السماء ليَمْثُل في محضر الله من أجل شعبه.[٧٣] ومن خلاله، لنا مرساة للنفس مؤتمنة وثابتة، تدخل إلى ما داخل الحجاب.[٧٤] وهو يقدر أن يُخلِّصنا "إلى التمام" لأنه حيٌّ إلى الأبد ليشفع فينا.[٧٥]

مع أن المسيح أتمَّ كفارتنا على الجلجثة، وكلَّ متطلبات تبريرنا، يُعلِّم الكتاب المقدس أن المسيح مستمر في التشفُّع عن شعبه.[٧٦] إنها واحدة من أجمل العقائد في الكتاب المقدس بالكامل، ومع ذلك، كثيراً ما يُساء فَهمُها. كتب تشارلز هودج (Charles Hodge)، عالم الكتاب المقدس البارز: "ليس لدينا الكثير الذي يُمكن قوله

٦٦- ١ تيموثاوس ٢:٥
٦٧- يوحنا ١:١ ، ١٤؛عبرانيين ٢:١٤-١٨؛ ٤:١٥؛ ٢كورنثوس ٥:٢١
٦٨- عبرانيين ٢:١٧؛٤:١٥؛ ٥:١-٤
٦٩- عبرانيين ٤:١٤-١٥؛ ٩:١١-١٢
٧٠- عبرانيين ٢:١١
٧١- عبرانيين ٧:٢٥
٧٢- أيوب ٩:٢٨-٣٥
٧٣- عبرانيين ٩:٢٤-٢٦
٧٤- عبرانيين ٦:١٩
٧٥- عبرانيين ٧:٢٥
٧٦- يوحنا ١٩:٣٠؛ رومية ٤:٢٥

عن طبيعة تشفُّع المسيح. ونُخطئ عِند المبالغة في رموز الكتاب المقدس، ويَكمن الخطأ في تفسير هذه الرموز."[٧٧] وكتب جون موريي (John Murray):

> أسيء تصوير طبيعة شفاعة ربنا أحيانًا على نحو بشع في الفكر المسيحي الشائع. يجب ألَّا نتخيله في صورة المبتهل الواقف أمام الآب وذراعيه ممدوتين، مثل الصور المرسومة بالفسيفساء في المدافن الرومانية، وبصراخ قوي ودموع يتوسل بشأن قضيتنا في محضر إله معانِد؛ بل في صورة كاهن وملك متوَّج، يطلب ما يُريد من الآب الذي يستمع إليه دائمًا، ويمنحه طلبه. إن حياة ربنا في السماء هي صلاته؛ وذبيحة نفسِه، التي قُدمَت مرة، هي مقبولة وكافية بالتمام؛ وتواصُله مع الآب مباشر وغير منقطع؛ وخدمته الكهنوتية عن شعبه لا تنتهي؛ لذلك فالخلاص الذي يضمنه لهم هو خلاص ثابت ويقيني.[٧٨]

في ضوء تلك التحذيرات من لاهوتيين معروفين كهؤلاء، علينا أن نسأل أنفسنا: "ما الذي يَعنيه حقًّا أن المسيح هو رئيس كهنة لنا، يحيا دائمًا ليشفع فينا؟"[٧٩] سندرس في الجزء التالي أربع حقائق متعلقة بهذا الأمر.

يسوع كفَّر عن إثم شعبه

أولًا، تتضمن شفاعة المسيح مثوله، مرة وإلى الأبد، أمام الله نيابةً عَنَّا بصفته الذبيحة لخطايانا. يجب ألَّا نظن أن شفاعة المسيح المستمرة ضرورية لتكميل نقص ما في الكفارة، أو لتوفير الغفران لخطايا شعبه. يُوضح الكتاب المقدس أن المسيح أُظهر في ملء الأزمنة؛ ليَمحي الخطية مرةً وإلى الأبد، ويحصل على فدائنا الأبدي

77. Charles Hodge, Systematic Theology (New York: Scribner, Armstrong, and Co., 1871–1872), 2:593.
78. John Murray, The Epistle to the Romans, The International Commentary on the New Testament, 155. The text within the larger quotation was taken from H. B. Swete, The Ascended Christ (London, 1912), 95.

٧٩- عبرانيين ٧:٢٥

بذبيحة نفسه.[٨٠] يُصرِّح كاتب الرسالة إلى العبرانيين بالأمر بهذه الطريقة: «**وَكُلُّ كَاهِنٍ يَقُومُ كُلَّ يَوْمٍ يَخْدِمُ وَيُقَدِّمُ مِرَاراً كَثِيرَةً تِلْكَ الذَّبَائِحَ عَيْنَهَا، الَّتِي لاَ تَسْتَطِيعُ الْبَتَّةَ أَنْ تَنْزِعَ الْخَطِيَّةَ. وَأَمَّا هذَا فَبَعْدَمَا قَدَّمَ عَنِ الْخَطَايَا ذَبِيحَةً وَاحِدَةً، جَلَسَ إِلَى الأَبَدِ عَنْ يَمِينِ اللهِ، مُنْتَظِراً بَعْدَ ذلِكَ حَتَّى تُوضَعَ أَعْدَاؤُهُ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْهِ. لأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ.**»[٨١]

إن موت المسيح مرةً وإلى الأبد يحل مشكلة خطية المؤمن الماضية، والحاضرة، والمستقبلة. لهذا السبب، علينا ألَّا نفكر في المسيح واقفًا أو منبطحًا على وجهه أمام الآب، متوسلاً الغفران لخطايا شعبه المستمرة. إن جلوسه عن يمين الله هو التذكار الأبدي العظيم على أن الكفارة قد تمَّت.[٨٢] إنه النُّصب التذكاري الثابت، والأثر الباقي الذي لن يُنسى.

يسوع يُصلِّي من أجل شعبه

ثانيًا، دور يسوع المسيح كشفيع ليس مجرد تمثيلي، بل يتضمن شفاعةً فعلية، أو رفع الصلوات والطلبات إلى الله نيابةً عن شعبه. ولإثبات ذلك، سندرس بإيجاز ثلاثة نصوص:

> **مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟ اَلْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضًا، الَّذِي هُوَ أَيْضًا عَنْ يَمِينِ اللهِ، الَّذِي أَيْضًا يَشْفَعُ فِينَا.**[٨٣]
>
> **فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى التَّمَامِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ.**[٨٤]
>
> **لِذلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الأَعِزَّاءِ وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً، مِنْ أَجْلِ**

٨٠- عبرانيين ٩:١٢ ، ٢٦-٢٨. (اقرأ أيضًا عبرانيين ٧:٢٧؛ ١٠:١٠؛١بطرس ٣:١٨).

٨١- عبرانيين ١٠:١١-١٤

٨٢- كلمة مجلس عادة ما يستخدمها اللاهوتيون للإشارة إلى المسيح "جالسًا" عن يمين الله.

٨٣- رومية ٨:٣٤

٨٤- عبرانيين ٧:٢٥

أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ، وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ.[٨٥]

حين يُشير الرسول بولس وكاتب رسالة العبرانيين إلى خدمة المسيح الشفاعية، فإنهما يستخدمان الكلمة اليونانية نفسَها (entugchano) التي تُشير بوضوح إلى فعل الصلاة، أو التضرُّع، أو التوسُّط.[٨٦] يَستخدم إشعياء الفعل العبري باجا (paga)، الذي يأتي بمعنى يتضرع أو يتوسط في نبوته عن الخدمة الشفاعية المستقبلية للمسيا.[٨٧] لذلك، لكي نكون أمناء تجاه المعنى والقرينة الأصليين لتلك المصطلحات، يجب استنتاج أن شفاعة المسيح تتضمن أيضًا طِلباته التي يطلبها من الله نيابةً عن شعبه.

تُشِع في هذه الخدمة الشفاعية قوة طبيعة المسيح الثنائية وعظمتها. لكونه الإله الكليَّ العِلم؛ فهو يعرف كل تجربة، وإغواء، واحتياج لدى شعبه فوراً، وبلا جهد، وبشمولية.[٨٨] ولكونه الإنسان الذي جُرِّب في كل شيء، فهو يقدر أن يرثي لشعبه، ويأتي لمعونتهم في وسط المحن.[٨٩] وباعتباره الله الإنسان، يقدر أن يدخل إلى عرش الله نفسِه، ويشفع نيابةً عن شعبه بمعرفة كاملة لاحتياجهم، وبتعاطف تام معهم، وبفهم كامل لمشيئة الله.

مع أننا قد نرغب في وصف أكثر تفصيلًا لطبيعة شفاعة المسيح من السماء نيابةً عن شعبه، علينا أن نقترب من المسألة بقدر كبير من الحذر. يكاد يكون الكتاب المقدس صامتًا فيما يخص هذه المسألة. لكن، قد نتمكن من اكتساب بعض البصيرة إذا تأمَّلنا في طبيعة شفاعة المسيح في أثناء خدمته الأرضية. كتبَ جون موريي (John Murray):

٨٥- إشعياء ٥٣:١٢

٨٦- رومية ٨:٣٤؛ عبرانيين ٧:٢٥. اقرأ في اللاهوت النظامي لوين جرودم.
Wayne A. Grudem, Systematic Theology (Grand Rapids: Zondervan, 1994), 627–28.

٨٧- إشعياء ٥٣:١٢

٨٨- بول ديفيد واشر، الإله الواحد الحقيقي.
(Hannibal, Miss.: Granted Ministries Press, 2009), 40.

٨٩- عبرانيين ٤:١٥؛ ٢:١٦-١٨

لا بد أن تعليم المسيح وعمله على الأرض قد شجعا تلاميذه على أن يروا فيه شفيعهم الكامل المميزات. قال لسمعان بطرس في العشاء الأخير: «**طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ. وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبِّتْ إِخْوَتَكَ**» (لوقا ٢٢: ٣٢). لو طُرح السؤال: ما شكل شفاعته السماوية، لن نجد إجابة أفضل من أنه لا يزال وهو عن يمين الله، يفعل لشعبه ما فعله لبطرس على الأرض. والصلاة المدوَّنة في يوحنا الأصحاح السابع عشر، في الليلة نفسِها التي تعرَّض فيها للخيانة، تُدعى بحق صلاته كرئيس كهنة، والدراسة المدققة لها ستساعدنا كثيراً لنفهم ما المقصود هنا حين يُوصف ربُّنا بأنه يتشفع عن أولئك الذين يأتون إلى الله من خلاله.[٩٠]

يسوع يدافع عن شعبه ضد إبليس

ثالثًا، تتضمن شفاعة المسيح دفاعه عن المؤمن ضد شكايات إبليس، وضد أيٍّ ممَن قد يتحالفون معه. يُشير الكتاب المقدس لإبليس بأنه المشتكي على الإخوة، والذي يشتكي عليهم أمام الله نهاراً وليلًا.[٩١] في الواقع، الاسم **إبليس** مترجَّم من الكلمة اليونانية ديابولوس (diabolos)، التي تدل على المُشتكي، أو شخص يميل إلى توجيه التُّهم والتشهير. في هذه الحياة يُشهِّر إبليس بالمؤمنين ويفتري عليهم باستمرار، لكن المسيح يأخذ دور الدفاع عن المؤمن أمام عرش الله. ومن المهم ملاحظة أن هذا الدفاع لا يعتمد على براءة المؤمن أو استحقاقه أو على مصداقية شكاية إبليس. لأنه لو اعتمد عليهم، فقد يفشل؛ لأننا غالبًا مذنبون، وإبليس غالبًا مُحِق في ادعاءاته ضدنا. عوضًا عن ذلك، يعتمد دفاعُنا على عمل المسيح الكامل والثابت بالنيابة عن المؤمن. فقد دفع بالكامل ثمن كل جريمة ارتكبناها، وهكذا يُبطِل كل شكاية يُمكن لإبليس أن يُوجِّهها لنا عن حق. إنها تلك الثقة التي قادت بولس ليكتب: «**مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟ اَلْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ**

---

90. Murray, The Epistle to the Romans, 154–55

٩١- رؤيا ١٢: ١٠

قَامَ أَيْضًا، الَّذِي هُوَ أَيْضًا عَنْ يَمِينِ اللهِ، الَّذِي أَيْضًا يَشْفَعُ فِينَا.»[٩٢] إن سؤال الرسول بلاغي بكل تأكيد، حيث يعلم أن الوحيد الذي له حق الدينونة بالفعل هو يسوع **نفسُه** الذي مات ليُحرِّر المؤمن من الدينونة. وشكايات إبليس لا تساوي شيئًا بالنسبة لدم المسيح. حتى الأضعف بين شعب الله، سيغلب أعظم الشياطين بفضل دم الحمل.[٩٣] علاوةً على ذلك، من المهم الإشارة أيضًا إلى أن المسيح لا يتشفع عن شعبه ضد شكاية إبليس فقط، بل يتشفع عنهم في وسط هجوم إبليس عليهم. في الليلة السابقة للصلب، أخبر يسوعُ بطرسَ أن الشيطان طلب الإذن بأن يغربلهم مثل الحنطة، لكن يسوع وعد بأنه صلّى لبطرس حتى لا يَفنى إيمانُه.[٩٤] وقد فعل الأمر ذاته لمؤمنين لا حصرَ لهم على مدار ألفيّ عام من تاريخ الكنيسة، وسيفعل هذا إلى نهاية الدهر.

يسوع يُعزِّي شعبه

رابعًا وأخيراً، شفاعة المسيح هي أعظم تعزية لشعبه. فالمؤمن يتبرر أمام الله تبريراً ثابتًا لا يتغير، من خلال الكفارة. فضلًا عن ذلك، يُعطي عمل التجديد الذي يقوم به الروح القدس وسكناه قوةً جديدة على الخطية. ومع ذلك يُدرك أن المؤمن ضعفاته كثيرة وسقطاته متكررة على نحو مؤلم. وهذه كافية لتتركه ورأسه للأسفل خَجِلًا وبلا رجاء، إن لم يكن له رئيس كهنة رحيم في السماء قادر أن يتعامل بلطف مع الجاهل والمُضَلّل.[٩٥]

يُبرهن الأصحاح الرابع والخامس من رسالة العبرانيين بوضوح على هذه الحقيقة. حيث نتعلم حقيقتين قويتين تعملان في حياة كل مؤمن. ترتبط الحقيقة الأولى بقوة كلمة الله على كشف حتى الأفكار والأعمال الخفية في حياة المؤمن. فكلمة الله

٩٢- رومية ٨:٣٤
٩٣- رؤيا ١١:١٢
٩٤- لوقا ٢٢:٣١-٣٢
٩٥- عبرانيين ٥:١-٢

«حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ.»[٩٦] وترتبط الحقيقة الثانية بعلم الله الكُلِّيّ الذي يعرف كل فكرة، وكل كلمة، وكل عمل للمؤمن: **«وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنَيْ ذلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا.»**[٩٧]

تكفى هاتان الحقيقتان المتمثلتان في قوة كلمة الله لكشف خطيتنا، وعِلم الله الكُلِّيّ الذي لا يُمكن لإنسان الاختباء منه، لشل المؤمن، وإلقائه في بحرٍ من الشك. لكن هذه ليست القضية؛ لأن المؤمن يجد في يسوع رئيس كهنة رحيم وأمين قادر أن يرثي لضعفاته؛ لأنه جُرِّب في كل شيء، لكنه كان بلا خطية.[٩٨] ولهذا السبب، لا يدفع الشك والخوف المؤمن بعيدًا، بل لنا ثقة أن نتقدم إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة ونجد نعمة عونًا في حينه.[٩٩] تُصوِّر الترنيمة التالية التي كتبتها تشاريتي ال. بانكروفت، بقوة هذه الحقيقة المجيدة:

أمامَ عرشِ اللهِ في العُلا
أقدِّم التماسًا قويًّا وكاملًا.
رئيسُ كهنةٍ عظيمْ اسمُه **محبة**
حيٌّ إلى الأبدِ يترافعُ عني.
اسمي منقوشٌ على كفيه،
ومكتوبٌ على قلبِه.
أعلمُ أنه واقفٌ في السماء
ولا يَقدرُ لِسانٌ أن يشتكي عليَّ.

٩٦- عبرانيين ٤:١٢
٩٧- عبرانيين ٤:١٣
٩٨- عبرانيين ٢:١٦، ١٨؛ ٤:١٤-١٥
٩٩- عبرانيين ٤:١٦

وحينَ يُجرِّبُني الشيطانُ كي أفقدَ رجائي
ويُخبرُني بالذَّنبِ بداخلي،
أرفعُ عينيَّ إلى العَلي فأراه هناك
ذاكَ الذي وضعَ نهايةً لخطيتي.
لأنَّ المُخلِّص الذي بلا خطيةٍ مات
ونفسي الخاطئةُ حُسِبَت حرَّةً.
لأنَّ اللهَ العادلَ قد ارتضىَ
أن ينظرَ إليه ويعفو عني.
هوذا الحملُ المُقام،
بِرِّي الكاملُ الذي بلا عيب،
أهيه العظيمُ الذي لا يتغير،
مَلِكُ المجدِ والنعمة،
الذي فيه لا يُمكنُ أن أموت.
نفسي اشتراها بدمِه،
وحياتي مستورةٌ بالمسيح في العُلا،
مع المسيحِ مخلصي وإلهي![100]

100. Charitie L. Bancroft, "Before the Throne of God Above," 1863.

الفصل الخامس والعشرون

صعود المسيح ربًّا على الكل

«لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اِسم . لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسم يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ.»

(فيلبي ٢: ٩-١١)

«الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اِسم يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا، وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْت قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ.»

(أفسس ١: ٢٠-٢٢)

لا يُؤكِّد صعود يسوع المسيح أن الكنيسة لها وسيط فحسب، بل أن الكون له رب وديَّان أيضًا. يُشير مزمور ٢٤ إلى المسيح الصاعد، ملك المجد الذي حتى أبواب السماء تخضع له.[١] وبما أنه ملك على أسمى مجال في الخليقة، يُمكننا افتراض أنه يملك أيضًا على كل المجالات الأدنى، حتى أبواب الجحيم أيضًا تخضع له.[٢]

١- مزمور ٢٤: ٧.

٢- متى ١٦: ١٨؛ رؤيا ١: ١٨.

تسيطر فكرة ربوبية المسيح على كلٍّ من نبوات العهد القديم الواردة عن المَسيَّا، وكرازة الرسل في العهد الجديد. يسوع ليس مخلص العالم فحسب، بل هو أيضًا صاحب السيادة المطلقة عليه. ولذلك، لن نكون أمناء تجاه ما يقدمه العهد الجديد عن المسيح أو إنجيله، إن سلَّطنا الضوءَ فقط على المسيح كمخلص العالم، لدرجة إقصاء واستبعاد المسيح كرب وصاحب السيادة المطلقة. وتُعد حقيقة ربوبية المسيح أساسية للكرازة الصحيحة بالإنجيل، مثلها في ذلك مثل تفرُّد وظيفة المسيح المخلص. وليس من قبيل الصدفة أن يختم بطرس أول عظة علنية له بالإنجيل في يوم الخمسين بإعلان عن ربوبية يسوع: «**لأَنَّ دَاوُدَ لَمْ يَصْعَدْ إِلَى السَّمَاوَاتِ. وَهُوَ نَفْسُهُ يَقُولُ: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي ، حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ. فَلْيَعْلَمْ يَقِينًا جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هذَا، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ، رَبًّا وَمَسِيحًا.**»[٣]

لا ينبغي أن نُعامل صعود المسيح وتمجيده بصفته الرب كعقيدة صغيرة يُمكن ضمُّها إلى نهاية عظة مطوَّلة عن الصليب، ولا ينبغي إظهارُها في صورة أقل من حقيقتها؛ لنتفادى إهانة ثقافة ما يصعب عليها أن تتوافق رؤيتها مع ملك له السيادة. بل ينبغي لهذه العقيدة أن تأخذ وضعها الصحيح ضمن أبرز العقائد وأهمها في الإنجيل. فجنبًا إلى جنب مع القيامة، تُعد رِفعة المسيح عن يمين الله موضوعًا بارزًا في كرازة الرسل والكنيسة الأولى بالإنجيل، ولذلك، لا بد له أيضًا أن يكون موضوعًا بارزًا في رسالة الإنجيل التي نكرز بها اليوم. ويجب أن نكرز بالمسيح المخلِّص الذي يدعو المتعبين والثقيلي الأحمال أن يأتوا إليه دون أي تحفظات،[٤] وأن نكرز به ربًّا، ذاك الذي يُطالب الأمم بأن يُقدِّموا له الولاء، والذي يملك عليهم بعصا من حديد![٥] وعلى الرغم من إمكانية مَلء مجلدات كاملة عن موضوع ربوبية المسيح، سنسعى فقط لتناول بعض الحقائق المتعلقة بهذه العقيدة، وتُقدِّم هذه الحقائق أقوى انعكاس على فهمنا للإنجيل والكرازة به.

٣- أعمال ٢: ٣٤-٣٦.
٤- متى ١١: ١٨.
٥- مزمور ٢: ٩-١٢.

أساس ربوبية المسيح

يُعد السؤال الأول الذي نبحث فيه هو: "ما أساس ربوبية المسيح؟ من أي مصدر أو من خلال مَن نال هذا التعيين؟" وفقًا للمكتوب، نال المسيح هذا التعيين بقضاء إلهي. في يوم الخمسين، أعلن بطرس أن الله هو من جعل يسوع هذا الذي صُلِب ربًّا ومسيحًا.[٦] وبكلمات أخرى، الإله نفسه الذي قال له: «**أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ**،» هو الذي عيَّنه ربًّا وملكًا على الكل.[٧]

في كلمات المسيح الأخيرة لتلاميذه، أعلن لهم: «**دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ** فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ،»[٨] ومن هنا نفهم أن لقبه بصفته الملك صاحب السيادة المطلقة لم يكن شيئًا أخذه لنفسه، بل قد وهبه اللهُ الآب له.

تنبأ داود بهذا الحق وهو يكتب بوحي من الروح القدس قائلًا: «**قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ.**»[٩] وفي مواجهة يسوع مع الفريسيين والصدوقيين، استشهد يسوع بهذا النص لإثبات أن المَسيَّا أكثر من مجرد إنسان، وأن سيادته ستمتد لأبعد من حدود المجال الأرضي.[١٠] وبحسب المكتوب، وَهَب الله داود أن يكون أبرز ملوك إسرائيل وأقواهم، ومع هذا، أشار داود بالروح إلى الابن المَسياني المستقبلي؛ باعتباره ربَّه الذي سيجلس عن يمين الله. وأكَّد بولس تتميم هذه النبوة في العديد من رسائله؛ حين كتب لكنيسة فيلبي أن الله قد رفَّع يسوع «**وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ**،»[١١] وشَرَح لكنيسة أفسس أن الله قد أجلس يسوع عن يمينه، فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ.[١٢]

٦- أعمال ٢: ٣٦.
٧- مزمور ١١٠: ٤؛ عبرانيين ٥: ٦؛ ٧: ١٧، ٢١.
٨- متى ٢٨: ١٨.
٩- متى ٢٢: ٤٤؛ أعمال ٢: ٣٤-٣٥؛ مزمور ١١٠: ١.
١٠- متى ٢٢: ٤٣-٤٥.
١١- فيلبي ٢: ٩.
١٢- أفسس ١: ٢٠-٢٢.

من المهم ملاحظة أن كل نص قمنا بالاستشهاد به يُقدِّم إنعام الآب على الابن بالسلطان باعتباره حدثًا قد تحقق بالفعل. ومع أن التبرير الكامل للمسيح والاعتراف بربوبيته هو حدث لا يزال مستقبليًّا، فإنه حقيقة حاضرة، ويقين مطلق ينبغي أن يكون الجميع على دراية به، وينبغي أن يثق شعب المسيح به. وبفضل هوية يسوع المسيح، ومكافأة على ما قد أتمَّه، نال من الآب كل السلطان على كل مجالات الخليقة. أراد اليهود أن يخطفوا يسوع بالقوة، ويجعلوه مَلكًا على إسرائيل،[١٣] وعرَضَ إبليسُ عليه كل ممالك العالم لو ركع وسجد له،[١٤] لكن يسوع تغلب على هذه التجارب جميعها، وكرَّس نفسَه لخدمة الشخص الوحيد الذي له كل القوة حقًّا أن يمنح مثل هذا السلطان، ولهذا رفَّعه الآب. ويشرح الرسول بولس هذا كالآتي:

«وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ. لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ.»[١٥]

ربوبية المسيح التي لا جدال عليها

تتمتع ربوبية يسوع الكونية المؤسسة على القضاء الإلهي بعدة تطبيقات، لكن أحد أهم هذه التطبيقات يضمن أن ربوبيته غير قابلة للتغيير، ولا جدال عليها. يُبيِّن المزمور الثاني بقوة هذا الحق، وقد فسَّر اليهود والمسيحيون على حدٍّ سواء هذا المزمور؛ باعتباره مزمورًا ملكيًّا يُصوِّر مُلكَ المسيا:

«لِمَاذَا ارْتَجَّتِ الأُمَمُ، وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ فِي الْبَاطِلِ؟ قَامَ مُلُوكُ الأَرْضِ، وَتَآمَرَ الرُّؤَسَاءُ مَعًا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ، قَائِلِينَ: «لِنَقْطَعْ

١٣- يوحنا ٦: ١٥.
١٤- متى ٤: ٨-٩.
١٥- فيلبي ٢: ٨-١١.

قُيُودَهُمَا، وَلْنَطْرَحْ عَنَّا رُبُطَهُمَا». اَلسَّاكِنُ فِي السَّمَاوَاتِ يَضْحَكُ. الرَّبُّ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ. حِينَئِذٍ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِمْ بِغَضَبِهِ، وَيَرْجُفُهُمْ بِغَيْظِهِ. «أَمَّا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ مَلِكِي عَلَى صِهْيَوْنَ جَبَلِ قُدْسِي.»»[١٦]

نقرأ في هذا المزمور عن مَلك من نسل داود يتمتع ملكه بسلطانٍ مطلق ونطاق غير محدود. فضلًا عن ذلك، نتعلم أن جلوس هذا الملك على عرش الكون سيكون عمل الله نفسَه، كما أن القرار يرجع إلى سلطانه الإلهي، وقد اتخذه باستقلال عن الخليقة، أي إنه لن يتطلب موافقة البشر أو الملائكة، ولا تعتمد استمراريته على تقديمهم المساعدة، بل في الحقيقة إن اجتمعت كل المخلوقات في السماء وعلى الأرض وفي الجحيم معًا، وشكلوا قوةً واحدة متحدة؛ ليُحاربوا هذا الملك الذي مسحه الله، لن يُشكِّل هذا أيَّ تأثير على الإطلاق، كما لو كان أضعفهم يُحارب وحده. إن تمرَّدهم تافهًا ومضحكًا، كما لو كانت حشرة صغيرة تصدم رأسها بحجر من الصَّوان! ويصير هذا الحق واضحًا وضوح الشمس بأقل فحص لهذا المزمور الملكي!

في الأعداد الثلاثة الأولى من النص، نشهد عداء العالم تجاه المسيح، وتجاه تقدم ملكوته وتوسُّعه. وهنا نرى أمامنا المعركة القديمة بين نسل الحية الخبيثة ونسل المرأة.[١٧] كما نرى سَيلًا عنيفًا ومعاديًا من البشرية قد قام ضد مشيئة الله ومَلِكه. حيث يَعتبر البشر أن مُلك المسيح بالبِر ومشيئته رُبُطًا تقيِّد إثمهم، وبالتالي صاروا يشتهون قطع قيودهما وطرح رُبطهما، وظلوا بائسين، حتى نالوا حريتهم لفعل الشر. ولهذا ارتجَّت الأمم، مثل حصان حربي مشتعل غضبًا، يخوض في سخط معركة ضد الملك المنصَّب من الله. بل حتى أعظم رؤسائهم متورطين في هذه الثورة، فإن ملوك الأرض قاموا، وتآمر الرؤساء معًا على الرب وعلى مسيحه. ولكن بالرغم من كل مخططاتهم ومكرهم، فإن أفضل الخُطط التي وضعوها باطلة، وأقصى مساعيهم لا يحقق شيئًا، وهم يُشبهون عنكبوتًا ضئيل الحجم ينسج شبكته على أمل

١٦- مزمور ٢: ١-٦.
١٧- تكوين ٣: ١٥.

أن يصيد أسدًا مهاجمًا. إن كل عدائهم، ومؤامراتهم، وحروبهم بلا أهمية، إذ قد غاب عن عقلهم أنه لَيْسَ حِكْمَةٌ وَلاَ فِطْنَةٌ وَلاَ مَشُورَةٌ تُجَاهَ الرَّبِّ.[١٨] ولم يُدركوا أيضًا أنهم كَنُقْطَةٍ مِنْ دَلْوٍ، وَكَغُبَارِ الْمِيزَانِ يُحسَبون. وأن كل الأمم بكل مجدها وقوتها كلا شيء قدامه، وتُحسب عنده كباطل وعدم.[١٩] وفي كبريائهم، رفضوا مشورة داود الحكيمة، الذي حذَّر كل الأمم والشعوب في كل مكان هذا التحذير: «**لِتَخْشَ الرَّبَّ كُلُّ الأَرْضِ، وَمِنْهُ لِيَخَفْ كُلُّ سُكَّانِ الْمَسْكُونَةِ. لأَنَّهُ قَالَ فَكَانَ. هُوَ أَمَرَ فَصَارَ. الرَّبُّ أَبْطَلَ مُؤَامَرَةَ الأُمَمِ. لاَشَى أَفْكَارَ الشُّعُوبِ. أَمَّا مُؤَامَرَةُ الرَّبِّ فَإِلَى الأَبَدِ تَثْبُتُ. أَفْكَارُ قَلْبِهِ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ.**»[٢٠]

مَسح الله يسوع الناصري ملكًا، وكل المعارضة المجتمعة معًا ليست ذا أهمية، بل هي مدعاة للسخرية، بل وتستحق التهكم الإلهي. ويُخبرنا داود وهو يكتب بوحي الروح القدس أن **الجالس** في السماء يضحك ويستهزئ بخصومه. إن مخططاتهم المستمرة ومؤامراتهم المتطرفة تُسلِّيه. إنه يهزأ بتفاخرهم وتهديداتهم، ويضحك على أقوى هجماتهم، ويرجعهم بكلمة واحدة فقط. وهنا يُعلِّق تشارلز سبرجن: "لاحظوا الجلال الهادئ الذي يتمتع به كلي القدرة، والازدراء الذي يسكبه على الأمراء وشعوبهم الهائجة. لم يتكبد عَناء أن يقوم ويحاربهم؛ لأنه يزدري بهم. إنه يعلم كم أن كل مساعيهم ضده سخيفة وغير معقولة ولا طائل منه، ولذا يضحك عليهم."[٢١] ويعلق جون كالفن أيضًا على هذا ويقول: "دعونا إذًا نُطمئن أنفسَنا أنه إذا لم يمد الرب فوراً ذراعه على الأثمة، فإنه الآن يضحك عليهم."[٢٢]

تُعد الهوة بين الله والأمم المتمردة واسعة للغاية، حتى إنه ليس في حاجة لأن يقوم أو حتى يُعدِّل من جلسته فوق عرشه، وعندما ينتهي من تسليته بمشاهدتهم

١٨- أمثال ٢١: ٣٠.
١٩- إشعياء ٤٠: ١٥-١٧.
٢٠- مزمور ٣٣: ٨-١١.
21. Spurgeon, *Treasury of David*, 1:11.
22. John Calvin, *Commentary on the Book of Psalms*, vol. 4 of Calvin's Commentaries (Grand Rapids: Baker, 1996), 4:14.

وهم يحاربونه، يتكلم إليهم بأقل اِستعلان لغضبه، فيرجفهم رعبًا. ويُعلن لهم حكمه وقضاءه الثابت بشأن اِبنه، وكأنه يقول لهم: "دعوا الأمم ترتج، ودعوا ملوك الأرض يقومون، أمَّا أنا فقد مسحت ملكي على عرش جبل قدسي. لقد قُضِيَ الأمر، وألقيتُ القرعة بيدي، وكل مقاومة هي دون جدوى، فإن ملكوته سيأتي ومشيئته ستكون!"

يسوع المسيح هو ذلك الحجر الذي رآه دانيال النبي.[٢٣] وقد قُطِع هذا الحجر من الجبل بقضاء إلهي دون معونة من أية مشورة أو قُدرة بشرية؛ وهذا الحجر سحق ممالك الأرض المنافِسة، وقضى عليها، ثم صار هذا الحجر جبلًا عظيمًا، وملأ الأرض كلها، ومملكة هذا الحجر لن تنقرض أبدًا، ولن تُترك لشعبٍ آخر. ولهذا ارتجَّت الأمم، واجتمعت معًا في حَنَقٍ وسخط، إذ كيف يجرؤ الله على فرض مَلكه وقوانينه عليهم! إلَّا أن مواقفهم وأفعالهم لا قوةَ لها أمام قضاء الله، فلن يحدث أبدًا تنازُل عن العرش، ولن يُصبح المنصب متاحًا لإعادة الانتخاب، ولن يحدث تغييرٌ لمناوبة الحراسة، ولا إمكانية للثورة. إن إله الكتاب المقدس هو ملكٌ صاحب سيادة مطلقة، وقد منح اِبنه عرشًا ثابتًا لا نزاعَ فيه.

نحن نعيش في عصر وثقافة ترفع من شأن اِستقلال الإنسان، وتضعه فوق سيادة الله، وتضع حرية تعبير الفرد فوق قوانين الله. بل في الحقيقة، يُعد اِستقلال الإنسان وحرية التعبير بقرتين مقدستين بالنسبة للإنسان الحديث،[٢٤] لكن لنضع في اِعتبارنا هذه النصوص: «**أَمَّا هُوَ فَوَحْدَهُ، فَمَنْ يَرُدُّهُ؟ وَنَفْسُهُ تَشْتَهِي فَيَفْعَلُ**،»[٢٥] «**وَحُسِبَتْ جَمِيعُ سُكَّانِ الأَرْضِ كَلاَ شَيْءَ، وَهُوَ يَفْعَلُ كَمَا يَشَاءُ فِي جُنْدِ السَّمَاءِ وَسُكَّانِ الأَرْضِ، وَلاَ يُوجَدُ مَنْ يَمْنَعُ يَدَهُ أَوْ يَقُولُ لَهُ: «مَاذَا تَفْعَلُ؟»**»[٢٦] تثير هذه الحقائق الكتابية غضب الغالبية العُظمى من البشر، ومع هذا، فهي جزءٌ رئيس من

٢٣- دانيال ٢: ٣٤-٣٥، ٤٤-٤٥.

٢٤- تُعد عبارة "البقرة المقدسة" إشارة إلى الديانة الهندوسية التي تعتبر البقرة مقدسة أو تعتبرها إلهًا. فأن تقول إن فكرةً ما، أو تقليدًا، أو عادة هي بقرة مقدسة؛ فهذا يَعني أنها تُعتبر فوق كل الشكوك أو الانتقادات، وفي أغلب الأحوال يكون هذا بشكل غير منطقي وغير عقلاني.

٢٥- أيوب ٢٣: ١٣

٢٦- دانيال ٤: ٣٥.

الإنجيل، ولا ينبغي إخفاؤها أو تقليصها بدافع المواءمة، أو بدافع الرغبة في جعل الإنجيل مُسالِمًا، وغيرَ منفِّر.

جعل الله يسوع هذا الذي صلبناه ربًّا ومسيحًا،[٢٧] فالحجر الذي رذله البناؤون صار رأسًا للزاوية.[٢٨] يسوع الآن يملك على عرش الكون بتعيين إلهي، وجلوسه على العرش ليس قابلًا للانتقاد أو الجدل، إذ سيظل دائمًا الرب والديَّان الذي لا بد أن يقف كل إنسان أمامه. ويجب ألَّا يكون هذا الحق العظيم مكتومًا عن الجموع التي يُخاطبها الكارز، بل لا بد من الكرازة به للجميع دون أي تحفظ. ولكن يجب أن نتذكر أننا لا نتوسل إلى الناس كي يجعلوا يسوع ربَّ حياتهم، لكننا نناشدهم أن يعترفوا بهذا الرب الذي نصَّبه الله ويخضعوا له![٢٩]

مدى ربوبية المسيح

بعد أن تناولنا أساس سلطان المسيح وعدم قابليته للجدال، سنركز انتباهنا الآن على مدى سُلطته أو نطاقها. وفقًا للمكتوب، هذا السلطان كونيّ ومطلق. فقد أعلن يسوع في كلماته الأخيرة لتلاميذه: «**دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ.**»[٣٠] يجب ألَّا نسمح لتصريحه الموجز هذا أن يبعث فينا الشك في أهميته، فهو يُعد واحدًا من أكثر الادعاءات المذهلة التي صرَّح بها يسوع. تُرجمت كلمة سلطان (authority) من الاسم اليوناني (exousia)، الذي يُشير إلى السُّلطة والحق والقوة. وفي سياق صعود المسيح، تعني هذه الكلمة أنه قد أُعطي كل سلطان في كل اختصاص أو مجال في الخليقة، دون أي حدود أو استثناء. وتُبرهن الإشارة إلى السماء والأرض على استحالة وجود أي شيء خارج نطاق سُلطانه أو نفوذه.

٢٧- أعمال ٢: ٣٦.
٢٨- مزمور ١١٨: ٢٢؛ متى ٢١: ٤٢؛ مرقس ١٢: ١٠؛ لوقا ٢٠: ١٧؛ أعمال ٤: ١١؛ ١ بطرس ٢: ٧.
٢٩- أعمال ٢: ٣٦.
٣٠- متى ٢٨: ١٨.

وتُؤكِّد كل نبوات العهد القديم، وتعاليم رسائل العهد الجديد، هذا أيضًا؛ إذ نقرأ في العهد القديم:

> **«كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ.»**[٣١]

كما نقرأ في العهد الجديد: **«إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا، وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ.»**[٣٢]

«لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسمٍ ، لِكَيْ تَجْثُوَ باسمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ.»[٣٣]

سجَّل موسى كيف أرسل فرعون في طلب يوسف من السجن ليَمثُل أمامه،[٣٤] وهكذا أيضًا دُعي يسوع من القبر ليقف أمام القديم الأيام.[٣٥] وكتب موسى أن فرعون قال ليوسف: «فَبِدُونِكَ لاَ يَرْفَعُ إِنْسَانٌ يَدَهُ وَلاَ رِجْلَهُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ.»[٣٦] وهكذا أيضًا قال الله الآب للمسيح الممجَّد: "بدونك لا يرفع إنسان يده ولا رجله في كل السماء والأرض." ومن موضع دانيال في التاريخ، نظر بعيدًا إلى المستقبل، ورأى الوعد بتمجيد المسيح فيما مثَلَ أمام القديم الأيام وأنه أُعطي سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ.

٣١- دانيال ٧: ١٣-١٤.
٣٢- أفسس ١: ٢٠-٢٢.
٣٣- فيلبي ٢: ٩-١١.
٣٤- تكوين ٤١: ١٤.
٣٥- دانيال ٧: ١٣.
٣٦- تكوين ٤١: ٤٤.

من موضع بولس في التاريخ، نظَرَ إلى الماضي، إلى تمجيد المسيح باعتباره واقعًا حاضراً وحدث تحقق بالفعل، وأكَّد لنا أن المسيح جالس الآن عن يمين الله، فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ. ولم يرَ كاتب المزمور سوى مجرد أهداب بسيطة من مجد المسيح حين كتب أن الأمم ستُعطى له ميراثًا، وأقاصي الأرض مُلكًا له ليفعل بها ما يشاء.[٣٧] ويُوسِّع الرسول بولس منظورنا ليضم إلى سلطانه ليس الأرض والساكنين فيها فحسب، بل الكون بالكامل أيضًا. كل ما له وجود، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ، وكل شيء خاضع له.[٣٨] ومن محور الكون إلى أقصى مدى يُمكن الوصول إليه، يسوع الناصري هو ربٌّ! ومن أصغر خلية بدائية الحياة إلى السيرافيم بتعقيداتهم وقوتهم التي تفوق الخيال، يسوع الناصري هو ربٌّ! ومن محبة تابعيه الأكثر تكريسًا إلى تحدي أعدائه الأكثر عداءً، يسوع الناصري هو ربٌّ! ومن أعلى السماوات وحتى أعماق الجحيم، يسوع الناصري هو ربٌّ! لا يُمكن أن نكون مبالغين كثيراً إن عبَّرنا هكذا عن سيادته غير المحدودة التي لا يُعيقها شيء!

ربوبية المسيح وولاء الإنسان

إن المصير النهائي الوحيد لكل المخلوقات، سواء كانت بشرية أو ملائكية، صديقة أو عدوة، أن تجثوا وتعترف بلسانها أن يسوع المسيح هو رب.[٣٩] وفي ضوء هذا الحق، وفي ضوء طبيعة المسيح وربوبيته، ينبغي أن يكون واضحًا لكل المخلوقات العاقلة أن تجاوبهم الشخصي معه أمر مُلح وأساس إلى أقصى حد. بما أن الله قد جعل المسيح ربًّا وديَّانا للكون، فإن كل اهتمام آخر لدى الإنسان يَصير ثانويًّا بل وتافهًا، بالمقارنة به. لذلك، ينبغي أن تكون أعظم أولويات واهتمامات كل إنسان أن يتبرر أمام سيادة الملك المطلقة للكون.

٣٧- أيوب ٢٦: ١٤ «هَا هذه أَطْرَافُ طُرُقِه، وَمَا أَخْفَضَ الْكَلاَمَ الَّذِي نَسْمَعُهُ مِنْهُ وَأَمَّا رَعْدُ جَبَرُوته فَمَنْ يَفْهَمُ؟»، أيضًا مزمور ٢: ٨-٩.
٣٨- كولوسي ١: ١٦.
٣٩- فيلبي ٢: ٩-١١.

تنادي كلمة الله وتُؤكِّد دون أي تراجع بأن كل البشر دون استثناء يدينون للمسيح بالولاء التام، وأن أي شخص يرفضه سيتعرض لعواقب وخيمة.[٤٠] وتُعد هذه الملاحظة بالنسبة للإنسان المعاصر أكثر من مخزية، بل تُعد أيضًا شائنة، ومهينة، ولا تُطاق، بل وإجرامية. ولذلك، يتخذ الإنسان، دون أدنى اعتبار لصحة حقوق المسيح وشرعيتها عليه، موقفًا هجوميًّا، وينفث وابلًا من الأسئلة ليُبيِّن ازدراءه بأي إله قد يُطالب بهذا الولاء، أو حتى يفترض أن الإنسان ليس مخلوقًا مستقلًّا تمامًا. ولكن مثل هذه البجاحة ليست جديدة، بل مسجَّلة في كلمة الله باعتبارها رد الفعل الشائع الذي يصدر من بشر متمردين على مطالب الإله صاحب السيادة:

«مَنْ جَعَلَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا؟»[٤١]

«مَنْ هُوَ الرَّبُّ حَتَّى أَسْمَعَ لِقَوْلِهِ؟»[٤٢]

«مَنْ هُوَ الْقَدِيرُ حَتَّى نَعْبُدَهُ؟»[٤٣]

في ضوء سيادة المسيح وسموِّه، سجَّل الرسول بولس منذ زمن طويل الجوابَ الوحيد الذي تستحقه هذه الاعتراضات قائلًا: «**بَلْ مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ الَّذِي تُجَاوِبُ اللهَ؟**»[٤٤] وتُعلِّم الأسفار المقدسة أن الله قد جعل يسوع الناصري ربًّا ومسيحًا،[٤٥] فمَن هو الإنسان حتى يعترض على هذا، أو يُطالب بتفسير؟ نتعلم من أيوب أن مَن يُشكِّكون في الله يَظلمون القضاء بكلام بلا معرفة، فهم يرتدون عباءة الحمقى، ويَعبرون أخطر الحواجز، ويَهرُعون إلى حيث يخشى الملائكة أن يَخطوا.[٤٦] لكن، مع هذا، وعلى الرغم من وقاحة الإنسان، بيَّن الله أنه إله رحيم ورؤوف، بطيء

٤٠- مزمور ٢: ١٠-١٢.
٤١- خروج ٢: ١٤؛ أعمال ٧: ٢٧، ٣٥.
٤٢- خروج ٥: ٢.
٤٣- أيوب ٢١: ١٥.
٤٤- رومية ٩: ٢٠.
٤٥- أعمال ٢: ٣٦.
٤٦- أيوب ٣٨: ٢.

الغضب وكثير الرأفة.[٤٧] ولذلك، يتنازل كثيراً أمام مثل هذه الأسئلة، ويُعلِّم حتى أكثر الرجال تمردًا، السببَ الضروري الذي يجعلهم يتبعون توجيهه، ويخضعون لقضائه. وفي الصفحات التالية، سنتناول بعض الأسباب لإكرام المسيح.

المسيح خالقنا وحافظنا

أولًا، يجب على الجميع أن يُكرم الابن؛ لأنه خالقهم وحافظهم. نتعلم من افتتاحية إنجيل يوحنا أن: «**كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ.**»[٤٨] ويُوكِّد كلٌّ من كاتب رسالة العبرانيين، والرسول بولس، أن ما خلقه الابن يستمر هو في دعمه وحفظه؛ لأنه «**حَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ**،» و«**فِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ.**»[٤٩] يُمكننا أن نستنتج من هذه الحقائق أن كل خليقة في السماء وعلى الأرض تَدين بأصل وجودها واستمراره لابن الله. ويُعد رفض الإنسان تقديم الولاء لمَن يُعطيه الحياة، ويدعم ويحفظ كلَّ نَفَسٍ يخرج منه، كبرياء شديد، وتُعد محاربته لذلك الذي يعتمد وجوده عليه اعتمادًا كاملًا ضربًا من الجنون، ويُعد أيضًا ازدراؤه بمَن يباركه على الرغم من خطيته نموذجًا لنكران الجميل.

في سعي الإنسان الساقط لتبرير تجاهله لله، كثيراً ما يسأل: "إن كان الله صالحًا، لماذا يسمح بالشر للصالحين؟" ومع ذلك يجب أن يكون السؤال الأنسب هنا: "لماذا يسمح الله بالخير للأشرار والفاسدين؟" أو "لمَ يأتِ أي خير على الإطلاق؟" إننا جنس ساقط وفاسد أخلاقيًّا، يحجز حق الله بالإثم، ويرفض حُكمه رفضًا قاطعًا. ولهذا، ينبغي أن لا نستقبل سوى الغضب والموت، فالعالم بالكامل لا بد أن يصير مجدبًا وبلا حياة. لا يُمكن تفسير وجود أي صلاح، أو جمال، أو فرح، أو محبة، أو وضوح للهدف في نطاق الوجود الإنساني سوى في ضوء نعمة ابن الله،

٤٧- خروج ٣٤: ٦؛ نحميا ٩: ١٧؛ مزمور ٨٦: ١٥؛ ١٠٣: ٨؛ ١٤٥: ٨؛ يوئيل ٢: ١٣؛ يونان ٤: ٢.
٤٨- يوحنا ١: ٣.
٤٩- عبرانيين ١: ٣؛ كولوسي ١: ١٧.

وإحسانه تجاه الأشرار. إننا به نحيا ونتحرك ونوجد،[٥٠] كما أنه يُعطي حَيَاةً وَنَفْسًا وَكُلَّ شَيْءٍ،[٥١] ويُشرق شمسه على الأشرار، ويُمطر على الظالمين.[٥٢] ويملأ قلوب مبغضيه طَعَامًا وَسُرُوراً.[٥٣] وكل هذا يُبرهن على أننا ندين له بولائنا الأعظم.

المسيح فادينا

ثانيًا، ينبغي على جميع البشر أن يُكرموا الابن بسبب عمله الفدائي فوق صليب الجلجثة. وعلى رُغم أنه لن يسعنا هنا فهم أعماق تدبير الله في الفداء، فإنه يُمكننا إعلان - دون تحفظ - أن عمل المسيح الكفاري قد أفاد الكون بالكامل، حتى أولئك الذين يرفضون عرض الخلاص قد استفادوا منه أكثر مما يُمكن أن تُعبِّر عنه الكلمات. لقد بذل الله ابنه، وبذل الابن حياته طواعية؛ ليصنع كفارةً للخطايا؛ كي لا يهلك كل من يُؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية.[٥٤]

مع أن بركات الجلجثة غير محدودة، فإنه توجد فائدتان ينطبق عليهما حديثُنا الحالي. تتمثل الفائدة الأولى في العرض الكوني المقدَّم بالصفح عن الخطايا، والمصالحة مع الله، ورجاء الحياة الأبدية. يُقدِّم الإنجيل دعوة شاملة لجميع الناس في كل مكان أن يؤمنوا بقلوبهم، ويعترفوا بألسنتهم، أن يسوع المسيح هو رب.[٥٥] ويقدم الإنجيل أيضًا وعدًا كونيًا بأن المسيح لن يُخرج خارجًا كل من يُقبل إليه.[٥٦] وينبغي أن يكون ذلك كافيًا لتأمين وضمان ولاء البشر. كانت قلوبُنا شريرة ومضِلة، كما كانت خطايانا متراكمة فوق رؤوسنا، وكانت دينونتنا عادلة. ومع ذلك، بذل الرب الذي وحده كان له الحق في إدانتنا، نفسَه طواعيةً حتى الموت لأجل خلاصنا. وهذا الحق مدهش ويفوق كل المقاييس! تُذكِّرنا كلمة الله أنه بالجهد يموت

٥٠- أعمال ١٧: ٢٨.
٥١- أعمال ١٧: ٢٥.
٥٢- متى ٥: ٤٥.
٥٣- أعمال ١٤: ١٧.
٥٤- يوحنا ٣: ١٦.
٥٥- أعمال ١٧: ٣٠؛ رومية ١٠: ٩-١٠.
٥٦- يوحنا ٦: ٣٧.

أحد لأجل بار، لكن ونحن بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا.[٥٧] ينبغي أن تفوز محبة المسيح هذه من نحونا بقلوبنا، وتدفعنا أن نمنحه ولاءَنا كاملًا. لا بد أن يدفعنا هذا إلى اِستنتاج، وهو بما أنه مات لأجل الجميع، إذًا ينبغي ألَّا نعيش جميعًا فيما بعد لأنفسِنا بل للذي مات لأجلنا وقام![٥٨] وفي يوم الدينونة سيغطي الخزي الشديد وجوه أولئك الذين رفضوا تقديم الولاء لذلك الإله الرحيم! وسيقضون الأبدية بطولها ليتفكروا قائلين: "كيف أمكننا أن نرفض محبة عظيمة كهذه؟ كيف أمكننا أن نُهمل خلاصًا عظيمًا هذا مقدارُه؟".

تتمثل الفائدة الكونية الثانية للجلجثة في البركات المتنوعة والمتعددة الصور التي فاضت منه إلى كل ركن من أركان الأرض من بركات جسدية، ومادية، واِقتصادية، وسياسية، وثقافية، وغير ذلك. استفاد جميع البشر - حتى أولئك المستمرون في تمرُّدهم على المسيح - من تأثيرات الإنجيل عليهم وعلى ثقافتهم. وعلى الرغم من كثرة التجديف على المسيح من جرَّاء الأعمال المقيتة التي يرتبكها من زعموا عن خطأ أنهم مؤمنون، فإن الإنجيل الحقيقي هو النور الساطع الذي حفظ العالم من الظلام التام، كما أنه المِلح الذي حفظه من الفساد الأخلاقي الكُلّيّ.[٥٩] وبرغم أن العقل الأرضي والدنيوي قد يهزأ بهذا الاِدعاء، فإن اِدعاءنا هذا ستظهر صحتُه تمامًا في يوم الدينونة. في ذلك اليوم، سيُكشف النقاب عن التاريخ الحقيقي، وسيرى الجميع أن كل أمر صالح استفادوا منه يومًا في كل مجال من مجالات الوجود الإنساني كان مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بعمل المسيح فوق صليب الجلجثة، وبالكرازة بإنجيله، وبتقدُّم ملكوته. وسيكون هذا التبرير فرحًا عظيمًا لشعب الله حين يرون

٥٧- رومية ٥: ٧-٨.

٥٨- ٢ كورنثوس ٥: ١٤-١٥.

٥٩- رومية ٢: ٢٤. لطالما كان هذا مَرضًا شائعًا على مر تاريخ الفداء، وبسبب أولئك الذين يحسبون أنفسَهم للمسيح وضمن شعبه، يجدَّف على طريق الحق (انظر إشعياء ٥٢: ٥؛ حزقيال ٣٦: ٢٠؛ ٢بطرس ٢: ٢). الشواهد التي تتعلق بالنور: يوحنا ١: ٤-٥، ٩؛ متى ٤: ١٦؛ ٥: ١٤. وقد كان المِلح يُستخدَم منذ أقدم العصور لحفظ الطعام من الفساد (انظر متى ٥: ١٣).

سيدَهم ينال الإكرام الذي كان من حقه منذ عهود طويلة. ومع ذلك، سيكون أيضًا يوم خزي وعار كبير لكل مَن لم يروا في المسيح أية فائدة لهم، وحصدوا رغم ذلك فوائد إعلانه، وموته، وعنايته المستمرة.

المسيح: الملك المختار من الله

ثالثًا، ينبغي على جميع البشر أن يُكرموا الابن، ويُقدِّموا له الولاء؛ لأن الله يُريد أن يكون الأمر هكذا. قرَّر الله أن يُكرم الجميع الابن كما يُكرمون الآب. وكل من لا يكرم الابن لا يكرم الآب، بل سيتعرض للدينونة المناسبة.[٦٠] باختصار، سيستفاد مَن يُطيعون الرب يسوع المسيح، ويؤمنون باسمه استفادة غير محدودة، لكن سيتعرض مَن يرفضونه لعواقب وخيمة. ولهذا يُحذر داود الأممَ هذا التحذير المهيب: «**فَالآنَ يَا أَيُّهَا الْمُلُوكُ تَعَقَّلُوا. تَأَدَّبُوا يَا قُضَاةَ الأَرْضِ. اعْبُدُوا الرَّبَّ بِخَوْفٍ، وَاهْتِفُوا بِرَعْدَةٍ. قَبِّلُوا الابن لِئَلاَّ يَغْضَبَ فَتَبِيدُوا مِنَ الطَّرِيقِ. لأَنَّهُ عَنْ قَلِيل يَتَّقِدُ غَضَبُهُ. طُوبَى لِجَمِيعِ الْمُتَّكِلِينَ عَلَيْهِ.**»[٦١] نجد في هذا النص ثلاث عبارات تتحد معًا في صوت واحد لتُعلن ما يُطالب به الله جميعَ البشر بشأن ابنه. أولًا، نجد أمراً مُوجَّهًا لكل البشر بأن يعبدوا الرب بخوف، ويُمكن أيضًا ترجمة هذه العبارة هكذا: «اخدموا الرب بخوف.» إن العبادة والخدمة هما وجهان لعملة واحدة، ولا يُمكن أن توجد الواحدة دون الأخرى. وهنا لا نرى الله يلتمس تسامُح الناس مع ابنه، أو يتسوَّل تعاطفهم معه، لكنه يُطالب جميع البشر بأن يُقدِّموا له عبادتهم وخدمتهم بأقصى تبجيل.

ثانيًا، نجد أمراً لكل الجنس البشري بأن يهتفوا أمام الابن برِعدة، ويبدو المزج بين هذين الشعورين المتناقضين: هتاف الفرح، والخوف، أمراً مستغربًا على الإنسان

٦٠- يوحنا ٥: ٢٣.
٦١- مزمور ٢: ١٠-١٢.

الحديث، لكننا نجدهما معًا كثيراً في كلمة الله.[٦٢] إن هتاف الفرح نتيجة إحسان المسيح ومراحمه تجاه من يخضعون لربوبيته، والخوف نتيجة لجلاله وقوته. إن شعبه يهتف له؛ لأنه لا يستحي أن يدعوهم إخوة، ومع ذلك فهم يُظهرون له أقصى درجات التبجيل على سُمُوِّه ورِفعة شأنه بينهم؛[٦٣] لأنه الوحيد الذي أعطي اسمًا فوق كل اِسم.[٦٤]

ثالثًا، نرى أمراً موجَّهًا لكل البشر بأن يُقدِّموا الولاءَ للابن. وتُترجم العبارة حرفيًّا هكذا: «**قَبِّلُوا الابن لِئَلاَّ يَغْضَبَ فَتَبِيدُوا مِنَ الطَّرِيقِ.**» ويبدو وقع هذه الكلمات قاسيًا على آذاننا العَصرية، لكنها حقيقية. يُواجه كل إنسان مصيرين على طرفي النقيض: فإمَّا نعيمًا غير محدود أو رعبًا غير محدود. ويَفصل بين المصيرين تجاوبُنا مع يسوع الناصري. فقد ثبَّته الله باعتباره ربَّ الكون، كما طالَب كل المخلوقات، من ملائكة وبشر، بالخضوع لمُلكه بفرح، وشكر، وتبجيل. لم يضع الله اِسم المسيح أمام البشر كخيار عُرضة للنقد والجدال، ولم يُطالبهم أن يُقدِّروا قيمته، ويعطوا عنها رأيًا، بل برأَّ المسيح على الأرض علنًا بإقامته من بين الأموات، وفي السماء عرَّف بتقديره للمسيح بأن أجلسه عن يمينه، والآن كل ما تبقى للخليقة أن تُطيع الله، وتقدم لابنه كل الْبَرَكَةُ وَالْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ.[٦٥]

٦٢- مزمور ٢٢: ٢٣ «يَا خَائِفِي الرَّبِّ سَبِّحُوهُ! مَجِّدُوهُ يَا مَعْشَرَ ذُرِّيَّةِ يَعْقُوبَ، وَاخْشَوْهُ يَا زَرْعَ إِسْرَائِيلَ جَمِيعًا!» مزمور ٤٠: ٣ «وَجَعَلَ فِي فَمِي تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً، تَسْبِيحَةً لإِلهِنَا. كَثِيرُونَ يَرَوْنَ وَيَخَافُونَ وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَى الرَّبِّ.» إرميا ٣٣: ٩ « فَتَكُونُ لِي اسم فَرَحٍ لِلتَّسْبِيحِ وَلِلزِّينَةِ لَدَى كُلِّ أُمَمِ الأَرْضِ، الَّذِينَ يَسْمَعُونَ بِكُلِّ الْخَيْرِ الَّذِي أَصْنَعُهُ مَعَهُمْ، فَيَخَافُونَ وَيَرْتَعِدُونَ مِنْ أَجْلِ كُلِّ الْخَيْرِ وَمِنْ أَجْلِ كُلِّ السَّلاَمِ الَّذِي أَصْنَعُهُ لَهَا.» فيلبي ٢: ١٢-١٣ « إِذًا يَا أَحِبَّائِي، كَمَا أَطَعْتُمْ كُلَّ حِينٍ، لَيْسَ كَمَا فِي حُضُورِي فَقَطْ، بَلِ الآنَ بِالأَوْلَى جِدًّا جدًا فِي غِيَابِي، تَمِّمُوا خَلاَصَكُمْ بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ؛ لأن اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ.» رؤيا يوحنا ١٩: ٥ «وَخَرَجَ مِنَ الْعَرْشِ صَوْتٌ قَائِلاً: «سَبِّحُوا لإِلهِنَا يَا جَمِيعَ عَبِيدِهِ، الْخَائِفِيهِ، الصِّغَارِ وَالْكِبَارِ!»»

٦٣- عبرانيين ٢: ١١؛ كولوسي ١: ١٨.

٦٤- أفسس ١: ٢٠-٢٣؛ فيلبي ٢: ٩.

٦٥- رؤيا ٥: ١٣.

تحذيرات ملائمة

الله جعل يسوع الذي صلبته الأمم ربًّا ومسيحًا للكل،[٦٦] فقد أخذ الحجرَ الذي رفضه العالم وجعله رأس زاوية كل أعماله،[٦٧] وهذا قضاء نهائي لا رجعة فيه. لهذا سيظل يسوع الناصري دائمًا هو الملك صاحب السيادة، الذي لا بدَ للبشر التعامُل معه.

تُعلمنا كلمة الله أن يسوع رئيس كهنة رحيم وأمين، وقد صار سبب خلاص أبدي لجميع الذين يُطيعونه،[٦٨] لكنه مع هذا حجرُ صدمةٍ، وصخرة عثرة لأولئك الذين يرفضونه.[٦٩] سيتعرض للكسر كل من يتعثر في المسيح في عدم إيمان، كما سيُسحَق ويتبدد مثل التراب كل من يُدينهم المسيح.[٧٠] وكما أن يسوع المسيح هو المخلِّص، فإنه أيضًا هو الرب السيد. وينبغي ألَّا نعظِّم من شأن أحد هاتين الحقيقتين على حساب الأخرى، لكن لا بد من الحفاظ عليهما في توازن كتابي. هكذا يُصوِّر كاتب رسالة العبرانيين هذا التوازن بقوة: «**وَأَمَّا هذَا (الإنسان أي المسيح) فَبَعْدَمَا قَدَّم عَنِ الْخَطَايَا ذَبِيحَةً وَاحِدَةً، جَلَسَ إِلَى الأَبَدِ عَنْ يَمِينِ اللهِ، مُنْتَظِرًا بَعْدَ ذلِكَ حَتَّى تُوضَعَ أَعْدَاؤُهُ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْهِ.**»[٧١]

يقدم هذا النص الكتابي المسيح باعتباره المخلِّص، الذي قدَّم نفسَه ذبيحة ليزيل خطايا أعدائه، لكنه أيضًا الرب الذي سيُخضِع أعداءه المستمرين في تمردهم عليه، ويجعلهم موطئًا لقدميه. ويتساوى كلا التصريحين في قوتهما وشدتهما، لكنهما أيضًا يتساويان في صحتهما. يجب ألَّا يخدع البشر أنفسَهم بالتمسُّك ببعض الصور عن الابن ورفض الأخرى. وعلى رُغم أن المسيح هو الحمل الذي يرفع خطايا العالم، فإنه الحمل الذي سيسعى أقوى وأعظم الرجال على الأرض لأن يُخفوا أنفسَهم عنه

٦٦- مزمور ٢: ١؛ أعمال ٤: ٢٥-٢٧؛ ٢: ٣٦.
٦٧- متى ٢١: ٤٢؛ لوقا ٢٠: ١٧.
٦٨- عبرانيين ٢: ١٧؛ ٥: ٩.
٦٩- رومية ٩: ٣٢-٣٣؛ ١ بطرس ٢: ٨.
٧٠- متى ٢١: ٤٤؛ لوقا ٢٠: ١٨ «كُلُّ مَنْ يَسْقُطُ عَلَى ذلِكَ الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ!» هذه الآية تعني أن كل من يهينون المسيح ويرفضون الإقرار بسموه ورفعة شأنه، سيبادون بدينونة الله.
٧١- عبرانيين ١٠: ١٢-١٣.

في يوم ظهوره.[٧٢] وعندما لا يجدون أية شفقة أو رحمة في وجه المسيح، فإنهم سيتوسلون للصخور صارخين: «**اسْقُطِي عَلَيْنَا وَأَخْفِينَا عَنْ وَجْهِ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ وَعَنْ غَضَبِ الْخَرُوفِ!**»[٧٣] يُسجِّل الرسول يوحنا الكلمات الآتية:

> **«ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا فَرَسٌ أَبْيَضُ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ يُدْعَى أَمِينًا وَصَادِقًا، وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيُحَارِبُ. وَعَيْنَاهُ كَلَهِيبِ نَارٍ، وَعَلَى رَأْسِهِ تِيجَانٌ كَثِيرَةٌ، وَلَهُ اسْمٌ مَكْتُوبٌ لَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُهُ إِلاَّ هُوَ. وَهُوَ مُتَسَرْبِلٌ بِثَوْبٍ مَغْمُوسٍ بِدَمٍ، وَيُدْعَى اسْمُهُ «كَلِمَةَ اللهِ». وَالأَجْنَادُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ كَانُوا يَتْبَعُونَهُ عَلَى خَيْل بِيضٍ، لاَبِسِينَ بَزًّا أَبْيَضَ وَنَقِيًّا. وَمِنْ فَمِهِ يَخْرُجُ سَيْفٌ مَاضٍ لِكَيْ يَضْرِبَ بِهِ الأُمَمَ. وَهُوَ سَيَرْعَاهُمْ بِعَصًا مِنْ حَدِيدٍ، وَهُوَ يَدُوسُ مَعْصَرَةَ خَمْرِ سَخَطِ وَغَضَبِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَلَهُ عَلَى ثَوْبِهِ وَعَلَى فَخْذِهِ اسْمٌ مَكْتُوبٌ: «مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ».»**[٧٤]

تُعد ربوبية يسوع المسيح رجاءً مباركًا للبعض، وكابوسًا مرعبًا لآخرين. لكن، بغض النظر عن تجاوبنا نحوها، فهي حقيقة غير قابلة للتغيير. فقد أعلن أبونا أيوب عن الله أنه: «**هُوَ حَكِيمُ الْقَلْبِ وَشَدِيدُ الْقُوَّةِ. مَنْ تَصَلَّبَ عَلَيْهِ فَسَلِمَ؟**»[٧٥] ويُمكن دون مبالغة أن نقول الشيءَ نفسَه عن المسيح، إذ هو اليوم، وسيظل دائمًا، الرب والديَّان، الذي سيقدم كل إنسان له حسابًا عن نفسه. يُمكننا إذًا أن ننساق بعصا الراعي أو بعصا من حديد،[٧٦] لكن في كلتا الحالتين، المسيح سيقود، ونحن سننقاد. لهذا السبب، من الحكمة إن أخذنا بنصيحة داود، وقدَّمنا الولاء للابن لئلا؛ يغضب فنبيد من الطريق؛ لأنه **عَنْ قَلِيل يَتَّقِدُ غَضَبُهُ. طُوبَى لِجَمِيعِ الْمُتَّكِلِينَ عَلَيْهِ.**[٧٧]

٧٢- يوحنا ١: ٢٩.
٧٣- رؤيا ٦: ١٦.
٧٤- رؤيا ١٩: ١١-١٦.
٧٥- أيوب ٩: ٤ (ترجمة KJV). أمَّا ترجمة NASB فهي تقول: «من تحدَّاه وسَلِمَ؟»
٧٦- مزمور ٢٣: ١-٤؛ يوحنا ١٠: ٩-١١؛ مزمور ٢: ٩.
٧٧- مزمور ٢: ١٢.

الفصل السادس والعشرون

صعود المسيح ديّاناً للكل

«فَاللهُ الآنَ يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا،
مُتَغَاضِيًّا عَنْ أَزْمِنَةِ الْجَهْلِ. لأَنَّهُ أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمِعٌ
أَنْ يَدِينَ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ، بِرَجُل قَدْ عَيَّنَهُ، مُقَدِّمًا لِلْجَمِيعِ إِيمَانًا
إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ.»

(أعمال ١٧: ٣٠، ٣١)

«وَمَتَى جَاءَ ابن الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ،
فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ،
فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ.»

(متى ٢٥: ٣٠، ٣١)

واحدةٌ من أعظم تأثيرات ربوبية يسوع المسيح أنه سيدين العالم. في خضم مواجهة يسوع القاسية مع قادة اليهود الذين كانوا يطلبون قتله، أعلن أن الآب قد دَفَعَ إليه السلطان المطلق ليُجري كل الدينونة على الأرض.[1] وتُردِّد عِظات الرسل وكتاباتهم صدى هذا الادعاء الجَذري الأصيل مِراراً وتكراراً. ففي عظة بطرس

١- يوحنا ٥: ٢٢، ٢٦.

الأولى للأمم في قيصرية، أعلن: «**هذَا أَقَامَهُ اللهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَعْطَى أَنْ يَصِيرَ ظَاهِراً، لَيْسَ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ، بَلْ لِشُهُودٍ سَبَقَ اللهُ فَانْتَخَبَهُمْ. لَنَا نَحْنُ الَّذِينَ أَكَلْنَا وَشَرِبْنَا مَعَهُ بَعْدَ قِيَامَتِهِ مِنَ الأَمْوَاتِ. وَأَوْصَانَا أَنْ نَكْرِزَ لِلشَّعْبِ، وَنَشْهَدَ بِأَنَّ هذَا هُوَ الْمُعَيَّنُ مِنَ اللهِ دَيَّانًا لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ.**»[٢]

تكشف عِظة بطرس هذه عن ثلاث حقائق عُظمى، ستشكل الإطار الخارجي لحديثنا عن إعلاء (تمجيد) المسيح إلى وظيفة الديَّان. تُعد الحقيقة الأولى التي يجب أن يصالح كل البشر أنفسَهم معها هي نهاية العالم ويوم الدينونة الأخيرة. وتتمثل الحقيقة الثانية في أنه في ذلك اليوم، سيسود المسيح باعتباره ربًّا وديَّانا للكل. في حين تُعد الحقيقة الثالثة والأخيرة التي تسترعي انتباهنا هي أن الله قد أوكل للكنيسة لا أن تنادي بفوائد الإنجيل فحسب، بل أيضًا أن تحذر البشر من الدينونة العظيمة والنهائية العتيدة أن تأتي على العالم!

يقينية الدينونة وعدالتها

تضطر وجهة النظر المادية السائدة في الكون إلى تفسير وجود الإنسان باعتباره مجرد صدفة عفوية، وأن تاريخه مجرد سلسلة من الأحداث العشوائية، وأن مستقبله أمر مشكوك فيه تمامًا، ولا توجد له نهاية ذات قصد أو غرض. وفي المقابل، ترى كلمة الله وجود الإنسان عملًا إبداعيًّا ذا غرض وقصد، قام به إله صاحب سيادة، وأخلاقي أعلن عن نفسه للبشر من خلال الخليقة، ومن خلال أعمال عَنايته، وكلمته المكتوبة، وأخيراً من خلال تجسُّد ابنه. علاوةً على ذلك، يُعلِّم الكتاب المقدس أن الله سيدعو جميع البشر عند انقضاء كل شيء، لأن يُقدِّموا حسابًا في الدينونة الأخيرة. وفي ذلك اليوم، سيُدين الله الجميع بحسب تجاوبهم مع الإعلان الذي وصل إليهم.

في ضوء هذه الحقائق، يُقر المؤمن أن تاريخ البشرية ليس عشوائيًّا، ولا حتى دوريًّا، لكنه خطِّي. إذ له بداية، وستكون له نهاية بحسب الحكم القاطع والنهائي لله

٢- أعمال ١٠: ٤٠-٤٢.

صاحب السيادة، الذي جاء به إلى حيِّز الوجود. وبصراحة يتحرك تاريخ الإنسانية، بل ويُسرع في اتجاه نهاية أخيرة سيُدان فيها كل إنسان، ويجازَى بحسب ما فعله أو لم يفعله! يقول الرسول بولس: «(الله) **الَّذي سَيُجَازِي كُلَّ واحد حَسَبَ أَعْمَالِه. أمَّا الَّذينَ بِصَبْرٍ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَطْلُبُونَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْبَقَاءَ، فَبِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ. وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ التَّحَزُّبِ، وَلاَ يُطَاوِعُونَ لِلْحَقِّ بَلْ يُطَاوِعُونَ لِلإِثْمِ، فَسَخَطٌ وَغَضَبٌ.**»[٣]

أمَّا بالنسبة للفرد أو الثقافة التي تحكم على نفسها بمقاييسها الشخصية، فإن إعلان بولس عن مجيء دينونة كونية قد يبدو باعثًا للرجاء، لكن من الأخطاء الشائعة أن البشر يحكمون بأنهم أبرار في أعين أنفسهم. لكن، لأولئك الذين لا يزالوا يسمعون صوت الضمير، وبالأخص مَن يعرفون كلمة الله، هذه الكلمات مثيرة جدًّا للقلق، إذ تشهد كلٌّ من كلمة الله والضمير أن الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله.[٤] لا يوجد مَن ثابر في عمل الصلاح، ولا من يطلب المجد والكرامة والخلود الذي يأتي من الله.[٥] بل قادت التطلعات الأنانية جميعَ البشر، وجميعهم قد حجزوا الحق بالإثم.[٦] وبالتالي، صار الجميع عُرضة لغضب وسخط إله قدوس وبار.[٧] ولهذا السبب تدخَّل الله، وأرسل ابنه كفارةً لخطايا الإنسان، وقد وفَّى موتُه هذا مطالبَ العدل الإلهي، ورفع غضبَه. والآن جميع مَن يسمعون الابن، ويؤمنون به، سيخلصون، أمَّا من يرفضون الابن فسيُدينهم.[٨]

كثيراً ما يُثمر هذا الإعلان بمجيء دينونة كونية، عن تشكيك في عدالة الله: كيف لله أن يُدين أولئك الذين لم يسمعوا قط بالإنجيل، ولم يكن متاحًا لهم الاطلاع على كلمة الله؟ لكي نُجيب عن هذا السؤال لا بد أن نستند أولًا على شهادة كلمة الله

٣- رومية ٢: ٦-٨.
٤- رومية ٣: ٢٣.
٥- رومية ٥: ١٢
٦- رومية ١: ١٨.
٧- رومية ٢: ٨
٨- يوحنا ٣: ١٨، ٣٦.

عن بر الله وعدله. وعلى الرغم من عدم قدرتنا على إزالة كل الغموض المحيط بهذا الأمر، فإننا نعلم شخصية الله، ويُمكننا أن نستند على هويته. وكما شهد موسى، فإن الله حقٌّ في كل ما يفعله: «هُوَ الْكَامِلُ صَنِيعُهُ. إِنَّ جَمِيعَ سُبُلِهِ عَدْلٌ. إِلهُ أَمَانَةٍ لاَ جَوْرَ فِيهِ. صِدِّيقٌ وَعَادِلٌ هُوَ.»[٩]

ينبغي أن نضع حقيقة أخرى في اعتبارنا فيما يخص عدالة الله في دينونته للعالم، حيث تُعلن كلمة الله أن حتى أكثر الأشخاص عُزلةً في أكثر أماكن العالم النائية قد حصل بدرجة ما على إعلان من الله، وأنه سيكون بلا عذر في يوم الدينونة.[١٠] إذ يتمتع كل إنسان بمعرفة فطرية داخلية بالله؛ لأنه خُلق على صورة الله.[١١] وتُقدِّم ثلاث حقائق لا يُمكن إنكارها المزيدَ من التأكيد على وجود هذه المعرفة. أولًا، تشهد خليقة الله على وجوده، وصفاته غير المنظورة، وقدرته السرمدية، ولاهوته.[١٢] ثانيًا، حتَّمت عناية الله الأوقات المعيَّنة والحدود للأمم والأشخاص لكي يطلبوه ويجدوه، مع أنه عن كل واحد ليس ببعيد.[١٣]

ثالثًا، كُتِب ناموس الله على قلب كل إنسان، حيث يقوم بدور المرشد الأخلاقي، والشاهد على أن الله إله عادل وبار، وأنه سيُدين البشر بحسب أعمالهم.[١٤]

تُعد الحقيقة الأخرى التي ينبغي أن نضعها في اعتبارنا فيما يخص عدالة الله في دينونته للعالم، هي شهادة كلمة الله أن البشر لم يستجيبوا استجابةً صحيحة للإعلان الذي حصلوا عليه. بمعنى آخر، إنهم ليسوا ضحايا يستحقون الشفقة، بل متمردون ينبغي توبيخهم؛ لأنهم حجزوا الحق بالإثم.[١٥] وعلى الرغم من أنهم

٩- تثنية ٣٢: ٤.

١٠- رومية ١: ٢٠. إن الإعلان الذي أُعطيَ لكل إنسان من خلال الخليقة، والعناية الإلهية، والضمير، يُشار إليه بالإعلان العام، مقارنةً مع الإعلان الخاص الذي يأتي من خلال كلمة الله، والكرازة بالإنجيل.

١١- رومية ١: ١٩.

١٢- رومية ١: ٢٠.

١٣- أعمال ١٧: ٢٦-٢٧.

١٤- رومية ٢: ١٤-١٥.

١٥- رومية ١: ١٨.

عرفوا الله، فإنهم لم يُمجِّدوه أو يشكروه كإله،[١٦] وأبدلوا مجد الله وحقه بعبادة ذواتهم وعبادة مخلوقات أدنى منهم،[١٧] ولم يستحسنوا أن يُبقوا الله في معرفتهم، أو يُطيعوا فرائضه، لكنهم أسلموا أنفسَهم لكل أنواع وصور الإثم والفساد الأخلاقي.[١٨] ولهذا فإن الله له كل الحق أن يُدين البشر في كل مكان؛ لأنهم مذنبون بالحقيقة، وعلى الرغم من حصولهم على درجات مختلفة من الإعلان، فإنهم جميعًا تمردوا على الإعلان الذي حصلوا عليه.

تتمثل الحقيقة الأخيرة التي ينبغي أن نضعها في اعتبارنا فيما يخص عدالة الله في دينونته للعالم في شهادة كلمة الله أن الجميع سيُدانون بحسب الإعلان الذي حصلوا عليه. إنه لمبدأ كتابي صحيح أن «**كُلُّ مَنْ أُعْطِيَ كَثِيراً يُطْلَبُ مِنْهُ كَثِيرٌ.**»[١٩] إن جميع من أخطأوا في حق الإعلان الذي حصلوا عليه من خلال الخليقة والضمير سيُدانون على عصيانهم، وكل من أخطأوا في حق الإعلان الذي حصلوا عليه من خلال كلمة الله والإنجيل سيُدانون على خطاياهم.[٢٠] لكن ستكون دينونة الفئة الأخيرة أقسى من الفئة الأولى؛ وذلك بسبب وفرة الحق الذي حصلوا عليه. على أية حال، يُمكننا أن نكون على يقين بأنه في ذلك اليوم الأخير، ستثبُت براءة عدل الله وبره في الدينونة. وكما شهد كاتب المزمور: «**أَمَّا الرَّبُّ فَإِلَى الدَّهْرِ يَجْلِسُ. ثَبَّتَ لِلْقَضَاءِ كُرْسِيَّهُ، وَهُوَ يَقْضِي لِلْمَسْكُونَةِ بِالْعَدْلِ. يَدِينُ الشُّعُوبَ بِالاسْتِقَامَةِ.**»[٢١]

١٦- رومية ١: ٢١.
١٧- رومية ١: ٢٣، ٢٥.
١٨- رومية ١: ٢٨-٢٩، ٣٢.
١٩- لوقا ١٢: ٤٧-٤٨ « وَأَمَّا ذلِكَ الْعَبْدُ الَّذِي يَعْلَمُ إِرَادَةَ سَيِّدِه ولاَ يَسْتعد ولاَ يَفْعَلُ بِحَسَبِ إِرَادَتِه، فَيُضْرَبُ كَثِيراً. وَلكِنَّ الَّذِي لاَ يَعْلَمُ، وَيَفْعَلُ مَا يَسْتَحِقُّ ضَرَبَاتٍ، يُضْرَبُ قَلِيلاً. فَكُلُّ مَنْ أُعْطِيَ كَثِيراً يُطْلَبُ مِنْهُ كَثِيرٌ، وَمَنْ يُودِعُونَهُ كَثِيراً يُطَالِبُونَهُ بِأَكْثَرَ.»
٢٠- رومية ٢: ١٢ «لأَنَّ كُلَّ مَنْ أَخْطَأَ بِدُونِ النَّامُوسِ فَبِدُونِ النَّامُوسِ يَهْلِكُ. وَكُلُّ مَنْ أَخْطَأَ فِي النَّامُوسِ فَبِالنَّامُوسِ يُدَانُ.»
٢١- مزمور ٩: ٧-٨.

رب الكل هو ديَّان الكل

تتمثل الحقيقة العُظمى الثانية التي نستخلصها من عظة بطرس في أن الله قد عيَّن يسوع المسيح ديَّانا للأحياء والأموات.[٢٢] ليس هذا الادعاء وحيدًا في كلمة الله، بل هو فكرة موجودة بكثرة في الأناجيل، وفي سفر الأعمال، وفي الرسائل، وفي سفر الرؤيا أيضًا. ففي عظة بولس الرسول للأثينيين في أريوس باغوس أعلن قائلًا: «**لأَنَّهُ (الله) أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينَ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ، بِرَجُل قَدْ عَيَّنَهُ، مُقَدِّمًا لِلْجَمِيعِ إِيمَانًا إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ.**»[٢٣]

تشهد كلمة الله والكنيسة المسيحية أن كل إنسان، دون استثناء، سيقف أمام المسيح للدينونة، وهو سيحدد مصير كل إنسان. إنها قطعًا حقيقة مذهلة أنه يوجد وسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح، وأنه يوجد ديَّان واحد بين الله والناس، أيضًا هو الإنسان يسوع المسيح.[٢٤]

يَبقى دليل آخر على شمولية مُلك المسيح الذي ليس مجرد إله محليّ له سُلطة محدودة على منطقة محددة، ولا عضو في مجلس تعاوني لإدارة الكون، أو في هيئة قضائية مشتركة سوف تعقد المحاكمة في يوم الدينونة، بل هو وحده الملك، والرب، وديَّان الكل. لقد دُفِع إليه كل سلطان في السماء وعلى الأرض،[٢٥] وهو وحده الذي جُلِّسَ عن يمين الله، فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسم يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا.[٢٦] لن يحدد الإنسان يسوع الناصري الذي صُلب في عهد بيلاطس البنطي، مصير كل إنسان عاش على وجه الأرض فحسب، بل أيضًا سيُدين الملائكة والشياطين، والعروش والسيادات، والرياسات

٢٢- أعمال ١٠: ٤٠-٤٢.
٢٣- أعمال ١٧: ٣١.
٢٤- ١ تيموثاوس ٢: ٥.
٢٥- متى ٢٨: ١٨.
٢٦- أفسس ١: ٢١.

والسلاطين، ما في السماوات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى.[٢٧] وعلاوةً على ذلك، سيُدين مؤسسي جميع ديانات العالم الذين سعوا إمَّا لأن يحلوا محله، أو أن يُنقِصوا من مجده، وجميعهم سوف يَمْثُلون أمامه بأشد معاني الخِزي والخوف.

وَاحِدٌ فقط وضع النَّامُوسِ للعالم وهو الدَّيَّان الْقَادِرُ أَنْ يُخَلِّصَ وَيُهْلِكَ.[٢٨] وفي مجيئه الثاني، سيُنير خفايا الظلام، ويُظهر آراء القلوب،[٢٩] ثم سيُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ.[٣٠] لا يبدو هذا الكلام مثيراً للقلق بما يكفي لصاحب البر الذاتي، أمَّا للشخص الحساس الذي اتبع نصيحة الفيلسوف القديم: "اعرف نفسَك،" فإن إمكانية وضع كل فكرة، وكل كلمة، وكل فعل تحت الفحص الدقيق من قاضٍ كامل البر، وكلي العلم هي أكثر فكرة مرعبة يُمكن أن يُفكر فيها.[٣١] ولهذا السبب، كتب الرسول بولس: «**لأَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنَّنَا جَمِيعًا نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا. فَإِذْ نَحْنُ عَالِمُونَ مَخَافَةَ الرَّبِّ نُقْنِعُ النَّاسَ.**»[٣٢]

بعد أن أثبتنا مِراراً وتكراراً أن الإنسان قد دمَّر نفسَه تمامًا، وصار دون قوة ليتبرر أمام الله، فإن أعظم عزاء له أن من سيُدين الجميع هو نفسُه مَن مات من أجل خطايا شعبه.[٣٣] إنْ راقب الربُّ آثامنا، لن يَثبت أحد أمامه في الدينونة. لكن لا يزال الغفران متاحًا في شخص المسيح وعمله.[٣٤] يجب أن نلتفت له قبل فوات الأوان، ويجب أن نسمح لواقع خطايانا، والخوف من الدينونة، واستعداد المسيح

٢٧- كولوسي ١: ١٦.
٢٨- يعقوب ٤: ١٢.
٢٩- ١ كورنثوس ٤: ٥.
٣٠- رؤيا ٢٢: ١٢؛ متى ١٦: ٢٧.
٣١- إن عبارة «اعرف نفسك» (gnothi seauton) هي قول مأثور أو حكمة يونانية قيل إنها كانت منقوشة على الساحة الأمامية لمعبد أبوللو في مدينة دلفي، ومكتوبة باللاتينية: nosce te ipsum.
٣٢- ٢ كورنثوس ٥: ١٠-١١.
٣٣- رومية ٥: ٦.
٣٤- مزمور ١٣٠: ٣-٤.

لأن يُخلِّصنا، وأن يدفعنا نحوه دون تأجيل، وأن نُمسك به دون أن نُرخيه. في الوقت الحالي، يَبسط المسيحُ يدَه طول النهار إلى شعب معاند ومقاوم.[٣٥] ولكن، علينا ألَّا نستغل صبره، فإن كلمة الله تُحذرنا مسبقًا بأنه عن قليل يتقد غضب الابن، وأنه مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي.[٣٦] لذلك، دعونا نلتجئ إليه قبل فوات الأوان،[٣٧] ودعونا نراضي **خَصمنا** من جهة الناموس ما دمنا **معه** في الطريق، لئلا نُدان، ونلقى في السجن الأبدي، الذي لن نخرج منه حتى نوفي الفلس الأخير![٣٨]

إرسالية الكنيسة

تتمثل الحقيقة الثالثة والأخيرة التي تتطلب انتباهنا في أن الكنيسة قد أُوكِلت ليس بمهمة المناداة بفوائد الإنجيل فحسب، بل أيضًا بمهمة إنذار البشر من جهة الدينونة الرهيبة والقاطعة، العتيدة أن تأتي على العالم. قال بطرس للأمم الذين اجتمعوا في بيت كرنيليوس: «**وَأَوْصَانَا أَنْ نَكْرِزَ لِلشَّعْبِ، وَنَشْهَدَ بِأَنَّ هذَا هُوَ الْمُعَيَّنُ مِنَ اللهِ دَيَّانًا لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ.**»[٣٩] تأتي كلمة "أوصانا" من الكلمة اليونانية (paraggéllo)، التي يُمكن أيضًا ترجمتُها "أمَرَ" أو "وضع مسؤولية على". وفي هذا نكتشف حقيقية مهمة للغاية: أن المناداة بالمسيح ديَّانا كانت عنصراً أساسيًّا في البشارة الرسولية. لم تقتصر الأخبار السارة التي كرزت بها الكنيسة الأولى على إعلان المسيح مخلصًا أو حتى ربًّا، بل تضمنت أيضًا إعلان وظيفته كديَّان لجميع الناس، الأحياء والأموات. فقد نادوا به للخطاة ورؤساء الكهنة، للعبيد والقياصرة، بجسارة غير معهودة، باعتباره الشخص الذي سيُدينهم، ويُحدد مصائرهم الأبدية. وهذا الادعاء الذي أذاعته جماعة صغيرة من الكارزين المنتَقَدين، بخصوص رجل يهودي صُلِب في فلسطين، لا بد وأنه بدا ادعاءً جريئًا على أقل تقدير. ولا عجب

٣٥- رومية ١٠: ٢١.
٣٦- عبرانيين ١٠: ٣١.
٣٧- مزمور ٢: ١٢.
٣٨- متى ٥: ٢٥-٢٦.
٣٩- أعمال ١٠: ٤٢.

أن البعض استهزأوا به، والبعض الآخر أصيب بالدهشة، في حين تراجع آخرون خوفًا.[٤٠]

في رسالة الرسول بولس إلى كنيسة رومية، يصف ذلك قائلًا: «الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يَدِينُ اللهُ سَرَائِرَ النَّاسِ حَسَبَ إِنْجِيلِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ.»[٤١] مثله في ذلك مثل إعلان بطرس أعلاه، يُعد هذا التصريح فائق الروعة؛ لأن بولس يُخبرنا أن الدينونة الكونية للبشرية من خلال الإنسان يسوع المسيح كانت حقًّا أساسية، وضرورية في الإنجيل الذي نادى به. ونقول هذه الكلمة المهمة لكل الكارزين بالإنجيل المعاصرين، الذين يُمكن أن يُغووا بتجنُّب هذا الحق الأقل قبولًا في بشارتهم بالإنجيل، بغرض تجنُّب الصراع الذي ينشأ بسببه. ونقول هذه الكلمة أيضًا للقسوس الذين يعتقدون أن الله قد دعاهم كي يكرزوا فقط بالعناصر الأكثر إيجابية في الإنجيل، مع استثناء واستبعاد "الكلام الصعب."[٤٢] بحسب رأي بولس وبطرس، لا يُمكننا أن نكون كارزين أمناء بالإنجيل إن غابت عن كرازتنا المناداة بدينونة الله من خلال المسيح، أو حتى قلَّت. إن كان ينبغي أن نقف في ذلك الصف العظيم للكارزين بالإنجيل عبر تاريخ الكنيسة، فلا بد ألَّا نكرز بالمسيح مخلصًا فحسب، بل أن نُنادي به ديَّانا أيضًا، ونُنذر الجميع كي يستعدوا لملاقاة إلههم![٤٣]

إنه لحقٌّ عظيم أن الله لم يُرسل الابن إلى العالم ليُدين العالم، بل ليَخلُصَ به العالم،[٤٤] لكنه مع هذا أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينَ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ، بِرَجُل قَدْ عَيَّنَهُ، مُقَدِّمًا لِلْجَمِيعِ إِيمَانًا إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ.[٤٥] وحين يأتي الابن ثانية، سيتولى

٤٠- ٢ بطرس ٣: ٣؛ أعمال ٤: ١٣؛ أعمال ٢٤: ٢٥ « وَبَيْنَمَا كَانَ يَتَكَلَّمُ (بولس) عَنِ الْبِرِّ وَالتَّعَفُّفِ وَالدَّيْنُونَةِ الْعَتِيدَةِ أَنْ تَكُونَ، ارْتَعَبَ فِيلِكْسُ، وَأَجَابَ: «أَمَّا الآنَ فَاذْهَبْ، وَمَتَى حَصَلْتُ عَلَى وَقْت أَسْتَدْعِيكَ»»

٤١- رومية ٢: ١٦.

٤٢- يوحنا ٦: ٦٠.

٤٣- عاموس ٤: ١٢.

٤٤- يوحنا ٣: ١٧.

٤٥- أعمال ١٧: ٣٠-٣١؛ عبرانيين ٩: ٢٧.

مسؤولية الدينونة، ويُقرر مصائر جميع البشر. يُحذرنا بطرس من أن المسيح "على اِستعداد" أن يُدين الأحياء والأموات،[٤٦] ويُعلن يعقوب أن الديَّان واقف قدام الباب، على اِستعداد لاقتحام تاريخ البشر مرةً أخرى.[٤٧] وأنهى يسوع الرؤيا التي أعطاها ليوحنا بالتحذير الآتي: «**وَهَا أَنَا آتِي سَرِيعًا وَأُجْرَتِي مَعِي لأُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ.**»[٤٨] وبسبب هذه التحذيرات، علينا دائمًا أن نضع في اِعتبارنا قرب المجيء الثاني للمسيح والدينونة الأخيرة، ونُنادي بهما.[٤٩]

إن فكرة حتمية اِنقضاء التاريخ، ووقوع دينونة أخيرة على كل مخلوق أخلاقي، من خلال إله متسيِّد، تبدو لإنسان العصر الحديث فكرة خرافية. ومع ذلك، علينا ألَّا نتردد في المناداة بها. فإن اتجاه التشكك الذي يتميز به عصرُنا ليس بالشيء الجديد، فقد واجه الرسول بطرس تشكُّكًا وتهُكمًا مماثلًا حين كتب: «**عَالِمِينَ هذَا أَوَّلاً: أَنَّهُ سَيَأْتِي فِي آخِرِ الأَيَّامِ قَوْمٌ مُسْتَهْزِئُونَ، سَالِكِينَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ، وَقَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ مَوْعِدُ مَجِيئِهِ؟ لأَنَّهُ مِنْ حِينَ رَقَدَ الآبَاءُ كُلُّ شَيْءٍ بَاق هكَذَا مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ**».»[٥٠]

من دون عمل الروح القدس، سيتفاعل الساقطون، دائمًا، تفاعُلًا سلبيًّا مع الكرازة بالإنجيل، وخاصة حين تتضمن هذه الكرازة حديثًا عن «الْبِرِّ وَالتَّعَفُّفِ وَالدَّيْنُونَةِ الْعَتِيدَةِ أَنْ تَكُونَ.»[٥١] وبغض النظر عن محاولاتهم المستميتة للتخلص من إله الكتاب المقدس، ستظل تطاردهم دائمًا حقيقة أنه قد أعلن مشيئته لهم، وأنهم سيُعطون حسابًا له عن أعمالهم. سيُنهكون أنفسَهم سعيًا لحجز الحق، وسيعملون

٤٦- ١ بطرس ٤: ٥.
٤٧- يعقوب ٥: ٩.
٤٨- رؤيا يوحنا ٢٢: ١٢.
٤٩- إن قرب المجيء الثاني للمسيح هو نقطة رئيسة في الإيمان المسيحي، فهو يرى أن مجيء المسيح وشيك الحدوث أو محتمل الوقوع في أية لحظة، ولهذا السبب فإن دعوة الإنجيل دائمًا هي دعوة مُلِحَّة.
٥٠- ٢ بطرس ٣: ٣-٤.
٥١- أعمال ٢٤: ٢٥.

كل ما في وسعهم لتهدئة شكاية ضمائرهم.[٥٢] علاوةً على ذلك، سيُصارعون ضد أي كارز أو واعظ يُذكِّرهم بما قد فضَّلوا نسيانه، أو يُحرك الخوف الذي يحاولون دفنه، فيهزأوا من تحذيراته عن الدينونة، فيَعتبرونها هذيان شخص متطرف، أو مخططات دجال ما.[٥٣] لكن هذا لا يُغيِّر حقيقة أنه عند انقضاء الدهر، سيجتمع كل البشر في وادي القضاء.[٥٤] وهناك سيُدانون، وسيُنطَق بالحكم على مصيرهم الأبدي. على جزيرة بطمس، رأى الرسول يوحنا ذلك اليوم وتنبأ:

> **«ثُمَّ رَأَيْتُ عَرْشًا عَظِيمًا أَبْيَضَ، وَالْجَالِسَ عَلَيْهِ، الَّذِي مِنْ وَجْهِهِ هَرَبَتِ الأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، وَلَمْ يُوجَدْ لَهُمَا مَوْضِعٌ! وَرَأَيْتُ الأَمْوَاتَ صِغَاراً وَكِبَاراً وَاقِفِينَ أَمَامَ اللهِ، وَانْفَتَحَتْ أَسْفَارٌ، وَانْفَتَحَ سِفْرٌ آخَرُ هُوَ سِفْرُ الْحَيَاةِ، وَدِينَ الأَمْوَاتُ مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَسْفَارِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ... وَكُلُّ مَنْ لَمْ يُوجَدْ مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ.»**[٥٥]

إذًا لا بد لمناداتنا بالإنجيل أن تُقدِّم لا العرضَ الكوني بالخلاص فحسب، بل أن تقدم أيضًا ربوبية يسوع المسيح الكونية. علاوةً على ذلك، لا بد أن نُعلن لا فوائد الإيمان بالمسيح وطاعته فحسب، بل أيضًا أن نقدم دعوة واضحة، ونقرع ناقوس الخطر محذِّرين من العواقب الوخيمة لرفضه، سواء بمعاداته أو مجرد تجاهله. وبالتالي، علينا أيضًا أن نتخلص من فكرة وجود وسيلة أخرى للكرازة بالإنجيل تخلو من إثارة الخزي أو العار. لا بد أن نضع في قلوبنا أننا لا نسعى لعقد هدنة مع العالم، بل نُطالب العالم بتقديم الولاء للمسيح. نحن لا نتوسل إلى العالم كي يقبل

٥٢- رومية ١: ١٨؛ ٢: ١٤-١٥.
٥٣- أعمال ٢٦: ٢٤.
٥٤- يوئيل ٣: ١١-١٤ «اسْرِعُوا وَهَلُمُّوا يَا جَمِيعَ الأُمَمِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَاجْتَمِعُوا. إِلَى هُنَاكَ أَنْزِلْ يَا رَبُّ أَبْطَالَكَ. «تَنْهَضُ وَتَصْعَدُ الأُمَمُ إِلَى وَادِي يَهُوشَافَاطَ، لأَنِّي هُنَاكَ أَجْلِسُ لأُحَاكِمَ جَمِيعَ الأُمَمِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ. أَرْسِلُوا الْمِنْجَلَ لأَنَّ الْحَصِيدَ قَدْ نَضَجَ. هَلُمُّوا دُوسُوا لأَنَّهُ قَدِ امْتَلأَتِ الْمَعْصَرَةُ. فَاضَتِ الْحِيَاضُ لأَنَّ شَرَّهُمْ كَثِيرٌ». جَمَاهِيرُ جَمَاهِيرُ فِي وَادِي الْقَضَاءِ؛ لأن يَوْمَ الرَّبِّ قَرِيبٌ فِي وَادِي الْقَضَاءِ.»
٥٥- رؤيا ٢٠: ١١-١٢، ١٥.

رسالتنا، بل بالحري نعطيه إنذاراً: «**فَالآنَ يَا أَيُّهَا الْمُلُوكُ تَعَقَّلُوا. تَأَدَّبُوا يَا قُضَاةَ الأَرْضِ. اعْبُدُوا الرَّبَّ بِخَوْفٍ، وَاهْتِفُوا بِرَعْدَةٍ. قَبِّلُوا الابن لِئَلاَّ يَغْضَبَ فَتَبِيدُوا مِنَ الطَّرِيقِ. لأَنَّهُ عَنْ قَلِيلٍ يَتَّقِدُ غَضَبُهُ. طُوبَى لِجَمِيعِ الْمُتَّكِلِينَ عَلَيْهِ.**»[٥٦]

إن كرزنا بالإنجيل هكذا، سنصير علامة انقسام بين شعوبنا. على غرار الرسول بولس، ينبغي أن نكون رائحة المسيح فِي الَّذِينَ يَخْلُصُونَ وَفِي الَّذِينَ يَهْلِكُونَ. لِهؤُلاَءِ رَائِحَةُ مَوْتٍ لِمَوْتٍ، وَلأُولئِكَ رَائِحَةُ حَيَاةٍ لِحَيَاةٍ.[٥٧] فإننا سنُكرَّم لدى البعض باعتبارنا منَادين بالأخبار السارة ورسل الحياة، لكن سيزدري بنا البعض الآخر باعتبارنا مجرد مهذارين، وكَأَقْذَارِ الْعَالَمِ وَوَسَخ كُلِّ شَيْءٍ، وباعتبارنا بعض المزعجين الذين يقلبون الدنيا، ورجالًا لا يجوز أن يعيشوا.[٥٨]

لهذا، لا بد للكارز بالإنجيل أن يعد نفسه لمقاومة شديدة. لكننا ونحن عالمون قوة ملكنا، ينبغي ألَّا نعود بعد نخشى قوة الأمم مجتمعة، بل لا بد أن نشفق عليهم، ونناشدهم أن يتصالحوا مع الله. كتب تشارلز سبرجن:

> «بما أن يسوع هو ملك الملوك وقاضي القضاة، فإن الإنجيل إذًا يصير معلمًا لأعظم وأحكم البشر. إن تعاظم أحدهم لدرجة الازدراء بتحذيراته ونصحه، سيستهين الله به، وإن صار البشر حكماء لدرجة احتقار تعاليمه، فإن حكمتهم الوهمية ستجعل منهم حمقى. إن الإنجيل يتحدث بصوت صاخب لحكام الأرض، ويجب لمن يكرزون به أيضًا، مثلهم مثل نوكس وميلفيل، أن يُعظِّموا من شأن دورهم من خلال توبيخات جريئة، وكلمات جسورة يقولونها، حتى في محضر الملوك. فإن القس أو خادم الكنيسة المتملق ليس أهلًا إلَّا أن يكون خادمًا حقيراً في مطبخ الشيطان.»[٥٩]

٥٦- مزمور ٢: ١٠-١٢.
٥٧- ٢ كورنثوس ٢: ١٥-١٦.
٥٨- أعمال ١٧: ١٨؛ ١كورنثوس ٤: ١٣؛ أعمال ١٧: ٦؛ ٢٢: ٢٢.
٥٩- Spurgeon, *Treasury of David*, 1:18
المتملق (الكلمة هنا هي sycophant) هو الشخص المتملق الذليل، أي هو شخص يسعى لربح أفضلية عند شخص آخر. الخادم (جاءت هنا كلمة scullion) هو خادم منوط بأحقر المهام بالمطبخ. الخادم (إشارة إلى القس أو خادم الكنيسة) المتملق هو أسوأ أنواع البشر؛ لأنه

إن الله يأمر جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا ويؤمنوا بالإبن؛ لأنه «أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينَ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ» من خلاله.[٦٠] يوجد «إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ،»[٦١] وليس بأحد غيره الخلاص «لأَنْ لَيْسَ اسم آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ.»[٦٢] يعتمد المصير الأبدي لكل البشر على معرفتهم الصحيحة بالإنجيل، الذي يشتمل على الدينونة العظيمة العتيدة أن تأتي على العالم من خلال صاحب السيادة الوحيد، الرب يسوع المسيح. وهذه أمور عظيمة الشأن ومُلحة بقدر ما هي مهيبة؛ لأن الإنجيل لا يتعامل مع تفاهات، بل بالحري يتناول ما يهم بالحقيقة داخل مجال الوجود الإنساني: أي الحياة الأبدية والموت الأبدي. ولهذا لا بد أن نأخذ إرشاداتنا في الحياة، وفي الخدمة، وفي الكرازة، من الرسول بولس الذي قال: «**لِذلِكَ نَحْتَرِصُ أَيْضًا مُسْتَوْطِنِينَ كُنَّا أَوْ مُتَغَرِّبِينَ أَنْ نَكُونَ مَرْضِيِّينَ عِنْدَهُ. لأَنَّهُ لاَبُدَّ أَنَّنَا جَمِيعًا نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا. فَإِذْ نَحْنُ عَالِمُونَ مَخَافَةَ الرَّبِّ نُقْنِعُ النَّاسَ. وَأَمَّا اللهُ فَقَدْ صِرْنَا ظَاهِرِينَ لَهُ، وَأَرْجُو أَنَّنَا قَدْ صِرْنَا ظَاهِرِينَ فِي ضَمَائِرِكُمْ أَيْضًا.**»[٦٣]

أمَّا فيما يتعلق بنا نحن، فلا بد أن يكون لنا طموح وحيد يفوق كل شغف آخر يتمثل في إرضاء الله في كل جوانب حياتنا. ومع أن الدافع الأعظم لنا لا بد أن يكون محبة الله، فإنه لا يجب أن يكون الدافع الوحيد،[٦٤] فالرسول بولس لم تكن تحصره محبة الله في المسيح فحسب، بل ما كان يُحركه أيضًا هو الحق المهيب أنه يومًا ما سيَظهَر أمام كرسي المسيح؛ لينال بحسب ما صنع، خيراً كان أم

لا يتملق الناس، ويتذلل أمامهم فحسب، بل هو أيضًا يُنكر المسيح لربح قبولهم ورضاهم.

٦٠- أعمال ١٧: ٣٠-٣١.

٦١- ١ تيموثاوس ٢: ٥.

٦٢- أعمال ٤: ١٢.

٦٣- ٢ كورنثوس ٥: ٩-١١.

٦٤- ٢ كورنثوس ٥: ١٤.

شراً.[٦٥] وفيما يخص الآخرين، يجب أن نُعلن للناس لا الإنجيلَ فقط، بل أن نسعى أيضًا لاِستخدام كل الوسائل الكتابية تحت تصرفنا؛ كي نُقنعهم أن يتصالحوا مع الله بالمسيح، وأن يعيشوا حياتهم في خوف ورعدة.[٦٦] في الواقع، بصفتنا سفراء عن المسيح، وكأن الله يعظ بنا، ينبغي أن نُناشد البشر بالنيابة عن المسيح أن يتصالحوا مع الله.[٦٧]

٦٥- ٢ كورنثوس ٥: ١٠.
٦٦- فيلبي ٢: ١٢-١٣.
٦٧- ٢ كورنثوس ٥: ٢٠.

قوة الإنجيل ورسالته

قوة الإنجيل ورسالته

منذ عدة عقود حدث تصادم بين قطارين، وألقي القبض على كل من عامل المزلقان وسائق القطار للتحقيق في أي منهما المتسبب في هذا التصادم. وكان عامل المزلقان يؤكد أنه نفذ التعليمات ورفع الراية الحمراء ليُحَذر السائق، في حين كان السائق يُؤكِّد أن العامل رفع له الراية البيضاء، من ثم فقد واصل المسير بالقطار.
وأخيرًا تم اكتشاف سبب الكارثة، فالراية الحمراء التي رفعها عامل المزلقان، من كثرة تعرضها للشمس والعوامل الجوية، تحولت إلى راية صفراء باهتة، يمكن أن تُرى من بُعد أنها راية بيضاء!
إذًا، كان عدم وضوح الراية الحمراء سبب مقتل عَدد كبير من الركاب. واليوم فإن ما يفعله بعض المعلمين في المسيحية، يتسبب في هلاك أبدي لأضعاف هذا العدد.
وحقًا إن كان العداء الصريح للإنجيل ولرسالته قتل ألوفه، فإن الرخاوة والميوعة في إعلان الإنجيل الصريح بكل وضوح قتل ربواته.
لذلك كم سعدت عند قراءة هذا الكتاب القَيِّم، إذ وجدت أنه ما زال للرب - في القرن الحادي والعشرين - جنود أمناء يدافعون بكل شجاعة عن حق الإنجيل، الذي طُمست معالمه وبهت لونه في الأونة الأخيرة، على أيدي التحرريين، وناشري الإنجيل المستحدث. وسعدت بالأكثر لأن كتابًا كهذا تمت ترجمته إلى العربية، فالحاجة ماسة في جيلنا لتقديم الإنجيل النقي والبسيط والواضح.

خادم الرب المهندس يوسف رياض

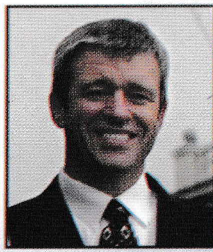

خدم بول واشر كمرسل في بيرو لمدة عشرة أعوام والتي أسس خلالها جمعية هارت كراي الإرسالية لتدعيم زارعي الكنائس في بيرو. يخدم بول الآن كأحد العاملين مع جمعية هارت كراي. لديه هو وزوجته كارو أربعة أطفال وهم إيان وإيفان وروان وبرونوين.

38.00

الحق يحرركم

PAUL WASHER

مكتبة الكتب المسيحية

أحدث الكتب

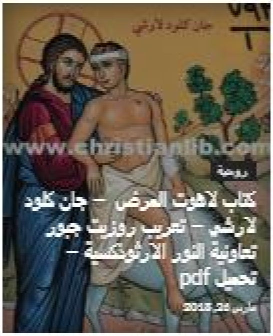

روحية

كتاب لاهوت المرض – جان كلود لارشي – تعريب روزيت جبور تعاونية النور الأرثوذكسية – تحميل pdf

مارس 24, 2018

العهد الجديد

كتاب شبهات وهمية حول الكتاب المقدس – إعداد الدكتور القس منيس عبد النور – تحميل الكتاب pdf

مارس 24, 2018

روحية

كتاب الأيادي الضارعة – ميشال كواست ترجمة الأب فكتور الدويهي دار المشرق – تحميل الكتاب pdf

مارس 24, 2018

مقالات

لا تموت قبل أن تقرأ هذه الكتب – ترشيحات الفيلسوف بيتر كريفت Peter Kreeft

مارس 23, 2018

كتب روحية

روحية

كتاب الباحث عن الله – مذكرات كتبها الفيلسوف المصري المشهور نوستراداميس – د ق لبيب مشرقي pdf

ابائيات

كتاب من اخبار و حكم الآباء النساك – نقله عن اليونانية الأب منيف حمصي – تحميل الكتاب pdf

انسانيات

كتاب يوميات طبيب في ضوء الكتاب المقدس – بول تورنيية – مكتبة دار الكلمة LOGOS – تحميل pdf

روحية

كتاب لاهوت المرض – جان كلود لارشي – تعريب روزيت جبور تعاونية النور الأرثوذكسية – تحميل pdf

روحية

كتاب الأيادي الضارعة – ميشال كواست ترجمة الأب فكتور الدويهي دار المشرق – تحميل الكتاب pdf

روحية

كتاب صوم يونان و الصوم الكبير – الأب متى المسكين – سلسلة عظات مختارة على أناجيل القداسات pdf